الحسين أحمد السيد

الإمام علي عليه السلام

وحروب التنزيل

دراسة دينية ـ تاريخية ـ عسكرية معاصرة

يا علي ستقاتل
على التأويل
كما قاتلت
على التنزيل

دار العلوم

www.haydarya.com

الإمام علي عليه السلام
وحروب التنزيل

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 03/473919 - 01/545182
ص . ب : 140 / 24 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

الإمام علي عليه السلام
وحروب التنزيل

- حروب مشركي العرب
- حروب اليهود
- حروب الجن والعوالم الأخرى

تأليف
الحسين أحمد السيد

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٤-١-١
التاريخ ١/٣/١١هـ
M ٦٥٧٥

دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ اَلدِّينِ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اِهْدِنَا اَلصِّرَاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ اَلَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ اَلضَّالِّينَ

الإهداء

إلى أعظم قائد في الكونين..

إلى الرحمة المهداة للعالمين..

إلى رسول الله ونبيه للثقلين..

إلى حبيب الله في النشأتين..

إلى رسول الله ﷺ وآله المطهرين عليهم السلام ..

أهدي هذه الدراسة الموجزة، فهل تقبل من..

عُبيدك الحسين؟

وبعد الحبيب أهدي النجيب..

إلى أخي وحبيب قلبي، ونور عيني..

«أبو أحمد نجيب»

المؤلف

الحسين أحمد السيد

مقدمة

لماذا ندرس حروب مضت منذ زمن بعيد، ونعيد زمن الأحقاد الدفين فلتلك الحروب منغصات كثيرة فما الفائدة من إثارتها اليوم؟

ولماذا ندرسها في عصر الذرة وغزو المجرة؟ فهل لها من فائدة لهذه الأمة في هذا العصر الرهيب، والعملاق في تطوره العلمي والتقني والتكنولوجي؟

لاسيما وأن الحرب اليوم كادت أن تكون بالأزرار والأشعة وغدا بالروبوت والرجل الآلي، فلماذا تصرف كل هذه الطاقات لإعادة الماضي فالأجدر بك أن تبدع شيء جديداً وفي هذا العصر مفيد؟

هنا المسألة وإليك الجواب باقتضاب ولذا فإنه يحتاج منك الانتباه والتدقيق بالكلمات قبل الحكم علينا أيها العزيز المعاصر والمتطور..

دوافع دراسة غزوات الرسول الأعظم ﷺ في هذا العصر المتطور مادياً..

١- ضرورة التأصيل..

٢- ضرورة التشريع..

٣- ضرورة الاقتداء والمنهج..

٤- ضرورة الإعداد لدفع الأعداء..

٥- ضرورة البناء الحضاري اليوم..

فلدينا دوافع كبيرة جداً، ومنافع لا تقدَّر من دراستنا لغزوات الرسول الأعظم ﷺ لا سيما إذا كانت على المنهج العلوي الشريف، متلمِّسين مواقفه البطولية، وأعماله الإنسانية الرائعة لنقدِّمها للعالَم المعاصر بثوب جديد، ولون يتقبله ويستفيد منه العِبرة والموعظة والعلم الغزير والشهامة والبطولة والرجولة..ولنشير في شبابنا كل تلك

الصفات التي كادت أن تموت لديهم في زحمة التيارات الحضارية – كما نسميها اليوم – فنعيدهم إلى إنسانيتهم وأصالتهم التي فقدوها أو كادوا..

هكذا كان يفعل موالينا من أئمة المسلمين العظام (عليهم آلاف الصلاة وأزكى السلام) يُربُّون أبناءهم ومواليهم ويعلمونهم غزوات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كما كانوا يعلمونهم القرآن الكريم، ومن عجيب ما يُروى في هذا الصدد ما قاله الإمام علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين، وسيد الساجدين: **كنا نعلم مغازي رَسُول الله صلى الله عليه وآله كما نعلم السور من القران..**[1]

فما بالنا نأنف من دراسة غزوات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وندَّعي أنها مما أكل عليها الزمان وشرب، ولا فائدة ترجى من دراستها.. كما يقول بعض المتغربين الجُدد؟

هذا بعض ما أردت أن أقوله من الحقيقة، لأنني لو اتبعت الكلام بالكلام والنقد والتحليل، لصار البحث جداً طويل فاختصرت هذه الزبدة منه خوفاً من الملل، لأن القراء الأعزاء اليوم راحوا ينظرون إلى الغذاء الروحي (بالعلم والقراءة) كالغذاء الجسدي (بالطعام والشراب) فيريدون ويرغبون بالوجبات السريعة، كالماكدونالد والهمبرغر وغيرها مما استوردوه لنا ليسمموا أجسادنا بعد أن أظلموا أرواحنا بالأكل الحرام..

وأنا شخصياً لا آكل، بل أكره وأنهى كل أحبابي عن أكل تلك المأكولات المستوردة من بلاد الكفر، لا سيما المعادية لنا جهاراً نهاراً..ولذا فكنت أرفض الكتابة الجرائدية المستعجلة لبحوث أساسية ومهمة دينياً وعقائدياً، لأنني أريد أن أعطي للقارئ المحترم فكرة محترمة وصحيحة تنمّي فكره، وتغذّي روحه بالحق وتضيء قلبه بالنور الأبدي..

فكيف سأختصر وأنا أبحث أو أكتب عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وغزواته التي أسست لنا الإسلام العظيم؟ أم كيف سأختصر وأنا في رحاب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وحروبه المختلفة؟ فالاختصار يكون على حساب الفكرة ومفعولها،

---

(١) السيرة لزيني دحلان ج١ ص١٨٧.

والحَدَث ومضمونه فلا يمكن أن تأخذ فكرة صحيحة وسليمة إذا لم تأخذ الغذاء كاملاً كالعسل المصفَّى..

فاختصروا لنا أسباب انتشار الإسلام الحنيف وقالوا لنا: الإسلام دين السيف وما انتشر إلا بالسيف..وقرأها أصحاب الوجبات السريعة وأعجبوا بها أيما إعجاب وصدَّقوا أن دينهم العظيم انتشر بحد السيف وما يجر من قتل وسبي وسفك للدماء وهتك للأعراض..

لا – يا عزيزي – تلك كانت فكرة معلبة انتهى وقت صلاحيتها ففسدت ولما تناولتَها سمَّمت أفكارك، وأنت صرت بحاجة إلى غسيل روح وقلب، وغسيل قلبك بكتاب ربك: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

وتنشرح الصدور، وتصلح الأفكار بالعودة إلى سيرة الحبيب المصطفى ﷺ الذي يريدون منَّا أن نبتعد عنها بل ونكرهها ونأنف منها – والعياذ بالله – وهي مصدر فخرنا وإشعاع نورنا، ومنار هدايتنا عبر العصور والدهور..وقل لأولئك اليهود والممسوخين من أمثالهم تعالوا وتخلوا عن التوراة وما فيها من الخزعبلات التي صاغها أسلافكم ودعوا العزير ربكم وموسى نبيكم..

وقل للمتصهينين الجُدد من أتباع السيد المسيح تعالوا وتخلوا عن الإنجيل وتعاليمها، وابتعدوا عن المسيح وأمه البتول، فهل سيستجيب لك أحداً منهم؟

وإن استجابوا لك – كذباً وخداعاً – فلا تغترَّ بنفاقهم ولا تترك ما عندك واعلم أنهم على شكٍّ من أمرهم، وأنت على يقين من ربك فهل من عاقل يدع اليقين للشك؟

فالإسلام انتشر بالقيم ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] وما دخله الناس أفواجاً، إلا لقيمه الإنسانية، وتلاؤمه

(١) سورة الرعد: الآية٢٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية١٦١.

مع الفطرة البشرية، وعدله بالرعية، وقيادته الربانية، وآياته القرآنية كالشمس عندما تشرق فهي لا ترفع سيفاً، ولا تضرب سوطاً، بل تنير الكون فتكشف الظلام وتُري العيوب وتدحر الخفافيش الظالمة، وتُطهِّر الأرض من النجاسات، وتُنبت البقاع أنواع الخيرات والبركات..

والقرآن انتشر انتشار النور في الكون، فأنار القلوب المظلمة، وطهَّر العقول الظالمة بما أثاره فيها من بذور الخير فتفتحت أزاهير الأمة وتفتح ربيعها فأبهر الكون وأنعش الحياة بما نشره من عبق أحلى من عبق الطيوب من أنواع الزهر، فابتسم له الدهر مهللاً، وضحكت له الحياة مرحبة فدخل بدون استئذان إلى كل مكان، فمَنْ الذي ذهب إلى أقصى الشرق فاتحاً حتى غدت تلك الدول نسبة المسلمين فيها أكبر من نسبتها عندنا حيث منبع أنوار الإسلام؟

هل وصلهم إلا الفكر، والقيم، والأخلاق، والمبادئ الصحيحة من الإسلام فأدخلوه إلى قلوبهم كدخول النسيم العليل في صباحات الربيع إلى صدورهم، فهل بهذا قهر أو سيف أو سوط؟

ونعم ما قاله شاعر مصر أحمد شوقي في القرن الماضي:

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثت ... لقتل نفس ولا جاءت لسفك دم

جهل وتضليل أحلام وسفسفة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ... تكفل السيف بالجهال والعمم

علمتهم كل شيء يجهلون به ... حتى القتال وما فيه من الذمم

فالإسلام فتح القلوب على النور، وفتح العقول على الحق، وفتح الحياة على الخير، وفتح عيون المجتمع على العدل والمساواة، ورسول الله صلى الله عليه وآله ما غزا أحداً عن بطر، أو أشر بل كل حروبه كانت دفاعية محضة، وما نقض عهداً ولا أخلف وعداً، وهذه سيرته العطرة تخبرنا أنه وبكل غزواته وسراياه التي وصلت حوالي الثمانين لم يُقتل بها كلها إلا

عدد جداً قليل ومحصور ربما زادوا الألف بقليل..

فأين هذا الرقم من أرقام القتلى التي أبادته سيدة العالم الجديد الولايات المتحدة الأمريكية وقادتها ممن يتشدقون بكذبة نهاية القرن الماضي (الديمقراطية) فبضربة واحدة وبقنبلتين صغيرتين أباد مدينتين (الناغازاكي وهيروشيما) اليابانيتان وحرقوا الشجر والحجر ومازالت الأجيال تأتي مشوهة في تلك المنطقة المحروقة، هذا عدا عن ملايين القتلى لهم من الهنود الحمر، وحتى فيتنام، وأفغانستان وباكستان وإيران والخليج العربي وفلسطين وسورية ولبنان وتبقى كارثة العراق ماثلة للعيان..وكل هذا الإنتشار ديمقراطياً وعالمه حر (كما يسميه البوش الصغير) وأما الإسلام فإنه انتشر بالقتل والسيف..

تنبهوا أيها الأحرار من هذه الأمة فإنه يُراد بكم السوء وأسوء ما يراد بكم سلخكم عن دينكم، ونزع حب الرسول ﷺ من قلوبكم، تحت أيِّ ذريعة وبأيِّ طريقة فلا يهمهم الأسلوب والطريقة لأن المهم لديهم إبعادكم عن دينكم، وأول خطوة بهذا الطريق تبدأ بالشك وتنتهي بالجحود المنشود من قبلهم..

ومن هذا المنطلق فقد ابتلينا اليوم بهؤلاء المتغربين الجدد، وأذنابهم من نواصب هذه الأزمان المغبرَّة الذين راحوا ينشرون بيننا كتابات لتاريخنا الإسلامي مختزلة وربما ممسوخة فيقلب الحقائق رأساً على عقب فيُصوِّر المنافقين بالبطولة، والجبناء بالشجاعة ويُهمل مَنْ قام الإسلام بسيفه، ونادت السماء باسمه في أحلك الظروف، وأعقد العقد في مسيرة الرسول الأعظم ﷺ، أعني به سيدنا وأميرنا وإمام المسلمين الأعظم أمير المؤمنين ويعسوب الدين ومولى المتقين، وسيد الموحدين، وقائد الغر المحجلين الضارب بالسيفين والطاعن بالرمحين ووارث المشعرن، قاطع الرقاب، وهازم الأحزاب، أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب (عليه من الله الصلاة والسلام وأفضل صلوات المصلين، من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، وعباد الله المؤمنين)..

وأنا أستغرب كيف يكتب كاتب عن غزوات الرسول ﷺ ولا يذكر بطلها الأول

الإمام علي عليه السلام إلا إذا لجأته الحيلة، واضطرته لعدم وجود غيره فيقول عندها: كعلي بن أبي طالب وغيره..فكيف يكتب عن معركة أحد، أو الأحزاب، أو حنين، أوخيبر، أو الفتح المظفر لمكة وهو لا يستطيع أن يذكر أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ؟

وللأسف إذا تجرأ وذكره مُرغماً في الطبعة الأولى فإنه يحذفه في الطبعة الثانية لما يلاقيه من النواصب قائلين له: هل تريد أن تظهر علي بن أبي طالب بمظهر البطولة للناس، حتى يحبوه فيتشيعوا؟

فإن قال لهم: فما الحيلة به إذا كانت بطولاته لا تنكر، فمَنْ الذي قاتل في بدر، ومَنْ الذي قتل بني عبد الدار في أحد، ومَنْ الذي قتل عمرو بن عبد ود في الأحزاب، ومَنْ الذي قتل مِرحب وأخاه الحارث في خيبر، ومَنْ الذي قتل أبا جَرول في حُنين وأتبعه بأربعين من سادات الطائف.. ودعونا من كل هذا فمَنْ يستطيع أن يقول أن أحداً غيره قلع باب حصن خيبر ودحاه أربعين ذراعاً؟

فيقولون له: على أيِّ حال فعليك أن تخفِّف من ذكره قدر الإمكان فإما بالتمويه أو بالتشكيك، كأن تقول: (وقيل أنه علي)، وأما الأمور التي لا يشاركه فيها غيره فلا تأت بها أصلاً، وكلما جئت بذكره قلل من شأنه – كيداً للشيعة الذين لا يذكرونه إلا بالتعظيم – فلا تقل كالعادة حتى (رض)، واذكره هكذا دون لقب أوكنية فترغم أنوفهم؟

فيحذفها بالطبعة الثانية بعد أن يجمعوا الطبعة الأولى ويحرقوها، وإلا فتنقطع عنه المعونات من الدينار والدولار، وربما تُقطع رقبته ويُباد أهله إذا لم يستجب لهم..

إقرأ معي أخي الكريم هذه الكلمات لهذا الجنرال الذي يؤرخ لغزوات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأقتطف لك ثلاث صور فقط من ثلاث غزوات أساسية وتأسيسية لدولة الإسلام،يذكر بها عمل الإمام علي عليه السلام ..قال الجنرال محمود خطاب في كتابه:الرسول القائد

١- عن المبارزة الأولى في بدر: (بارز عُبيدة عتبة،وبارز علي الوليد،وبارز حمزة

شيبة..فأما حمزة فلم يُهمل شيبة،أن قتله،وكذلك فعل علي،وأما عُبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر،فكرَّ علي وحمزة بأسيافهما على عتبة فأجهزا عليه واحتملا صاحبهما..)[١].

٢- عن المبارزة الأولى في أحد: (نادى حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة:مَنْ يبارز؟ فخرج إليه علي بن أبي طالب فقتله.. (ثم ينتقل إلى استعراض السيف من رسول الله،وأخذه أبا دجانة واشتداد القتال وقتل حمزة..)

يقول: (وأخذ لواء المشركين يسقط بين حين وآخر؛حمل عثمان بن أبي طلحة اللواء بعد أن قتل علي طلحة بن أبي طلحة، فلما لقي هذا مصرعه حمله أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي بن أبي طالب أو سعد بن أبي وقاص..وتعاقب حملة لواء المشركين من بني عبد الدار حتى قتل منهم تسعة ثم حمله مولى لهم،وحملته امرأة بعد ذلك لتفرق المشركين عنه..) [٢].

٣- وعن المبارزة الوحيدة في الخندق يقول: (تحركت مفرزة من فرسان قريش فيهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل...فعبروها بخيولهم،فخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين للقائهم...ثم نازل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود فقتله،كما قتل المسلمون رجلين من المشركين وعادت بقية فرسان قريش هاربة..) [٣].

ويبقى أعجب ما قرأت وأغرب ما عليه اطلعت أن قرأت كتاب عن الرسول الأعظم ﷺ (قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية) وفيه دراسة عن قيادة الرسول للغزوات ولكن هذا الرجل لم يذكر الإمام علي عليه السلام إلا مرات قليلة جداً لا تتجاوز أصابع اليدين ففي بدر مرّة (حامل راية سوداء) وبعد أحد وعودته عن استطلاع أمر قريش ولكن بالغزوة ذكره مرة وهو يعدُّ الصحابة وفي الأحزاب مرة (فبرز إليه علي بن أبي طالب

(١) الرسول القائد: ص٧٧.

(٢) ن م: ١١٤.

(٣) ن م: ١٥٢.

فقتله) ولم يذكره في بقية المواطن إلا نادراً ولكنه عند الحديث عن شجاعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يقول: (جميع المسلمين والمطلعين على التاريخ الإسلامي يعرفون شجاعة علي بن أبي طالب، فهو الذي نام في فراش الرسول في مكة، عندما تركها مهاجراً إلى المدينة، وهو صاحب المواقف التي يضرب المثل فيها بالجرأة والشجاعة علي (رضي الله عنه) يقول: **إنا كنا إذا اشتدّ الخطب، واحمرّت الحُدُق، إتقينا برسول الله، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه،، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله، وهو أقربنا إلى العدو**)[1].

وليت سائل يسأل هذا الكاتب المحترم: لماذا لم تذكر لنا مواقف الإمام علي عليه السلام التي يُضرَب فيها المثل بالشجاعة ولماذا لم تذكره إلا نادراً، ولم تنقل من مواقفه إلا غراراً نادراً..؟!

وهكذا فإنك تجد أن القوم لا يذكرون بطل الإسلام العظيم إلا إذا ألجأتهم الحيلة لذكره فيختصرون ويشوهون الخبر لكي يقرأه القارء ولا يلتفت إليه أبداً..وغيره ليس أصلح حالاً منه فكل ما اطلعت عليه من كتب الغزوات القليلة في المكتبة الإسلامية وربما لا تتجاوز أصابع اليد فالكل سواء من هذه الناحية المهمة جداً في تاريخنا المجيد..

وبالحقيقة فإن التقصير من كلا الجناحين من طوائف المسلمين،أعني الشيعة،والسنة..بحق أنفسهم وأمتهم حين أهملوا دراسة شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بهذه الطريقة الغير حضارية..

١- الشيعة الكرام أهملوا أميرهم ومن ينتسبون إليه وعلى ما يبدو اكتفوا بالخطب وأحاديث المنابر،ورواية الشعر،وصياغة الخطب الرنانة..وأهملوا البحث والدراسة المتخصصة بهذا الجانب..وأنا شخصياً لم أجد ولا حتى كتاباً واحداً كتبه متخصص في هذا المجال الحيوي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام..

---

(١) (قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد عرموش: ص١٦١).

٢-والسنة والجماعة؛ظن علماؤهم أنهم بذكرهم لأعمال وبطولات الإمام علي عليه السلام يدعون الناس للتشيع له وحبه والإعجاب به لأن الناس عادة ما تحب البطل وتقتدي به في حياتها..فلم يرغبوا لأجيالهم أن يقتدوا بالإمام علي عليه السلام ويتركوا الصحابة،وكأن الإمام علي ليس من الصحابة،وليس من أوائل المؤمنين بل أميرهم..

هكذا سوَّلت لهم أنفسهم، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم، وكل الحسرات على أجيال هذه الأمة التي صارت تنظر لبني أمية الشجرة الملعونة في القرآن: على أنهم سادة الدين، وأمراء المسلمين، وطاعتهم واجبة حتى على الله ورسوله – والعياذ بالله – لأنه من يفتي بقتل الإمام الحسين عليه السلام لصالح يزيد لا مانع لديه وهو ألوط أهل العراق أن يُفتي لصالح إبليس اللعين ضد رب العالمين..

وعلى أنقاض هذه الكوارث التي نعيش فيها اليوم، وبعد دراستي لحروب التأويل التي طُمست من ذاكرة الأمة، عَمَدت إلى دراسة حروب التنزيل وغزوات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ففوجئت بكثرة التجنِّي والإهمال وربما تقصُّد التغييب لدور أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: لستُ من أحمد أبي، ولا من محمد نبيي، ولا من علي إمامي في شيء إن لم أكتب كتاباً عن دور أمير المؤمنين عليه السلام في غزوات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إن وفقني الله لذلك..

فكانت هذه الدراسة التي سميتها (الإمام علي عليه السلام وحروب التنزيل (غزوات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم)، وبنيته بناء – أرجوا أن يُعجبك أخي الكريم – لأنه بناء جديد لم أجده عند أحد من العلماء رحم الله الماضين، وحفظ الباقين إله الحق آمين..

بدأت الدراسة مبنية على الشكل التالي:

* **المقدمة..**

* **الباب الأول: بحث في الحروب الرسالية والشجاعة الحيدرية..**

١- الفصل الأول: الشجاعة الحيدرية..

أ- الشجاعة الأدبية..

ب- الشجاعة القتالية..

٢- الفصل الثاني: معلومات هامة عن الغزوات..

٣- الفصل الثالث: من أخلاق الرسالة في القتال..

* **الباب الثاني: بحث في حروب العرب..**

١- الفصل الأول: حروب الكفار ومشركي قريش..

١- غزوة بدر..

٢- غزوة أحد..

٣- غزوة الأحزاب (الخندق)..

٤- غزوة الفتح المبين..

٥- غزوة حُنين والطائف..

٢- الفصل الثاني: السرايا المستقلة للأمير عليه السلام..

١- سرية ذات السلاسل..

٢- سرية إلى فدك بعد خيبر..

٣- سرية إلى اليمن..

٤- سرية إلى فلس لهدمه..

* **الباب الثالث: بحث في حروب اليهود وغزواتهم..**

أ- الغزوات التي انتهت بالصلح والجلاء..

١- غزوة بني قينقاع..

٢- غزوة بني النضير..

ب- الغزوات التي كان فيها حرب وقتال..

١- غزوة بني المصطلق (المسيريع)..

٢- غزوة بني قريظة..

٣- غزوة خيبر..

* **الباب الرابع: بحث في حروب الجن والعوالم الأخرى..**

* **مسك الختام: بعض الكلام لأمير الكلام عليه السلام..**

و كُلي أمل أن أكون قد وُفِّقْتُ بما وَقَفتُ عليه من شؤون هذه الغزوات المباركة، وأوضحتُ الدور المميَّز لأمير النحل عليه السلام، وبانت لك شخصيته المتميزة في كل شيء..وأسأل الله ببركة هذه الغزوات، وبحق قائدها (صلوات الله عليه وآله)، وحامل لوائها عليه السلام أن ينير قلوبنا بالإيمان، ويشرح صدورنا للإسلام، ويتقبل منا أعمالنا، إنه قريب مجيب..والحمد لله أبدا، وصلى الله على محمد وآله سرمدا.

الحسين أحمد السيد

الباب الأول:
الحروب الرسالية والشجاعة الحيدرية

(شجاعة الأمير عليه السلام أنست الزمان أحاديث الشجعان..)
[المؤلف]

الفصل الأول:

جوانب من الصفات الحيدرية

تمهيد:

الحرب ظاهرة اجتماعية، وسنّة طبيعية في المجتمع البشري على مدى الأيام وكرِّ العصور، وتعاقب الدهور.. ولكن هذه الظاهرة هي ظاهرة مَرَضيِّة، وحالة استثنائية في المجتمعات الإنسانية لأن الأصل فيها هو السِّلم والسلام والتعايش بمحبة ووئام.. ولكن إذا لم يكن من النزاع والخصام، وبالتالي الحرب والقتال بُدّ فعلى الإنسان الحر أن يقاتل دفاعاً عن نفسه، وعرضه، وماله، ودينه، وأرضه، ومقدساته، وهذا ما أقرته جميع شرائع السماء وقوانين الأرض... والإسلام الحنيف بُني على أساس السِّلم والسلام الكوني، ولكن عندما تفرض عليه الحرب، فأوجب على أتباعه القتال حتى آخر رمق وأمير المؤمنين علي عليه السلام قال: **رد الحجر من حيث أتى فإنه لا يدفع الشر إلا الشر.**

والقاعدة تقول: **القتل ينفي القتل**.. ورد البغي يوقف الباغي عند حده لأن الله سبحانه أمرنا بقتال الفئة الباغية.. ولكن يبقى كل ذلك استثناء من القاعدة الإسلامية، وذلك «لأن فكرة السِّلم بين البشر على مستوى الإنسانية كلها، وعلى مستوى الأمة، هي مظهر لفكرة الإسلام المبدئية الأساسية عن السِّلم الكوني.. فالكون بجميع مظاهره قائم على مبدأ السِّلم بين جميع مكوناته، وتراكيبه، ومظاهره، حيث يسود مبدأ التكامل، والتعاون، من خلال النواميس الكونية العامة التي أودعها الله تعالى فيه..

إن التكامل في الطبيعة يعكس حالة السِّلم بين عناصرها، هذه الحالة التي تجعلها تتكامل، وتنمو، وتتجدد باستمرار، وهي الحالة النموذجية المثالية التي يجب أن يكون عليها المجتمع البشري عامة والأمة الإسلامية خاصة... والآيات الكريمة (في الكتاب الحكيم) التي تفصح عن هذه الفكرة الإسلامية في السلم الكوني، وضرورة إنعكاسه على

المجتمع البشري من خلال الإلتزام بالمنهج الإلهي في الإسلام.. وهي متعددة وكثيرة.

والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو من أعظم خلق الله وعياً لحقيقة، وأبعاد، وعمق هذه الفكرة المبدئية الأصلية عن السِّلم في الكون والطبيعة، والمجتمع البشري، والأمة الإسلامية..»[1]

والحقيقة والواقع تقول: بأن الإمام علي عليه السلام عملاق الإنسانية، وعظيم البشرية.. قدَّم أعظم تضحية يمكن أن تقدم في هذا السبيل اللاحب (السِّلم والسلام الكوني).. ولذلك كان أشجع خلق الله بالتضحية والفداء...

- الشجاعة ما هي؟

قالوا: أن الشجاعة هي من جملة القوى الغضبية لدى الإنسان، ولها ميزانها من الرذائل والفضائل.

فمن الرذائل في القوة الغضبية: التهور، وهو الإقدام على ما لا ينبغي الإقدام عليه، والخوض في ما يمنعه العقل السليم، والشرع الحكيم من المهالك والمخاوف، ولا ريب أنه من المهلكات في الدنيا والآخرة..[2].

ومن الرذائل أيضا: الجبن، وهو سكون النفس عن الحركة إلى الانتقام أو غيره، مع كونها أولى بالثورة لأخذ الحق..وعليه فإنه يلزم الإنسان من الأعراض الذميمة: مهانة النفس، والذلة، وسوء العيش، وطمع الناس به وفيما يملكه، وقلة ثباته في الأمور، والكسل، وحب الراحة. وهذا الخلق الذميم (الجبن) يوجب الحرمان من السعادات بأسرها، وتمكين الظالمين من ممارسة الظلم عليه، وتحمله للفضائح في نفسه وأهله، واستماع القبائح من الشتم والقذف، وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار، وتعطيل مقاصده ومهماته، ولذلك ورد في ذمه من الشريعة ما ورد..

---

(١) بحث للشيخ محمد مهد شمس الدين للمؤتمر الألفي لنهج البلاغة.

(٢) جامع السعادات، الشيخ النراقي: ١/ ٢٠٦ بتصرف.

كقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً.**[١].

والتهور والجبن كلاهما متطرفان متضادان بين الإفراط والتفريط للقوة الغضبية، ووسطهما الشجاعة، ولكن.. ما هي الشجاعة في نظر علماء الأخلاق؟

يقول الشيخ النراقي (رحمه الله): إن الشجاعة هي طاعة (النفس) قوَّة الغضب العاقلة، في الإقدام على الأمور الهائلة، وعدم اضطرابها بالخوض في ما يقتضيها رأيها.. ولا ريب في أنها أشرف الملكات النفسية، وأفضل الصفات الكمالية (لبني البشر).. وقد وصف الله سبحانه خيار الصحابة بها في قوله: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾[٢].

وأمر الله نبيه بها بقوله تعالى: ﴿**وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾[٣].

إذ الشدة من لوازمها وآثارها، والأخبار مصرِّحة باتصاف المؤمن بها..[٤]

وقال الإمام الصادق عليه السلام بوصف المؤمن: **إن المؤمن أشد من زبر الحديد، إن زبر الحديد إذا دخل النار تغير، وإن المؤمن لو قتل ثم نشر، ثم قتل، لم يتغير قلبه** " لم يتغير قلبه " أي عقائده التي في قلبه لا تتبدل أو تتغير..[٥]

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: **إن المؤمن أعز من الجبل، الجبل يستفل بالمعاول، والمؤمن لا يستفل دينه بشيء..**[٦]

فالشجاعة إذن من القوى الغضبية العاقلة، التي تترفع من جهة عن الجبن والخوف المذموم، وعن الذلة والدناءة والضعة، ومن جهة أخرى تتريث من التهور والموقف المتعجل والكلمة التي لا تمر بتحليل الفكر الناضج..

---

(١) نفس المصدر١ / ٢٠٧.

(٢) سورة الفتح: ٢٩

(٣) سورة التوبة: ٧٣

(٤) جامع السعادات ١: ٢٠٨ بتصرف

(٥) صفات الشيعة، للشيخ الصدوق: ١٧٩

(٦) تنبيه الخواطر: ٣٦٤

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: **إن للسخاء مقداراً، فإن زاد عليه فهو سرف وللحزم مقداراً، فإن زاد عليه فهو جبن؛ وللاقتصاد مقداراً، فإن زاد عليه فهو بخل؛ وللشجاعة مقداراً، فإن زاد عليه فهو تهور فإذا اعتدلت القوة الغضبية، واتسمت بالعقل كانت شجاعة، وكانت صفة شريفة، وطاقة نافعة..**[١]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **السخاء والشجاعة غرائز شريفة، يضعها الله سبحانه فيمَنْ أحبه وامتحنه..**[٢]

وقال (سلام الله عليه) أيضا: **الشجاعة نُصرة حاضرة، وقبيلة ظاهرة..**[٣].

ومثل هذه الخصلة النبيلة ضروري أن يتحلى بها الأنبياء (صلوات الله عليهم)، فهي من الكمالات الشريفة، والفاقد لها مجرد عن الرجولة.. والنبي " محمد " صلى الله عليه وآله وسلم هو سيد الأنبياء والمرسلين، فالشجاعة فيه أعلا وأظهر، ولقد وصف بها فقال أنس بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشجع الناس، وأحسن الناس، وأجود الناس، قال: لقد فزع أهل المدينة ليلةً فانطلق الناس قِبَلَ الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سبقهم، وهو يقول: لم تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف، قال: فجعل يقول للناس: لم تراعوا، وجدناه بحرا أو إنه لبحر..[٤].

وعن الإمام علي عليه السلام أيضا قال: **رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً.**

وعنه عليه السلام قال: **كُنا إذا أحمرَّ البأس، ولقي القوم، القوم، اتقينا برسول الله، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه..**[٥].

---

(١) الدرة الباهرة: ٤٣

(٢) غرر الحكم

(٣) غرر الحكم

(٤) مكارم الأخلاق، للشيخ الحسن بن الفضل الطبرسي: ١٩

(٥) ن م: ١٨

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: **إن الله تبارك وتعالى خصَّ رسوله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه في الزيادة منها؛ فذكرها عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروة..**[1].

والشجاعة - كما قدمنا - ليست مجرد إقدام على الخصم، وإهواء السيف على رأسه.. إنما الشجاعة الحقَّة ما كانت جهاداً في سبيل الله، وتحقيقاً لطاعة الله، وإقداماً على هدى من الله، ودفعاً لأعداء الله، وتحصيناً لدين الله، وحماية لعباد الله.. وإلى ذلك كله لا بد للشجاعة الحقيقية أن تعبِّر عن العزَّة، والكرامة، والإباء، وعن الشهامة، والمروءة، والترفُّع عن حب الدنيا وأطماعها، فإن الشجاعة مجردة عن ذلك تكون تهوراً، وحباً للانتقام، وطلباً للسمعة، ووقوعاً في معصية الله، وسقوطاً في شراك الشيطان.

فقد يظن القاتل أنه شجاع، فإذا تأمل وجد أنه قاتل للنفس المحترمة، ومن جهة أخرى أنه عبد لنزواته، ومن جهة ثالثة أنه ذليل بطاعته للشيطان وهوى النفس، وإقدامه على القتال طمعاً في دنيا، ورغبة في شهرة، فلم تكن شجاعته لله، ولا في سبيل الله.. بينما الشجاعة في الدين عزة وكرامة..

والشجاعة من الشروط الأساسية للنجاح، سواء على المستوى العام للزعماء وأصحاب الرسالات، أم على المستوى الشخصي للآباء والأمهات، أم للعاملين في الحقول المختلفة في الحياة..

وهي حجر الزاوية في صفات الفروسية..فهل يمكن تصوّر رجل عظيم جبان؟ وهل هناك شخص واحد نجح من غير إقدام؟

وحقاً ما يقول أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه): **الشجاعة عزٌّ حاضر..**

---

(١) تحف العقول: ٣٦٢

والشجاعة نصرة حاضرة، وقبيلة ظاهرة.. والشجاعة أحد العزين..[١].

وكيف تكون الشجاعة عزاً إذا لم تكن رفضاً للظلم، وترفعاً عن الطمع، وإباءً عن الضيم، ونخوة وشهامة وغيرة على الإسلام وأهله.. يقول الإمام علي (سلام الله عليه): **جبلت الشجاعة على ثلاث طباع، لكل واحدة منهن فضيلة ليست للأخرى: السخاء بالنفس، والأنفة من الذل، وطلب الذكر.. فإن تكاملت في الشجاع كان البطل الذي لا يقام سبيله، والموسوم بالإقدام في عصره، وإن تفاضلت فيه بعضها على بعض كانت شجاعته في ذلك الذي تفاضلت فيه أكثر وأشد إقداماً..**[٢].

فقد يراد من المؤمن أن يرضى بالضيم، ويقعد على بساط الذل، وأن يسكت مع الإهانة والهوان، ويحجم عن الدفاع عن دينه وعرضه، ويوسم بالذكر السيء فلا يعرب عن رفضه، ولا يبدو منه رد فعل أبي، أو نخوة عربية.. هكذا يراد منه أحياناً، لكن الإباء يمنعه أن يرضى، والحمية تنكر عليه أن يسكت، فينتفض الشجاع لا يقبل بشيء دون عزته وكرامته.. وهنا تكون شجاعته على قدر ما رزق من شرف الإباء.

جاء في غرر الحكم لأمير المؤمنين (سلام الله عليه) أنه قال: **شجاعة الرجل على قدر همته، وغيرته على قدر حميته.**

وفي حديث آخر، قال عليه السلام: على قدر الحميَّة تكون الشجاعة..وقدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته..[٣]

يقول الإمام الصادق عليه السلام: **ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة مواطن: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا أخ إلا عند الحاجة.**[٤]

فقد ينجح المرء في دخول الأمر الصعب، ولكنه لا يقوى على المواصلة في

---

(١) ميزان الحكمة: ٢٦/٥، وغرر الحكم

(٢) بحار الأنوار ٧٨: ٢٣٦عن تحف العقول

(٣) النهج: ح ٤٧

(٤) البحار ٧٨: ٢٢٩، عن تحف العقول: ٢٣٣

التحمل، وقد يواصل لكنه لا يستطيع الثبات، فتراه يهتز ويسقط، وقد يثبت حينا لكنه لا يختم حياته بذلك.. والخاتمة هي المعوَّل عليه: قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: **خير الأمور خيرها عاقبة..**[١]

إذ أن: **ملاك العمل خواتيمه..**[٢]

نعم؛ **الأمور بتمامها، والأعمال بخواتمها..**[٣]

والحاجات تختلف، فمنها معنوية أخلاقية، إذ قد يحتاج الأخ من أخيه أن يعفو عنه ويصفح، وأن يحلم عليه ولا يغضب منه، والشجاعة لا تقتصر على قوة البدن واندفاعه في ساحة القتال، إذ منها إمساك النفس عن الغضب كما هو منها إمساك النفس عن الخوف والجبن والوهن..و يسأل النبي صلى الله عليه وآله يوما أصحابه: **ما الصرعة فيكم؟** قالوا: الشديد القوي الذي لا يوضع جنبه.. فقال: **بل الصرعة حق الصرعة رجل وكز الشيطان في قلبه، واشتد غضبه وظهر دمه، ثم ذكر الله فصرع بحلمه غضبه...**[٤]

وفي رواية: أنه صلى الله عليه وآله خرج وقوم يدحرجون حجراً، فقال: **أشدكم من ملك نفسه عند الغضب، وأحلمكم من عفا بعد المقدرة..**[٥]

وقال صلى الله عليه وآله: **ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب..**[٦]

وجاء عن مولانا الإمام علي عليه السلام أنه قال: **أقوى الناس من قوي على غضبه بحلمه..**[٧]

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٩٢

(٢) بحار الأنوار ٧٧: ١٣٣

(٣) نفسه: ١٦٥

(٤) بحار الأنوار ٧٧: ١٥٠ عن تحف العقول

(٥) بحار الأنوار ٧٧: ١٤٨

(٦) تنبيه الخواطر: ٩٩

(٧) غرر الحكم

وروري عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام قوله: لا قوة كرد الغضب[١].

١- الشجاعة الأدبية:

وهنا نستعرض موقفين فقط من مواقف أمير المؤمنين عليه السلام مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله..

أ- حديث الدار..

حديث الدار،حديث التفتح الأولى، والبشائر النورانية لفجر الرسالة الإسلامية يلمع من جبين الفتى الهاشمي ثمرة عبد مناف الطيب الزاكي،التي وهبها ليتيمه وابن أخيه مبكراً، ولا نحتاج إلى طويل الكلام ففي الرواية ما يكفي من النور،والدلائل على عظمة وحُسن الشمائل لذاك الفتى المبارك،علي بن أبي طالب عليه السلام.

فروي عن عبد الله بن عباس، عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[٢]

دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: يا علي إن الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين؛ قال: فضقتُ بذلك ذرعاً، وعرفتُ أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُ على ذلك وجاءني جبرائيل، فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك، فاصنع لنا يا علي صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، و املأ لنا عِسّاً من لبن[٣]، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرتُ به..

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم أجمع وهم يؤمئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا له دعاني بالطعام الذي صنعتُ له فجئتُ به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله جذمة من

---

(١) الأخلاق الحسينية ـ جعفر البياتي ص ٢٨٣

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤

(٣) العس بالضم: القدح الكبير

اللحم فنتفها[١] بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة[٢]، ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى صدروا (شبعوا) مالهم بشيء من الطعام حاجة وما أرى إلا مواضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده أن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمتُ لجميعهم، ثم جئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعاً (ارتووا من اللبن)، وأيم الله أن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشدَّ ما سَحَرَكم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله..

فقال لي من الغد: يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعدَّ (هيِّئ وجهز) لنا من الطعام بمثل ما صنعتَ، ثم أجمعهم لي، قال: ففعلت ثم جمعتهم فدعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس وأكلوا حتى ما لهم به من حاجة، ثم قال: أسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤمن بي ويؤازرني على أمري فيكون أخي، ووصيي، ووزيري، وخليفتي في أهلي من بعدي؟**

قال: فأمسك القوم، وأحجموا عنها جميعاً، قال: فقمت وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً[٣]،

فقلت: أنا يا نبي الله أكون وزيرك على ما بعثك الله به..

قال: فأخذ بيدي، ثم قال: **إن هذا أخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم، فاسمعوا له**

---

(١) الجذرة أوالجذمة بالكسر: القطعة

(٢) الصحفة: قصعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة

(٣) أرمصهم عينا، أو أرمضهم، ورمضت عينه: حميت حتى كادت أن تحترق وأما الرمص بالتحريك: وسخ يجتمع في مؤق (زوايا خروج الدمع) العين، ولما كان الغالب أن ذلك يكون في الأطفال كنى عليه السلام عن صغر السن بذلك، وكذا عظم البطن، ورجل احمش الساقين: دقيقهما.

وأطيعوا..

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع..[١]

هذا الحديث الشريف وتلك الحادثة التي يطول البحث فيها وعنها لأنها تحتاج إلى كتاب مستقل لبيان ما فيها من مضامين عالية،وبشائر علوية شريفة وشجاعة أدبية منيفة تخبرنا بأن هذا الفتى الذي رباه محمد بن عبد الله ﷺ يختزن في قلبه إيمان الدنيا،وشجاعة الإنسان من آدم وإلى آخر فرد من بنيه..

فالفتى ليس مجرد ابن عم أو ربيب بل هو مشروع رسالة كبير بحجم الرسالة، وعظيم بعظمة الأمة التي جاء إليها سيده رسول الله ﷺ الذي بُعث رحمة للعالمين، من الإنس والجن أجمعين والملأ الأعلى، والسفليين..فكان اختزان قلب الفتى في تلك الفترة المبكرة من عمر الرسالة له دلائله الخاصة، وتضاف إليها التربية النبوية له والرعاية الرسولية بتنشئته التنشئة المخصصة للقيادة العامة للأمة من بعد الرسول الأكرم ﷺ..

وأقسم بالله صادقاً لو أنه ما في السيرة النبوية الشريفة،والعلوية المنيفة إلا هذا الحديث الشريف لكفى دلالة على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأحقيته بالولاية العامة للأمة الإسلامية، ﴿قَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٢].

ب – حديث الهجرة والمبيت..

كما في حديث الدار المتقدم كان الفتى الأوحدي علي بن أبي طالب عليه السلام البطل متقدماً على أهله وعشيرته الأقربين وفيهم أعمامه ووالده الكبير،هاهو ذا يتقدم للفداء،وأربعين سيف مشرعة ينتظرون اللحظة المناسبة للإنقضاض عليه وتمزيقه،ظناً منهم أنه محمد بن عبد الله،رسول الله (صلوات الله عليه وآله)،فلم يخف أو ينثن عن

(١) تفسير فرات بن إبراهيم: جعفر بن محمد بن أحمد الأودي بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام ص: ١١٢) بحار الأنوار. العلامة المجلسي. ج ٣٨. ص ٢٢٣ – ٢٢٥.

(٢) سورة الزخرف: الآية٧٨.

تقديم نفسه فداء لرسوله وسيده وقائده، ودينه ورسالته المباركة التي تتربص قريش بهم الدوائر..

وحديث الهجرة يطول لأنه مشحوناً بالكذب والافتراء على الله ورسوله،ولم يصل إلينا بالشكل الذي يجب ليكون لنا ملاذاً في النائبات بل حرِّف، وزوِّر لصالح البعض لخلق لهم فضائل لم يسمعوا بها هم أنفسهم..ونشير على بعض التساؤلات هنا فقط،يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بعضهم بالهجرة سراً إلى المدينة لأنه سيهاجر إليها عندما تحين الفرصة..

وفي ليلة الهجرة أمرهم صلى الله عليه وآله أن لا يخرج منهم أحد تلك الليلة لأنه أمر بالهجرة إلى يثرب..لماذا خرج بعضهم؟

ويثرب تقع في جهة الشمال من مكة المكرمة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله توجه إلى غار ثور وهو في جهة الجنوب من مكة وباتجاه اليمن..لماذا؟

والغار المذكور صغير جداً وهو موجود وحاضر إلى اليوم،ولكن خوارج العصر لا يدعون الناس بالصعود إليه إن أمكنهم فهو لا يخفي حتى شخص واحد لصغره..فكيف كان به ثلاثة؟

وقالوا أن ذات النطاقين أسماء هي من كانت تأخذ لهم الطعام ولكن بعضهم يروي كذلك أنها كانت من مهاجرة الحبشة..لماذا؟

كما أنهم قالوا بأن الرجل قد لسعته الأفعى أو العقرب لينام،وأما أمير المؤمنين علي عليه السلام فحرسه جبرائيل واسرافيل،وسيدنا جبرائيل الذي كان يقف عند رأسه يقول له: بخ، بخ لك يا ابن أبي طالب مَنْ مثلك والله سبحانه يباهي بك ملائكة السماء..لماذا؟

وهكذا يطول الكلام وله مكان آخر وما يهمنا هنا هو مبيت الفتى في فراش ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله يفديه بنفسه كما أخبرت الآية الشريفة: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ**

ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١).

كذلك يُروى عن ابن عباس في نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٢).

قال: تشاورت قريش ليلةً بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فاثبتوه بالوثائق -يريدون النبي ﷺ -وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم بل أخرجوه فاطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فبات علي (سلام الله عليه) على فراش النبي ﷺ وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً (سلام الله عليه) يحسبونه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا عليه فلما رأوه علياً عليه السلام ردَّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟

قال: لا أدرى.. فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث ثلاث ليال.. (علماً أن هذا الكلام مثبتاً في التوراة حين طارد الطاغية جالوت نبي الله داوود عليه السلام فدخل الغار وباضت الحمام ونسج العنكبوت على الباب..فتأمل أرجوك في المسألة)..

وفي تفسير القمي: كان سبب نزولها انه لما أظهر رسول الله ﷺ الدعوة بمكة قدمت عليه الأوس والخزرج فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنعوني وتكونون لي جاراً حتى أتلو كتاب الله عليكم وثوابكم على الله الجنة؟

فقالوا: نعم خذ لربك ولنفسك ما شئت.. فقال لهم: موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق.. فحجوا ورجعوا إلى منى وكان فيهم ممن قد حج بشرٌ كثير.

فلما كان اليوم الثاني من أيام التشريق قال لهم رسول الله ﷺ: إذا كان الليل فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة، ولا تنبهوا نائماً، ولينسلَّ واحد فواحد.. فجاء

(١) سورة البقرة: الآية٢٠٧.

(٢) سورة الأنفال: الآية٣٠.

سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار، فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنعوني وتجيروني حتى أتلو عليكم كتاب ربى وثوابكم على الله الجنة.

فقال أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبد الله بن حرام: نعم يا رسول الله اشترط لربك ونفسك ما شئت.

فقال ﷺ: أما ما أشترط لربى فان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وما أشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي مما تمنعون أهليكم وأولادكم.

فقالوا: فما لنا على ذلك؟ فقال: الجنة في الآخرة، وتملكون العرب، ويدين لكم العجم في الدنيا، وتكونون ملوكاً في الجنة..

فقالوا: قد رضينا.

فقال: اخرجوا إليَّ منكم اثنا عشر نقيبا يكونون شهداء عليكم بذلك كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثنا عشر نقيباً فأشار إليهم جبرائيل، فقال: هذا نقيب وهذا نقيب تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس:

فمن الخزرج: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبد الله بن حرام أبو جابر بن عبد الله، ورافع بن مالك، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمر، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن ربيع، وعبادة بن صامت..

ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان وهو من اليمن، وأسيد بن حصين، وسعد بن خيثمة.

فلما اجتمعوا وبايعوا لرسول الله ﷺ صاح إبليس: يا معشر قريش والعرب هذا محمد و الصُباة من أهل يثرب على جمرة العقبة يبايعونه على حربكم فأسمع أهل منى، وهاجت قريش فأقبلوا بالسلاح، وسمع رسول الله ﷺ النداء فقال للأنصار: تفرقوا..

فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا.

فقال رسول الله ﷺ: لم أؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم.

قالوا: فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله.

فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح وخرج حمزة وأمير المؤمنين علي عليه السلام بالسلاح ومعهما السيوف فوقفا على العقبة فلما نظرت قريش إليهما قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟

فقال حمزة: ما اجتمعنا وما ههنا أحد والله لا يجوز هذه العقبة أحد إلا ضربته بسيفي.

فرجعوا إلى مكة، وقالوا: لا نأمن أن يفسد أمرنا ويدخل واحد من مشايخ قريش في دين محمد فاجتمعوا في دار الندوة، وكان لا يدخل دار الندوة إلا مَنْ أتى عليه أربعون سنة فدخلوا أربعين رجلاً من مشايخ قريش، وجاء إبليس في صورة شيخ كبير،فقال له البواب: مَنْ أنت؟

فقال: أنا شيخ من أهل نجد (آه من نجد هذه كم خرَّجت شياطين وأبالسة هذا العصر) لا يعدمكم مني رأيٌ صائب إني حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل جئت لأشير عليكم..

فقال: أدخل.. فدخل إبليس. فلما أخذوا مجلسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إنه لم يكن أحد من العرب أعزُّ منا نحن أهل الله تفد إلينا العرب في السَّنة مرتين ويكرموننا، ونحن في حرم الله لا يطمع فينا طامع فلم نزل كذلك حتى نشأ فينا محمد بن عبد الله فكنا نسميه الأمين لصلاحه، وسكونه، وصدق لهجته حتى إذا بلغ ما بلغ وأكرمناه ادَّعى أنه رسول الله؛ وأن أخبار السماء تأتيه فسفَّهَ أحلامنا، وسبَّ آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرَّق جماعتنا، وزعم أنه من مات من أسلافنا ففي النار، ولم يَرِدْ علينا شيء أعظم من هذا، وقد رأيتُ فيه رأياً.

قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيتُ أن ندسَّ إليه رجلاً منا ليقتله فإن طلبت بنو هاشم بديته أعطيناهم عشر ديات.

فقال الخبيث (الشيطان): هذا رأي خبيث (أي فاسد)..

قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأن قاتل محمد مقتول لا محالة فمن هذا الذي يبذل نفسه للقتل منكم؟ فإنه إذا قتل محمداً تعصبت بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة..لأن بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمد على الأرض فتقع بينكم الحروب في حرمكم وتتفانون.

فقال آخر منهم: فعندي رأي آخر. قال: وما هو؟ قال: نثبته (أي نسجنه) في بيت ونلقي عليه قوته (طعامه) حتى يأتي عليه ريب المنون فيموت كما مات زهير والنابغة وامرؤ القيس.

فقال إبليس: هذا أخبث من الآخر. قالوا: وكيف ذاك؟

قال: لان بني هاشم لا ترضى بذلك فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم فاجتمعوا عليكم فأخرجوه.

قال آخر منهم: لا ولكنا نخرجه من بلادنا ونتفرَّغ لعبادة آلهتنا. قال إبليس: هذا أخبث من ذينك الرأيين المتقدمين،قالوا: وكيف؟ قال: لأنكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً، وأتقن الناس لساناً وأفصحهم لهجة فتحملوه إلى بوادي العرب فيخدعهم ويسحرهم بلسانه فلا يفجؤكم إلا وقد ملاها خيلاً ورجلاً.

فبقوا حائرين.. ثم قالوا لإبليس: فما الرأي يا شيخ؟

قال: ما فيه إلا رأي واحد. قالوا: وما هو؟ قال: يجتمع من كل بطن من بطون قريش (فتى أو رجل) فيكون معهم من بني هاشم رجل فيأخذون سكيناً أو حديدةً أو سيفاً فيدخلون عليه فيضربونه كلهم ضربةً واحدةً حتى يتفرق دمه في قريش كلها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه فقد شاركوا، فيه فإن سألوكم أن تعطوهم الديَّة فأعطوهم ثلاث ديات.

قالوا: نعم؛ وعشر ديات. قالوا: الرأي رأي الشيخ النجدي فاجتمعوا فيه، ودخل

معهم في ذلك أبو لهب عمُّ النبي ﷺ. فنزل جبرائيل على رسول الله ﷺ، فأخبره: أن قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبرون عليك فأنزل الله عليه في ذلك: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (١).

واجتمعت قريش أن يدخلوا عليه ليلاً فيقتلوه، وخرجوا إلى المسجد يصفرون، ويصفقون، ويطوفون بالبيت فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢).

فالمُكاء التصفير، والتصدية صفق اليدين وهذه الآية معطوفة على قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قد كتبت بعد آيات كثيرة.

فلما أمسى رسول الله ﷺ جاءت قريش ليدخلوا عليه فقال أبو لهب: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل فإن في الدار صبياناً ونساء ولا نأمن أن يقع بهم يد خاطئة فنحرسه الليلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ. وأمر رسول الله ﷺ أن يفرش له فرش فقال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: افدني بنفسك..

قال: نعم يا رسول الله.. قال: نَمْ على فراشي والتحف ببردتي فنام علي عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ والتحف ببردته.. وجاء جبرائيل فأخذ بيد رسول الله ﷺ فأخرجه على قريش وهم نيام وهو يقرأ عليهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ (٣).

وقال له جبرائيل: خذ على طريق ثور -وهو جبل على طريق مِنى له سنام كسنام الثور فدخل الغار وكان من أمره ما كان.. فلما أصبحت قريش وأتوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش فوثب علي عليه السلام في وجوههم، فقال: ما شأنكم؟

قالوا: أين محمد؟ قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا؟ فقد

(١) الأنفال: ٣٠

(٢) سورة الأنفال: الآية٣٥.

(٣) سورة يس: الآية٩.

خرج عنكم.. فأقبلوا على أبى لهب يضربونه، ويقولون: أنت تخدعنا منذ الليل.. فتفرقوا في الجبال، وكان فيهم رجل من خزاعة، يقال له: أبو كرز يقفوا الآثار،فقالوا: يا أبا كرز اليوم، اليوم فوقف بهم على باب حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لهم: هذه قدم محمد والله إنها لأخت القدم التي في المقام (يعني إبراهيم الخليل عليه السلام .. ولا يزال يقف بهم حتى أوقفهم على باب الغار.

ثم قال: ما جاوزوا هذا المكان إما أن يكونوا صعدوا إلى السماء أو دخلوا تحت الأرض..وجاء فارس من الملائكة، ثم قال: ما في الغار أحد فتفرقوا في الشعاب، وصرفهم الله عن رسوله صلى الله عليه وآله ثم أذن لنبيه صلى الله عليه وآله في الهجرة[1].

وقيل خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في فحمة العشاء والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون ان ينتصف الليل وتنام الأعين.. فخرج وهو يقرأ هذه الآية: ﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾

وكان بيده قبضة من تراب فرمى بها في رؤوسهم فما شعر القوم به حتى تجاوزهم ومضى حتى وصل إلى الغار.

وفي الليلة الثانية: انتظر أمير المؤمنين عليه السلام حتى إذا اعتمت انطلق ومعه هند بن أبى هالة (ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله هنداً أن يبتاع (أي يشتري) له ولصاحبه (عبد الله بن بكر بن أريقط) بعيرين..

فقال ابن بكر بن أريقط: قد كنت أعددت لي و لك يا نبي الله راحلتين نرتحلهما إلى يثرب.. فقال صلى الله عليه وآله: إني لا آخذهما ولا أحدهما إلا بالثمن.. قال: فهي لك بذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فأقبضه الثمن ثم وصَّاه بحفظ ذمته وأداء أمانته.

وكانت قريش قد سموا محمداً صلى الله عليه وآله في الجاهلية: الصادق الأمين، وكانت تودعه وتستحفظه أموالها وأمتعتها، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم، وجاءت النبوة

---

(١) تفسير الميزان ـ السيد الطباطبائي ـ ج ٩ ـ ص ٧٦ – ٨٠.

والرسالة والأمر كذلك فأمر علياً عليه السلام أن يقيم صارخا بالأبطح غدوةً وعشياً: مَنْ كان له قِبَل محمد أمانة أو دَيْن فليأت فلنؤد إليه أمانته.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله له: إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم عليَّ فأدِّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً ثم إني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما ومستحفظه فيكما.. وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن أزمع الهجرة معه من بني هشام.

وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام يذكر مبيته على الفراش ومقام رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ثلاثاً نظماً شعرياً جميلاً يفتخر به ويحق له ذلك:

وقيت بنفسي خير مَنْ وطئ الحصا ومَنْ طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمد لما خاف أن يمكروا به فوقاه ربي ذو الجلال من المكر
وبت أراعيهم متى ينشروني
وقد وطنت نفسي على القتل
والأسر
وبات رسول الله في الغار آمنا هناك وفي حفظ الاله وفي ستر
أقام ثلاثا ثم زمت قلائص قلائص يفرين الحصا أينما تفرى[1]

وجاء في تفسير الآلوسي (أو يخرجوك) أي من مكة، وذلك على ما ذكر ابن إسحاق (في سيرته) أن قريشاً لما رأت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم (من غير بلدهم) ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم منعة فحذروا رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة (وهي دار قصي بن كلاب) التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في أمره (عليه (وآله) الصلاة والسلام) فلما اجتمعوا -كما قال

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٩ - ص ٨٠ - ٨٣

ابن عباس- لذلك واتعدوا أن يدخلوا الدار ليتشاوروا فيها غدوا في اليوم الذي اتعدوا فيه وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة فاعترضهم إبليس (عليه اللعنة) في هيئة شيخ جليل عليه بدلة فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها، قالوا: مَنْ الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا..

قالوا: أجل فادخل؛ فدخل معهم وقد اجتمع أشراف قريش فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم وإنا والله ما نأمنه، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً، والنابغة، ومَنْ مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم.

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره.. فتشاوروا ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وإلفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حيٍّ من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يبايعوه عليه ثم يسير بهم إليكم فيطؤكم بهم في بلادكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، دبِّروا فيه رأيا غيره.

قال فقال أبو جهل: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً، جليداً، نسيباً، وسيطاً فينا؛ ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدون إليه فيضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً (وبني هاشم لا يستطيعون عندها

محاربتها كلها، وإن) رضوا منها بالعقل (الدية) فعقلناه لهم (أعطيناهم ديته).

فقال: الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل هو هذا الرأي لا أرى غيره.. فتفرقوا على ذلك، فأتى جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.. فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله مكانهم قال لعلي (كرم الله تعالى وجهه): **نَمْ على فراشي واتشح بردي هذا الحضرمي الأخضر فنَمْ فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم..**

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ينام في برده ذلك إذا نام، وأذن له (عليه وآله الصلاة والسلام) في الهجرة فخرج مع صاحبه إلى الغار، وذكر الأبيات المتقدمة لأمير المؤمنين علي عليه السلام..[1]

وفي تاريخ اليعقوبي الرواية أكمل والسرد أجمل حيث قال: خروج رسول الله من مكة وأجمعت قريش على قتل رسول الله وقالوا ليس له اليوم أحد ينصره وقد مات أبو طالب فأجمعوا جميعاً على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد فيجتمعوا عليه فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فلا يكون لبني هاشم قوة بمعاداة جميع قريش.. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم أجمعوا على أن يأتوه في الليلة التي اتعدوا فيها خرج رسول الله صلى الله عليه وآله لما اختلط الظلام...

وإن الله عز وجل أوحى في تلك الليلة إلى جبرائيل وميكائيل عليهما السلام: أني قضيت على أحدكما بالموت فأيكما يواسي صاحبه؟ فاختار الحياة كلاهما فأوحى الله إليهما: هلا كنتما كعلي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد وجعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر فاختار علي الموت وآثر محمداً بالبقاء وقام في مضجعه اهبطا فاحفظاه من عدوه.. فهبط جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوه

(١) تفسير الآلوسي - ج ٩ - ص ١٩٧ - ١٩٨

ويصرفان عنه الحجارة وجبرائيل عليه السلام يقول: **بخ، بخ لك يا ابن أبي طالب مَنْ مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات..** (ويضيف الثعلبي في تفسيره وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي عليه السلام **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ الله﴾** [1]

وخلف علياً على فراشه لرد الودائع التي كانت عنده وصار إلى الغار فكمن فيه وأتت قريش فراشه فوجدوا علياً فقالوا: أين ابن عمك؟ قال: قلتم له اخرج عنَّا فخرج عنكم.. فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه وأعمى الله عليهم المواضع فوقفوا على باب الغار وقد عششت عليه حمامة، فقالوا: ما في هذا الغار أحد وانصرفوا وخرج رسول الله متوجها إلى المدينة.. وكان جميع مقامه بمكة حتى خرج منها إلى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه.

وقدم رسول الله المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول وقيل يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.. [2]

تلك هي الشجاعة حقاً، والمواساة الحقيقية صدقاً،فمَنْ يبيع نفسه ويقدم روحه للسيوف إلا البطل الذي جعله الله مقياس الإيمان، وميزان الحق والصدق والإيمان في هذه الدنيا..

وللأسف خرج علينا في هذه الأيام خوارج منا ربما لا يقلون عن الأشعث بن قيس الكندي ينكرون مسلمات الدين -وهم يسمونها ضروريات المذهب-أينما ذكرت كالزيارة الجامعة،أو بقية الزيارات الشريفة وهي من البديهيات التي يعرفها كل مَنْ يدعي التشيع ويتشرف بالإنتساب لأهل البيت عليهم السلام، يدَّعون ويتخرصون بأنها بدعة وربما أحدهم يقول بأنها شرك كمحمد بن عبد الوهاب تماماً..

---

(١) البقرة: ٢٠٧

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٩

فرسول الله ﷺ يقول بأنهم المقياس، وأنهم ميزان الإيمان، وأنهم قسيم الجنة والنار، وأنهم أصحاب الحوض، وحاملي اللواء..وأنهم محك أولاد الحلال..ويأتينا خوارجنا بعد كل هذه القرون ليرموننا بالشرك والعياذ بالله،وتمادى القوم بغيهم حتى أن أحد هؤلاء كتب بالأمس مقالاً في جريدة يصف فيها مجالس الإمام الحسين في حرم الإمام الحسين عليه السلام (بالمحافل القذرة..)..

تلك المجالس التي يحضرها رسول الله ﷺ،وأمير المؤمنين علي عليه السلام،وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء المفجوعة بفلذة كبدها عليها السلام، وسيدنا ولي الله الأعظم إمامنا في هذا الزمان (روحي وأرواح العالمين له الفداء) وأرواح المؤمنين،وصنوف الملائكة..يصفها الرجل (بالقذرة).. فإلى متى هذا التصبر يا محيي الشريعة..

وإليك ما روى الخوارزمي في مناقبه بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى جعل لأخي فضائل لا تحصى كثرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها له غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ ومَنْ كَتَبَ فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى لتلك الكتابة رسم؛ ومَنْ استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له بالاستماع لها الذنوب التي اكتسبها بالسمع؛ ومَنْ نظر إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثم قال ﷺ: النظر إلى علي بن أبى طالب عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه.**

ويروي في المسترشد لمحمد بن جرير الطبري (الشيعي): **أيها الناس إن الله عزوجل باهى بكم الملائكة عامة وبعلي خاصة إمضوا على بركة الله..**

وروى العلامة العُيني في مناقب علي من طريق أبي نعيم عن عمر الديلمي عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: **جبرائيل ينادي: مَنْ مثلك يا علي يباهي الله تعالى بك والملائكة..** ومن طريق آخر عن جابر: **أن الله يباهي بعلي كل يوم الملائكة المقربين..**[1]

(١) مناقب علي للعيني ص ٣٢

٢ - الشجاعة القتالية

وأما شجاعة أمير المؤمنين علي عليه السلام فهي مما لا يشك فيها أحد من خلق الله،لأنها صارت من بديهيات العرب والإسلام، ومن تراث الإنسانية،والشجاعة -كما أسلفنا- ليست كلمة تقال بل هي فعل عظيم يقتضي تقديم الروح للحتوف والجسد لضرب السيوف.. (فقد قال كمال الدين رحمه الله: اعلم -وفقك الله على حقائق المعاني ووفقك لإدراكها- أن الشجاعة من المعاني القائمة بالنفوس، والصفات المضافة إليها، فهي تُدرك بالبصيرة لا بالبصر،ولا تمكن معرفتها بالحس مشاهدة لذاتها، إذ هي ليست جسماً كثيفاً، بل طريق معرفتها والعلم بها، مشاهدة آثارها؛ فمن أراد أن يعلم أن زيداً موصوف بالشجاعة فطريقه أن ينظر إلى ما يصدر منه فإذا أحدقت الرجال بالرجال،وحدَّقت الآجال، وحقَّت الأوجال، وتضايق المجال، وحاق القتال، فان كان مجْزاعاً، مِهلاعاً، مِرواعاً، مِفزاعاً، فتراه يستركب الهزيمة ويستبقها، ويستصوب الدنيَّة ويتطوقها،ويستعذب المفرَّة ويستفوقها،ويستصحب الذِّلة ويتعلقها، مبادراً إلى تدرع عار الفرار من شبا الشِّفار،مشيحاً عن الفخار باقتحام الأخطار، في مقرِّ القراع بكل خطار..

فذلك مهبول الأم، مخبول الفهم، مفلول الجمع، معزول عن السمع، مضروب بينه وبين الشجاعة بحجاب، مكتوب بينه وبين الشهامة بالبراءة في كتاب.. ولا تعرف نفسه شرفاً، ولا تجد عن الخساسة والدناءة منصرفاً..

وان كان مجِساراً، مجِزاراً، كراراً، صباراً، يسمع من أصوات وقع الصوارم نغم المزاهر المُطربة، ويسرع إلى مصاف التصادم مسارعته إلى مواصلة النواضر المعجبة، خائضاً غمرات الأهوال بنفس مطمئنة وعزيمة مطنبة.. يعد مصافحة الصفاح غنيمة باردة، ومرامحة الرماح فائدة عائدة، ومكافحة الكتائب مكرمة زائدة، ومناوحة المقانب منقبة شاهدة.. يعتقد أن القتل يلحقه ظلل الحياة الأبدية ويسعفه حلل المحامد السرمدية ويزلفه في منازل الفخار العلية المُعدَّة لشهداء الأحدية؛ جانحاً إلى ابتياع العز بمهجته

ويراها ثمنا قليلاً جامحاً عن ارتكاب الدنايا وان غادره جماحه قتيلاً..

يـرى المـوت أحـلى مـن ركـوب دنيـة ولا يغتـــدي للناقصـــين عـــديلا

ويســـتعذب التعـــذيب فـــيما يفيـــده نزاهتـــه عـــن أن يكـــون ذلـــيلا

فهذا مالك أزمَّة الشجاعة، وحائزها وله من قِداحها مُعلاها، وفائزها قد تفوَّق بها لبان الشرف واغتذاه وتطوَّق دُرَّة سحابة المستحلي وتحلاه، وعبق نشر أريجه المنتشر مما أتاه، ونطق فعله بمدحه وان لم يفض فاه وصدق والله واصفه بالشجاعة التي يحبها الله)[1].

وكذلك قال علامة المعتزلة ومفخرتهم في مقدمة شرحه للنهج الشريف ؛وأما الشجاعة: فإنه (أمير المؤمنين علي عليه السلام) أنسى الناس فيها ذكر مَنْ كان قبله، ومحا اسم مَنْ يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرَّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربةً قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث " **كانت ضرباته وترا** "، ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم! أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرَّق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي!

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود (العامري) ترثيه:

لـــو كـــان قاتـــل عمـــرو غـــير قاتلـــه بكيتـــه أبـــدا مـــا دمـــت في الأبـــد

لكـــن قاتلـــه مَـــنْ لا نظـــير لـــه وكـــان يـــدعى أبـــوه بيضـــة البلـــد

وانتبه يوماً معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير (المواطنين)، لو شئتُ أن أفتكَ بكَ لفعلت، فقال: لقد

(١) كشف الغمة - ابن أبي الفتح الإربلي - ج ٢ - ص ٢٢٥ – ٢٢٧.

شَجَعت بعدنا يا أبا بكر..

قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب!

قال: لا جرم إنه (إذن) قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة، يطلب مَنْ يقتله بها.. وجملة الامر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي، وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها.

وأما القوة والأيد: فبه يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في " المعارف ": ما صارع أحداً قط إلا صرعه.. وهو الذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبه من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الذي اقتلع هُبل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جداً، وألقاه إلى الأرض.. وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كله عنها، وأنبط الماء من تحتها) [1].

ونعم ما قاله السيد الحميري بمديحه ووصفه لأميره عليه السلام :

علي أمير المؤمنين وعزهم ... إذا الناس خافوا مهلكات العواقب

علي هو الحامي المرجا بفعله ... لدى كل يوم باسل الشر عاصب

علي هو المرهوب والذائد الذي ... يذود عن الاسلام كل مناصب

علي هو الغيث الربيع مع الحيا ... إذا نزلت بالناس احدى المصائب

علي هو العدل الموفق والرضا ... وفارج لبس المبهمات الغرائب

علي هو المأوى لكل مطرد ... شريد ومنحوب من الشر هارب

علي هو المهدي والمقتدى به ... إذا الناس حاروا في فنون المذاهب

علي هو القاضي الخطيب بقوله ... يجئ بما يعيا به كل خاطب

علي هو الخصم القؤول بحجة ... يرد بها قول العدو المشاغب

علي هو البدر المنير ضياؤه ... يضئ سناه في ظلام الغياهب

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ ج ١ ـ ص ٢٠ ـ ٢٦

عـــلي أعـــز النـــاس جـــاراً وحاميـــاً واقـــتلهم للقـــرن يـــوم الكتائـــب
عـــلي أتمـــم النـــاس حلـــماً ونـــائلاً وأجـــودهم بالمـــال حقـــاً لطالـــب
عـــلي اكـــف النـــاس عـــن كـــل محـــرم وأتقـــاهم لله في كـــل جانـــب[1].

وأحاديث شجاعة الأمير عليه السلام في معاركه التي خاضها مع رسول الله صلى الله عليه وآله مما سنتناوله في هذا الكتاب الذي يتشرف بذكر أمير المؤمنين عليه السلام ومما روينا من قبل أنه في معركة صفين، قال لجيشه مشجعاً:

(..أنكم بعين الله، ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاودوا الكر واستحيوا من الفر، فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم نفسا، وامشوا إلى الموت مشيا سجحا وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطنب، فاضربوا ثبجه فإن الشيطان كامن في كسره..) [2]

وقال مرة عليه السلام مستهينا بالموت الذي يقصم ظهور الخلق:

(..والله ما فجأني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته.. وما كنت إلا كقارب ورد وطالب وجد ﴿وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرارِ﴾ (القارب: طالب الماء ليلا كما قال الخليل ولا يقال لطالبه نهارا يريد أنه عليه السلام مستعد للموت راغب في لقاء الله وليس يكره ما يقبل عليه منه)..[3]

وعن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب قال: مرَّ علي عليه السلام يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة [ومعه ربيعة وحدها] وإني لأرى النبل يمرُّ بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه، فيكره علي عليه السلام ذلك، فيتقدم عليه فيحول بينه وبين أهل الشام، ويأخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه، أو من ورائه. فبصر به أحمر - مولى أبي سفيان، أو

(١) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ـ ج ٣ ـ ص ٤٢٠
(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١١٥
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢١

عثمان، أو بعض بني أمية – فقال: عليٌّ ورب الكعبة؛ قتلني الله إن لم أقتلك أو تقتلني!

فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى علي عليه السلام، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية وخالط علياً ليضربه بالسيف، فانتهزه علي (بادر إليه وأسرع) فتقع يده في جيب درعه (أي يد علي عليه السلام) فجذبه ثم حمله على عاتقه، فكأني أنظر إلى رجليه تختلفان على عنق علي عليه السلام، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضده، وشدَّ ابنا علي عليه السلام عليه: الإمام الحسين، ومحمد ابن الحنفية، فضرباه بأسيافهما حتى برد (مات)، فكأني أنظر إلى علي عليه السلام قائماً وشبلاه يضربان الرجل، حتى إذا أتيا عليه أقبلا إلى أبيهما والإمام الحسن عليه السلام معه قائم، فقال: يا بني، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال: كفياني يا أمير المؤمنين.

ثم إن أهل الشام دنوا منه – والله ما يزيده قربهم منه ودنوهم إليه سرعة في مشية.. (وكأنه روحي فداه مستهينا بكل جيوش الشام)..

– فقال له ولده الحسن عليه السلام: ما ضرك لو سعيت (أسرعت السير) حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوك من أصحابك؟ قال الراوي: يعني ربيعة الذين يقاتلون في الميسرة..

– قال: **يا بُني إن لأبيك يوماً لن يعدوه، ولا يبطيء به عنه السعي، ولا يعجل به إليه المشي؛ إن أباك والله ما يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه**[1].

وعن سعيد بن قيس الهمداني قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: **نعم يا سعيد بن قيس أنه ليس من عبد إلا وله من الله عز وجل حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر فإذا نزل القضا خليا**

(١) وقعة صفين ـ ابن مزاحم المنقري ص ٢٤٩

بينه وبين كل شيء[١].

وبرواية عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: " كان قنبر غلام علي عليه السلام يحب علياً حباً شديداً فإذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة..

فقال: يا قنبر ما لك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين. قال: **ويحك من أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟**

فقال: لا، بل من أهل الأرض.

فقال: إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بإذن الله من السماء فارجع فرجع.[٢].

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين، وقد قيل له: أتقاتل أهل الشام بالغداة، وتظهر بالعشي في إزار ورداء؟

فقال: **أبالموت تخوفوني! فو الله ما أبالي أسقطت على الموت، أم سقط الموت عليَّ.**[٣].

وابن شهرآشوب قال كان يطوف عليه السلام بين الصفين بصفين في غلالة، فقال الإمام الحسن عليه السلام له: " **ما هذا زِيِّ الحرب** "

فقال: " **يا بني إن أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه** " ولهذا صرخ لما ضربه ابن ملجم، وقال: **فزت ورب الكعبة**.. وتسأل هل الموت فوز؟ نعم إذا كانت شهادة فهي الفوز العظيم.[٤]

وقيل له (أي لأمير المؤمنين علي عليه السلام) إنك مطلوب فلو اتخذت طرفاً سابقاً (حصاناً سريعاً) فقال: **إني لا أفرُّ على مَنْ كَرَّ، ولا أكُرُّ على مَنْ فَرَّ فالبغلة تكفيني..**

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ٥٨

(٢) أصول الكافي: ٢ / ٥٩ / ح ١٠

(٣) شرح إحقاق الحق ج ٨ ـ السيد المرعشي ص ٣٩٩

(٤) غاية المرام ج ٥ ـ السيد هاشم البحراني ص ١٩٥أصول الكافي: ٢ / ٥٧ / ح ٥

وقيل: أنه كان علي بن أبي طالب عليه السلام يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين، ويقول:

أي يومي من الموت أفر يوم لا يُقدَّر أم يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجي الحذر

ولما كان في حرب صفين والناس في أشد ما يكون من الحرب قال الإمام علي عليه السلام: ألا ماء فأشتريه (فأشربه) فأتاه شاب من بني هاشم بشربة من عسل فتناوله، وقال: يا فتى عسلك هذا طائفي (أي من الطائف)؛ فقال: سبحان الله، في هذا الوقت تعرف الطائفي من غيره؟ فقال: **إنه لم يملأ صدر ابن عمك شيء قط..** (أي لا يخيفه شيء أبدا).

ويروى عن أبان بن تغلب، عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)، قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما كشف النساء ذيولهن عن مثله لا والله ما رأيت فارساً محدثاً يوزن به لرأيته يوماً ونحن معه بصفين وعلى رأسه عمامة سوداء وكأن عينيه سراجاً سليط تتوقدان من تحتهما يقف على شرذمة يخطبهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم وطلعت خيل لمعاوية لعنه الله تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب فاقشعر الناس لها لما رأوها وانحاز بعضهم إلى بعض..

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **فيما النخع، (والخنع أهل العراق) هل هي إلا أشخاص ماثلة فيها قلوب طائرة لو مستها سيوف أهل الحق لرأيتموها كجراد بقيعة سفته الريح في يوم عاصف ألا فاستشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وادرعوا الصبر وغضوا الأصوات وقلقلوا الأسياف في الأغماد قبل السَّلة وانظروا الخزر واطعنوا الشزر وكافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى والنبال بالرماح وعاودوا الكرَّ واستحيوا من الفرِّ فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب فطيبوا عن أنفسكم نفساً وامشوا إلى الموت مشية سجحاً فانكم بعين الله عز وجل ومع أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وعليكم بهذا السرادق والأدلم**

والرواق المظلم واضربوا بثجة فان الشيطان راقد في كسره نافش حضينه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وأخَّر للنكوص رجلاً فصمداً، صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم.. ها أنا شادٌّ فشدوا، بسم الله: حم؛ لا ينصرون.

ثم حمل أمير المؤمنين (عليه وعلى ذريته الصلاة والسلام) حملة وتبعته خويلة لتبلغ المائة فارس فأجالهم فيها جولان الرحى المسرحة بثقالها فارتفعت عجاجة منعتني النظر ثم انجلت فأثبتُّ النظر فلم أر إلا رساً نادراً ويداً طايحة فما كان بأسرع من أن ولوا مدبرين ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ**﴾ فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قد أقبل وسيفه ينطفُ ووجهه كشقة القمر وهو يقول: **قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم.**

قال عكرمة: وكان ابن عباس (رضي الله عنه) يُحدِّث فيقول: أمر رسول الله علياً عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وقال صلى الله عليه وآله: **يا علي أنك لمقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله.**

ومظهر الشجاعة في الرجال ساحات القتال، (ولعل ذلك هو السبب في أن الإمام علي عليه السلام الذي اقترن اسمه بكل صفات الفروسية، وامتزج ذكره مع الشجاعة كواحدة من أظهر وأشهر صفاته المباركة، فهو لم يتحدث كثيراً عن الشجاعة لأنه – روحي فداه- كان يمارسها ويعمل بها بالفعل، ولم يكن يلهج بذكرها بلسانه فقط..

كما كان يفعل الكثيرون، فحديثه عن الشجاعة هو مواقفه وأفعاله وممارساته الشجاعة، وهي أصدق حديث وأقوى كلام..

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فالشجاع يعرف عند الحرب، وهكذا عرفت الدنيا الإمام علي عليه السلام ففي كل موقف صعب كان هو العَلَمُ والشَّاخص، فهو العون في النوائب، والحاضر في الصعاب، وحامل الراية في المغازي، والرفيق المواسي في البأساء..[1]

---

(١) أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام: ١٥٣ بتصرف لسماحة السيد هادي المدرسي (حفظه الله).

يؤمن حين يكفر الآخرون، ويصمد حين يفر الباقون، ويقاتل حين يهرب المقربون، كراراً غير فرار، وتلك هي الشجاعة الحيدرية حقا، والفروسية الهاشمية صدقاً، والبطولة الإيمانية فعلاً.. وروي أنه كان يقول عليه السلام: **(والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله..)**[1]

ويعلق ابن أبي الحديد ويقول: وإعلم أنه عليه السلام أقسم أن القتل أهون من (الموت) حتف الأنف، وذلك على مقتضى ما منحه الله تعالى به من الشجاعة الخارقة لعادة البشر، وهو عليه السلام يحاول أن يحضَّ أصحابه ويحرّضهم ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه وإقدامهم على الحرب مماثلاً لاقدامه على عادة الأمراء في تحريض جندهم وعسكرهم، وهيهات إنما هو كما قال أبو الطيب (المتنبي مادحاً لسيف الدولة الحمداني):

يكلِّف سيف الدولة الجيش همّة ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدّعيه الضّراغم

ليست النفوس كلها من جوهر واحد، ولا الطباع والأمزجة كلها من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده في الأوقات المتطاولة، والدهور المتباعدة، وما اتصل بنا نحن من بعد الطوفان- فإن التاريخ من قبل الطوفان مجهولة عندنا- أن أحداً أعطي من الشجاعة والإقدام ما أعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على إختلافها من الترك، والفرس، والعرب، والروم وغيرهم..

والمعلوم من حاله عليه السلام أنه كان يؤثر الحرب على السِّلم، والموت على الحياة والموت الذي كان يطلبه ويؤثره، إنما هو القتل بالسيف، لا الموت على الفراش..»[2]

---

(١) نهج البلاغة: خ ١٢٢.

(٢) شرح النهج: ج٧ ص٣٠١.

فالموت بالسيف تعني الشهادة وهي أعلى قمم البر في هذه الحياة، ولا قرّت أعين الجبناء...

فشجاعة الإمام علي عليه السلام مازالت مضرباً للأمثال، وقدوة للأجيال،ولكن ابتلاءه بجيشه كان عظيماً، فكلهم قائد، ومجتهد، وله أن يفرض على الأمة والإمام عليه السلام رأيه، وعلى الجميع أن يطيع، وعلى الإمام عليه السلام أن يسمع لهم وليس عليهم أن يسمعوا رأيه ويطيعوا أمره..

فكان يقول عليه السلام : فإن أقل يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت، يقولوا: جزع من الموت..والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه..[1]

أليست تلك هي الطامة العظمى التي ليس بعدها طامة؟ وتلك البليَّة التي ليس لها شفاء، والعلَّة التي ليس لها دواء، وها هو عليه السلام يقول: **يا أشباه الرجال ولا رجال... لقد ملأتم قلبي قيحا... وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان، والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب..**

لله أبوهم؛ وهل أحد منهم أشدُّ لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً منِّي، لقد نهضتُ فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرَّفت على الستين ؛ ولكن لا رأي لمن لا يطاع..[2]

- من الصفات الحيدرية في العهد النبوي..

نستنير ببعض الأحاديث والأحداث التي جرت في العهد النبوي الشريف.. - **الإمام علي عليه السلام أبو تراب:** روى بسنده عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب عليه السلام رفيقين في غزوة العشيرة، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وآله وأقام بها، رأينا أناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم وفي نخل. فقال لي علي بن أبي طالب عليه السلام : يا أبا اليقظان، هل لك في أن نأتي هؤلاء، فننظر كيف يعملون؟ قلت: إن شئت.. فجئناهم فنظرنا إلى

(١) النهج : خ٥

(٢) النهج : خ ٢٧

عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا بين صغار النخيل، في التراب اللين فنمنا.

فما أيقظنا إلا رسول الله صلى الله عليه وآله يحُركنا برجله وقد تتربنا من ذلك التراب اللين الذي نمنا فيه، وقال لعلي عليه السلام: **ما لك يا أبا تراب؟** لمِا رأى عليه من التراب.[1].

ثم قال لنا: **ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟**

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: **أُحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه** - ووضع يده على مقدم رأسه - **حتى يبلَّ منها هذه**.. وأشار إلى لحيته.

وروي عن بعض أهل العلم- كما يسمونهم أو يسمون أنفسهم -!: أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما سمى علياً أبا تراب لأنه كان إذا عتب على فاطمة في شيء.. أخذ تراباً فوضعه على رأسه.. فرآه رسول الله وعلى رأسه التراب، فقال له: مالك يا أبا تراب؟

ونقل محقق السيرة عن السهيلي في " الروض الأنف " قال: وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه (الذي يسمونه بالصحيح)، وهو: أنه كان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة، فوجده رسول الله نائماً وقد تَرِبَ جنبه، فجعل يمسح التراب عن جنبه ويقول: قم يا أبا تراب.

ونقول: (لك الله يا أمير المؤمنين، ولكِ الله يا سيدتنا يا فاطمة الزهراء من هؤلاء المفترين عليكما): بل الأصح من هذه الثلاث هو ما رواه ابن إسحاق أولاً مسنداً عن يزيد بن محمد عن أبيه محمد بن خيثم المحاربي عن عمار بن ياسر.. وأما ما رواه ثانياً مرفوعاً عن بعض أهل العلم، فهو يلتقي وخبر البخاري في اتهام الإمام علي عليه السلام بالعتب والغضب على فاطمة، وغضبها هي عليه كذلك.. (والعياذ بالله)!

وكأنما البخاري وأصحابه (والله العالم بالنوايا وعليه حساب البرايا) أرادوا أن

---

(١) حلية الأولياء للأصبهاني ج ١ ص ١٤١

يعالجوا ما قاله هو بشأن الزهراء عليها السلام والشيخين اللذين أغضبا سيدتنا فاطمة حتى استشهدت من غضبها عليهما ومنهما: **ماتت فاطمة وهي غضبى عليهما.**

فكأنهم أرادوا أن يقولوا: ماذا عليهما وإن غضبت عليهما.. فلو كان لغضبها شأن يُذكر، أو أثر به يُنظر إذن فلقد غضبت على علي كذلك من قبل! فتأمل ولا تقبل..لأن هذا ردٌّ على الكثير من أحاديث الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بشأن كريمته العظيمة، وابنته الغالية، أم أبيها، وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين رغم أنف الحاقدين..ونحن لا نردُّ كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم..

على أن هذا الخبر الأخير رواه الطبري في تاريخه خلواً من " مغاضباً لفاطمة " بسنده عن أبي حازم، قال: قيل لسهل بن سعد (الساعدي): إن بعض أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك لتسب علياً على المنبر! قال: أقول ماذا؟ قال: تقول: أبا تراب. قال: والله ما سماه بذلك الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال (أبو حازم): قلت: وكيف ذلك يا أبا العباس؟

قال: دخل علي على فاطمة ثم خرج من عندها فاضطجع في فيء المسجد.. ثم دخل رسول الله على فاطمة، فقال لها: أين ابن عمك؟ فقالت: هو ذاك مضطجع في المسجد فجاءه رسول الله فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب إليه فجعل يمسح التراب عنه، ويقول: اجلس أبا تراب.

ثم قال سهل: فوالله ما سماه به الا رسول الله، ووالله ما كان اسم أحب إليه منه..[1]

فمن أين جاءت الزيادة في رواية البخاري: " مغاضباً لفاطمة " اللهم إلا من حيث ذكرناه.. ثم لا ننسى أنه عليه السلام لم يكن قد دخل بفاطمة عليها السلام بعد في غزوة العشيرة التي سماه بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا تراب.

---

(١) الطبري ٢ : ٤٠٩

-الصفات العلوية في العين الرسالية..

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده، وأحمد البيهقي في صحيحه عن أبي الحمراء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **مَنْ أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في عزمه وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.**[1].

ويروي الموفق بن أحمد بن منصور، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل مثل ما لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال أحمد بن حنبل: قال رجل لابن عباس: سبحان الله ما أكثر فضائل علي بن أبي طالب ومناقبه، إني لأحسبها ثلاثة آلاف منقبة. فقال ابن عباس: أولا تقول أنها إلى ثلاثين ألفاً أقرب..[2].

وعن سليمان الأعمش بن مهران: إن المنصور الدوانيقي العباسي حال خلافته، قال: يا سليمان أخبرني كم من حديث ترويه في فضائل علي بن أبي طالب؟ قلت: يسيراً. قال: ويحك، كم تحفظ؟ فلما قلت أو ألف حديث استقلها.. فقال: ويحك، يا سليمان بل عشرة آلاف كما قلت أولاً..[3].

بسنده عن مجاهد عن ابن عباس (حبر الأمة كما يسمونه)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **لو أن الأشجار (أو الغياض) أقلام، والبحر مداد، والجن حساب، والإنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.**[4].

و عن سعيد بن جبير،قال: قلت لابن عباس (رضي الله عنهما): أسألك عن اختلاف الناس في علي (رضي الله عنه)؟

---

(١) ينابيع المودة؛ القندوزي ـ ج ١ ـ ص ٣٦٣

(٢) المناقب للخوارزمي: ٣٣

(٣) المناقب للخوارزمي: ٢٨٦

(٤) المناقب للخوارزمي: ٣٢، فرائد السمطين ١ / ١٦

قال: يا ابن جبير تسألني عن رجل كانت له ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة، وهي ليلة القربة في قليب بدر، سلَّم عليه ثلاثة آلاف من الملائكة من عند ربهم وتسألني عن وصي رسول الله ﷺ وصاحب حوضه وصاحب لوائه في المحشر والذي نفس عبد الله بن العباس بيده، لو كانت بحار الدنيا مداداً، وأشجارها أقلاماً، وأهلها كتاباً، فكتبوا مناقب علي بن أبي طالب وفضائله ما أحصوها.(١)

وفي المناقب: بسنده عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي ذر: أنَّ علياً قال لأصحاب الشورى: هل فيكم مَنْ سلم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة وفيهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، ليلة في قليب بدر مثلي لمَّا جئت بالماء إلى رسول الله ﷺ؟ قالوا: لا.(٢)

وفي المناقب: عن أبي الطفيل، قال: قال بعض الصحابة: لقد كان لعلي من السوابق ما لو قسمت سابقة منها بين الناس لوسعتهم خيرا..(٣).

أخرج موفق الخوارزمي بثلاثة طرق عن جابر بن عبد الله، وعن عمار بن ياسر، وعن أبي أيوب الأنصاري، قالوا: قال رسول الله ﷺ: **حقُّ علي على المسلمين حق الوالد على ولده..**(٤).

وأخرج ابن المغازلي عن علي عليه السلام قال: قال رسول ﷺ: **يا علي حقك على المسلمين كحق الوالد على ولده..**(٥).

وفي المناقب: عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: **إن الله قد فرض عليكم طاعتي، ونهاكم عن معصيتي، وفرض**

---

(١) المناقب للخوارزمي: ٣٢

(٢) مجالس الشيخ الطوسي ٢ / ١٦٠ غاية المرام ٦٦١ بصائر الدرجات: ٩٥

(٣) شواهد التنزيل ٨ / ١٨ ترجمة الإمام علي لابن عساكر ٣ / ٨٢

(٤) المناقب للخوارزمي: ٣١٠ فرائد السمطين ١ / ٢٩٦

(٥) المناقب لابن المغازلي: ٤٧ حديث ٧٠

عليكم طاعة علي بعدي، ونهاكم عن معصيته، وهو وصيي ووارثي، وهو مني وأنا منه، حبه إيمان وبغضه كفر، محُبه محُبي، ومُبغضه مُبغضي، وهو مولى من أنا مولاه، وأنا مولى كل مسلم ومسلمة وأنا وهو أبوا هذه الأمة..[1].

وفي المناقب: عن الأعمش عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا علي أنت أخي ووارثي ووصيي، محُبك محُبي، ومُبغضك مُبغضي؛ يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة؛ يا علي أنا وأنت والأئمة من ولدك سادات في الدنيا، وملوك في الآخرة من عرفنا فقد عرف الله (عز وجل)، ومن أنكرنا فقد أنكر الله (عز وجل)..**[2]

وعن أبي سعيد بن عقيصا، عن سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا علي أنت أخي وأنا أخوك، أنا المصطفى للنبوة وأنت المجتبى للإمامة، أنا وأنت أبواه هذه الأمة، وأنت وصيي ووارثي وأبو ولدى، أتباعك، أتباعي، أولياؤك أوليائي، وأعداؤك أعدائي، وأنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في المقام المحمود، وصاحب لوائي في الآخرة كما أنت صاحب لوائي في الدنيا، ولقد سعد مَنْ تولاك وشقي مَنْ عاداك، وإن الملائكة لتتقرب إلى الله بمحبتك وولايتك، وإن أهل مودتك في السماء أكثر من أهل الأرض..**[3]

وقال صلى الله عليه وآله: **يا علي أنت حجة الله على الناس بعدي، قولك قولي، أمرك أمري، نهيك نهيي وطاعتك طاعتي، ومعصيتك معصيتي، وحزبك حزبي، حزب الله.** ثم قرأ ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[4].

وروى أحمد في مسنده، عن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنهما) قالا: قال رسول

---

(١) المناقب لابن شاذان ٢٧ باب ٢٢

(٢) أمالي الصدوق: ٥٢٣ غاية لمرام: ٤٨٧ باب ١٦

(٣) أمالي الصدوق: ٢٧٢، غاية المرام: ٩٨٤

(٤) المائدة / ٥٦

الله ﷺ: **الصديقون ثلاثة: حبيب النجار وهو المؤمن الذي قال: ﴿يا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ﴾** [١] **وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ﴾** [٢]**، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم** [٣].

وفى مسند أحمد: عن أبي المغيرة عن علي (كرم الله وجهه) قال: طلبني رسول الله ﷺ فوجدني في حائط نائماً، فركضني برجله، فقال: **قم، والله لأرضينك أنت أخي وأبو ولدي، تقاتل على سنتي، ومَنْ مات على عهدي فهو في كنز الله، ومَنْ مات على عهدك فقد قضى نحبه، ومَنْ مات يحبك بعد موتك يختم الله به بالأمن والإيمان ما طلعت الشمس أو غربت.** [٤]

وعن عمار بن ياسر قال: سمعت أبا ذر جندب بن جنادة (رض) يقول: رأيت رسول الله ﷺ آخذا بيد على فيقول: **يا علي أنت أخي وصفيي ووصيي ووزيري وأميني مكانك مني مكان هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، مَنْ مات وهو يحبك ختم الله (عز و جل) له بالأمن والإيمان، ومن مات يبغضك لم يكن له نصيب من الاسلام..** [٥]

أخرج الخوارزمي عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: **حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، بغضه سيئة لا تنفع معها حسنة..** [٦]

وعن الزهري قال: سمعت أنس بن مالك، يقول: والله الذي لا إله إلا هو سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب..** [٧]

---

(١) يس / ٢٠

(٢) غافر / ٢٨

(٣) الفضائل لأحمد ٢ / ٦٢٧ حديث ١٠٧٢ و ١١١٧. المناقب لابن المغازلي: ٢٤٦ حديث ٢٩٤. المناقب للخوارزمي: ٣١٠

(٤) الفضائل لأحمد ٢ / ٦٥٦ حديث ١١١٨. مجمع الزوائد ٩ / ١٢١

(٥) مجالس الشيخ الطوسي ٢ / ١٥٨. غاية المرام: ٤٩١ باب ١٦ حديث ١٢

(٦) المناقب للخوارزمي: ٧٦ حديث ٥٦

(٧) المناقب لابن المغازلي: ٢٤٢

وعن طاوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله النار..**[١]

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا علي ما مثلك في الناس إلا كمثل سورة (قل هو الله أحد) في القرآن من قرأها مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث فكأنما قرأ القرآن كله، وكذا أنت يا علي، من أحبك بقلبه فقد أخذ ثلث الإيمان، ومن أحبك بقلبه ولسانه فقد أخذ ثلثي الإيمان، ومن أحبك بقلبه ولسانه ويده فقد جمع الإيمان كله، والذي بعثني بالحق نبيا، لو أحبك أهل الأرض كما يحبك أهل السماء لما عذاب الله أحداً منهم بالنار..**[٢].

وفي غرر الحكم: **إن لـ" لا إله إلا الله " شروطاً إني وذريتي من شروطها..**[٣]

وفي المناقب:عن الأصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام، قال: **نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع بعدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن.**

أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي: عن يحيى ومجاهد، هما، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا أم سلمة هذا علي لحمه لحمي ودمه دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.**

وقال: **يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا على أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وهذا عيبة علمي، وهذا بابي الذي أوتى منه، وهذا أخي في الدنيا و خدني في الآخرة، وهذا معي في السنام الأعلى..**[٤]

أخرج الحمويني: عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود قال: خرج رسول

---

(١) المناقب للخوارزمي: ٦٧ ح ٣٩

(٢) أمالي الصدوق: ٣٧ (عن أبي بصير). ذكر في هامش المناقب لابن المغازلي بهذا اللفظ ص ٧٠

(٣) غرر الحكم ١ / ٢٢٠ حديث ١٠٣

(٤) المناقب للخوارزمي: ١٤٢ حديث ١٦٣

الله ﷺ من بيت زينب بنت جحش وأتى بيت أم سلمة، وكان يومها فجاء علي، فقال ﷺ: **يا أم سلمة هذا علي أحبيه، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة علمي، واسمعي واشهدي إنه قاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين من بعدي، وهو قاصم أعدائي ومحيي سنتي.. واسمعي واشهدي لو أن عبدا عبد الله ألف عام، وألف عام، وألف عام بين الركن والمقام ولقي الله تعالى مبغضاً لعلي وعترتي أكبه الله على منخريه في جهنم يوم القيامة..**[1].

وأخرج الحمويني أيضاً، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **يا علي أنا مدينة الحكمة وأنت بابها، ولن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب، وكذب مَنْ زعم أنه يحبني و هو يبغضك، لأنك مني وأنا منك، لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وروحك من روحي، وسريرتك من سريرتي، وعلانيتك من علانيتي، وأنت إمام أمتي ووصيي سعد مَنْ أطاعك، وشقي مَنْ عصاك، وربح مَنْ تولاك، وخسر مَنْ عاداك و فاز مَنْ لزمك، وهلك مَنْ فارقك، ومثلك ومثل الأئمة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح مَنْ ركبها نجا ومَنْ تخلف عنها غرق، ومثلكم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة.**[2].

وفي المناقب: عن الحسن عن علي بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن آبائه عن أمير المؤمنين علي (سلام الله عليهم) قال: إن رسول الله ﷺ نظر إليَّ وأنا مقبل وأصحابه حوله، وقال لي: **أما إن فيك شبهاً من عيسى بن مريم، ولولا مخافة أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلتُ فيك مقالاً لا تمرُّ بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يبغون فيه البركة ويستشفون به.**

فقال المنافقون: لم يرضَ محمد إلا أن يجعل ابن عمه مثلاً لعيسى بن مريم؛ فأنزل

---

(١) فرائد السمطين ١ / ٣٣١ حديث ٢٥٧

(٢) فرائد السمطين ٢ / ٢٤٣ حديث ٥١٧

الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقالُوا أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ (أي علي) إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾ (١).

وفي المناقب: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا علي أنت صاحب حوضي، وصاحب لوائي، وحبيب قلبي، ووصيي ووارث علمي، وأنت مستودع مواريث الأنبياء من قبلي، وأنت أمين الله في أرضه، وحجة الله على بريته، وأنت ركن الإيمان وعمود الإسلام، وأنت مصباح الدجى، ومنار الهدى، والعلم المرفوع لأهل الدنيا.. يا علي مَنْ اتبعك نجا ومَنْ تخلف عنك هلك، وأنت الطريق الواضح والصراط المستقيم، وأنت قائد الغرُّ المحجلين ويعسوب المؤمنين، وأنت مولى مَنْ أنا مولاه، وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة، لا يحبك، إلا طاهر الولادة ولا يبغضك إلا خبيث الولادة، وما عرجني ربي (عز وجل) إلى السماء وكلمني ربي إلا قال: يا محمد إقرأ عليا مني السلام وعرفه انه إمام أوليائي، ونور أهل طاعتي، وهنيئا لك هذه الكرامة..** (٢).

وأخرج الحمويني: عن علي بن المهدى الرقي، عن علي الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين علي (سلام الله عليهم) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا علي طوبى لمن أحبك وصدقك، والويل لمن أبغضك وكذبك.. يا علي محبوك معروفون بين أهل السماوات، وهم أهل الدِّين والورع، والسَّمْت الحسن والتواضع، خاشعة أبصارهم، وجلة قلوبهم، وقد عرفوا حق ولايتك،وألسنتهم ناطقة بفضلك،وأعينهم ساكبة تحنناً عليك وعلى الأئمة من ولدك، عاملون بما أمر هم الله في كتابه، وبما أمر تهم أنا وبما تأمرهم أنت وبما يأمرهم أولو الأمر من الأئمة من ولدك بالقرآن وسنتي، وهم متواصلون**

---

(١) الزخرف / ٥٧ ـ ٥٩) غاية المرام: ٤٢٦ باب ١٨٢ حديث ٤ و ١ و ٢. تفسير القمي ٢ / ٢٨٦

(٢) أمالي الصدوق: ٢٥٢ حديث ١٤

متحابون، وإن الملائكة لتصلي عليهم وتؤمن على دعائهم وتستغفر للمذنب منهم..[١].

أخرج أبو نعيم الحافظ في " حلية الأولياء ": بسنده عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله -تعالى- عَهِد إليَّ في عليٍّ عهداً؛ فقلت يا: رب بينه لي؟!

فقال: إسمع، فقلت: سمعت. فقال: إن علياً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور مَنْ أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، مَنْ أحبه أحبني، ومَنْ أبغضه أبغضني، فبشره بذلك، فجاء علي فبشرته بذلك.

فقال: يا رسول الله أنا عبد الله وفي قبضته فان يعذبني فبذنبي، وإن يتم لي الذي بشرني به، فالله أولى بي.

وقال ﷺ: قلت: اللهم أجلُ قلبه واجعله ربيع الإيمان.

فقال الله تبارك وتعالى: قد فعلت به ذلك.. ثم قال تعالى: إني مستخصَّه بالبلاء..

فقلت: يا رب إنه أخي ووصيي.

فقال تعالى: إنه شيء قد سبق فيه قضائي أنه مبتلى، ومبتلى به..[٢].

وأخرج موفق بن أحمد: وقال له: إن الله تعالى أوحى إليَّ أن أبين فضلك، للناس وبلغتهم ما أمرني الله - تبارك وتعالى - بتبليغه، ثم قال له: إتق الضغائن التي كانت في صدور قوم لا تظهرها إلا بعد موتي أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون و بكى ﷺ..

فقال: مِمَ بكاؤك يا رسول الله؟

فقال: أخبرني جبرائيل عليه السلام: إنهم يظلمونك بعدي و أخبرني جبرائيل عن الله (عز وجل): إن ذلك الظلم لا يزول بالكلية عن عترتنا، حتى إذا قام قائمهم، وعلت كلمتهم، واجتمعت الأمة على مودتهم، و كان الشاني لهم قليلاً، والكاره لهم ذليلاً، والمادح لهم كثيراً، وذلك حين تغيُّر البلاد، وضعف العباد، حين اليأس من الفرج، فعند ذلك يظهر

(١) فرائد السمطين ١ / ٣٠٩ ـ ٣١ حديث ٢٤٨. عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٣٦

(٢) حلية الأولياء ١ / ٦٦

القائم مع أصحابه.

قال النبي صلى الله عليه وآله: **اسمه كاسمي.. هو من ولد ابنتي فاطمة، فبهم يُظهر الله الحق، ويُخمد الباطل بأسيافهم، ويتبعهم الناس راغباً إليهم وخائفاً منهم..** قال: وسكن البكاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **معاشر لناس أبشروا بالفرج، فان وعد الله حق لا يُخلف، وقضاءه لا يُرد، وهو الحكيم الخبير، وإن فتح الله قريب، اللهم إنهم أهلي فأذهب عنهم الرجس وطهر هم تطهيرا، اللهم اكلأهم وارعهم وكن لهم، وانصرهم وأعزهم ولا تذلهم، واخلفني فيهم، إنك على ما تشاء قدير..**[1].

وأخيراً قال الإمام علي (سلام الله عليه): **كل حقد حقدته قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله أظهرته فيَّ وستظهره في ولدي من بعدي، مالي والقريش، إنما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله أ فهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين..**

- **المواقف العلوية في الحروب النبوية:**

لا شك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في قمة القمم الإنسانية سياسة، وكياسة، وقيادة، وحكمة..فهو ربيب الوحي والناس من تربيته وكل واحد منهم أخذ منه طاقته ووسعه فقط،فارتفعوا بقدر همتهم،لأن الإنسان يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه..

وكان بقيادته أباً رحيماً بجنوده،وجيوشه فلا يدفعهم إلى ما فيه خطراً محدقاً إلا ويكون معهم،وفي أولهم وإذا لم يكن هو فأخص خواصه صهره وابن عمه ووصيه يقذفه في لهوات الموت،ويرميه للسيوف، كما وصفته زوجته المباركة سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية،بقولها تعريفاً بالرسالة والرسول: **أيها الناس اعلموا إني فاطمة، وأبي محمد صلى الله عليه وآله أقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا** (تجاوز الحد والبعد عن الحق) **﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ**

(١) المناقب للخوارزمي: ٦١ حديث ٣١

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾.[١]

فإن تعزوه (تنسبوه) **وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم** (أنت أخي في الدنيا والآخرة) **ولنعم المعزى إليه** ﷺ، **فبلغ الرسالة، صادعا بالنذارة** (رافعا صوته بالإنذار)، **مائلا عن مدرجة المشركين** (مذهبهم ومسلكهم)، **ضاربا ثبجهم** (وسطهم ومعظمهم)، **آخذا بأكظامهم** (مخرج أنفاسهم) **داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام** (أو يكسر الأصنام ؛ أو يجذّ) **وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرّى الليل عن صبحه** (إنشق وبان الصباح) **وأسفر الحق عن محضه** (عن أصله وأسه)، **ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين** (أصوات ولهوات كبيرة) **وطاح** (سقط وهلك) **وشيظ النفاق** (السفلة والأراذل من الناس) **وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص** (كلمة التوحيد) **في نفر من البيض الخماص** (أهل البيت الأطهار عليهم السلام) **وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب** (شربته)، **ونهزة الطامع** (الفرصة السانحة للطامع بهم) **وقبسة العجلان** (مثل للمستعجل)، **وموطئ الأقدام** (مداسها وهو مثل في المغلوبية والمذلة)، **تشربون الطرق** (الماء المتجمع من الأمطار على الطرق العامة)، **وتقتاتون القد** (اليابس) **والورق..أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله - تبارك وتعالى - بمحمد** ﷺ، **وبعد أن مني ببهم** (شجعانهم) **الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، ﴿كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾**[٢]

أو نجم قرن الشيطان (ظهرت أمته وأتباعه) **أو فغرت فاغرة من المشركين** (فتحت جماعتهم أفواهها) **قذف أخاه** (أمير المؤمنين علي عليه السلام) **في لهواتها** (حلقها وأنصى أفواهها) **فلا ينكفئ** (يرجع) **حتى يطأ جناحها بأخمصه** (يدوسها بأسفل رجله)، **ويخمد**

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٨.

(٢) سورة المائدة: آية ٦٤.

لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله (مجاهدا بكل جهده)، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا، كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم..

وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون (مطمئنون ساكنون)،فاكهون (منعمون مرفهون) آمنون، تتربصون بنا الدوائر (نزول البلاء وصروف الدهر)، وتتوكفون الأخبار (تتوقعونها وتنتظرونها)، وتنكصون (تفرون وتهربون) عند النزال، وتفرون من القتال، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة (أو حسيكة) النفاق (بعداوته)، وسمل جلباب الدين (بلي وخلق إزار الدين)، ونطق كاظم الغاوين (ساكتهم)، ونبغ خامل الأقلين (ظهر الساقط ومن ليس له مكانة تذكر) وهدر (تردد صوت) فنيق (الفحل المكرم من الإبل فلا يركب) المبطلين (أهل الباطل)، فخطر في عرصاتكم (ساحاتكم)، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزة (كالقنفذ والسلحفاة تخرج رأسها بعد زوال الخطر) هاتفا بكم (داعيا) فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزّة (أي الإستقواء) أو للغرّة) فيه (الغرور) ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحشمكم فألفاكم غضابا (أغضبكم فوجدكم غاضبين له سلفا)..

فوسمتم غير إبلكم (علّمتم إبل الغير لا إبلكم)، ووردتم غير مشربكم (مائكم التي تشربون منها).. [1].

وذلك لأنهم زحزحوها عن رواسيها،واغتصبوها من أصحابها وهم ليسوا أهلاً لها،فلا في العير كانوا ولا النفير،فأين هم عن ضرب الحسام المهند،ومقارعة الأبطال، ومنازلة الأقران، ومصاولة الشجعان..فهذا ليس له إلا أبو الحسن علي عليه السلام ..

ولذا فإننا نقول: الصحابة الأوائل،والتابعين لهم بإحسان، وكل عبد مسلم له من المكانة بقدره وهمته،فلذا ترى أن سلمان الفارسي تسنم ذرى المجد بثناء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بقوله له: سلمان منا أهل البيت..فهو يستأهل هذا المقام لأن رسول الله لا ينطق عن

(١) راجع كوثر النور، للمؤلف بحار الأنوار للشيخ المجلسي، وفاطمة بهجة قلب المصطفى..

الهوى ولا يحابي أحداً،والمقام لسلمان حقيقي..

وبنفس القوة وأشد من ذلك ترى الموقف من عم رسول الله (صلوات الله عليه وآله) أبو لهب الذي نزل القرآن الكريم بلعنه..وهكذا الصحابة كانوا يتأرجحون ما بين هذين المقامين..

وأما أهل البيت فهم الذين لا يقاس بهم أحد من هذه الأمة..فكان المسلمون والصحابة بالخصوص ينظرون إليهم كما النجم في السماء على عهد رسول الله ﷺ،لا سيما أمير المؤمنين،وبطل الإسلام المتفرد بكل صفات الخير والفضيلة، المتسنم لأعلى ذرى الكمال البشري فحديثه له طعم آخر،ولون آخر،سنتطرق إلى شيء منها خلال هذه الصفحات..

فحكمة رسول الله ﷺ القيادية، وسياسته الحربية مدرسة للأجيال كلها ولكن للأسف ترانا نذهب إما إلى الأنظمة الشرقية الفاسدة،أو للغربية الفاجرة لنستورد أنظمتنا الحربية فلماذا لا ندرس غزوات رسول الله ﷺ ونضع الخطط مما نستلهمه منها من دروس وعبر خالدة نتعلمها ونعلمها لأجيالنا ونربي جنودنا على قيمنا الإسلامية المحققة،لنعود ونبني حضارتنا، ونفتح العالم من جديد..

والرسول القائد كان رحمة مهدات يخاف على جنده ويحبهم فعن الإمام علي عليه السلام قال: **(بعث رسول الله ﷺ سرية، فقال: اللهم لك عليَّ إن رددتهم سالمين غانمين، أن أشكرك أحق الشكر، قال: فما لبثوا أن جاؤوا كذلك، فقال رسول الله ﷺ :الحمد لله، على سابغ نعم الله).**[1]

(١) مستدرك الوسائل للنوري ج ٥ ص ٣١٠

الفصل الثاني:

معلومات هامة عن الغزوات النبوية

الغزوة: هي الجماعة القتالية التي كان يقودها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه الشريفة، وهي سبع وعشرون غزوة، كما أحصتها كتب التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية العطرة، وهي كما في السيرة الحلبية: في باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر أن مغازيه أي التي غزا فيها بنفسه – روحي له الفداء – كانت سبعاً وعشرين غزوة،ومنهم من ذكر أكثر من ذلك ومجموعها كالتالي..[1]

- **غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ..**

١ – غزوة وَدَّان.. غزوة الأبواء..

٢ – غزوة بواط بناحية رضوى..

٣ – غزوة العُشيرة من بطن ينبع..

٤ – غزوة سفوان (بدر الأولى)..

٥ – غزوة بدر الكبرى..

٦ – غزوة بني سُليْم بالكدر..

٧ – غزوة السُّويق (بطلب أبا سفيان والعير معه)..

٨ – غزوة بني قينقاع (من اليهود)..

٩ – غزوة ذي مرة (أو أمِر لغطفان)..

١٠ – غزوة الفرع من بحران..

١١ – غزوة أحد..

١٢ – غزوة حمراء الأسد..

---

(١) السيرة الحلبية للحلبي ج ٢ ص ٣٤٢

١٣- غزوة بني النضير (من اليهود)..

١٤- غزوة ذات الرِّقاع..

١٥- غزوة بدر الآخرة..

١٦- غزوة دومة الجندل..

١٧- غزوة الأحزاب (الخندق)..

١٨- غزوة بني قريظة (من اليهود)..

١٩- غزوة بني لحِيان من هُذيل..

٢٠- غزوة ذي قرد..

٢١- غزوة بني المصطلق من خزاعة..

٢٢- غزوة الحديبية وصلحها..

٢٣- غزوة خيبر..

٢٤- غزوة عمرة القضاء..

٢٥- غزوة الفتح..

٢٦- غزوة حنين..

٢٧- غزوة الطائف..

٢٨- غزوة تبوك..

٢٩- غزوة مؤتة..

٣٠- غزوة قرقرة الكدر..

٣١- غزوة وادي القرى..

- السرايا التي بعثها لأغراض مختلفة..

والسرية: هي الجماعة القتالية التي كان يبعثها رسول الله ﷺ بمهام قتالية محددة ولا يقودهم شخصياً بل يعيِّن لهم قائداً من أصحابه، وهي ثمانية وثلاثون سرية كما تذكر

المصادر المختلفة، وأشهرها ثلاثون،وهي:

١- سرية حمزة بن عبد المطلب (رض) على ساحل العيص..

٢- سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب (وله أول راية)..

٣- سرية حمزة بن عبد المطلب (أسد الله وأسد رسوله)..

٤- سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرارة..

٥- سرية عبد الله بن جحش للنخيلة..

٦- سرية زيد بن حارثة إلى القردة..

٧- سرية سعد بن أبي وقاص الحَرَّار..

٨- سرية عبد الله بن جحش لنخيلة..

٩- سرية زيد بن حارثة للقردة..

١٠- سرية محمد بن مسلمة لكعب بن الأشرف..

١١- سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي للرجيع..

١٢- سرية المنذر بن عمرو لبئر معونة..

١٣- سرية أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة..

١٤- سرية عمر بن الخطاب لتربة لبني عامر..

١٥- سرية غالب بن عبد الله الكلبي لبني الملوح..

١٦- سرية خالد بن الوليد لبني جذيمة..

١٧- سرية عبد الله بن رواحة..

١٨- سرية بشر بن سعد..

١٩- سرية أبي حداد..

٢٠- سرية إلى إضم..

٢١- سرية زيد بن حارثة الثانية..

٢٢- سرية عبد الله بن حذافة السهمي..

٢٣- سرية شجاع بن وهب..

٢٤- سرية كعب بن عمير..

٢٥- سرية عمرو بن العاص..

٢٦- سرية أبي عبيدة..

٢٧- سرية زيد بن حارثة الثالثة..

٢٨- سرية عمير بن عدي..

٢٩- سرية أسامة بن زيد بن حارثة..

٣٠- سرية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لليمن..

وأما الغزوات التي وقع فيها القتال من تلك الغزوات الكثيرة فهو بسيط، أي وقع القتال فيها من أصحابه بقيادته المباشرة، واشتراكه بالقتال، وهو المراد بقول بعضهم التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي تسع غزوات فقط، وهي:

١- غزوة بدر الكبرى..

٢- غزوة أحد..

٣- وغزوة الخندق (الأحزاب)..

٤- وغزوة بني المصطلق (أعني المريسيع)..

٥- وغزوة نبي قريظة..

٦- وغزوة خيبر..

٧- وغزوة فتح مكة (وهي بالحقيقة غزوة فتح وصلح)..

٨- و غزوة حنين..

٩- و غزوة الطائف.. وبعضهم أسقط فتح مكة، فقال النووي: إنها فُتحت صلحاً، وإليه يذهب الشافعي و موافقوه..وهذا أقرب إلى الحقيقة والواقع، كما أظن والله العالم..

هذه الغزوات التي وقع فيها القتال بقيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فأين مكان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كل هذه الغزوات وما هي أفعاله المباركة فيها، وما هي أقوال ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله بحقه فيها كلها هذا ما نريد البحث عنه هنا؟وذلك لشدة الظلم، وحلاكة الظلام المضروب حول أعمال أمير المؤمنين عليه السلام فيها، وهو ما أثار عجبي واستغرابي من بعض الكتاب الذين ينكرون الشمس الضاحية، ويحاولون تنويم الأمة عن الحقيقة العلوية المباركة حقداً، وبغضاً يعشعش في القلوب المنافقة، والأصول الفاسقة من المياه الآسنة، وطينتهم الآجنة..

فلأمير المؤمنين عليه السلام أعمال لا تنكر، وهم ينكرونها لا بل وينسبونها إلى غيره كقتل مرحب بطل خيبر، فإنهم ينسبون قتله لمحمد بن مسلمة، وقلع باب الحصن الذي لا يستطيعون أن ينسبوه لأحد على وجه الأرض فإنهم ينكرونه وبكل بساطة يقولون: وهل يعقل أن يقلع باب كباب حصن خيبر رجل ومهما أوتي من القوة؟

وهكذا فهم لا ينكرون الأفعال العلوية فقط، بل ويحرفون الأقوال النبوية بحقه كذلك، فالصفات الواردة منه صلى الله عليه وآله بحق ابن عمه وأخيه عليه السلام كالفاروق الأعظم، والصديق الأكبر، وأمير المؤمنين، ويعسوب الدين..فتراهم ينسبونها إلى الصحابة وينكرونها على سيد العترة الطاهرة..فلماذا يا أمة الخير تتنكرين لفخرك، وسؤددك وصانع مجدك بسيفه وجهاده، ألم يقل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عنه: **قام الإسلام بمال خديجة، وسيف علي بن أبي طالب عليه السلام ؟**

فصانع المجد والفضل لا يُنكر بل يجب أن يُقدَّر ويُبجَّل ويُشكر على صنيعه فذاك العالم الغربي الذي ما درس إلا بعض جوانب من حياة الرسول صلى الله عليه وآله وجد أن معجزته الحقيقية تتمثل بعلي بن أبي طالب عليه السلام القرآن الناطق وليس القرآن الصامت فقط..

وبالفعل إن تربية شخص كأمير المؤمنين علي عليه السلام هو أعظم معجزة لأن الإعجاز الإنساني بكل فضائله وقيمه وعقائده تمثلت، بل اكتملت بشخصية أمير المؤمنين علي

عليه السلام ..وأنى للدنيا أو النساء أن تنجب مثل ذاك العملاق العظيم؟

الألوية والرايات

كان لرسول الله صلى الله عليه وآله عدداً من الألوية، والرايات، فقالوا في ألوان ألويته ورايانه صلى الله عليه وآله:

- **الأبيض**: كان لواءه يوم بدر، وفتح مكة.. قال ابن إسحاق دفع النبي صلى الله عليه وآله اللواء يوم غزوة بدر الكبرى إلى مصعب بن عمير وكان أبيض..وفي سنن النسائي وأبي داوود عن جابر أنه كان لواؤه صلى الله عليه وآله يوم دخول مكة أبيض..

- **الأصفر**: يذكر بعضهم أنه رأى راية رسول الله صلى الله عليه وآله صفراء..وفي سنن أبي داوود عن سماك بن حرب عن رجال من قومه عن واحد منهم قال رأيت راية النبي صلى الله عليه وآله صفراء..

- **الأغبر**: ذكر ابن جماعة في مختصر السير في باب سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان له لواء أغبر..

- **الأسود**: قال ابن إسحاق في أخبار غزوة بدر وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وآله رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب عليه السلام والأخرى مع بعض الأنصار (مع مصعب بن عمير)

وذكر عبد الله بن حبان الأصبهاني في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وآله عن الحسن كانت راية النبي صلى الله عليه وآله سوداء تسمى (العُقاب).. وفي تاريخ البخاري عن الحرث بن حسان قال: دخلت المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وآله قائماً على المنبر يخطب وفلان قائم متقلداً السيف وإذا رايات سود تخفق قلت ما هذا قالوا عمرو بن العاص قدم من جيش ذات السلاسل.. وقال القضاعي في كتاب الأنباء: كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله راية تدعى العُقاب من صوف أسود..

- **الراية المنمَّرة**: وهي شملة مخططة من صوف وقيل فيها مثال الأهلة وفي المحكم

النمرة النكتة من أي لون كان، والأنمر الذي فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء والنمرة: شملة فيها خطوط بيض وسود..

قال ابن جماعة في مختصر السير: وكان لرسول الله ﷺ راية سوداء مربعة ونمرة مجملة (مزينة) يقال لها: العقاب ما كان مكتوبا فيها ذكر (أي لم يكتب عليها شيء)..

والمعروف من عادات العرب في الجاهلية، والحضارات البائدة التي كانت من حولهم أنهم كانوا يعلمون جيوشهم بالرايات والأعلام المميزة، وكان للجيش راية عظمى ولواء كبير رئيسي وألوية فرعية لبقية تنظيمات الجيش الأخرى، وما زالت هذه العادات بل وأصبحت عرفاً عالمياً تعرفه الجيوش كلها..

فللدولة راية وعلم يميزها عن كل دول العالم، وللجيش لواء يميزه، ولكل صنف من صنوف القوات راية وعلم يميزه، وهكذا.. ولذا فإنك تقرأ عن أبي عبد الله الأصبهاني في كتاب أخلاق النبي ﷺ عن بريدة: أن راية النبي ﷺ كانت سوداء، ولواؤه أبيض.. وزاد ابن عباس: مكتوب على لوائه لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فالأرجح أنه كان لرسول الله ﷺ راية ولواء ورايات أخرى:

- رايته العظمى: هي السوداء المربعة والتي تسمى العقاب..

-ولواءه أبيضاً يسمى الريبة وربما جعل فيها شيئاً أسود.

-وراية للأنصار خاصة..

-وراية للمهاجرين خاصة بهم..[1]

الإمام علي: حامل لواء رسول الله ﷺ في الدنيا:

إن المتتبع لسيرة ومسيرة الرسول الأعظم ﷺ في حروبه يجد بدون أدنى شك أن صاحب الراية العظمى أو اللواء العام للمسلمين كان مع أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في كل الحروب والمشاهد التي شهدها مع رسول الله ﷺ ولم يتخلف عنه – كما تعلم

(١) راجع التراتيب الإدارية للفاسي ج ١ ص ٣٢٠

– إلا في غزوة تبوك بحيث استخلفه على المدينة وأهل البيت عليه السلام، قال ابن عبد البر: ولم يتخلف عن مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله، منذ قدم المدينة، إلا تبوك، فإنه خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله، على المدينة وعلى عياله بعده في غزوة تبوك، وقال له: **أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي..**[١]

فكل مشاهد وغزوات الرسول القائد شهدها وصيه وكان صاحب الراية واللواء الأعظم ولا تلتفت هنا إلى ما يقوله بعض النواصب من افتراءآت على أهل العلم بهدف إنكار الواضحات فهم عُمي فلا يُبصرون، وهذا ما يشهد به أهل التحقيق من العلماء فمالنا وأقوال السفهاء من النواصب، وأزلام بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن الذين سبُّوا وشتموا أمير المؤمنين والعترة الطاهرة – والعياذ بالله –أربعين سنة فهل ترجوا منهم أن يقولوا بهم خيرا؟ فقد روى ابن سعد في طبقاته بسنده، عن قتادة: أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله، يوم بدر، وفي كل مَشهد..[٢]

ويروي الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس، أنه قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد، هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي كان لواؤه معه في كل مشهد وكل زحف، والذي صبر معه يوم المهراس، وهو الذي غسله، وأدخله قبره..[٣]

وقال محمد بن إسحاق: شهد علي بن أبي طالب بدراً، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهذا خطأ فلم يبلغ أمير المؤمنين عليه السلام هذا السن في يوم بدر والصحيح ما روي عن ابن عباس، قال: دفع رسول الله صلى الله عليه وآله، الراية يوم بدر، إلى علي، وهو ابن عشرين سنة، كما ذكره السراج في تاريخه، (وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر معلماً بصوفة بيضاء كما يروي صاحب الطبقات)..

---

(١) الإستيعاب؛ ٣/٣٣

(٢) الطبقات الكبرى، ٣/١

(٣) المستدرك للحاكم ٣ / ١١١

وروى ابن الأثير بسنده عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله، في المواطن كلها، (أي أنه كان يحملها في المسير والتعسكر) فإذا كان وقت القتال، أخذها علي بن أبي طالب..[١].

وروى الإمام أحمد في الفضائل بسنده عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: كان علي يأخذ راية رسول الله صلى الله عليه وآله، يوم بدر، وقال الحكم: يوم بدر، والمشاهد كلها..[٢]

وبعد شهادة أحمد بن حنبل ننقل شهادة سعيد بن جبير، فقد روى أيضاً بسنده عن مالك بن دينار، قال: سألت سعيد بن جبير فقلت: يا أبا عبد الله مَنْ كان حامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فنظر إليَّ، وقال: إنك لرخي البال، فغضبت وشكوته إلى إخوانه من القراء، فقلت: ألا تعجبون من سعيد، إني سألته مَنْ كان حامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر إليَّ، وقال: إنك لرخي البال، قالوا: إنك سألته - وهو خائف من الحجاج، وقد لاذ بالبيت - فسله الآن، فسألته، فقال: كان حاملها علي، هكذا سمعته من عبد الله بن عباس.[٣]

ولهذه الرواية لفظ آخر ينقله ابن سعد فقد وروى في طبقاته عن مالك بن دينار قال: قلت لسعيد بن جبير: مَنْ كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله: قال: إنك لرخو اللبب، فقال لي معبد الجهني: أنا أخبرك، كان يحملها في المسير ابن ميسرة العبسي، فإذا كان القتال أخذها علي بن أبي طالب (سلام الله عليه) (ولا تنس ما تقدم من حمل الراية من قبل سعد في المسير، فلربما كان يتبادلها مع ميسرة ولكن في الحرب لاشك أنها مع أمير المؤمنين عليه السلام)..)[٤].

وقبل كل أولئك إليك شهادة سعد بن أبي وقاص الذي يمتدحونه كثيرا لأنه من

---

(١) أسد الغابة؛ ٤/٩٧

(٢) فضائل الصحابة؛ ٢/٦٥٠

(٣) المستدرك للحاكم ٣ / ١٣٧

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى٣/١٥

العشرة المبشرة، ومن أصحاب الشورى العمرية عند القوم، فهو ثقة ولا شك أنه مقبول الشهادة لديهم، فقد روى الحاكم بسنده عن قيس بن أبي حازم، قال: كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف السوق إذ بلغتُ أحجار الزيت، فرأيت قوماً مجتمعين على فارس، قد ركب دابة، وهو يشتم علي بن أبي طالب عليه السلام، والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص، فوقف عليهم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب، فتقدم سعد، فأفرجوا له، حتى وقف عليه، فقال: يا هذا على ما تشتم علي بن أبي طالب، ألم يكن أول من أسلم؟

ألم يكن أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

ألم يكن أزهد الناس؟

ألم يكن أعلم الناس؟

ألم يكن ختن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، على ابنته؟

ألم يكن صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه، وقال: اللهم هذا يشتم ولياً من أوليائك، فلا تفرق هذا الجمع، حتى تريهم قدرتك..

قال قيس: فو الله ما تفرق حتى ساخت به دابته، فرمته على هامته في تلك الأحجار، فانفلق دماغه ومات..[1]

فهم ينقلون هذا الحديث ككرامة لسعد ونحن لا شأن لنا هنا بالكرامات فنأخذ شهادته لأمير المؤمنين عليه السلام بهذا الذي ذكره ولا سيما (بأنه صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل غزواته)، وندع له كرامته ولا ننكرها عليه طبعاً فهو كان يدافع عن أولى الناس بالناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينصره ومن نصر أمير المؤمنين عليه السلام فإنه ينصر الله ورسوله ومن ينصر الله فالله يسدده وينصره على أعدائه، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول داعياً: **اللهم انصر مَنْ نصره، واخذل مَنْ خذله، وأدر الحق معه حيثما دار..**

---

(١) المستدرك للحاكم ٣ / ٤٩٩

وروى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن مقسم، قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس، إن راية النبي صلى الله عليه وآله، كانت مع علي بن أبي طالب، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة.[١].

وروى ابن حجر في تهذيب التهذيب عن مقسم عن ابن عباس: كانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله، في المواطن كلها، مع علي عليه السلام راية المهاجرين، ومع سعد بن عبادة راية الأنصار..[٢].

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن ابن عباس، قال: ما بقي مع النبي صلى الله عليه وآله، يوم أحد، إلا أربعة، أحدهم عبد الله بن مسعود، قلت: فأين كان علي؟ قال: بيده لواء المهاجرين. وراية المهاجرين هي راية النبي صلى الله عليه وآله..[٣]

وأخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن مسعود عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الراية إلى علي يوم بدر، وهو ابن عشرين سنة.)[٤].

وروى الهيثمي في مجمعه بسنده عن ابن عباس، قال: إن علياً كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله، يوم بدر، وقيس بن سعد صاحب راية الأنصار، وصاحب راية المهاجرين علي في المواطن كلها.[٥]

وفي كنز العمال عن ابن عبادة، قال: كانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن كلها، راية المهاجرين مع علي بن أبي طالب عليه السلام..[٦].

وفي الرياض النضرة عن جابر بن سمرة أنهم، قالوا: يا رسول الله مَنْ يحمل رايتك يوم القيامة، قال: **مَنْ عسى أن يحملها يوم القيامة، إلا مَنْ كان يحملها في الدنيا، علي بن**

---

(١) مسند الإمام أحمد١/٣٦٨

(٢) تهذيب التهذيب٣/٤٧٥، كنز العمال٥/٢٩٥تاريخ الطبري٢/١٣٨

(٣) فضائل الخمسة٢/٢٣٢، البزار والطبراني (مجمع الزوائد٦/١١٤

(٤) المستدرك للحاكم٣/١١١

(٥) رواه الطبراني في الأوسط والكبير (مجمع الزوائد٥/٣٢١

(٦) وأخرجه ابن عساكر (كنز العمال٥/٢٩٥

أبي طالب.[١]

فثبت لديك أن صاحب الراية العظمى، واللواء الكبير لرسول الله ﷺ وللمسلمين في الغزوات هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولربما يخطر ببالك هنا هذا السؤال: لماذا هذا الاختصاص بالراية به عليه السلام ؟ وذلك – يا عزيزي الغالي – لأن الراية هي رمز، والرمز يُقدَّر ويُقدَّس وذلك لما يرمز له فإن أحداث التاريخ تخبرنا بأن الراية الكبرى، واللواء العظيم عندما يسقط في المعركة يعني الهزيمة والانكسار للجيش كله، وفي العام الأغلب يؤدي إلى الهزيمة والفرار أو الاستسلام للطرف المقابل، فمن تسقط رايته يسقط جيشه ويخسر المعركة..ولهذ فإنك تجد أمير المؤمنين علي عليه السلام في يوم أحد وبعد فرار المسلمين من المعركة بعد انتشار إشاعة مقتل رسول الله ﷺ كان همَّه رفع الراية الإسلامية المباركة، وإنزال راية الشرك القرشية فتراه قتل تسعة من بني عبد الدار حملة لواء الكفار حتى رفعته امرأة بعد أن أفناهم روحي له الفداء، وبذلك كسرهم وأعلن النصر رغم فداحة الخسائر في جيش المسلمين..

فالراية يجب أن لا تسقط، لأنها راية الرسول، وراية الإسلام وهذه الراية المباركة هي راية الله تعالى فلا يمكن أن تسقط، وكل مَنْ كان يحملها يتشرف بحملها والشهادة تحتها إلا أنه لا يضمن استمرار رفعتها إلا فتى الفتيان (فلا فتى إلا علي) كما نادى بذلك جبرائيل عليه السلام، فسيفه ذو الفقار كان بالمرصاد لكل من راودته نفسه بإنزال تلك الراية إلى الأرض..

فهو الفتى الكرار غير الفرار، وهو الذي لن يفرَّ من عدو ولو كانت العرب اجتمعت على قتاله، بل ولو كانوا طلاع الأرض (ملؤها) خيلاً ورجالاً لسارع إلى قتلهم، كما قال يوماً من الأيام..فالراية لا يحملها إلا مَنْ هو جدير بها الذي يحافظ عليها ولن يفر عنها أبدا لأن الجدارة تقاس بالقوة وشدة البأس، والمراس على القتال ومنازلة الأقران،

(١) الرياض النضرة٢/٢٦٧

ومقاتلة الأبطال في ساح الوغى، ولقد روت لنا كتب السيرة الكثير من المواقف التي هرب فيها الصحابة الأُول ممن كانوا يتصنعون الشجاعة ولكن يهربون عند أول اللقاء كما حصل في يوم أُحد، وخيبر، والأحزاب، والمواقف مشهودة..

روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخذ الراية فهزها، ثم قال: **مَنْ يأخذها بحقها؟** فجاء فلان (آه؛ من فلان هذا كم أرقني لأعرفه على حقيقته فكم هو مذكور في مواطن الفتنة والشر، فلان وفلان...) فقال: أنا، قال: أمط (أي تنح وابتعد)، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **والذي كرَّم وجه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأعطينها رجلاً لا يفر، هاك يا علي، فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك، وجاء بعجوتها وقديدها..**[1]

وإليك هذه الرواية التي تذكر أسماء وتصرح بها بدون (فلان) المذكور من قبل، فقد روى ابن الأثير في أُسد الغابة بسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال: لما كان يوم خيبر، أخذ أبو بكر اللواء، فلما كان من الغد أخذه عمر -وقيل محمد بن مسلمة -فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **لأدفعن لوائي إلى رجل لن يرجع حتى يفتح الله عليه،** (فما الذي فعلاه حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال؟) فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، صلاة الغد، ثم دعا باللواء، فدعا علياً - وهو يشتكي عينيه، فمسحهما - ثم دفع إليه اللواء، ففتح..[2].

وروى الطبري في تاريخه بسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ربما أخذته الشقيقة (الشقيقة: نوع من صُداع يعرض في مُقدَّم الرأس، أو إلى أحد جانبيه، وفي الحديث: احتجم وهو محرم من شقيقة.)، فيلبث اليوم أو اليومين لا يخرج، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، خيبر، أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، (تأمل بهذا القتال رجاءً)، ثم رجع فأخذها

---

(١) مسند الإمام أحمد٣/١٦، الهيثمي في مجمعه مجمع الزوائد٩/١٢٤

(٢) أسد الغابة٤/٩٨

عمر، فقاتل قتالاً شديداً، هو أشد من الأول، ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله، فقال: **أما والله لأعطينها غداً، رجلاً يحُب الله ورسوله، ويحُبه الله ورسوله، يأخذها عنوة**– (لماذا هذا التحدي ما داما قاما بالواجب من القتال الشديد من الأول، والأشد من صاحبه وأخيه؟ ألا تشعر بأن الرواية ملفَّقة سياسياً لحفظ كرامة الصحابة؟ وإليك ما رواه الطبري في تاريخه وهذه الرواية عينها ولكن باختلاف كبير ومجتزأة ولكن فيها ضوء من الحقيقة وشعاع من النور الكاشف)

وفي رواية عن بريدة الأسلمي قال: لما كان حين نزل رسول الله ﷺ بحصن أهل خيبر، أعطى رسول الله ﷺ اللواء عمر بن الخطاب، (ولم يذكر هنا أبو بكر ولكن ذكر في أماكن أخرى سنحققها في مكانها) ونهض مَنْ نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه (أي هربوا)، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، يجبنه أصحابه ويجبنهم (أي أنه يرميهم بالجبن لهروبهم، وهم يرمونه بالجبن لأنه أول مَنْ هرب فهربوا لأنه القائد، ولا أريد هنا أن أذكرك بالآية التي تصف الفرار من الزحف فإنك خبير بها)، فقال رسول الله ﷺ: **لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله،** فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، (بل فتطاولت لها قريش، لأنه ليس ثَمَّ علي عليه السلام) فرجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح فجاء علي عليه السلام، على بعير له، حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ، وهو أرمد، وقد عصبت عينيه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ، ما لك؟

قال: رمدت بعد، فقال رسول الله ﷺ: ادن مني، فدنا فتفل في عينيه، فما وجعاه حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية، فنهض بها معه، وعليه حلَّة أرجوان حمراء، قد أخرج خملها).. (فلماذا تتطاولون اليوم وبالأمس فعلتم ما فعلتم من الفرار؟).[1] وسيأتيك الحديث مفرقاً في الأبحاث الآتية..

---

(١) تاريخ الطبري٣/١١ -١٢

الإمام علي عليه السلام حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة:

وروى المحب الطبري في الرياض النضرة عن جابر بن سمرة أنهم قالوا: يا رسول الله مَنْ يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: **مَنْ عسى أن يحملها يوم القيامة، إلا مَنْ كان يحملها في الدنيا، علي بن أبي طالب..**[1]

وفي كنز العمال: **يا علي، أنت تغسل جثتي، وتؤدي ديني، وتواريني في حفرتي، وتفي بذمتي، وأنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة..**[2]

وفي كنز العمال أيضاً عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: **في علي خمس خصال لم يعطها نبي في أحد قبلي، أما الخصلة الأولى: فإنه يقضي ديني ويواري عورتي..**

وأما الثانية: فإنه الذائد عن حوضي..

وأما الثالثة: فإنه مشكاة لي في طريق المحشر يوم القيامة..

وأما الرابعة: فإن لوائي معه يوم القيامة، وتحته آدم وما ولد..

وأما الخامسة: فإني لا أخشى أن يكون زانياً بعد إحصان، ولا كافراً بعد إيمان.[3]

وروى الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال حدثنا أنس بن مالك، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى برزة الأسلمي فقال له - وأنا أسمع - (**يا أبا برزة، إن رب العالمين، عهد إليَّ عهداً في علي بن أبي طالب، فقال: (إنه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني، يا أبا برزة: علي بن أبي طالب، أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي في القيامة على مفاتيح خزائن رحمة ربي..**

---

(١) الرياض النضرة ٢/ ٢٦٧

(٢) أخرجه الديلمي عن أبي سعيد (كنز العمال ٦/ ١٥٥

(٣) كنز العمال؛ ٦/ ٤٠٣

مَنْ استخلفهم رسول الله ﷺ

كان يستخلف المصطفى ﷺ على المدينة في كل غزواته وآخرها غزوة تبوك استخلف أمير المؤمنين علي عليه السلام..

وفي الإصابة نقلاً عن ابن عبد البر وجماعة من أهل العلم بالنسب والسير: أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم ثلاث عشرة مرة، ثم استخلف أبا لبابة لما رده من الطريق وفيها أيضاً في ترجمة جعال بن سراقة الضمري نقلاً عن ابن إسحاق لما غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق في شعبان سنة ست استعمل على المدينة جعالاً الضمري وفيها لما ترجم لسباع بن عرفطة الغفاري ذكر أنه ﷺ استخلفه على المدينة لما ذهب لغزوة خيبر وفيها في ترجمة أبي رهم الغفاري استخلفه النبي ﷺ على المدينة في غزوة الفتح وفي المواهب وشرحها واستخلف النبي ﷺ على المدينة في غزوة تبوك، قال الحافظ زين الدين العراقي في ترجمة الإمام علي عليه السلام من شرح التقريب: لم يتخلَّف علي عليه السلام عن المشاهد إلا تبوك فإن النبي ﷺ خلفه على المدينة كما رواه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص ولفظه: إن رسول الله ﷺ لما خرج إلى تبوك استخلف على المدينة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي محاضرات الأبرار، والتراتيب الإدارية: نوابه ﷺ الذين استعملهم على المدينة في وقت خروجه لغزوة أو عمرة، هم:

- أبو لبابة.
- بشير بن المنذر..
- عثمان بن عفان..
- عبد الله بن أم مكتوم..
- أبو ذر الغفاري (رض)..
- عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول..

- سباع بن عرفطة..
- نميلة بن عبد الله الليثي..
- عريف بن أضبط الديلمي..
- أبو رهم..
- محمد بن مسلمة الأنصاري.
- زيد بن حارثة..
- السائب بن عثمان بن مظعون..
- أبو سلمة بن عبد الأسد..
- سعد بن عبادة..
- أبو دجانة الساعدي ثم فصل ولاية كل واحد من هؤلاء.[1]

ولم يذكر الرجل أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام واستخلافه له في يوم تبوك لأنه قال له فيها: **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**..فحاول النواصب إنكار الاستخلاف أصلاً من أجل إنكار هذا الحديث النوراني الشريف الثابت عند الأئمة والحفاظ في الصدور من قبل المسانيد والصحاح..

وهنا أسألك بالله تعالى: ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان يترك المدينة لحظة إذا خرج منها دون وكيل عنه لإدارة شؤونها، ورعاية مصالحها، فهل تراه، أو تصدِّق أنه ترك الأمة كلها وذهب عنها إلى الله وتركهم هملاً دون وكيل، أو وصي، أو وزير؟

تأمل أرجوك ولا تستعجل بالجواب السياسي فإن السياسات الخاطئة للأمويين ومَنْ جاء من بعدهم دمرت الأمة وأخرجتها عن جادة الصواب لدينها الحنيف، ومازالت تفعل لأننا مازلنا محكومين بالدُرَّة والعصا، ونخاف النطع والسوط، ولا نخاف الله بقول الحق، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، ونعرف الحق كل الحق، ومُرُّ الحقِّ أنه عند أهل

(١) التراتيب الإدارية للفاسي ج ١ ص ٣١٤

البيت عليهم السلام ولكننا لا نملك الجرأة لنقول أن فلانا الحاكم أخطأ، وعلاناً القاضي فاسق، والخليفة خارج من الملة والدين كمعاوية ويزيد وهكذا إلى أن نصل إلى السلطان عبد الحميد سيء الصيت، وأما اليوم فقد سقطت النظرية السياسية للحكم، فمن يستطيع من حكامنا ومحكومينا أنه يدَّعي أنه يحكم بشرع الله، أو أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن إمامكم يا أمة الخير في هذا الزمان وأنتم تقرؤون قول رسولكم المتواتر: **مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية؟** والجواب عندكم فلا تكذبوا على أنفسكم.

الفصل الثالث:

من أخلاق الرسالة في القتال

١-توجيهات قائد إلهي (يوحى إليه)

رسول الله ﷺ كان أعظم مَنْ أنجبته الحياة قديمها وحديثها من آدم الأول وحتى آخر ولد له في هذه الدنيا، قائد رباني يوحى إليه من رب العباد بما يلزم لصالح العباد والبلاد، أسس دولة الحق والصدق التي قامت على تعاليم القرآن الكريم، وتوجيهات الرسول العظيم ﷺ وخاضت جيوشه أكثر من ثمانين (غزوة أو سرية) لتثبيت دعائم الدين الحنيف ويرد الإعتداءات عنه.. وهذا الرسول القائد يخطب في أول غزوة أسست للدولة الإسلامية (بدر الكبرى) ويوجِّه جيشه الصغير الحجم، الكبير الأجر، فلما أصبحوا عدَّل رسول الله ﷺ الصفوف وخطب المسلمين فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **أما بعد فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عمَّا نهاكم الله عنه فإن الله عظيم شأنه، يأمر بالحق، ويحب الصدق، ويعطى على الخير أهله على منازلهم عنده به يذكرون، وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه، وإن الصبر في مواطن البأس (الحرب) مما يفرِّج الله به الهمَّ، وينجِّي به من الغمِّ.. وتدركون به النجاة في الآخرة..**

فيكم نبي الله (كقائد حكيم) **يحذركم، ويأمركم؛ فاستحيوا اليوم أن يطَّلِع الله على شيء، من أمركم يمقتكم عليه** (كالفرار من الزحف) فإنه تعالى يقول: (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم)[1].

انظروا في الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وما أعزكم به بعد الذلة فاستكينوا له يرضى ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الذي

---

(١) سورة غافر: الآية ١٠.

وعدكم من رحمته ومغفرته فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، ويغفر الله لي وللمسلمين.(١)

كان ذلك أول لقاء بين الحق والباطل بساحات الجهاد بالسيف فصدق المسلمون وصبروا فأنزل الله النصر المؤزر،وكبت العدو المشرك وقتل منهم مقتلة عظيمة أكثر من سبعين من رؤوسهم وصناديدهم..

وهكذا كان حال الرسول القائد في كل حروبه ومناوشاته مثالاً للمناقبية والأخلاق، وجنوده مثالاً للإقتداء والانضباط، وفي الرواية عن مسعدة بن صدقة عن الإمام السادس من أئمة المسلمين المولى أبو عبد الله الصادق عليه السلام قال: **إن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا أراد أن يبعث أميراً على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصَّة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول:**

اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله؛ قاتلوا مَنْ كفر بالله؛ ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعا لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون اليه، ولا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله..

وإذا لقيتم عدواً من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فإن هم أجابوكم إليها فاقبل منهم وكُفَّ عنهم:

- ادعوهم إلى الإسلام وكُفَّ عنهم، وادعوهم إلى الهجرة بعد الإسلام فان فعلوا فاقبل منهم وكفَّ عنهم، وان أبوا أن يهاجروا واختاروا ديارهم وأبوا أن يدخلوا في دار الهجرة كانوا بمنزلة أعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين ولا تجري لهم في الفيء من القسمة شيئاً إلا أن يجاهدوا في سبيل الله..

---

(١) الميزان للطباطبائي ج ٩ ص ٢٩

- فان أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فان أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم..

- وان أبوا فاستعن بالله عليهم وجاهدهم في الله حق جهاده..

فإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن ينزلوا على حكم الله فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على حكمي ثم اقض فيهم بعد بما شئتم، فإنكم إن أنزلتموه لم تدروا هل تصيبون حكم الله فيهم أم لا، فإذا حاصرتم أهل حصن فأرادوك على أن تنزلهم على ذمة الله وذمة رسوله فلا تنزلهم ولكن أنزلهم على ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم كان أيسر عليكم يوم القيامة من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..[1]

الله، الله ما هذه الدقة وهذه الثقة بالله تعالى؟ الله أكبر ما هذه الأخلاق الرفيعة، التي تنبع عنها هذه الوصايا النورانية، وإليك ما هو أجمل وأكمل من أكمل مخلوق خلق، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

في دعائم الإسلام: روينا عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا بعث جيشاً أو سريةً، أوصى صاحبها بتقوى الله في خاصَّة نفسه، ومَنْ معه من المسلمين خيراً، وقال: اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تقاتلوا القوم حتى تحتجوا عليهم، بأن تدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، فإن أجابوكم فإخوانكم في الدين، فادعوهم حينئذ إلى النقلة من ديارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا وإلا فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين، وليس لهم في الفيء ولا في الغنيمة نصيب، فإن أبوا عن الإسلام فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أجابوكم إلى ذلك فأقبلوا منهم، وإن أبوا فاستعينوا بالله

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٢

عليهم وقاتلوهم) [١].

وبرواية أخرى عن الوشاء عن محمد بن حمران وجميل بن دراج كليهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا بعث سرية دعا أميرها فأجلسه إلى جنبه (أي يقف الأمير إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله والجند أمامهما) وأجلس أصحابه بين يديه، ثم قال: **سيروا بسم الله، وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخاً، ولا صبياً، ولا امرأةً، فأيما رجل من أدنى المسلمين، وأفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار له حتى يسمع كلام الله، فان تبعكم فأخوكم في دينكم وان أبى فاستعينوا بالله عليه وأبلغوه مأمنه.** [٢]

ورسول الله صلى الله عليه وآله المسدد والمؤيَّد من الله تعالى كان يؤمِّر أميراً ويبعث عليه عيناً يتسقط أخباره وبالرواية عن الريان بن الصلت، قال: سمعت ثامن الأئمة الكرام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، يقول: **كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا بعث جيشاً فاتهم أميراً بعث معه من ثقاته مَنْ يتجسس له خبره.**

وهذا إجراء احترازي من قائد عظيم ليس للتجسس على الأمير بل من أجل ضمان تنفيذ الأوامر الرسولية والشرع الرباني لسلامة المسيرة وحسنها فكان عندما يتجاوز القائد بعض حدود الله يتبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عمله كما حدث أكثر من مرة مع خالد بن الوليد الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله: **اللهم إني أبرء إليك مما صنع خالد**..يكررها ثلاثاً..ويبعث أمير المؤمنين عليه السلام ليردَّ المظالم ويُبرئ ذمة رسول الله صلى الله عليه وآله من القوم المعتدى عليهم..

٢-توجيهات قائد رباني وملهم

---

(١) مستدرك الوسائل ج ١١ ص ٣١

(٢) الوسائل ج ١١ ص ٤٢

تلك هي تعاليم الإسلام الحنيف وقائده الرسول الذي يوحى إليه من الله، وهي ذاتها تعاليم تلميذه النجيب، وأخيه الحبيب، وصهره، وابن عمه ووصيه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام فالشجرة واحدة والنور ذاته مقسوماً بينهما، (**فأنا من أحمد كالضوء من الضوء**) تربى على صدره الشريف، ونما تحت رعايته المباركة، وأخذ منه كل الفضائل والقيم والأخلاق في السلم وفي الحرب، فكان مثال الفارس النبيل كل النبل الذي لا ولن يتنازل عن مبادئه تحت أي ظرف من الظروف ومما حفظت عنه كتب التاريخ بعض الوصايا لجنوده نستشهد بكلمات هنا للإشارة فقط لأنها ستأتي مفصلة بإذن الله..

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن رسو الله صلى الله عليه وآله قال: **فيما عهد إليه وإياك والتسرع إلى سفك الدماء لغير حلها، فإنه ليس شيء أعظم من ذلك تبعة..**)

جاء عن عقيل الخزاعي ان أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات: يقول: **تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وقد علم الكفار حين سئلوا** (ما سلككم في سقر، قالوا: لم نك من المصلين) **وقد عرفها حقها مَنْ طرقها وأكرم بها للمؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع، ولا قرة عين من مال ولا ولد..**

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله منصباً لنفسه (متعبها) **بعد البُشرى له بالجنة من ربه، فقال عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ فكان يأمر بها أهله ويصبِّر عليها نفسه.. إلى** ان قال عليه السلام: **ثم إن الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازرين على الضلال ضلال في الدين، وسلب للدنيا مع الذل والصغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال يقول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبارَ﴾** [1].

نعم؛ إنها الصلاة عمود الدين، والصلة للعبد مع رب العالمين، فيجب الإكثار منها

---

(١) تفسير نور الثقلين للحويزي ج ٢ ص ١٣٨

لتكون غذاءاً روحياً ومدداً نورانياً من رب العباد للمقاتل في أرض القتال فلا يفشل العبد، بل يُقدم وهو على طهارة ونقاء جسدي وروحي ويكون موطِّناً نفسه على لقاء الله تعالى بل يكون محباً وعاشقاً لذاك اللقاء..

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهل هناك فحشاء ومنكر أكبر من الفرار من الزحف؟ وهي بنفس الوقت تنهى عن البغي حتى لا يبغي الإنسان المؤمن إذا انتصر في القتال فتكون الصلاة عاملاً إيجابياً رائعاً لضبط النفس، والصمود في القتال، ولكبح جماح النفس عن الطغيان وتعدي الحدود المرسومة من الشارع الأقدس..

وهذه وصايا أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام قائد جيوش الحق عند لقاء جيوش النكث في معركة الجمل، فكان مما قال عليه السلام: **إنهدوا إليهم وكونوا أشداء عليهم، وقد وطنتم أنفسكم على الطعن والضرب ومبارزة الأقران، وأي امرئ منكم أحسَّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد إخوانه فشلا، فليذبَّ عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه.. ولا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة وكفكم عنهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى، فإذا قاتلوكم فلا تجهزوا على جريح، وإذا هزمتوهم فلا تتبعوا مدبراً ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رجال القوم، فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسبين أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف العقول والأنفس.. لقد كنا نُؤمر بالكفِّ عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والعصا والجريدة فيَّعير بها هو وعقبه من بعده.**

والقائد يحتمل كل الإحتمالات في المعركة ويجب أن يكون مراقباً دقيقاً جداً للمعركة فأيَّة نُقطة ضعف يجب أن يتلافاها بل ويقوِّيها في ذات الوقت، وعندما يلاحظ ضعفاً يقويه بنفسه أو بإمداد من احتياطه حتى لا يكون هناك خرقاً أو فتقاً في صفوف الجيش..

وما أجمل هذه الكلمات التي كان يوجهها لجنوده إذا أحسَّ منهم تضعضعاً وتراجعاً فيُقويهم ويُشجعهم بقوله عليه السلام لهم: (**لا تشتدن عليكم فرَّة بعدها كرة** (فبعد الفرار يجب أن يعود المقاتل ليكر على العدو)، **ولا جولة بعدها حملة، وأعطوا السيوف حقوقها..ووطئوا للجنوب مصارعها واذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي؛ وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل، فوالذي فلق الحبة وبرأ النَسَمَة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر، فلما وجدوا أعوانا عليه أظهروه.**[1].

وعن مفضل ابن عمر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وعن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم عن حريز عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: **إذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام واذكروا الله عز وجل ولا تولوهم الادبار فتُسخطوا الله تبارك وتعالى وتستوجبوا غضبه..**

فمن أخلاقيات القائد الرباني الفذ نذكر عدد من الصفات منها:

١- الإعذار والإنذار بقيام الحجة على الخصم قبل المعركة..

٢- الدعوة إلى التناصف وإحقاق الحق لدرء الحرب..

٣- لا يبدأ بالقتال، ولا يبيِّت عدو (أي لا يهجم عليهم ليلاً) ورسول الله صلى الله عليه وآله ما بيَّت عدواً قط ليلاً.. بل والمشهور أن حروب أمير المؤمنين عليه السلام إن استطاع فإنه لا يبدأها إلا بعد الزوال وصلاة الظهرين، ومولانا الإمام الصادق عليه السلام يقول في ذلك: **كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يقاتل حتى تزول الشمس، ويقول: تُفتح أبواب السماء، وتُقبل الرَّحمة، ويَنزل النصر، ويقول: هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقلَّ القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم.**[2].

٤- لا يقتل إلا المقاتلة، ولا يجوز قتل النساء ولو أسأن، ولا الأطفال، ولا الشيوخ

---

(١) نهج البلاغة

(٢) وسائل الشيعة: ٦٣/١٥

والمرضى والمقعدين، وتسقط عنهم حتى الجزية، (**لا تقتلوا في الحرب إلا من جرت عليه المواسي**) كما أمر رسول الله ﷺ.[١].

٥- لا يجوز الفساد في البلاد كقطع الأشجار المثمرة، وقتل الحيوانات الأهلية إلا للضرورة التي تقدر بقدرها.. (**ولا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليها**).[٢]

٦-لا يمنع الماء عن العدو، ولا يجوز إلقاء السم في مياهه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **نهى رسول الله ﷺ أن يُلقى السُّم في بلاد المشركين**) [٣].

٧- لا يُمثّل بالقتلى، وبوصيته لولديه البارين عليهما السلام يقول: **إني سمعت جدكما رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمُثلة ولو بالكلب العقور**..[٤]

٨- يتعامل مع الأسرى بمنتهى الإنسانية، وأمير المؤمنين عليه السلام كان يطلق أسرى المسلمين دون فداء وربما دون بيعة،تمنناً وتفضلاً منه روحي فداه..

٩- لا يدفع صلحاً إن كان فيه حقناً للدماء، ولكن ليس فيه معصية لله تعالى (**لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضاً، فإن في الصلح دَعَةً لجنودك، وراحةً من همومك، وأمناً لبلادك؛ ولكن الحذر، الحذرمن عدوك بعد صلحه**..) ففي الصلح العادل الكثير من المصلحة.[٥]

١٠- وتبقى ملاحظة واحدة هنا هي: جواز الخديعة في الحرب، ورسول الله ﷺ قال لأحدهم يوم الخندق: (**خزِّل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة**)، ويروي عدي بن حاتم أن أمير المؤمنين عليه السلام قال رافعاً صوته بحيث يسمعه أصحابه: والله لأقتلن معاوية وأصحابه، ثم قال في آخر قوله: إن شاء الله ؛ وخفَّض صوته..

---

(١) مستدرك الوسائل: ٤٣/١١

(٢) الوسائل: ٥٨/١٥

(٣) الوسائل: ٦٢/١٥

(٤) شرح نهج البلاغة للبحراني: ١٢٠/٥

(٥) عهده عليه السلام لمالك الأشتر

وكنت قريباً منه، فقلت: يا أمير المؤمنين إنك حلفت على ما قلت، ثم استثنيت، فما أردت بذلك؟

فقال عليه السلام: **إن الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غير مَكذوب، فأردتُ أن أحرِّض أصحابي عليهم كي لا يفشلوا ولكي يطمعوا فيهم، فافهم فإنك تنتفع بها بعد اليوم إن شاء الله..**[1]

هذه أخلاقيات القائد الإلهي المُحِق، فهو رجل دين وعقيدة وله رسالة قبل أن يكون هدفه النصر على العدو، أو استلام السلطة في البلاد، فما أزهد إمام الدين بالسلطة الدنيوية، ألم تسمع عنه عليه السلام ما سمعته الدنيا بأسرها تقريباً، بأن نعله البالي هو: خير من أمرتكم إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً..أو هي أزهد عنده من عفطة عنز..وهي نخامتها إذا عطست..

فالقائد الرباني هو الذي يترك حقه بالسلطة من أجل سلطة الحق، فالسلطة لم ولن تكون هدفاً للقائد الرباني في يوم من الأيام، بل هي وسيلة إحقاق الحق أو إزهاق الباطل، ولإقامة العدل وإماتة الظلم، ولنشر العلم وكبح الجهل، وإحياء الشريعة وقتل البدعة المضلة..

ولهذا فإن أمير المؤمنين عليه السلام قَبِلَ بالسلطة ليقهر السلطة ويطيِّعها للحق، ولقهر الإنسان المتسلط بالسلطة ويأخذ منه الحق، (**فما تقدست أمة لا يوخذ الحق من قويها لضعيفها غير متعتع**)[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام للأشتر حين ولاه مصر: (**واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتُقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك، حتى يُكلمك مُتكلمهم غير متعتع فإني**

(١) الوسائل: ١٥/١٣٣

(٢) الحديث مروي عن رسول الله، وأمير المؤمنين، والإمام الصادق: جامع السعادات ج ٢ ـ محمد مهدي النراقي ص ١٨١

سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: لن تُقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع، ثم احتمل الخُرق منهم والعي ونحِّ عنك الضيق والأنفة يبسط الله عليك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته..) [1]

(فكان الإمام علي عليه السلام في السلطة لقهرها، ويجعلها طيِّعة في يده ليحمل عليها وبها حقوق الناس، وأمنهم، وخيرهم، (سيما الفقراء والبسطاء وعموم الأمة)..

وكان لا بد للقائد ولكي يتخلص من ضغط السلطة، وظلمها، وقهرها، وسوء إدارتها، أن يكون العين الكبيرة التي ترى كل شيء، والأذن المرهفة التي تسمع شكاوي الجميع، والعقل الكبير الذي يوفر الحلول لأصعب المعضلات في الأمة، ويكون النفس الكبيرة التي تحنو وتعطف على الجميع كأبناء وليس كعبيد وإماء، ليجد الناس تحت جناحيها الأمن والأمان، والدعة والإطمئنان..ألم يخاطب ويعاتب الصحابي الجليل عثمان بن حنيف الأنصاري لتلبيته دعوة على الطعام عند الأغنياء ومما كتب له بهذا الشأن: **(ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيُّر الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة مَنْ لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل:**

وحسبك داء أن تبيت ببطنة ... وحولك أكباد تحن إلى القدِّ

أأقنع من نفسي بأن يُقال: أمير المؤمنين.. ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش..) [2]

وكذلك كان لا بد أن يكون العاملون في السلطة من الولاة والقادة بالمستوى العالي من العدل الذي يجُسد إرادة الحق ويستبعد أيما شيء غير الحق كالقائد الأعلى لهم عليه السلام

(١) شرح إحقاق الحق ج ٨ ـ السيد المرعشي ص ٥٤٧

(٢) النهج : خ ٢٨٤

فلقد كانت السلطة سلطة حق، وكان الإمام علي عليه السلام مُصرّا على الحق، ومُعتذراً من السلطة إذا لم تحقق الحق وتنشر العدل في كل الأرجاء من دولته..

لذلك كان قائد السلطة الذي ينفض رداءها عن نفسه يومياً، وفي كل حين، خلافاً لما يفعله مؤلهِو السلطة وعبَّادها، الذين تصبح - في نظرهم القاصر- عروشاً، وكروشاً، وتيجاناً، وصولجاناً، وقصوراً وأملاك، وأجهزة قمع ومخابرات، ومراكز اعتقال ومعسكرات، نابذة العدل، وناكرة الإنسانية، لاهية عن واجبها تجاه الأمة وطالبة من الأمة كل واجبات الإحترام والتقدير وربما التعظيم والتقديس..

نعم ؛ إن سر قوة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كامنةً في رفضه لكل إغراءات الحكم والسلطة.. لأنه كان لا يرى بها إلا أداةً ووسيلةً لتحقيق هدف هو أفضل وأشرف من كل سلطات الدنيا، إنه الحق العام، والعدل المشترك، وتحقيق العدالة الإجتماعية في الأمة.. وها هو يقول عليه السلام : **أن الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليَّ التقدير في نفسي، ومطعمي، ومشربي، وملبسي، كضعفاء الناس؛ كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يُطغي الغني غناه..**[1]

والوسيلة قد تتغير، أو تزول، لكن الحق راسخ لا يحول ولا يزول، ولذلك كانت السلطة مسؤولية كبرى، وهي تكليف وليس تشريف لحاملها، من أجل الإصلاح، ومنع الظلم والإعتداء، وإقامة الحدود على الجُناة، وحماية حدود البلاد، فتأمن الأمة وتبني الحضارة..

وهذا ما قاله عليه السلام : **اللهم ؛ إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردَّ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلوم من عبادك، وتقام المعطَّلة من حدودك..)**[2]

---

(١) أصول الكافي

(٢) شرح النهج للمعتزلي: ٢٦٣/٨

فالحاكم ليس ملك اجتهاده الشخصي، ومشيأته ومزاجه النفسي: بأن يكون عادلاً أو لا يكون، لأن الأمر ليس أمر خصوصية أو شخصية بل هو أمر عام تناط وتعلق به مصائر الناس، ومصالح المجتمع، ومستقبل الأجيال..[١]

فصاحب السلطة المطلقه هو الحق تعالى، ولا يفوِّض سلطته إلا لمن عصمه من الخطأ وسدده في الأحكام.. ولهذا فإن رفض سلطة الباطل عبادة، والقيام بسلطة الحق عبادة أعظم، ولكن مَنْ يستطيع أن يقاوم بريق السلطة، أو يذوق مرارة الحق في هذه الحياة ويصبر عليها بمحض إرادته؟ تلك هي المسألة، بل أم المسائل والمشاكل..

وكم حذَّر الأمة من أولئك الوصوليين، والطحالب الفاسدة والمفسدة الذين يتربون على مصِّ دماء الضعفاء، والفقراء لتتورم كروشهم وترتفع عروشهم كمعاوية الشيطان الرجيم، وأمثاله من السلاطين (**ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه،،فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء (أي تفاخر) الجاهلية.**[٢].

والقاعدة العامة والحاكمة أعطنا إياها بقوله عليه السلام: **لا تسخط الله برضا أحد من خلقه، فإن في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره..**[٣]

لأنه: **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق..**[٤]

هذه خلاصة منهج أمير المؤمنين عليه السلام ورؤيته بالسلطة: فلا سلطة على الخلق بدون رضا وإذن من الخالق، ولا يرضا الخالق إلا بمُرِّ الحق، وعموم العدل، وشمول الرسالة الخاتمة..

---

(١) علي عليه السلام سُلْطُة الحق: عزيزالسيد جاسم: ٣٧٨بتصرف

(٢) النهج: خ ١٩٠

(٣) النهج: خ ٢٦٦

(٤) النهج: ح١٦٥

الباب الثاني:
في حروب العرب

(قاتل العرب الإسلام ظلماً وعدواناً، فردهم الإسلام
دفاعاً عادلاً ولكن بأقل الخسائر..)
[المؤلف]

الفصل الأول:

حروب الكفار ومشركي العرب..

١- غزوة بدر (الصغرى والكبرى)

- غزوة بدر الأولى (الصغرى)

زمانها: في ربيع الأول (وقيل: العاشر من جمادى الآخرة على رأس ثلاثة عشر شهراً (هكذا كان يؤرخ الواقدي وغيره من المؤرخين عن لسان رواتهم حتى يبلغ ستة وخمسين شهراً أي خمس سنين من الهجرة؛ مما قد يدلُّ على عدم وجود أمراً بالتأريخ بالسنين من الهجرة التي استُحدثت بعد ذلك).[١]

سببها: أغار كرز بن جابر الفهري (من مشركي قريش) على (مواشي) لأهل المدينة كانت ترعى بنواحي الجماء (على ستة كيلو مترات نحو الجرف).

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في طلبه حتى بلغ (بئر) بدر، ولم يدركه[٢]، وكان يحمل لواءه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة..[٣]

- غزوة بدر الثانية (الكبرى)

زمانها: كانت بدر على رأس ستة عشر شهراً من مقدم رسول الله المدينة أي بعد ثلاثة أشهر من بدر الأولى.. خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة في يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان، وكان قد بعث الرجلين في الثاني منه كدورية استطلاع متقدمة، لمعرفة تفاصيل حركة العير القرشية..[٤]

مكانها: بئر بدر وهو يبعد عن المدينة حوالي (١٦٠) كم..

---

(١) (سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨ واختصر الخبر الطبرسي في إعلام الورى ١ : ١٦٤

(٢) مغازي الواقدي ١ : ١٢

(٣) مغازي الواقدي ١ : ١٢

(٤) تفسير القمي ١ : ٢٧١

شعارها: يا منصور أمِتْ..

سببها: كان سبب تلك الغزوة ؛ أن عيراً لقريش خرجت إلى الشام ورجعت وفيها خزائنهم (قال: وكانت العير ألف بعير، وكانت فيها أموال عظام، ولم يبقَ بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا إلا بعث به في العير، فكان، يقال: كان فيها خمسون ألف دينار، قيل: كان لبني عبد مناف فيها عشرة آلاف مثقال، ولبني مخزوم مئتا بعير وخمسة آلاف مثقال ذهب، ولأمية بن خلف ألفا مثقال، وللحارث بن عامر بن نوفل ألف مثقال وان أكثر ما فيها لآل سعيد بن العاص إما لهم أو قراضا بالنصف (أي دَين والربح مناصفة) [1] وتحيَّن رسول الله انصراف وعودة العير من الشام.. أمر أصحابه بالخروج إليها ليأخذوها، وأخبرهم: أن الله قد وعده إحدى الطائفتين: إما العير، وإما قريش إن ظفر بهم.

العدد والعدة: خرج في ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً (وبالتفاصيل إن جميع مَنْ شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار: ثلاثمئة وأربعة عشر رجلاً..

-من المهاجرين: ثلاثة وثمانون رجلاً..

-ومن الأنصار:

١- من الأوس: واحد وستون رجلاً..

٢- ومن الخزرج: مئة وسبعون رجلاً..

وكان قائد العير كبير بني أمية صخر بن حرب أبو سفيان في أربعين راكباً من قريش تجارا قافلين من الشام[2]، وقيل: أو سبعين..[3] هذا عدا عن العبيد والخدم للقافلة فلما بلغه أن الرسول ﷺ قد خرج يتعرَّض للعير لأخذها والاستيلاء عليها خاف خوفاً شديداً لعظمة الأموال التي كانت فيها فلو أخذها رسول الله ﷺ والمسلمون لاغتنوا وافتقرت قريش لسنين مديدة، فلما وافى البهرة (وهي من نواحي المدينة، وقيل من معان

(١) الواقدي ١ : ٢٧

(٢) مجمع البيان ٤ : ٨٠٢

(٣) ابن شهرآشوب في المناقب ١ : ١٨٧

الأردن، وقيل: من تبوك والأول أقرب للواقع) اكترى (ضمضم بن عمرو الغفاري (أو الخزاعي) [١] بعشرة دنانير وأعطاه قلوصاً (ناقة) وقال له: امضِ إلى قريش وأخبرهم: أن محمداً والصُبَاة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فأدركوا العير. وأوصاه: إذا وصل إلى مكة أن يخرم أنف ناقته، ويقطع أذنها حتى يسيل الدم، ويشقَّ ثوبه من قُبُل ودُبُر، فإذا دخل مكة ولى وجهه إلى ذنب البعير وصاح بأعلى صوته: يا آل غالب، اللَّطيمة، اللَّطيمة، العير، العير، أدركوا، أدركوا، وما أراكم تدركون، فان محمداً والصُباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم!. (وهذه كانت تدل عند العرب على عظيم النازلة وفداحتها)..

فخرج ضمضم مسرعاً إلى مكة، ووافاها وهو ينادي في الوادي: يا آل غالب، يا آل غالب؛ اللطيمة، اللطيمة.. العير، العير.. أدركوا، أدركوا، وما أراكم تدركون، فان محمداً والصُّباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم التي فيها خزائنكم!.

فتصايح الناس بمكة وتهيئوا للخروج.. وقام سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وأبو البختري بن هشام، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، ونوفل بن خويلد، فقالوا: يا معشر قريش، والله ما أصابكم، مصيبة أعظم من هذه: أن يطمع محمد والصباة من أهل يثرب أن يتعرضوا لعيركم التي فيها خزائنكم! فوالله ما قرشي ولا قرشية إلا ولها في هذه العير شيء فصاعداً، وأنه الذل والصغار أن يطمع محمد في أموالكم ويفرق بينكم وبين مَتجركم، فاخرجوا.. وأخرج صفوان بن أمية خمسمئة دينار وجهز بها.. وأخرج سهيل بن عمرو خمسمئة، وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرجوا مالاً وحملوا وقووا، وخرجوا على الصَّعب والذَّلول، ما يملكون أنفسهم.. وأخرجوا معهم القينات (المغنيات) يضربن بالدفوف وهم يشربون الخمور (تأمل بهذا المخرج الوبيل أرجوك).

---

(١) الواقدي ١ : ٢٨

خروج رسول الله ﷺ:

وخرج رسول الله ﷺ في الثاني عشر من شهر رمضان من المدينة، في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً (وقيادته المباركة) وكان في عسكره فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن عمرو، وكان لهم سبعون جملاً (وقيل ثمانون) [١] يتعاقبون عليها، فكان رسول الله ﷺ والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد الغَنوي يتعاقبون على جمل مرثد.. (٣)

حتى انتهى إلى بيوت السُّقيا بالبقع من نقب بني دينار، وبيوت السقيا متصلة بالمدينة وكانت تسمى البقع فسماها النبي بيوت السُّقيا، ونزل بعسكره هناك واستعرض قواته فاستصغر سن ثمانية من الفتيان فردَّهم إلى أهليهم في المدينة، (وقد بني في ذلك الموضع مسجد يسمى باسم (مسجد السُّقيا)، وهو اليوم في جنوبي المحطة القديمة لسكك الحديد العثمانية، على بعد كيلو مترين من المسجد النبوي الشريف)، وهذا هو حّدُّ الترخيص للإفطار يومئذ لأن النبي ﷺ كان أول من شرب وأفطر ذلك اليوم (أي نهار اليوم الأول من سفره في شهر رمضان بعد فرض الصيام فيه، وهناك قال لمن أتمَّ الصيام: فنادى مناديه: **يا معشر العصاة إني مفطر فأفطروا!** وذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذلك: أفطروا، فلم يفعلوا..[٢]

هذا ما ذكره الواقدي في إفطار الصوم، ولا نجد فيه ولا في غيره عن قصر الصلاة شيئاً، وأمرهم أن يستقوا من الماء بما يكفيهم، واستعمل قائداًعلى المشاة: قيس بن عمرو بن زيد بن عوف (من الأنصار) وأمره حين فصل من بيوت السقيا أن يقف لهم ببئر أبي عتبة فيعدَّهم، فوقف وعدهم وأخبره بذلك..

ورحل من بيوت السقيا وعينه الشريفة ترقب المدينة فدعا لأهلها بالخير (وسماها

---

(١) إعلام الورى: ١: ١٦٨

(٢) مغازي الواقدي ١: ٤٧، ٤٨، وانظر الكافي ٤: ١٢٧، والفقيه ١: ٤٣٥، والتهذيب: ٤١٣

المدينة (وطيبة بدلاً من يثرب) فقال: " **اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة، واني محمد عبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة: أن تبارك لهم في مُدهم، وصاعهم، وثمارهم، اللهم حبِّب إلينا المدينة، واجعل ما بها من الوباء بخم.. اللهم إني قد حرمت لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة** "..[١]

ثم سلك طريق المكيمن من بطن العقيق حتى خرج على بطحاء ابن أزهر وأصبح ببطن ملل وتربان بين الحفيرة وملل.

فلما كان على ليلة من بدر (وبدر بئر منسوبة إلى رجل من غفار يقال له بدر..[٢] وقيل: أن بدر رجل من جهينة، والماء ماؤه فسمي به..[٣] وقال الواقدي: كان بدر موسماً من مواسم الجاهلية وأسواقها..[٤] بعث بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء، يتجسسان خبر العير.

فأتيا ماء بدر، وأناخا راحلتيهما، وسمعا جاريتين قد تشبثت إحداهما بالأخرى تطالبها بدرهم كان لها عليها، فقالت الأخرى: عير قريش نزلت أمس في الروحاء على ميلين من عرق الظبية[٥]، وهي تنزل غداً هاهنا وأنا أعمل لهم وأقضيك.. فرجع (الرجلان) إلى رسول الله فأخبراه بما سمعا من الجارية.

وأقبل أبو سفيان بالعير، فلما شارف بدراً تقدم العير وأقبل وحده حتى انتهى إلى ماء بدر، وكان بها رجل من جهينة يقال له: كشد الجهني، فقال له: يا كشد، هل لك علم بمحمد وأصحابه؟ قال: لا. قال: واللات والعزى لئن كتمتنا أمر محمد فلا تزال قريش معادية لك آخر الدهر، فإنه ليس أحد من قريش إلا وله في هذه العير شيء فصاعداً، فلا

---

(١) الواقدي، ١ : ٢٢

(٢) إعلام الورى ١ : ١٦٨

(٣) مجمع البيان ٤ : ٨٠٤

(٤) الواقدي ١ : ٤٤

(٥) في الواقدي ١ : ٤٠

تكتمني. فقال (كشد): والله ما لي علم بمحمد، وما بال محمد وأصحابه بالتجار؟!

إلا أني رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا وأناخا راحلتيهما واستعذبا من الماء ورجعا، فلا أدري مَنْ هما.. فجاء أبو سفيان إلى مناخ إبلهما ففت أبعار الإبل بيده فوجد فيها النوى (نوى التمر) فقال: هذه علايف يثرب! هؤلاء عيون محمد! ورجع مسرعاً وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر، وتركوا الطريق ومروا مسرعين.

ونزل جبرائيل على رسول الله ﷺ فأخبره: أن العير قد أفلتت، وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها؛ وأمره بالقتال، وكان قبل ذلك ممنوعاً من القتال للدعوة إلى الله،ووعده النصر.. (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ..) [1].

اختبار الأنصار: وكان نازلاً ماء الصفراء، فأحب أن يبلو الأنصار، وكان ذلك منه ﷺ وإنما كان يريد الأنصار، لأن أكثر الناس منهم، ولأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا، ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا.. فكان يتخوَّف ألا ترى الأنصار عليها نصرته إلا في المدينة..فأراد أن يختبرهم خاصة، فأخبرهم: أن العير قد جازت، وإن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وإن الله قد أمرني بمحاربتهم.. فجزع أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك وخافوا خوفاً شديداً! فقال رسول الله: **أشيروا عليَّ.**

فقام (أبو بكر) فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخُيلاءها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلَّت منذ عزَّت! ولم تخرج (أنتَ) على هيئة الحرب!.

فقال رسول الله له: اجلس.. فجلس. فقال: **أشيروا عليَّ.**

فقام (عمر بن الخطاب) فقال: يا رسول الله، إنها قريش وعزها، والله ما ذَّلت منذ عزَّت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلِّم عزها أبدا، ولتقاتلنَّك فاتهب لذلك أهبته

(١) سورة الحج: الآية ٣٩.

وأعد لذلك عدته..[١]

فقال صلى الله عليه وآله له: اجلس.. وأعرض عنه..[٢]

ثم قام المقداد، فقال: يا رسول الله، إنَّا قد آمنا بك وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا[٣]، وشوك الهراش[٤]، لخضنا معك. ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ**﴾[٥] ولكنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.. فجزاه النبي صلى الله عليه وآله خيراً، فجلس.

ثم قال: **أشيروا عليَّ**.

فقام سعد بن معاذ، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا؟ قال: نعم. قال: فلعلك قد خرجتَ على أمرٍ قد أُمرتَ بغيره؟ قال: نعم. قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمُرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت، والذي أخذتَ منه أحبُّ إليَّ من الذي تركت منه.. والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك.. فجزاه خيراً.

ثم قال سعد: بأبي أنت وأمي والله ما خضت هذا الطريق قط، وما لي به علم، وقد خلفنا بالمدينة قوماً لسنا نحن بأشد جهاداً لك منهم، ولو علموا أنه الحرب لما تخلفوا.. ولكن نعدُّ لك الرواحل ونلقى عدونا، فانا لصبر عند اللقاء، أنجاد في الحروب، وإنا لنرجو أن يقر الله عينك بنا.. فان يك ما تُحب فهو ذلك، وإن يكن غير ذلك قعدت على

---

(١) الواقدي: ١: ٤٨

(٢) صحيح مسلم ٥: ١٧٠ ومسند أحمد ٣: ٢١٩ والبداية والنهاية ٣: ٢٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ٢: ٣٩٤

(٣) شجر عظيم صلب الأخشاب يتقد طويلا

(٤) الهراش: شجر شائك

(٥) المائدة: ٢٤

رواحلك فلحقت بقومنا.

فقال رسول الله ﷺ: **أو يحدث الله غير ذلك، كأني بمصرع فلان ها هنا، وبمصرع فلان ها هنا، وبمصرع أبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ونبيه ومنبه ابني الحجاج، فان الله وعدني إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله الميعاد.**

ثم أمر رسول الله بالرحيل، فرحلوا حتى نزلوا عشاءً على ماء بدر، وهي العدوة الشامية الشمالية.

نزول قريش: وأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانية الجنوبية. وبعثت عبيدها تستعذب الماء فأخذهم أصحاب رسول الله وحبسوهم، لأن رسول الله ﷺ كان قد بعث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر عليه[1].

وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيد قريش. قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير.. فأقبلوا يضربونهم.

وكان رسول الله يصلي فانفتل من صلاته، فقال: إن صدقوكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم؟! عليَّ بهم.. فأتوا بهم.

فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: يا محمد، نحن عبيد قريش. قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم.

قال: كم ينحرون في كل يوم جزورا؟ قالوا: تسعة أو عشرة. فقال: تسعمائة أو ألف. ثم قال: فمَنْ فيهم من بني هاشم؟

قالوا: العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب؛ وروى الكليني الثقة في روضة الكافي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: **لما خرجت قريش إلى بدر وأخرجوا معهم بني عبد المطلب (وفيهم) طالب بن أبي طالب، نزل برتجز**

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٨

ويقول:

يـــا رب إمـــا خرجـــوا بطالـــب في مقنـــب مـــن هـــذه المقانـــب

في مقنـــب المغالـــب المحـــارب فـــاجعلهم المغلـــوب غـــير الغالـــب

واجعلهم المسلوب غير السالب

فردوه[1]..لأن هواه ونفسه مع المسلمين..

فأمر رسول الله بهم فحبسوهم. وبلغ ذلك قريشاً فخافوا خوفاً شديداً، فاقبلوا يتحارسون يخافون البيات (أي الهجوم عليهم ليلاً وهم نائمون).. وطلب رسول الله صلى الله عليه وآله عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فقال لهما: ادخلا في القوم واتياني بأخبارهم.

فمضيا يجولان في عسكرهم لا يرون إلا خائفا ذعرا.. وسمعوا منبه بن الحجاج يقول:

لا يـــترك الجـــوع لنـــا مبيتـــا لا بـــد أن نمـــوت أو نميتـــا

فلما ذكرا لرسول الله ذلك قال صلى الله عليه وآله: **والله كانوا شباعاً ولكنهم من الخوف قالوا هذا، وألقى الله على قلوبهم الرعب**.. ولكن لما بلغ أصحاب رسول الله كثرة قريش ففزعوا فزعاً شديداً وبكوا واستغاثوا..

- الإمام علي عليه السلام يستقي للقوم

جاء في روايات عديدة – كما يقول شيخنا عباس القمي في مفاتيح الجنان– أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه ليلة بدر: مَنْ منكم يمضي في هذه الليلة إلى البئر فيستقي لنا؟

فصمتوا ولم يُقدم منهم أحد على ذلك، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام قربة وانطلق يبغي الماء، وكانت ليلة ظلماء باردة ذات رياح، حتى ورد البئر وكان عميقاً مظلماً..فلم يجد دلواً يستقي به، فنزل في البئر وملأ القربة، ثم ارتقى (حتى خرج من البئر)..

وأخذ في الرجوع فعصفت عليه عاصفة (شديدة)، فجلس على الأرض لشدتها حتى

---

(١) روضة الكافي: ٣٠٧ وفي الطبقات ١ : ١٢١

سكنت؛ فنهض واستأنف المسير، وإذا بعاصفة كالأولى، تعترض طريقه فتجلسه على الأرض، فلما هدأت العاصفة قام يواصل مسيره، وإذا بعاصفة ثالثة، تعصف عليه فجلس على الأرض، فلما زالت عنه قام وسلك طريقه حتى بلغ النبي ﷺ..

فسأله النبي ﷺ فقال: يا أبا الحسن لماذا أبطأت (أي تأخرت عنا)؟

فقال عليه السلام: عصفت عليَّ عواصف ثلاث، زعزعتني، فمكثت لكي تزول..

فقال ﷺ: وهل علمت ما هي تلك العواصف يا علي؟ فقال عليه السلام: لا..

فقال ﷺ: كانت العاصفة الأولى جبرائيل، ومعه ألف من الملائكة، سلَّم عليك وسلَّموا.. والثانية كانت ميكائيل، ومعه ألف ملك، سلَّم عليك وسلَّموا..والثالثة قد كانت إسرافيل، ومعه ألف ملك، سلَّم عليك وسلَّموا..وكلهم قد هبطوا مدداً لنا..[1]

هذا وقد ذكرها في شعره شاعر آل البيت الأطهار عليهم السلام السيد الحميري (رحمه الله) الذي افتخر، يقول:

أقسم بالله وآلائه ... والمرء عما قال مسؤولُ

إن علي بن أبي طالب ... على التقى والبِرِّ مجبولُ

وإنه كان الإمام الذي ... له على الأمة تفضيلُ

يقول بالحق ويعنى به ... ولا تلهيه الأباطيلُ

كان إذا الحرب مرتها القنا ... وأحجمت عنها البهاليلُ[2]

يمشي إلى القرن وفي كفه ... أبيض ماضي الحد مصقولُ

مشي العفرنا بين أشباله ... أبرزه للقنص الغيلُ[3]

---

(١) مفاتيح الجنان: ص٢٦٤

(٢) والقنا: جمع قناة؛ أي الرمح (تاج العروس: ٢٠ / ١٨٢ و ١٠٢)، البهلول: العزيز الجامع لكل خير، والحيي الكريم (لسان العرب: ١١ / ٧٣)

(٣) العفرنى: الأسد الشديد (النهاية: ٣ / ٢٦٢)، الغيل: الأجمة وموضع الأسد (لسان العرب: ١١ / ٥١٢).

ذاك الـــذي ســـلم في ليلـــة عليـــه ميكـــال وجبريـــلُ
ميكـــال في ألـــف وجبريـــل في ألـــف ويتلـــوهم سرافيـــلُ
ليلـــة بـــدر مـــددا أنزلـــوا كـــأنهم طـــير أبابيـــلُ
فســـلموا لمـــا أتـــوا حـــذوه وذاك إعظـــام وتبجيـــلُ[1]

فلما أمسى رسول الله وجنَّه الليل (أعتم وحلك) ألقى الله على أصحابه النُّعاس حتى ناموا فاحتلم بعضهم من الاستغراق بالنوم وهذا يدلُّ على الطمأنينة للنائم، فالخائف لا ينام إلا غراراً.. وأنزل الله عليهم غيثاً من السماء، وكان على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله رذاذ خفيفاً بقدر ما لبَّد الأرض (تحت أقدامهم فكانت تساعدهم في الحرب لأن الأرض المتينة والمتماسكة يمشون عليها بقوة وسهولة بالغة أفضل من الرمل ولا يقاس بالطين طبعاً) وكانت قريش في موضع أنزل الله عليهم مطر السماء سحاً غزيراً حتى ثبتت أقدامهم في الأرض (وطمست في الوحل فكانوا يعانون الأمرَّين في السير فما رأيك بالقتال؟).

- القتال والحرب

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله عبَّأ أصحابه بين يديه وقال لهم: **غُضُّوا أبصاركم، ولا تبدؤوهم بالقتال، ولا يتكلمن أحد**: وكان لواء رسول الله يومئذ أبيض مع مصعب بن عمير، ورايته مع الإمام علي عليه السلام [2].

وصاحب راية الأنصار: سعد بن معاذ ومن ذكر سعد بن عبادة فهو مخطئ.. وذلك لأن سعد بن عبادة لم يحضر يوم بدر، فلما أخذ رسول الله في الجهاد كان يأتي دُور الأنصار يحضَّهم على الخروج، فنُهِش (لدغته أفعى) في بعض تلك الأماكن فمنعه عن الخروج وروي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: أن رسول الله صلى الله عليه وآله غزا إلى بدر بسيف

(١) ديوان السيد الحميري: ٣٢٢ / ١٢٨، بشارة المصطفى: ٥٣، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ - محمد الريشهري - ج ٩ - ص ١٦

(٢) إعلام الورى ١ : ١٦٨

وَهَبَهُ له سعد بن عبادة يقال له: العضب، ودرعه: ذات الفضول..[١]

فقال رسول الله حين فرغ من القتال ببدر: لئن لم يكن يشهدها سعد بن عبادة لقد كان فيها راغباً.. وضرب له بسهمٍ من المغنم..[٢]

وهنا روى ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ عدَّل صفوف أصحابه يوم بدر بسهم كان في يده، فمرَّ بسواد بن غزية من حلفاء بني النجار وهو خارج عن الصف متقدم عليه، فطعنه النبي في بطنه بالسهم، وقال: استو يا سواد.. فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدني! فكشف رسول الله عن بطنه، وقال: استقد.. فاعتنق سواد رسول الله ثم انحنى فقبل بطنه! فقال رسول الله: يا سواد ما حملك على هذا؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك! فدعا له رسول الله بخير وليس قبيل وفاته كما زعم بعضهم..[٣]

فلما نظرت قريش إلى قلَّة أصحاب رسول الله، قال أبو الجهل: ما هم إلا أكلة رأس،ولو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد (يعني أسراً بيُسر وسهولة)..

فقال عتبة بن ربيعة لأبي جهل: أترى لهم مدداً أو كميناً؟ فبعثوا عمر بن وهب الجمحي لينظر ذلك، وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتى طاف حول معسكر رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش، وقال لهم: ما لهم مدد ولا كمين، ولكن نواضح يثرب..[٤]

قد حملت الموت الناقع! أما ترونهم خرساً لا يتكلمون! يتلمَّظون تلمظ الأفاعي! ما لهم ملجأ إلا سيوفهم! وما أراهم يولون حتى يُقتلون! ولا يُقتلون حتى يَقتلون بعددهم! فارتؤوا رأيكم!.

---

(١) الواقدي ١ : ١٠٣

(٢) الواقدي ١ : ١٠١) و مجمع البيان ٢ : ٨٢٨ المناقب ١ : ١٩٠ وفي الطبري ٣ : ٤٣١ بسنده عن ابن عباس. والأغاني ٤ : ١٧٥. وفي الواقدي ١ : ١٠١

(٣) سيرة ابن إسحاق ٢ : ٢٧٨

(٤) النواضح جمع الناضحة وهي الناقة على البئر يجلب عليها الماء

فقال أبو جهل: كذبتَ وجَبنتَ وانتفخ سحرك[١] حين نظرتَ إلى سيوف يثرب!.. وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قريش مَنْ يقول لهم عنه:[٢] **يا معشر قريش، ما أحد من العرب أبغض إليَّ ممن بدأ بكم[٣] خلوني والعرب، فان أكُ صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن أكُ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا.**

فقال عتبة: والله ما أفلح قوم قط ردوا هذا! وأقبل يقول: يا معشر قريش! أطيعوني اليوم واعصوني الدهر وارجعوا إلى مكة، واشربوا الخمور وعانقوا الحور، فان محمداً له إلٌّ وذمة، وهو ابن عمكم؛ فارجعوا ولا تنبذوا رأيي.. وانما تطالبون محمداً بالعير التي أخذها محمد بنخيلة ودم ابن الحضرمي، وهو حليفي وعليَّ عقله (الدية).

فلما سمع أبو جهل ذلك غاظه، وقال في نفسه الخبيثة: إن عتبة أطول الناس لسانا وأبلغهم في الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكونن سيد قريش آخر الدهر.. ثم قال: يا عتبة! نظرت إلى سيوف بني عبد المطلب وجبنت وانتفخ سحرك (صدرك) وتأمر الناس بالرجوع، وقد رأينا ثأرنا بأعيننا!.

فنزل عتبة عن جمله وحمل على أبي جهل وهو على فرسه فعرقب فرسه وأخذ بشعره، وقال: أمثلي يجبن؟! وستعلم قريش اليوم أيُّنا ألأم وأجبن؟ وأينا المُفسد لقومه! لا يمشي إلى الموت عيانا إلا أنا وأنت! ثم أخذ يجره بشعره! فاجتمع الناس يقولون: يا أبا الوليد! الله، الله! لا تفتَّ في أعضاد الناس تنهى عن شيء (القتال) وتكون أول مَنْ يبدؤه.. حتى خلَّصوا أبا جهل من يده. فذهب ولبس درعه، وطلبوا له بيضة تسع رأسه - وكان عظيم الهامة -فلم يجدوا.. فاعتمَّ بعمامتين؛ ثم أخذ سيفه ونظر إلى ابنه الوليد، فقال: قم يا بني.. فقام معه، فنظر إلى أخيه شيبة، فقام معه..وبعد هذا التحدي لأبي الجهل بدأت

---

(١) السحر: الرئة والجوف ومنه سحر الليل أي جوفه، وانتفخ سحرك أي رئتك أو جوفك من الخوف

(٢) قال الواقدي ١ : ٦١ : أرسل النبي صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب إلى قريش

(٣) اي: ليس هناك في العرب من يكون أكثر مبغوضا عندي ممن يبدأ القتال معكم، فانا أبغض أن أبدأ بالقتال معكم إن لم تقاتلوني

المعركة حقيقةً..

- المبارزة الأولى: وكسر شوكة المشركين

لقد كانت معركة بدر امتحاناً حقيقياً لكلا الطرفين المتقابلين (المؤمنون والمشركون) وليس ذلك لإثبات الوجود على الساحة بل لإثبات أحقية الوجود في الحياة، وهي صراع ثقافة جاهلية، وعقائد وثنية، مع أخلاقيات وقيم نورانية، وعقيدة توحيدية ربانية..

فاختبار المسلمين كان اختباراً لإيمانهم بالإسلام، والرسول وقدرتهما الحقيقية على صنع النصر وقيادة الأمة في مستقبلها، فقد كانت أول مواجهة بين الإسلام والشرك والوثنية، وهي أول اختبار لقوة المسلمين الناهضة الفتية، فهل هي ستصمد أمام أعتى وأكبر قوة في الجزيرة العربية وهي القوة المتغطرسة المتجذرة في الزمان والمكان، بما فيها من صناديدها، الذين كانوا ملء العين والسمع؟

ولذا فأول ما خرج صناديد قريش للقتال، حيث تقدم عتبة، وأخوه شيبة، وابنه الوليد. ونادى: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من أبناء عمومتنا من قريش.

فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار من بني عفرا: عوف، وعوذ ومعوذ.. فقال عتبة: مَنْ أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم.. فقالوا: نحن بنو عفرا أنصار الله وأنصار رسول الله.. قالوا: ارجعوا، لسنا إياكم نريد، إنما نريد الأكفاء من قريش! فبعث إليهم رسول الله: أن ارجعوا، فرجعوا ووقفوا موقفهم..

ثم نظر رسول الله ﷺ إلى ابن عمِّه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان له سبعون سنة، فقال له: قم يا عبيدة! فقام بين يديه بالسيف.. ثم نظر إلى عمِّه حمزة بن عبد المطلب، فقال: قم يا عم! ثم نظر إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال له: قم يا علي -وكان أصغرهم- ثم قال لهم: **فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم، قد جاءت قريش بخُيلائها وفخرها تريد أن تطفئ نور الله.**

ثم قال: **يا عبيدة عليك بعتبة..**

وقال لحمزة: **عليك بشيبة..**

وقال لعلي: **عليك بالوليد بن عتبة..**

فبرزوا وساروا حتى انتهوا إلى القوم.. فقال عتبة: مَنْ أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم.. فقال عبيدة: أنا عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.. فقال عتبة: كفوٌ كريم.. فمَنْ هذان؟

قال عبيدة: هما حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب. فقال عتبة: كفوان كريمان.. لعن الله مَنْ أوقفنا وإياكم هذا الموقف (يعني أبا الجهل الذي رفض مشورته بالعودة وتحداه كما تقدم الخبر..) ووقف حمزة بإزاء شيبة، فقال له شيبة: مَنْ أنت؟

قال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.

فقال شيبة: لقد لقيتَ أسد الحلفاء (ونقل عن أبي الزناد قال: لم أسمع كلمة أوهن من قوله: أنا أسد الحلفاء.. ويعني بالحلفاء الأجمة وهي الغابة)[1].

فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة ففلق هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها، وسقطا.. وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيف حتى انثلما وكل واحد يتقي بدرقته، وحمل أمير المؤمنين علي عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه فاخرج السيف من إبطه، فأخذ الوليد يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامة علي عليه السلام.

---

(١) الواقدي ١ : ٦٩ ، وقال ابن أبي الحديد : قد رويت هذه الكلمة على صيغة أخرى : أنا أسد الأحلاف. وقالوا في تفسيرهما : أراد أنا سيد أهل الحلف المطيبين ، وكان الذين حضروه : بني عبد مناف ، وبني أسد بن عبد العزى ، وبني تيم ، وبني زهرة ، وبني الحارث بن فهر. ورد قوم هذا التأويل فقالوا : ان المطيبين لم يكن يقال لهم : الحلفاء ولا الأحلاف ، وانما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الذين وقع التحالف لأجلهم ، وهم : بنو عبد الدار ، وبنو مخزوم ، وبنو سهم ، وبنو جمح ، وبنو عدي بن كعب. وقال قوم في تفسيرهما : انما عنى حلف الفضول.. وهذا التفسير أيضا غير صحيح ، لأن بني عبد شمس لم يكونوا في حلف الفضول ، بل هم : بنو هاشم ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ـ دون بني الحارث بن فهر ـ فقد بان أن ما ذكره الواقدي أصح وأثبت (شرح نهج البلاغة ٣ : ٣٣٤.

ونادى المسلمون: يا علي، أما ترى الكلب قد أبهر (أعجز) عمك؟! وكانا يتصارعا ويحتضن كل واحد منهما الآخر، فحمل علي عليه السلام على شيبة وقال لعمه حمزة: يا عم طأطئ رأسك (أخفضه).. فأدخل حمزة رأسه في صدر شيبة، فضرب علي عليه السلام شيبة على رأس فطيَّر نصفه! ثم جاء إلى عتبة وفيه رمق فأجهز عليه..

ثم حمل هو وحمزة عُبيدة بن الحارث حتى أتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر إليه رسول الله واستعبر فقال عبيدة: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ألستُ شهيداً؟ قال رسول الله: بلى، **أنت أول شهيد من أهل بيتي**.. قال عبيدة: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال، منه.

قال رسول الله: **وأي أعمامي تعني؟**

قال عبيدة: أبا طالب، حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نبزي محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه، حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله: **أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟**

فقال عبيدة: يا رسول الله، أسخطت عليَّ في هذه الحالة؟!

فقال رسول الله: **ما سخطتُ عليكَ**[1].

حامل راية قريش:

وجاء إبليس إلى قريش في صورة سُراقة بن مالك فقال لهم: ادفعوا إليَّ رايتكم.. فدفعوها إليه.. وأقبلت قريش يقدمها إبليس في صورة سُراقة بن مالك معه الراية.. وقال أبو جهل لقريش: عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً (أي اذبحوهم)، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً (أي أسراً) حتى ندخلهم مكة فنعرِّفهم ضلالتهم التي كانوا عليها! ونظر

(١) وفي الإرشاد ١ : ٧٤ فمات بالصفراء (في رجوعهم من بدر) وكذلك في المناقب ١ : ١٨٨

إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لأصحابه: **غضوا أبصاركم، وعضوا على النواجذ، ولا تسلوا سيفاً حتى آذن لكم..**

ثم رفع يده إلى السماء، وقال: **يا رب إن تهلك هذه العصابة لا تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد..** ثم أصابته الغشية ثم سري عنه وهو يسلت (يمسحه بيده الكريمة) العرق عن وجهه، ويقول لهم: **هذا جبرائيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين**، وقيل: بل أيدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة، وكثَّر الله المسلمين في أعين الكفار، وقلل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا..[1]

ونظر إبليس إلى جبرائيل فتراجع ورمى باللواء! فأخذه منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه ثم قال له: ويلك يا سراقة تفتَّ في أعضاد الناس!. فركله إبليس ركلة في صدره، وقال: ﴿**إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللهَ**﴾..[2]

وكذلك فقد روي عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، والسدي وقتادة عن ابن عباس ولعله عن الإمام علي عليه السلام قال: ظهر لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي في جماعة من جنده، وقال لهم: هذه كنانة قد أتتكم نجدة.. فلما رأى الملائكة نكص على عقبيه، فقال الحارث بن هشام: إلى أين يا سراقة؟! فقال: إني أرى ما لا ترون.[3]

وروي عنهما عليهما السلام وعن الكلبي عن السدي عن ابن عباس، ولعله عن علي عليه السلام أيضا قال: أخذ إبليس بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: يا سراقة أين؟ أتخذلنا على هذه الحالة؟! قال له: إني أرى ما لا ترون!

قال الحارث: والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب! فدفع إبليس في صدر الحارث

---

(١) وفي إعلام الورى ١ : ١٦٨ : . وكذلك في المناقب ١ : ١٨٨

(٢) سورة الأنفال : الآية٤٨.

(٣) تفسير العياشي ٢ : ٥٢ و ٦٥ عن زين العابدين والصادق عليهما السلام ونقل الطوسي في التبيان ٥ : ١٣٥ ونقله عن ابن إسحاق في سيرته ٢ : ٢٨ و ٣٢٣

وانطلق وانهزم الناس.. فلما قدموا مكة قالوا: إن سراقة هزم الناس! فبلغ ذلك سراقة، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم! فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان[١].

وأخذ رسول الله كفاً من حصى فرمى به في وجوه قريش، وقال: **شاهت الوجوه!** فبعث الله رياحاً شديدة تضرب في وجوه قريش (قال الشيخ المفيد: وختم الأمر بمناولة النبي ﷺ كفاً من الحصباء فرمى بها في وجوههم، وقال: شاهت الوجوه.. فلم يبقَ منهم أحداً إلا ولَّى الدُّبر منهزما[٢].

وعن ابن عباس قال: ان النبي ﷺ أخذ كفاً من الحصباء فرماها في وجوههم، وقال: شاهت الوجوه.. فقسمها الله على أبصارهم فشغلهم بأنفسهم حتى غلبهم المسلمون وقتلوهم كل مقتل[٣].

وروى آخرون، قالوا: أخذ رسول الله كفاً من تراب ورماه إليهم وقال: شاهت الوجوه.. فلم يبقَ منهم أحداً إلا اشتغل بفرك عينيه[٤].

فكانت الهزيمة النكراء لكفار قريش وشركهم، وخيلائهم، وغرورهم وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس فلم تستغرق المعركة إلا أقل من نصف النهار فقط.. فصلى رسول الله ﷺ الظهر ببدر ثم رحل بعد أن أمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها، وأمر نفراً من أصحابه أن يعينوه، وسار إلى الأثيل حيث صلى العصر بها..[٥]

---

(١) وروى الطوسي خلاصته في أماليه: ١١ كما في بحار الأنوار ١٩ : ٢٧٠ عن جابر. ونقل الطبرسي في مجمع البيان ٤ : ٨٤٤ ونقله ابن شهرآشوب في المناقب ١ : ١٨٨ كما في مجمع البيان. ونقل الخبر عن ابن عباس الواقدي ١ : ٧٠، ٧١

(٢) وفي الارشاد ١ : ٦٩

(٣) الطوسي في التبيان ٥ : ٩٣

(٤) إعلام الورى ١ : ١٦٩، المناقب ١ : ١٨٨، ابن إسحاق في السيرة ٢ : ٢٨٠ و ٣٢٣ والواقدي ١ : ٨١ و: ٩٥، والطبري ٣: ٤٢٤ عن عروة

(٥) الواقدي ١ : ١١٣

وقال رسول الله ﷺ قبل المعركة: **اللهم لا يفلتن فرعون هذه الأمة: أبو جهل بن هشام.**

مقتل أبي جهل: والتقى عمرو بن الجموح بأبي جهل فضرب عمرو أبا جهل بن هشام على فخذيه، وضرب أبو جهل عمرا على يده فأبانها من العضد، فتعلقت بجلدة، فاتكأ عمرو على يده برجله ثم نزا في السماء حتى انقطعت الجلدة ورمى بيده، وانتهى عبد الله بن مسعود إلى أبي جهل وهو يتشحَّط في دمه، فقال له: الحمد لله الذي أخزاك!. فرفع رأسه، فقال: إنما أخزى الله عبد ابن أم عبد الله، لمن الدين (الغلبة والنصر) ويلك؟

قال ابن مسعود: لله ولرسوله، واني قاتلك! ووضع رجله على عنقه.. فقال أبو جهل: لقد ارتقيت مُرتقاً صعباً يا رُوَيعِيَ الغنم! أما انه ليس شيء أشدُّ عليَّ من قتلك إياي في هذا اليوم! ألا تولى قتلي رجل من المطيبين أو الأحلاف!.

فاقتلع ابن مسعود بيضة كانت على رأسه فقتله وأخذ رأسه وجاء به إلى رسول الله، وقال: يا رسول الله البشرى! هذا رأس أبي جهل بن هشام.. فسجد شكراً لله.

أسر العباس وعقيل: وأسر أبو اليسر الأنصاري العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، وجاء بهما إلى رسول الله ﷺ.. فقال له رسول الله: **هل أعانك عليه أحد؟** قال أبو اليسر: نعم، رجل عليه ثياب بيض.. فقال رسول الله: **ذاك من الملائكة..** ثم قال العباس لرسول الله: يا رسول الله، قد كنت أسلمتُ، ولكن القوم استكرهوني..

فقال رسول الله: **إن يكن ما تذكر حقا فان الله يجزيك عليه، فأما ظاهر أمرك فقد كنت علينا..** ثم قال له: **انكم خاصمتم الله فخصمكم.**

ثم قال رسول الله لعقيل: **يا أبا يزيد، قد قتل الله أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ونبيه ومنبه ابني الحجاج، ونوفل بن خويلد، وسهيل بن عمرو، وفلانا وفلانا.**

فقال عقيل: فان كنتَ قد أثخنتَ القوم إذاً لا تُنازع في تهامة، وإلا فاركب أكتافهم!

فتبسم رسول الله من قوله.

وكان القتلى (من المشركين) سبعين؛ قتل منهم الإمام علي عليه السلام عشرين رجلاً، وفي المغازي للواقدي: اثنين وعشرين رجلاً[١]. والحقيقة أكبر وأبهر مما قال القوم..

فقال الشيخ المفيد: كان المقتولون منهم سبعين رجلاً، تولى كافة مَنْ حَضر من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين قتل الشطر منهم، وتولى أمير المؤمنين عليه السلام قتل الشطر الآخر وحده، بمعونة الله له وتأييده وتوفيقه ونصره.. وقد أثبت رواة العامَّة والخاصَّة معاً أسماء الذين تولى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين، على اتفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح.. ثم ذكر من سموه ثم قال: فذلك ستة وثلاثون رجلاً، سوى من اختُلف فيه أو شرك أمير المؤمنين عليه السلام فيه غيره، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر[٢].

وكان الأسرى سبعين -ولم يأسر الإمام علي عليه السلام أحدا -أي لم يكن علي عليه السلام مشمولا لعتاب الله للنبي والمسلمين على الأسر قبل الاثخان في القتل، ولم يطمع وقد أخطأ من قال غير ذلك.

فجمعوهم وقرنوهم بالحبال، وجمعوا الغنائم وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف، وقيل: بل استعمل عليها عبد الله بن كعب بن عمرو المازني.. وكان فيها إبل ومتاع وأنطاع وثياب، وكانت الإبل مئة وخمسين بعيراً وعشرة أفراس، وسلاحاً، وكانت الدروع فيهم كثيرة التقطها المسلمون وكان معهم أُدُم كثير (جلود) حملوه للتجارة فغنمه المسلمون.

نزول سورة الأنفال: ولما انهزم الناس كان أصحاب رسول الله على ثلاث فرق: فصنف كانوا عند خيمة النبي صلى الله عليه وآله، وصنف أغاروا على النهب، وفرقة طلبت العدو

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٥٢

(٢) الارشاد ١ : ٦٩ – ٧٢، إعلام الورى ١ : ١٧٠

وأسروا وغنموا. وكان سعد بن معاذ أقام عند خيمة النبي صلى الله عليه وآله.. فلما جمعوا الغنائم والأسارى خاف سعد أن يقسم رسول الله الغنائم والأسلاب بين مَنْ قاتل ولا يعطي مَنْ تخلَّف على خيمة رسول الله شيئاً، فقال: يا رسول الله، ما منعنا أن نطلب العدو زهادة في الجهاد ولا جبن عن العدو، ولكنا خفنا أن نعدو موضعك فتميل عليك خيل المشركين.. والناس كثير - يا رسول الله - والغنائم قليلة، ومتى يعطى هؤلاء (المقاتلون) لم يبق لأصحابك شيء..

وقال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله، أتعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف؟ فقال النبي: **ثكلتك أمك! وهل تنصرون إلا بضعفائكم؟!**[1]

فاختلفوا فيما بينهم حتى سألوا رسول الله: لمن هذه الغنائم؟ فأنزل الله:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنفالِ قُلِ الأَنفالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]

فرجع الناس وليس لهم في الغنيمة شيء.. ثم أنزل الله بعد ذلك: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ..﴾**[3].

وعن عُبادة بن الصامت، قال: خرجت مع رسول الله وشهدت معه بدراً والتقى الناس وهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم المنهزمين يقتلون منهم، وأحدقت طائفة برسول الله لئلا يصيب العدو منه غِرة، واكبت طائفة على غنيمة العسكر يجمعونها ويحوزونها.. فلما فاء الناس بعضهم إلى بعض وكان الليل قال الذين جمعوا الغنائم: نحن جمعناها وحويناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله:

---

(١) رواه الواقدي بسنده عن عكرمة ١ : ٩٩

(٢) الآية الأولى من سورة الأنفال: ١

(٣) الأنفال: ٤١

لستم بأحق منا نحن أحدقنا برسول الله وخفنا أن يصيب العدو منه غرة. فنزلت: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنفالِ قُلِ الأَنفالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ﴾ فقسمها رسول الله بين المسلمين..[١]

وكان يقول فيما بعد: اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله، فقسَّمه بيننا على السواء.. وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين..[٢]

في منزل أثيل: ورحل رسول الله ﷺ عن بدر بعد أن دفن قتلى المسلمين، ورمى أشلاء المشركين في القليب، وصلى الظهر فيها، وساقوا الأسارى على أقدامهم مقرونين بالحبال إلى الجمال، وعند غروب الشمس نزلوا الأثيل[٣] وقيل في الصفراء[٤] والأثيل من بدر على ستة أميال (اثني عشر كيلو مترا بالاتجاه إلى المدينة).

فنظر رسول الله إلى عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث بن كلدة وهما في قران واحد، وكانا من المستهزئين برسول الله ﷺ والمحرِّضين على القتال في بدر، فقال لعلي عليه السلام: **يا علي، عليَّ بالنضر وعقبة**.. فجاء علي عليه السلام فأخذ بشعر النضر فجره إلى رسول الله.

فقال النضر: يا محمد، أسألك -بالرحم الذي بيني وبينك - إلا أجريتني كرجل من قريش، إن قتلتهم قتلتني، وإن فاديتهم فاديتني، وإن أطلقتهم أطلقتني.

فقال رسول الله: **لا رحِم بيني وبينك، قطع الله الرحم بالإسلام**..ثم التفت إلى علي، وقال: قدِّمه - يا علي - فاضرب عنقه.. فقدمه وضرب عنقه.

---

(١) الدر المنثور ٣: ١٥٩ وعنه في الميزان ٩: ١٦

(٢) مجمع البيان ٤: ٧٩٦، ٧٩٧ ورواها ابن إسحاق في ابن هشام ٢: ٢٩٦ و ٣٢٢

(٣) مغازي الواقدي ١: ١٠٦

(٤) إعلام الورى ١: ١٦٩

ثم قال: قدِّم عقبة فاضرب عنقه.. فقدمه وضرب عنقه[١].

فقام الأنصار، وقالوا: يا رسول الله، قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين، وهم قومك وأساراك، ولكن هبهم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلقهم..[٢]

أو قالوا: يا رسول الله لا تقتلهم وهبهم لنا حتى نفاديهم.

فنزل جبرئيل فقال: إن الله قد أباح لهم أن يأخذوا من هؤلاء الفداء ويطلقوهم، على أن يستشهد منهم (من المسلمين) في عام قابل بقدر مَنْ يأخذون منه الفداء من هؤلاء.. فأخبرهم رسول الله بهذا الشرط.. فقالوا: قد رضينا به، نأخذ العام الفداء من هؤلاء نتقوى به ويُقتل منا في عام قابل بعدد ما نأخذ منهم الفداء وندخل الجنة[٣]. فأطلق لهم أن يأخذوا الفداء ويطلقوهم[٤].

وعن أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير: وهو الذي كان صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث من بني عبد الدار..

تقسيم الغنائم: مر أن تقسيم الغنائم كان بعد اختلافهم فيها ونزول سورة الأنفال قطعا لخلافهم فيها وجوابا لسؤالهم عنها، ويبدو أن ذلك كان بعد بدر وقبل قفولهم من منزل سير.

وهكذا أقبل صلى الله عليه وآله قافلا إلى المدينة واحتمل معهم النفل الذي أصيب من المشركين، حتى خرج من مضيق الصفراء ونزل على كثيب بين المضيق والنازية يقال له سير، فقسَّم هنالك النفل على السواء (بين المسلمين).

ولكن روى الرواة أن يوم بدر: نادى منادي النبي: مَنْ قتل قتيلاً فله سلبه، ومن أسر أسيراً فهو له، فكان من قتل قتيلاً يعطيه سلبه، وما وجد في العسكر وما أخذوه بغير قتال

---

(١) الواقدي ١ : ٣٧

(٢) تفسير القمي ١ : ٢٦٩

(٣) تفسير القمي ١ : ١٢٦

(٤) تفسير القمي ١ : ٢٧٠ وروى مثله الواقدي بسنده عن علي عليه السلام في المغازي ١ : ١٠٧

قسمه بينهم على فواق.. ولذلك قال الواقدي والثابت عندنا: أن كل ما جعله لهم فإنه قد سلمه لهم وما لم يجعل لهم فقد قسمه بينهم.

وقالوا: أخذ الإمام علي عليه السلام درع الوليد بن عتبة ومغفره وبيضته، وأخذ حمزة سلاح عتبة، وأخذ عبيدة بن الحارث درع شيبة، فهي في ورثته.

كان الرجال ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، وكانت السهام ثلاثمئة وسبعة عشر سهماً، أربعة أسهم للمقداد والزبير لخيلهما، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطي للفاس سهمين (للفارس والفرس) وللراجل سهم واحد، فيكون التقسيم الصحيح والله العالم كما يلي: / ٣١٣/ سهم بعدد الرجال، و/ ٢/ سهم للفرسان، وأسهم صلى الله عليه وآله وسلم لاثنين من الأنصار فقط ؛أبو لبابة بن عبد المنذر، الذي خلفه على المدينة، وسعد بن عبادة، وقد مر خبره أنه كان قد نُهش فمنعه ذلك عن الخروج.

وأما مَنْ ذكروه غير هؤلاء من الصحابة فإما أنهم حضروا وأخذوا سهمهم حين التقسيم كطلحة وسعد، أو أنه لم يحضر أصلاً ولم يكن له نصيب كعثمان الذي لم يُوفَّق لحضور أية معركة أو مشهد وله فيها ذكر يُحمد..

وكانت الإبل التي غنموها يومئذ مئة وخمسين بعيراً معها أُدُم كثير حملوه للتجارة، وغنموا من خيولهم عشرة أفراس وسلاحاً كثيراً.. فكانت تصيب الرجل بعير ومتاع وآخر أنطاع وجلود وغير ذلك..

وكان لرسول الله صفي من الغنيمة قبل أن تقسم، فكان جمل أبي جهل له صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يغزو عليه حتى ساقه هدي الحديبية.. وهنا لفتة مهمة أريدك أن تنتبه إليها جيداً فهي مفيدة جداً لك، قال بعضهم: (وتنفَّل رسول الله سيف المنبه بن الحجاج وكان يقال له: ذا الفقار (أي الفقرات بمعنى الحفر)..فهل يعنون سيف ذو الفقار الذي نزل به سيدنا جبرائيل من السماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهداه بدوره إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام ونادى هاتفاً بمديحهما:

لا فتـــــــــى إلا عـــــــــلي ولا ســـــــيف إلا ذو الفقـــــــار

إن كانوا يريدون ذلك فهي رواية ناصبية لإنكار منقبة علوية قلَّ نظيرها في تاريخ هذه الأمة، وإن كانت صحيحة – وشخصياً أشك بصحتها لأن قول جبرائيل يدلُّ على أنه ليس هناك سيفاً بهذا الإسم إلا هذا السيف – فالواجب على الكتاب أن يبينوا ذلك أثناء تدوينهم حتى لا تُنكر الحقيقة، ويُدفن الحق والأحق أن يحيا ويُتَّبع..

بعث البشير بالفتح:

قال الواقدي: وقدَّم رسول الله عبد الله بن رواحة (بشيراً إلى أهل العالية من المدينة، وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة منها)[١].

فقال رجل من المنافقين لأبي لبابة بن عبد المنذر: هذا زيد لا يدري ما يقول من الرُّعب، وقد قُتل محمداً، وقُتل معه علية أصحابه، وقد تفرَّق أصحابكم تفرقاً، لا يجتمعون بعده أبدا، وهذه ناقة محمد نعرفها!

وقال آخر من المنافقين لأسامة بن زيد: قُتل صاحبكم ومَنْ معه!. قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبي (وقال ابن إسحاق: فجئته وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس) فقلت: يا أبه، أحق ما تقول؟ قال: إي والله حقا يا بني[٢].

قال كعب بن الأشرف وهو من (يهود) بني نبهان من طي وأمه من بني النضير، لما بلغه الخبر، قال: أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسميانهم هذان الرجلان: زيد وعبد الله؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس! والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها![٣].

استقبال الرسول: ونقل الطبري عن بعضهم، قال: كان رجوعه صلى الله عليه وآله إلى المدينة يوم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٦ وذكر ابن رواحة في ٣ : ٥٤

(٢) مغازي الواقدي ١ : ١١٥

(٣) سيرة ابن هشام : ٣ : ٥٥

الأربعاء لثماني ليال بقين من شهر رمضان..[١]

فكانت غيبة رسول الله ﷺ إلى أن عاد إلى المدينة تسعة عشر يوماً، ودخلها لثمان بقين من شهر رمضان. أي في الحادي أو الثاني والعشرين من شهر رمضان. وقيل: بل رجع ﷺ لخمسِ ليالٍ بقين من شهر رمضان، والقول الأول أرجح وأصح والله العالم..[٢]

واستقبله الناس بالروحاء يهنئونه بفتح الله عليه..ولما التقى برسول الله وجوه الخزرج يهنئونه بفتح الله، قال سلمة بن سلامة بن وقش: ما الذي تهنئوننا به؟ فوالله ما قتلنا إلا عجائز صلعاً.. فتبسم النبي ﷺ وقال: **يا بن أخي أولئك الملأ، لو رأيتهم لهبتهم ولو أمروك لأطعتهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته، وبئس القوم كانوا لنبيهم!**

فقال سلمة: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، انك يا رسول الله لم تزل عني معرضاً منذ كنا بالروحاء في بدأتنا؟!

فقال رسول الله: **أما ما قلت للأعرابي: وقعت على ناقتك فهي حبلى منك! ففحشت وقلت ما لا علم لك به! وأما ما قلت في القوم، فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله تزهِّدها!**

فاعتذر إلى النبي، فقبل منه رسول الله معذرته[٣].

وروى الواقدي بسنده عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الأشهل، قالوا: لما بلغ مقتل حارثة بن سراقة إلى أمه بالمدينة، وكان مقتله على حوض بدر إذ أتاه سهم غرب (لا يعرف راميه) فوقع في نحره فقتل، قالت أمه: فوالله لا أبكيه حتى يقدم رسول الله فأسأله، فان كان ابني في الجنة لم أبك عليه، وان كان ابني في النار بكيته! فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر جاءت أم حارثة إلى رسول الله، فقالت: يا رسول الله، قد عرفت

(١) تاريخ الطبري: ٢: ٤٨٢ ولعله عنه أخذ المسعودي في التنبيه والاشراف: ٢٠٦

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٧٤

(٣) مغازي الواقدي ١: ١١٦

موضع حارثة من قلبي فأردتُ أن أبكي عليه، فقلت: لا أفعل حتى أسأل رسول الله فان كان في الجنة لم أبك عليه، وان كان في النار بكيته.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: **هبلتِ** (أي جُننت) **أجنة واحدة؟ انها جنان كثيرة! والذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الأعلى!**. فقالت: فلا أبكي عليه أبدا.. فدعا رسول الله بماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ثم ناولته ابنتها فشربت، ثم أمرهما فنضحتا منه في جيوبهما ففعلتا.. فرجعتا من عند النبي صلى الله عليه وآله وما بالمدينة امرأتان أقر عيناً منهما ولا أسر..[١]

الأسرى في المدينة: ولما قدموا بالأسرى لم يبقَ بالمدينة يهودي ولا مشرك ولا منافق الا ذلَّ، وقال كعب بن الأشرف اليهودي: بطن الأرض اليوم خير من ظهرها، هؤلاء أشراف الناس وساداتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن قد أصيبوا (وما رواه الواقدي بسنده عن كعب بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاري قالا: لما رأى ابن الأشرف الأسرى مقرنين كُبِتَ وذلَّ وقال لهم: ويلكم! والله لبطن الأرض خير من ظهرها اليوم! هؤلاء سراة القوم قد قتلوا وأسروا، فما عندكم؟ قالوا: عداوته ما حيينا! قال: وما أنتم وقد وطأ قومه وأصابهم؟! ولكني أخرج إلى قريش فأحضَّهم وأبكي قتلاهم، فلعلهم ينتدبون فأخرج معهم.. فخرج حتى قدم مكة، ووضع رحله عند أبي وداعه بن ضبيرة السهمي (وهو صهر بني أمية وأول أسير افتدي) فجعل يرثي قريشاً..[٢]

وروى ابن إسحاق عن رواته قالوا: خرج حتى قدم مكة.. وجعل ينشد الأشعار ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر، ويحرِّض بذلك على رسول الله..[٣]

وقال آخر منهم: هو الذي نجده منعوتاً (يعني في التوراة)، والله لا ترفع له راية بعد

(١) مغازي الواقدي ١ : ٩٣، ٩٤

(٢) المغازي ١ : ١٨٥

(٣) سيرة ابن اسحاق : ٣ : ٥٥

اليوم إلا ظفرت! وقال عبد الله بن نبتل: ليت أنا كنا خرجنا معه حتى نصيب معه غنيمة! وخرج كعب إلى مكة، ورثى قتلى بدر من المشركين وهجا المسلمين.. فدعا رسول الله حسان بن ثابت الأنصاري فأخذ يهجو من نزل كعب عنده (أبا وداعة السهمي) حتى رجع كعب إلى المدينة[١].

نقد وتحليل لغزوة بدر:

أعمال الإمام علي عليه السلام فيها

معركة بدر بالحقيقة معجزة ربانية،وهي استثناء بكل المقاييس، التاريخية، والاجتماعية، والعسكرية..فهي ليست معركة تأسيس لدولة فقط بل هي معركة تثبيت لمنهج،وترسيخ لدين التوحيد في مكان يفقد أبسط معاني الحضارة، ومجتمع وثني يعبد آلهة بعدد أفراده وزيادة..ولذا فهي لم تُدرس بشكل صحيح ووافي إلى اليوم..

١-فهي تخطيط إلهي بامتياز،وذلك لأن الله تعالى قال لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله عنها: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

وقال ربنا في مكان آخر عن هذه المنَّة العظيمة والنعمة العميمة لله تعالى بهذه المعركة على الأمة الإسلامية: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * مَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٣].

وفي سورة الأنفال التي أطالت الحديث عن النصر الإلهي المؤزر في معركة بدر،

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٢١

(٢) سورة الأنفال : الآية١٧.

(٣) سورة آل عمران : الآية١٢٣ ـ١٢٦.

والتخطيط الحكيم لها: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ*لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ*إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ*وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ*إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ*ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ*ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

فكم تحتاج هذه الآيات الشريفة لدرس وبحث لمعرفة الأسرار الربانية والإشارات الملكوتية التي أحاطت بمعركة بدر،وظروفها وتفاصيلها الدقيقة وربما نوفَّق مستقبلاً إذا شاء السميع العليم لدراستها بالتفصيل الجميل لنقدم دروسها الحضارية لأمتنا الإسلامية المباركة لتعيد تأسيس مستقبلها على هُدى ماضيها التليد.

٢-هي بقيادة رسولية خالصة..فرسول الله صلى الله عليه وآله هو القائد المظفر لهذه المعركة الفاصلة،وبراعة القائد وعظمته تجلت في المعركة كلها،من الجرأة على تحدي قريش والتعرُّض لقوافلها التي تجوب الصحراء ولا أحد يجرؤ على إعتراضها..

إلى الإصرار على المواجهة مع قلَّة العدد وبساطة العُدَّة،وحتى المشاركة الفعلية في أتون المعركة وهو – روحي لتراب قدميه الفداء – شيخ كبير تجاوز الخامسة والخمسين من عمره الشريف..لأنه كان في قلب المعركة والصحابة يلوذون به كما يصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام.. هكذا أرجع بعض الجنرالات أسباب النصر لرسول الله صلى الله عليه وآله في معركة بدر الكبرى إلى عدد من الأسباب التي يرونها وراء ذلك النصر المؤزَّر لجيش الإسلام الأول وأهم تلك الأسباب هي أمران عسكريان ملفتان للنظر هما:

---

(١) سورة الأنفال: الآية٧ ـ ١٤.

أ- بناء مقر قيادة واضح ومعروف (العريش) وهذا العمل أعطى قوة لجيش الإيمان، وضعفاً لجيش الشرك.

ب- تطبيق تكتيك المسير بالأرتال، والقتال بالصفوف، وهذا كان يُستخدم لأول مرة في بلاد العرب الذين كانوا يقاتلون بطريقة الكرِّ والفرِّ.. ومعارك التاريخ وتجارب القادة الكبار تؤكد أن سرَّ انتصار القادة العظماء: هو أنهم طبَّقوا أساليب تكتيكية جديدة في القتال، فيفاجئوا الخصم حتى يبهتوه ولرسول الله ﷺ في كل معركة خاضها أسلوب جديد بالقتال.

والقتال بالصفوف لأول مرة في تاريخ العرب تؤمِّن للجيش الذي يقاتل بها ما يلي:

- قوة الجيش وتماسكه بالجبهة والعمق..
- سهولة القيادة والسيطرة على القوات المقاتلة.
- وجود قوة متأخرة، وهي احتياط دائم بيد القائد يستخدمه عند الضرورة.

ج- وأغفلوا العامل الثالث من المفاجأة يوم بدر وهو وجود مُـمَيَّز للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قتل نصف القتلى من المشركين.

٣-هي شجاعة وبسالة علوية عجيبة في عالم الإنسان.. فأمير المؤمنين كان في غزوة بدر الكبرى شاب وفي ريعان الشباب فتى الفتيان، ولا فتى إلا علي عليه السلام كما قال سيدنا جبرائيل عليه السلام وبعد كل ما تقدَّم من شرح لهذه الغزوة التأسيسية للدولة الإسلامية فإننا نلخِّص المهام الصعبة التي قام بها أمير المؤمنين عليه السلام بتعداد النقاط فقط لأن الشرح قد تقدم..والتحليل يطول،والدروس المفيدة من هذه الغزوة المباركة عظيمة وكثيرة..

١- كان من أصغر المقاتلين سناً، وأعظمهم بلاءً فيها..

٢- كان حامل الراية لجيش الإسلام الظافر..

٣- كان يتعاقب مع رسول الله ﷺ ويشاركه البعير في السفر..

٤- هو الذي استقى لرسول الله ﷺ في تلك الليلة الباردة حيث أحجم عن الأمر

الأصحاب، ونزل ببئر بدر وجاء بالماء للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله.

٥- وهو الذي سلَّم عليه ثلاثة آلاف ملك وفيهم ثلاثة من الكروبيين (جبرائيل، وميكائيل، واسرافيل عليهم السلام بعد أن خرج من البئر..

٦- وهو فتى المبارزة الأولى حيث قتل الوليد وشارك عمه حمزة الخير بقتل الآخرين (شيبة وعتبة)..وهؤلاء القوم كانوا من عليَّة القوم،وسادة العرب وأبطال قريش وهم الذين رثتهم هند الهنود آكلة الكبود زوجة أبا سفيان وأم معاوية،ولقد قالت فيهم:

أبي وعمي وشقيق بكري وأخي الذي كان كضوء البدر

بهم يا علي كسرت ظهري[1]

ولعلك لا تستغرب إذن من تلك العداوة الأموة للإمام علي عليه السلام وتلك الحروب الظالمة الغاشمة التي شنوها عليه من كل حدب وصوب،ولم تنقض إلا وقد تغنى يزيدهم اللعين،ناكثاً بقضيبه بثنايا المولى المظلوم الشهيد أبا عبد الله الحسين عليه السلام، بمحضر أخواته الخفرات وبناته المصونات وهو يقول:

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

٧- وعندما حمي الوطيس قتل نصف القتلى، وبقيَّة الجيش وملائكة الرحمن قتلوا النصف الآخر..وكفى بها مفخرة إلى أبد الدهر لو أنصف أهل الفكر..وهنا نقف لحظات قبل أن نغادر هذه المحطة التأسيسية لدولة الإسلام المباركة،بسيف وبسالة وبطولة أمير المؤمنين علي عليه السلام..

الخسائر:

- المسلمون: خسروا (١٤) شهيداً ولم يؤسَر منهم أحد.....

- المشركون: (٧٠) قتيل و(٧٠) أسير من كبار طغاتهم.

---

(١) المناقب لابن شهراشوب: ١٢١/٢

فقد أثبت العلماء الأعلام أسماء المقتولين من المشركين يوم بدر ومن قتلهم منقولة عن الواقدي فمن بني عبد شمس بن عبد مناف ومواليهم اربعة عشر (وهم بني أمية وعبيدهم)..

١ - حنظلة بن أبي سفيان قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٢ - الحارث بن الحضرمي قتله عمار بن ياسر..

٣ - عمار بن الحضرمي قتله عاصم بن ثابت..

٤ -عمير بن أبي عمير قتله سالم مولى أبي حذيفة..

٥-وابن عُمير المتقدم ذكره وهما موليان لبني أمية..

٦ - عبيدة بن سعيد بن العاص قتله الزبير بن العوام..

٧ - العاص بن سعيد بن العاص قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٨ - عقبة بن أبي معيط قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٩ - عتبة بن ربيعة قتله حمزة بن عبد المطلب..

١٠ - شيبة بن ربيعة اشترك في قتله عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي بن أبي طالب عليه السلام..

١١ - الوليد بن عتبة بن ربيعة قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

١٢ - عامر بن عبد الله حليف لهم من أنمار قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

١٣ - الحارث بن نوفل قتله حبيب بن يساف..

١٤ - طعيمة بن عدي قتله حمزة بن عبد المطلب في رواية الواقدي وعلي بن أبي طالب عليه السلام في رواية محمد بن إسحاق..

وقُتل من بني أسد بن عبد العزى خمسة،وهم:

١٥ - زمعة بن الأسود قتله أبو دجانة وقيل ثابت بن الجذع..

١٦ - الحارث بن زمعة بن الأسود قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

١٧ - عقيل بن الأسود بن المطلب قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

١٨ - أبو البختري العاص بن هشام قتله المجذر بن زياد..

١٩ - نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى قتله علي بن أبي طالب عليه السلام.. وقتل من بني عبد الدار بن قصي اثنان،هما:

٢٠ - النضر بن الحارث بن كلدة قتله علي بن أبي طالب عليه السلام صبرا بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله..

٢١ - زيد بن مليص قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

وقتل من بني تيم بن مرة قوم أبو بكر اثنان هما:

٢٢ - عمير بن عثمان قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٢٣ - عثمان بن مالك قتله صهيب..

وقتل من بني مخزوم وهم قوم خلد بن الوليد ثلاثة وهم:

٢٤ - أبو جهل عمرو بن المغيرة ضربه معاذ ومعوذ وعوف أبناء عفراء ودفف عليه عبد الله بن مسعود..

٢٥ - العاص بن هشام بن المغيرة خال عمر بن الخطاب قتله عمرو بن يزيد التميمي..

٢٦ - حليف لهم قتله علي بن أبي طالب عليه السلام وقيل عمار..

وقتل من بني الوليد بن المغيرة رجل واحد فقط هو:

٢٧ - أبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بني الفاكه بن المغيرة رجل واحد هو:

٢٨ - أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة قتله حمزة بن عبد المطلب وقيل الخباب بن المنذر.. ومن بني أبي أمية بن المغيرة رجل واحد:

٢٩ - مسعود بن أبي أمية قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بني عائذ بن عبد الله

بن عمر بن مخزوم خمسة وهم:

٣٠ - أمية بن عائذ قتله سعد بن الربيع..

٣١ - أبو المنذر بن أبي رفاعة قتله معن بن عدي العجلاني..

٣٢ - عبد الله بن أبي رفاعة قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٣٣ - زهير بن أبي رفاعة قتله أبو أسيد الساعدي..

٣٤ - السائب بن أبي رفاعة قتله عبد الرحمن بن عوف.. ومن بني أبي السائب المخزومي أربعة،وهم:

٣٥ - سائب بن السائب قتله الزبير بن العوام..

٣٦ - الأسود بن عبد الأسد قتله حمزة..

٣٧ - عمارة بن مخزوم قتله حمزة بن عبد المطلب..

٣٨ - حليف لهم عمرو بن شيبان الطائي قتله يزيد بن قيس..

٣٩ - حليف آخر جبار بن سفيان قتله أبو بردة..ومن بني عمران بن مخزوم ثلاثة،وهم:

٤٠ - حاجز بن السائب قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٤١ - اخوه عويمر بن السائب قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٤٢ - عويمر بن عمرو بن عائذ قتله النعمان بن مالك.. ومن بني جُمح بن عمرو بن هصيص ثلاثة،وهم:

٤٣ - أمية بن خلف شرك فيه خبيب بن يساف وبلال..

٤٤ - علي بن أمية بن خلف قتله عمار بن ياسر..

٤٥ - أوس بن المغيرة بن لوذان قتله علي بن أبي طالب عليه السلام.. ومن بني سهم قتل خمسة وهم:

٤٦ - منبه بن الحجاج قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٤٧ - نبيه بن الحجاج قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٤٨ - العاص بن منبه بن الحجاج قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٤٩ - أبو العاص بن قيس قتله علي بن أبي طالب عليه السلام..

٥٠ - العاص بن أبي عوف قتله أبو دجانة..

٥١ - معاوية بن عبد قيس حليف لهم قتله عكاشة بن محصن..

٥٢ - معبد بن وهب حليف لهم من كلب قتله أبو دجانة..

هؤلاء أعيان مَنْ قُتلوا في يوم بدر وكما قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: فجميع من قتل ببدر في رواية الواقدي من المشركين في الحرب وصبرا اثنان وخمسون رجلاً قتل علي منهم مع الذين شرك في قتلهم أربعة وعشرين رجلاً وقد كثرت الرواية أن المقتولين ببدر كانوا سبعين ولكن الذين عُرفوا وحُفظت أسماؤهم مَن ذكرناه..

وأما ما هو مؤكد ومعروف هو أكثر من ذلك،ورواية السبعين شبه متواترة في الأمة،فقد جاء في سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام عن شيخنا المفيد في ارشاده:أن الذين قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام ببدر من المشركين على اتفاق الرواة خمسة وثلاثون رجلا سوى من اختلف فيه أو شرك في قتله وأن بعضهم قال أنه قتل ستة وثلاثين..وقد أثبتت رواة العامة والخاصة معا أسماء الذين تولى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين عل اتفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح..فكان ممن سموه:

١- الوليد بن عتبة (في المبارزة الأولى) وكان شجاعا جريّاً وقحاً فتّاكاً تهابه الرجال..

٢- العاص بن سعيد وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال،وهو الذي حاد عنه عمر بن الخطاب (في المعركة)..

٣- وطُعيمة بن عدي بن نوفل وكان من رؤوس أهل الضلال..

٤- ونوفل بن خويلد وكان من أشد المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وكانت قريش

تقدمه وتعظمه وتطيعه، وهو الذي قرن (ربط) أبا بكر وطلحة،قبل الهجرة بمكة وأوثقهما وعذبهما يوما إلى الليل حتى سئل أمرهما، ولما عرف رسول الله ﷺ حضوره بدراً سأل الله أن يكفيه أمره فقال: اللهم اكفني نوفل بن خويلد..فقتله أمير المؤمنين عليه السلام..

٥- زمعة بن الأسود..

٦- الحارث بن زمعة..

٧- النضر بن الحارث بن عبد الدار..

٨- عمير بن عثمان بن كعب بن تيم عم طلحة بن عبيد..

٩- عثمان (بن عبيد أخا طلحة)..

١٠- مالك (بن عبيد أخا طلحة،ولا تفوتك معركة الجمل هنا فلربما هنا السبب لخروج وعداوة طلحة لأمير المؤمنين عليه السلام وحربه له في معركة الجمل)؟

١١- مسعود بن أبي أمية بن المغيرة..

١٢- وقيس بن الفاكه بن المغيرة..

١٣- وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة..

١٤- أبا قيس بن الوليد بن المغيرة. (وهؤلاء أهل خالد بن الوليد وعمومته وأبناءهم فلا تنس ذلك)..

١٥- حنظلة بن أبي سفيان.. (أخو معاوية)..

١٦- عمرو بن مخزوم..

١٧- أبا منذر بن أبي رفاعة..

١٨- منبه بن الحجاج السهمي..

١٩- العاص بن منبه..

٢٠- علقمة بن كلدة..

٢١- أبا العاص بن قيس بن عدي..

٢٢- معاوية بن المغيرة بي أبي العاص..

٢٣- لوذان بن ربيعة..

٢٤- عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة..

٢٥- مسعود بن أمية بن المغيرة..

٢٦- حاجب بن السائب بن عويمر..

٢٧- أوس بن المغيرة بن لوذان..

٢٨- زيد بن مليص..

٢٩- عاصم بن أبي عوف..

٣٠- سعيد بن وهب حليف بني عامر..

٣١- معاوية بن عامر بن عبد القيس..

٣٢- عبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد..

٣٣- السائب بن مالك..

٣٤- أبا الحكم بن الأخنس..

٣٥- هشام بن أبي أمية بن المغيرة..

فذلك خمسة وثلاثون رجلاً بالاسم سوى من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين عليه السلام فيه غيره..ومن هنا فقد صدق أسيد بن أبي اياس الذي يرثي هؤلاء ويحرض قومه للثأر من المسلمين عامة ومن أمير المؤمنين علي عليه السلام خاصة،بما يقول:

في كل مجمع غاية أخزاكم ... جزعٌ أبرَّ على المذاكي القرَّحِ

لله درَّكم ألمَّا تنكروا قد ... ينكر الحر الكريم ويستحي

هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ... ذبحاً وقتلة قعصة لم تذبح

أعطوه خرجاً واتقوا تضريبه ... فعل الذليل وبيعة لم تربح

أين الكهول وأين كل دعامة ... في المعضلات وأين زين الأبطح

أفنـــاهم قعصـــاً وضربـــاً يفـــتري بالســـيف يعمـــل حـــدَّه لم يصـــفح[1]

فكان دور أمير المؤمنين علي عليه السلام في معركة الإسلام الأولى كبير وأساسي نلخصه بأمرين فقط هما:

أ-مـادي: تمثَّـل بقتـل صـناديد قـريش وأبطـال العرب،فـأزاح ثقلهـم مـن القلـوب والصـدور لأنـه أودعهـم في قلـب القبـور،وأراح الـدنيا مـن شرورهـم،فصـاروا أحاديـث الماضي وعبرة الحاضر..

ب-معنوي: ونفسي فقد طار ذكر هذه المعركة في الآفاق وتغنى بها الشـعراء والكـل يعجب مـن بطولـة فتـى الفتيـان عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام فصـار اسـمه الشريـف لـه وقـع الصاعقة في العرب جميعاً، فكـان يـدبُّ الرعـب في القلـوب المشركـة والقـوة والحـماس بالقلوب المؤمنة..فهو عذاب على المشركين ورحمة للمؤمنين..

(١) الإمام علي عليه السلام للأعرجي: ٣٣٧ عن الأرشاد والمناقب

٢- غزوة أحد

محنة مخالفة أوامر القائد

إن غزوة بدر الكبرى المتقدمة في كل شيء هي بالحقيقة العمل الذي أسس للإسلام المبارك وبنا عليه بنيانه القويم، فكانت عظيمة بكل معاني العظمة تخطيطاً، وتنفيذاً، ونتائج..

وجاءت بعدها معركة أحد لتعطي لبدر معناها، وترشدنا إلى مغزاها، وتدلنا إلى أسرارها العجيبة.. نعم؛ جاءت لتعلم الأمة مضمون الرسالة، ومفهوم الإنتصار في المعارك الحضارية، والمعنى الدقيق جداً للقيادة الحكيمة، والتمييز ما بين مهمة القيادة ووظيفة الأمة..

فمعركة أحد أسست مفهوم قرأته الأمة خطأً في معركة بدر الكبرى، وهو أن النصر المؤزر كان له عوامل ثلاث هي:

١- مدد وتوفيق ووعد إلهي لا ينكر..

٢- حكمة القيادة ودقتها..

٣- وانضباط الأمة وشجاعتها..

هذه العوامل اجتمعت فكان النصر الذي هزَّ الدنيا إلى اليوم وحتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها بإذن الله تعالى..فكيف قرأت الأمة كل ذلك؟ وما هي فكرة الأمة عن تلك المعركة الحاسمة؟ وهل هي صحيحة وحقيقية وكما ينبغي و يجدر أن تنظر إليها؟

ويا للأسف الشديد إن فكرة الأمة عن تلك المعركة تتلخص بأنها من حسنات وفضائل الصحابة، وسيئات وأخطاء القائد.. ولهذا فإنك تكاد لا تقرأ كتابا عن تلك الغزوة إلا وتجد التمجيد للصحابة وتبكيتا للقيادة الرسالية.. فلماذا يا أمة الخير هذا النكران للجميل؟

وإليك بعض الصور المخالفة للعقل السليم والقرآن الحكيم، مما روته كتب القوم

من حشو أبرأ إلى الله تعالى منه إلى يوم الدين، إقرأ واعجب وحكِّم عقلك أيها اللبيب، وضع بين عينيك أن القائد هو رسول الله المطلق ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ..﴾ وليس هو فلان ولا علان مهما كبر هذا وصغر ذاك وهو الذي يوحى إليه من ربك وليس فاروقهم، وهو صاحب الرسالة الموعود بالنصر وليس عتيقهم، وهو القائد الرباني العظيم وقراره هو القرار الحكيم، وليس أقوال هذا الزعيم أو كتابات ذاك اللئيم تؤثر عليه بشيء..

١- قالوا: أن رسول الله ﷺ لم يشترك في المعركة بل بني له عريشاً وجلس فيه يتعبَّد وخصصوا له أشجع الصحابة لحراسته فكان أبو بكر وعمر في الحراسة..

٢- وقالوا: أنه ﷺ كان شاكاً بنفسه أو بربه ووعده له بالنصر فراح يُصلي و يبكي حتى سقط رداءه عن كتفه ولم يهدأ حتى طمأنه أبو بكر الواثق بالرسول والمتيقن بالنصر..

٣- وقالوا: أن النصر أتى لأبي بكر بشهادة الرسول شخصياً..

٤- وقالوا: أن القرآن الكريم وآيات سورة الأنفال المباركة كلها لتؤيد عمر بن الخطاب وتفضح رأي رسول الله ﷺ وتنذره بالعذاب الشديد..

قالوا، وقالوا وعليهم وزر ما قالوا فرية على الله ورسوله لتضييع الأمة عن قيادتها الحكيمة، وتمييع معنى القيادة في الأذهان ليسهل عليهم إغتصاب المنصب فيما بعد لأنهم يفتقدون لمعنى القيادة الربانية الصحيحة، لأن هذا المعنى منحصراً بمن اختارهم الله تعالى وعينهم قادة للأمة وسادة على البرية جميعاً، وربنا سبحانه يقول وهو أصدق القائلين: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ..﴾[1].

فاختار لهم ربهم كما اختار لبني إسرائيل داوود ملكاً، وطالوت قائداً إلا أنهم قالوا كما قال أسلافهم من قبل: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ

(١) سورة القصص: الآية٦٨.

سَعَةً مِنَ الْمَالِ..﴾[١].

نعم ؛غيروا وبدلوا واختاروا حتى قال سيدهم: اختارت قريش فوفقت بما اختارت.. هكذا ظنوا ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً فافهم.

وهنا لا بأس بأن نعرض لمسألة القيادة بشيء من التفصيل نختصره من كتابينا (حروب التأويل.. ومعركة السماء في أرض كربلاء) تتميما للفائدة..

أ- القيادة العسكرية

تعد القيادة فناً صعباً لارتباطها بالطبيعة البشرية على اختلافها، بالمزايا غير المتشابهة لدى (الرؤساء) والمرؤوسين..ولغموض الحالات النفسية التي تستند إليها..فالقيادة الصحيحة تعد من أصعب الأمور، ويتطلب عمل (القائد) الرئيس تفهم المرؤوسين، وهذا لا يتسنى (ويتاح) إلا بالإحتكاك المباشر (معهم) الذي يرافقه انسجام متبادل بين الرئيس والمرؤوسين[٢].

القائد هو الرأس المدير، والمدبِّر الخبير لشؤون جماعته، (ومن كان على رأس الجماعة: هو الدليل، والعلم، والقدوة..)

والقائد هو الرأس لأنه بالنسبة إلى مرؤوسيه بمنزلة الرأس في الجسد..أي العضو الهام الذي تنبت فيه الفكرة، وتنطلق منه الحركة ؛ فهو الذي يفكر ويقرر والمتحلي بالمعرفة فيكون قادراً على إدراك عاقبة فعله بعد تقدير النتائج منه..

والقائد الناجح بالنسبة لمرؤوسيه له ثلاثة مهام أساسية هي:

١-هو ينبوع عطاء، ومصدر نشاط المرؤوسين؛ فهو المحرك والدافع لهم.

٢- هو الرقيب الذي لا يغفل عن مرؤوسيه لحظة من الزمن..

٣- وهو الحسيب أو الحكم في أي مشكلة، بيده المكافأة والعقاب.

---

(١) سورة البقرة: الآية٢٤٧.

(٢) السلم والسلام الإمام الشيرازي (رحمه الله): ٤٦٥

فالقائد بالنسبة لنشاط الجند؛ الملهم، والمشرف، والحسيب..

والقائد ليس هو مَنْ يعرف، ومَنْ يأمر، ومَنْ يعاقب، ومَنْ يكافئ فحسب بل إنه هو المجنُّ، والدرع الواقي، ومَن يحمي جنده في المُلمات، وهذا ما قاله الإمام القائد علي بن أبي طالب عليه السلام واصفاً قيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن أحد أقرب إلى العدو منه)[1].

فالقائد – بالحقيقة – سترٌ وغطاء على المرؤوسين، ولا ريب أن تغطية القائد مرؤوسيه هي التعبير الأكثر واقعية، لأن التغطية من صميم مهام القائد، لأنه لا يغطي مرؤوسيه ليقيهم عواقب الأوامر التي يصدرها إليهم فقط، بل عليه أن يسهر على مصالحهم الشخصية إن استطاع ذلك ليساعدهم في حياتهم اليومية كذلك..

والجندي يلوذ بقائده بشكل فطري وغريزي كالطفل الذي يلوذ بأمه وأبيه لحمايته ومساعدته..ولذا فالقائد يساهم بأفعاله ومواقفه وشجاعته في إعادة الثقة والإطمئنان إلى نفوس الجنود، فيحميهم حتى من أنفسهم..

وبكلمة: إن القائد الأقدم يجب أن يكون قدوة حسنة لمرؤوسيه، لأنه يجسِّد له في شخصيته المَثَل الأعلى لهم..

وبالإضافة لكل ذلك: يجب أن يكون القائد شجاعاً، مقداماً ذا إرادة قوية وثابتة، يتحمل المسؤولية بلا تردد، ملماً بمبادئ الحرب وأصولها، وقادراً على إتخاذ القرار السريع الواضح في الوقت المناسب، وذا خيال خصب ورؤية واضحة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة النصر، ولا تثبط عزيمته مرارة الهزيمة.. كما وعليه أن يكون القائد سابراً لأغوار النفس البشرية، وذا لياقة بدنية عالية تمكنه من مشاركة رجاله في تحمل مشاق القتال وأعبائه..[2]

---

(١) نهج البلاغة: خ ٩

(٢) الرسول العربي وفن الحرب: ٣٣١ بتصرف، اللواء مصطفى طلاس...

فمسألة القائد.. وقيادة الأعمال القتالية.. لها أثرها الواضح والجلي في أيَّة معركة حدثت أو يمكن أن تحدث مستقبلاً.. وللقائد صفات يجب أن يتحلى بها ليكون ناجحاً في عمله وقيادته العسكرية.. هذا وقد حددها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعهده لمالك الأشتر حين ولاَّه مصر بخمسة عشر نقطة أو صفة.. هي:

١ـ الإيمان والنصح لله دائما..

٢ـ عفيفاً طاهر الجيب نقي السَّريرة..

٣ـ حكيماً يبطئ على الغضب ويستريح إلى العذر..

٤ـ شفوقا على عسكره وجنده وخاصة الضعفاء منهم..

٥ـ ينبو عن الأقوياء.. ويمنعهم من الطغيان على الضعفاء..

٦ـ من ذوي الحسب والنسب والبيوتات المشهورة..

٧ـ الشجاعة ورباطة الجأش وثبات الجنان..

٨ـ الكرم.. وهي من أكبر صفات النبل البشري..

٩ـ ذكياً.. سريع البديهة ولا يستأثر بالقرار..

١٠ـ لا يهتم بالإطراء والمديح..

١١ـ أقرب الناس إلى العدو.. وأكثرهم مراجعة وكراً عليه..

١٢ـ عادلاً بين جنده في توزيع المهام والواجيات على الجنود..

١٣ـ يشاور أصحابه.. ويتراجع عند ما يشعر بالخطأ..

١٤ـ قوي وحازم.. إلا أنه لا يغضب.. ويملك غضبه إن غضب..

١٥ـ لا يترد باتخاذ القرار المناسب وتنفيذه بسبب الضعف.. فلا ضعف عنده..

هذه هي صفات القائد الناجح عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلا أن القادة العسكريين في الوقت الحاضر ربما إقتصروها إلى خمسة نقاط أو ستة لا أكثر هي:

١ـ العقيدة..

٢ـ الذكاء والمبادهة والإعتماد على النفس باتخاذ القرار وإمضائه..

٣ـ الإنضباط الصارم والإصرار على تنفيذ المهام القتالية..

٤ـ الإرادة القيادية.. والقدرة التنظيمية للقوات..

٥ـ الإعداد العسكري العالي والثقافة العامة الجيدة..

٦ـ إمكانية تدريب وتربية المقاتلين..

فهذه بشكل عام صفات القائد الناجح قديماً وحديثاً وبنظرة فاحصة يتبين لك – يا أخي الكريم – كم هو الفرق بين هذه المقاييس البشرية، وتلك الرسالية الدينية، بين نظرة الأمير علي عليه السلام لمسألة القائد، ونظرة الآخرين لها.. وتسأل أين كان الإمام علي عليه السلام من هذه الصفات الرائعة التواجد إلا في الأفذاذ فقط؟

وهل كان قائداً ناجحاً بالمعنى الكلّي للكلمة؟

نعم.. كان الإمام علي عليه السلام نِعْمَ القائد لجنده..ونِعم السيد لعبيده، ونعم الأب لأبنائه فقد كانت تتشرَّف به القيادة والآخرين يتشرفون بها..لأنه كانت تتوفر في تلامذته هذه الصفات وهو (روحي له الفداء) أعظم من أن يُوصف بجميع هذه الصفات المذكورة قديماً وحديثاً وأكثر منها أيضاً.. لماذا؟

لأنه عليه السلام جمع محاسن الصفات في هذه الحياة..

ـ فهو الإنسان الكامل المثال والمثالي في الإنسانية..

ـ وهو الوصي والإمام المفترض الطاعة من الله في السماء..

–وهو القائد العسكري الفذ الذي لم تعرف البشرية مثيلاً له بعد أخيه وابن عمه وسيده ومربيه الرسول الأعظم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم..

واعلم – أيها العزيز– أن الله سبحانه بيَّنَ لنا صفات القائد الرسالي في آياته الشريفة وذلك عندما تحدث عن اختيار طالوت ملكاً وقائداً على بني اسرائيل، إقرأ وتدبر بهذه الكلمات النورانية: ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً..

قَالُوْاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ، وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ؟ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ، وَالْجِسْمِ، وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

فمسألة القيادة الربانية ليست مسألة بهذه البساطة والسهولة، ولعلك اكتشفت الفرق بين المقياس البشري لأهلية القيادة، والمقياس الرباني لها..

- **أهلية القيادة بالمقياس البشري هي:**

أ- **نحن أحق:** بالقيادة من غيرنا، وهذه نزعة متأصلة فينا بني البشر فدائماً نحن أفضل وأحق من غيرنا.

ب- **سعة المال:** قاتل الله المال ماذا فعل ببني آدم، وهنا كلمة ذهبية لأمير المؤمنين عليه السلام: **أنا يعسوب الدين والمال يعسوب الظلمة**.. فالمال يفعل الأفعال بالرجال وله سكر أشد من سكر الخمر.

- **أهلية القيادة بالمقياس الرباني هي:**

أ- **الإصطفاء والإختيار الرباني للقائد:** فإذا أراد الله سبحانه لرسالته أن تُبلَّغ فلا بد من اختيار المبلِّغ عنه ولم يترك للبشر أمر ذلك مطلقاً، أعتقد لقصور البشر عن ذلك الاختيار السليم..فقد جاء بخطبة له عليه السلام: **ما لي ولقريش؟ والله قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم..والله ما تنقم منا قريش إلا أن إختارنا الله فأدخلناهم في حيزنا..**

ب- **بسطة في العلم:** أي زيادة وسعة في العلم لأن العلم من أهم الصفات التي يجب أن يتميز بها القائد الناجح..وهل غيره باب مدينة العلم النبوية الربانية؟

قال الله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ

(١) البقرة: ٢٤٧

الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [١] فمن أراد العلم النبوي، والديني فعليه بالباب العالي لمدينة العلم الكونية..وقال ﷺ: **أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا يؤتى البيوت إلا من أبوابها..لأن مَن أتى من غير الباب يُسمى لصاً وسارقاً..**

وقال ﷺ: **أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد بابها فليأت علياً.**

وقال ﷺ: **أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه.**

وقال ﷺ: **أنا دار الحكمة وعلي بابها.**

وقال ﷺ: **أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب.**

ت- **بسطة بالجسم**: أي القوة الجسدية والبناء العضلي والجسدي السليم للقائد، وهل في هذا الوصف شخص في الدنيا كأمير المؤمنين علي عليه السلام ؟

ونِعم ما قال ابن أبي الحديد: وأما القوة الجسدية والأيدي، ففيه عليه السلام يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في المعارف ما صارع أحداً قط إلا صرعه، وهو الذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وقيل أنه اقتلع الإمام علي عليه السلام الباب وجعله جسراً على الخندق وأمسكه بيده حتى عبر عليه المسلمون فلما انصرفوا أخذه بيده ودحاه أذرعاً وكان يغلقه عشرون رجلاً وعجز جماعة من المسلمين عن نقله حتى نقله سبعون رجلاً من أقويائهم وقال علي عليه السلام (**ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن قلعته بقوة ربانية**) ومن روائع ابن أبي الحديد عينيته التي يقول فيها:

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن ... خوض الحمام مدجج ومدرَّع

يا قالع الباب الذي عن هزها ... عجزت أكفُّ أربعون وأربع

أأقول فيك سميدع كلا و لا ... حاشا لمثلك أن يقال سميدع

وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة وكان عظيماً كبيراً جداً فألقاه إلى الأرض، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده عليه السلام بعد عجز الجيش كله عنها

---

(١) البقرة آية: ١٨٩

فانبط الماء من تحتها.[١]

هذه هي صفات القائد الرباني الذي يختاره الله تعالى ليقود الأمة إلى برِّ الأمان في الدنيا وإلى الجنان في الآخرة بإذن الله تعالى..

هكذا ننظر للقيادة الإسلامية بمنظار العقيدة والدين الخالص لا المصالح وفن الممكن الذي تفهمه الدنيا من القيادة السياسية، ونرفض أي نظرة غير هذه لقيادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لأننا لا يمكن أن نجرده من الإمامة بحال من الأحوال..

فالأمة تريده مثالاً لها في الحياة الدنيا فريداً وحيداً لا تلوثه الأيام بالدنيا ومادتها وبهارجها ومباهجها الزائلة الفانية، فهو القدوة لنا والأسوة عبر الأجيال وإذا فقدنا مثاله – لا سمح الله – فإننا عند ذلك سنقرأ الفاتحة على روح هذه الأمة المباركة..

لا سيما وأنه هو الذي علمنا ذلك بقوله عليه السلام : **أعرف ما يصلحكم، ولكن لا أريد اصلاحكم بفساد نفسي**..فأنا أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم..

فأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قائدنا بهذا المنطق الديني السليم، وأي منطق يجنب الإمام علي عليه السلام الدين يظلم نفسه ويظلم الإمام علي عليه السلام شخصياً، ويظلم الأمة بإمامها العظيم..وهذا ما يميز قيادة الإمام علي عليه السلام عن غيره من القيادات الإسلامية كلها..

فمنطقهم كان: إنما الملك عقيم ولو نازعتني (يخاطب هارن الرشيد ولده طبعاً) عليه لأخذت الذي فيه عينيك..

ومنطق الإمام علي عليه السلام : **لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جوراً إلا عليَّ خاصة..وسلامة الدين أحبُّ إلينا**..ونعله البالي خير من الإمرة كلها إلا أن يقيم حقاً أو يدفع باطلاً..ولأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه..ألا وإنه مَن لا ينفعه الحق يضره الباطل.. ولكن لا يدرك الحق إلا بالجهد..

---

(١) مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

أيها الناس: أعينوني على أنفسكم ؛ وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها..[١]

وهنا لابد من كلمة عن قيادة أمير المؤمنين علي عليه السلام للإنصاف والحقيقة ولوجه الحق تعالى، وهي: أننا لا يمكن أن نكون صادقين مع أنفسنا، ومخلصين لعقيدتنا، إلا إذا نظرنا لشخصية علي بن أبي طالب عليه السلام البطل الهاشمي القرشي، مع ما وهبه الله من صفات مميزة جعلته نسيجاً خاصاً، آدمي الشكل إلهي الصفات، بشري البنية رحماني الأخلاق، وهذا يعني لنا أنه كان عليه السلام ديناً بشرياً متجسداً بشخصه الكريم وليس له من الدنيا إلا البُلغة والضرورة لحفظ الحياة إلى حين الأجل.. ومن الصفات الخاصة للأمير عليه السلام الإلهية ما يلي:

١- هو بشر ولكن من صنائع الرب (**نحن صنايع الله**)..

٢- متفرد بشبابه وفتوته (**فلا فتى إلا علي** عليه السلام)..

٣- له حواسٌّ زائدة كالأذن الواعية، والحاسة السادسة..

٤- وله الشجاعة النادرة التي لا مثيل لها في البشر..

٥- وهو عيبة العلم النبوي وباب مدينة العلم الإلهي الواسع..

٦- وله الأخلاق القرآنية بكمالها وجمالها وانسانيتها..

٧- وله آلة الحرب السماوية إذ (**لا سيف إلا ذو الفقار**)..

٨- وله القوة الإلهية التي فعل فيها الأفاعيل كقلع باب خيبر..

٩- وله الوصية الربانية بالرسالة السماوية..

هذه الخصائص القيادية التي تميز بها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جعلته قائداً بشرياً بصبغة دينية خالصة، وتوجيه سماوي جاءه عن طريق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فكان في كل حروبه على بيِّنة من ربه عالماً بالمجريات خبيراً بالنتائج التي تنتهي

(١) النهج خ: ١٣٩

إليها بكل تأكيد.. نعم؛هكذا كان قائد، وأمير، وإمام جبهة الحق.. فعله حق، ولسانه صدق، وقصده ووجهته إلى الحق تعالى في كل شيء في حياته.. فكيف تعامل مع أعدائه ومحاربيه في معاركه أو حروبه هذا ما أجبنا عنه بحروب التأويل؟

وأما قادة جبه البغي فكانوا بشراً فيهم ما في البشر من طمع وجشع وحب للمال والجاه والسلطة، فيحتالون ويغدرون وينكثون في سبيل الوصول إلى أهدافهم بتبرير مصلحي، أو تسويل شيطاني بالتوبة بعد الحوبة، وبالرجوع إلى الله بعد الوصول إلى الهدف المنشود ولكن هيهات أن يوفق لذلك إلا بتوفيق الله لهم بعد صدق النية وسلامة الطوية ورد المظالم لأهلها..

وللأسف كل ذلك لم يوفقوا له فقتل طلحة والزبير شرَّ قتلة وكانوا أضيع الناس دما- كما قال طلحة – وأم المؤمنين زادها عملها بغضا لأمير المؤمنين عليه السلام وماتت على ذلك..وأما معاوية فهو الذي مات على غير الملة الإسلامية وما مات حتى لبس الصليب- كما في الرواية- وأما الخوارج فاسمهم يدلَّ عليهم وكفا ذلك بياناً وسيأتيك التفصيل بإذن الله..

فمسألة القيادة هي أم المسائل في الطاعة والإنقاد لله تعالى لمن تأمل بها وكم هي الروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام بهذا الخصوص، وهي واردة حتى بالأحاديث القدسية الشريفة أن الله تعالى يعذب الطائع له العاصي للرسول أو الولي، ويثيب العاصي له والمطيع لرسوله ووليه.. فما معنى ذلك؟

ألا تعني: أن الله تعالى قد اختار لنا قائداً طهره، وعصمه، وأيَّده ثم أمرنا بطاعته مطلقاً وقال للعباد: أنا لا أقبل طاعة إلا عن طريق هذا الرسول، أو هذا النبي، أو هذا الولي..

ولهذا طرد الشيطان الذي أراد أن يطيع الله كما هو يريد ويشتهي لا كما يأمر الله ويريد، فقال له: **أريد أن أطاع كما أريد لا كما تريد يارجيم**..كما هو مضمون الروايات

الواردة..

ومسألة القيادة تجوهرت في معركة أحد التي خالف فيها بعض أفراد الأمة أوامر الرسول الأعظم ﷺ فكانت النتيجة كارثية على مستوى الأمة، وعلى مستوى الأفراد، وعلى مستوى الرسالة..ونعود بشيء من التفصيل إلى مجريات المعركة ثم نتحدث عن ذلك في النتائج فيما بعد بإذن الله تعالى..

تنظيمات معركة أحد

- **الزمان:** يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال في السنة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة..

- **المكان:** سفح جبل أحد القريب من المدينة المنورة (يبعد ثلاثة أميال فقط عنها)..

- **الأسباب الداعية لها:**

- **أما البعيدة (الإستراتيجية):** فكانت استمراراً لحرب الحق والباطل الأبدية..

- **القريبة (التكتيكية):** الثأر ليوم بدر.. فقد قيل أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قُتل منهم سبعون، وأُسر منهم سبعون وهو عدد كبير جداً سيما وأن القتلى من كُبرائهم، وأهل الشِّدة والبأس المعدودين، فراحوا ينوحون ويندبون قتلاهم بما يقوله الشعراء منهم كعادتهم الجاهلية.. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم ولا تنح عليهم نائحة ولا يبكيهم شاعر، وأظهروا الجلد والعزاء، فإنكم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلكم غيظكم فأكلكم ذلك عن عداوة محمد وأصحابه.. مع أنه إن بلغ محمداً وأصحابه شمتوا بكم فيكون أعظم المصيبتين شماتتهم، ولعلكم تدركون ثأرهم.. والدهن والنساء عليَّ حرام حتى أغزو محمداً.

فمكثت قريش شهراً لا يبكيهم شاعر ولا تنوح عليهم نائحة ومشت نساء قريش إلى

هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، فقلن: ألا تبكين على ابنك، وأبيك، وأخيك، وعمك، وأهل بيتك؟

قالت: أنا أبكيهم فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه ونساء بني الخزرج فيشمتوا بنا؟ لا والله حتى أثأر محمداً وأصحابه، والدهن عليَّ حرام إن دخل رأسي حتى نغزوا محمداً.. والله لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبي لبكيت، ولكن لا يذهبه إلا أن أرى ثأري بعيني من قتلة الأحبة.

فمكثت على حالها، وأما سائر قريش فلم يتمالكوا أكثر من شهر ثم ناحوا شهراً ولم يتمكن أبو سفيان من منعهم وانحصر نهيه في بني عبد شمس فقط، لا سيما بعد ما جاء به كعب بن الأشرف اليهودي الذي خرج إلى مكة بعد معركة بدر فنزل على أبي وداعة بن ضبيرة، وجعل ينظم شعراً في رثاء قتلى بدر من قريش، ومَنْ يلقاه من الصبيان والجواري ينشدهم الأبيات، فأخذها الناس منه، ورثوا بها وأظهروا المراثي وناحت قريش على قتلاها شهراً، ولم تبقَ دار بمكة إلا فيها نوح، وجزَّت النساء شعر رؤوسهن، وكان يؤتى براحلة الرجل منهم أو بفرسه فتوقف بين أظهرهم فينوحون حولها، وخرجن إلى السكك في الأزقة وقطعن الطرق في مكة لينحن.![1]

وهكذا بقيت قريش.. ناحت حتى منعهم نوفل بن معاوية الديلي عندما قربوا من موسم الحج بعد بدر خوفاً من شماتة العرب بهم لأنهم كانوا طغاة سيما مَنْ قُتل منهم..فلما بلغه أن قريشا تبكي على قتلاها فقدم مكة وقال لقريش: يا معشر قريش، لقد خَفَّتْ أحلامكم، وسفه رأيكم، وأطعتم نساءكم! ومِثْلُ قتلاكم يُبكى عليهم؟! هم أجلُّ من البكاء، مع أن ذلك يُذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه ولا ينبغي أن يذهب الغيظ عنكم إلا أن تدركوا ثأركم من عدوكم.

فلما سمع أبو سفيان كلامه، قال: يا أبا معاوية، والله ما ناحت امرأة من بني عبد

(١) الواقدي في الغزوات ١ : ١٢١ ـ ١٢٢

شمس على قتيل لها إلى اليوم، ولا بكاهن شاعر إلا نهيته حتى ندرك ثأرنا من محمد وأصحابه، واني لأنا الموتور الثائر، قتل ابني حنظلة وسادة أهل هذا الوادي..[١]

الأعداد المشاركة (عُدة وعَدد):

- **المسلمون:** كان عددهم ألف رجل، فيهم مئة دارع، وخاض المعركة سبعمائة بعد أن انخذل ابن أبي سلول بثلاثماة من المنافقين.

- **المشركون:** خرجوا من مكة في ثلاثة آلاف.. ألف فارس وألفي راجل، وقيل: وهم ثلاثة آلاف على ثلاثة آلاف بعير وفيهم سبعمئة دارع، وقادوا مئتي فرس..[٢] وكانوا بأحسن العدة للحرب في ذاك العصر..

الألوية والرايات:

- **المسلمون:**

١- راية المهاجرين مع علي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

٢- و راية الأنصار مع سعد بن عبادة، وقعد رسول الله (صلوات الله عليه وآله) في راية الأنصار.

- **الألوية في قريش:** كانت ألوية قريش في بني عبد الدار، مع طلحة بن أبي طلحة وكان يدعى كبش الكتيبة..

الإعداد والمسير للحرب

كان من عادات العرب أن قريشا كانوا إذا قدموا بالعير إلى مكة وأهل العير غائبون أوقفوها في دار الندوة حتى يحضر أهلها فلما قدم أبو سفيان بالعير - التي كانت سبباً لغزوة بدر - دخل مكة المكرمة، وكان الناس غائبون في معركة بدر أوقفها في دار الندوة ولم يفرقها لغيبة أهلها.. فلما رجع مَنْ حضر بدراً من المشركين إلى مكة، وعرف الناس

---

(١) الواقدي ١ : ١٢٤، ١٢٥

(٢) الواقدي ١ : ٢٠٣

ما جرى عليهم من القتل والأسر والخزي مشى أشرافهم إلى أبي سفيان، فقالوا: يا أبا سفيان، انظر هذه العير.. إنها أموال أهل مكة ولطيمة قريش، وهم طيِّبوا الأنفس أن يجهزوا بهذه العير جيشاً إلى محمد، وقد ترى مَنْ قَتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرنا. فاحتبس العير لذلك.

قال أبو سفيان: وقد طابت أنفس قريش بذلك؟ قالوا: نعم.

قال: فانا أول مَنْ أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي، فأنا والله الموتور الثائر، قد قتل ابني حنظلة ببدر وأشراف قومي،وكانت العير ألف بعير،والمال خمسين ألف دينار،وكانوا يربحون للدينار ديناراً.

وقالوا له: يا أبا سفيان، بعْ العير ثم اعزل أرباحها.. فأخرج القوم أرباح العير، وإنما أخذ ممَنْ لا عشيرة له ولا منعة كل ما كان لهم في العير ولعله باعها في الموسم[1].

وخرجت قريش بخُيلائها وتيهها وأنفها الممرغ برمال بدر، حاملة كل حقدها، صابَّة كل غضبها على الله ورسوله ليطفئوا نور الله بأيديهم، وأفواههم كما يظنون..

فخرج الرجال واصطحبوا القيان والمعازف للتسلية عنهم وتشجيعهم في الحرب، ولم ترض الحرات من نساء مكة وزوجات الكبراء والموتورين إلا الخروج مع الجيش لتشجيعه ومؤازرته، فخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد، وخرج صهره عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود الثقفي، وخرج طلحة بن عبد الله (حامل اللواء) بسلافة بنت سعد الأوسي، وخرج أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير العبدري بأمه خُناس بنت مالك..

وأضاف الواقدي: وخرج أبو سفيان بامرأتيه: هند وأميمة الكنانية، وخرج صفوان بن أمية بامرأتيه: برزة والبغوم الكنانية، وخرج الحارث بن سفيان بامرأته رملة بنت

(١) الواقدي ١ : ١٩٩، ٢٠٠

طارق، وخرج كنانة بن علي بامرأته أم حكيم بنت طارق، وخرج النعمان بن مسك الذئب وأخوه جابر بأمهما الدغنية، وخرج سفيان بن عويف (حامل اللواء) بامرأته قتيلة بنت عمرو مع عشرة من ولده منهم ابنه غراب بن سفيان ومعه امرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة (الكنانية) التي رفعت لواء قريش حين سقط حتى تراجعت قريش إلى لوائها و ابن إسحاق نسبها إلى جدها علقمة.[١]

وقال ابن إسحاق: فأقبلوا حتى نزلوا بجبل ببطن السبخة على قناة عينين على شفير الوادي مقابل المدينة، وسمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون أنهم نزلوا حيث نزلوا، فقال للمسلمين: **اني قد رأيت بقراً (لي تُذبح) ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة**.. وزاد ابن هشام: **فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثلم في ذباب سيفي فهو رجل يُقتل من أهل بيتي، وأما الدرع الحصينة فأولتها المدينة.. فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فان أقاموا، أقاموا بشر مقام، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها..**[٢]

وروى الواقدي بسنده عن ابن أبي حكيمة الأسلمي قال: لما أصبح أبو سفيان بالأبواء أخبر: أن عمرو بن سالم الخزاعي وأصحاباً له مروا بهم راجعين إلى مكة.. فقال أبو سفيان: أحلف بالله أنهم قد ذهبوا إلى محمد فأخبروه بمسيرنا وعددنا، فهم الآن يلزمون صياصيهم، فما أرانا نصيب منهم شيئاً في وجهنا.!

فقال صفوان بن أمية: إن أصحروا لنا فعددنا أكثر من عددهم، وسلاحنا أكثر من سلاحهم ولنا خيل ولا خيل لهم، ونقاتل على وتر ولا وتر لهم.. وإن لم يصحروا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه فتركناهم ولا أموال لهم ولا يجبرونها أبدا.!

ولكنه نقل قبل ذلك: أنهم لما أجمعوا المسير كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً

---

(١) الواقدي ١ : ٢٠٢، ٢٠٣

(٢) ابن إسحاق ٣ : ٦٧

إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره فيه: أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك فما كنتَ صانعاً إذا حلوا بك فاصنعه، وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة آلاف ومعهم ثلاثة آلاف بعير وقادوا مئتي فرس وفيهم سبعمئة دارع.. وختمه واستأجر رجلاً من بني غفار وشرط عليه أن يسير إلى رسول الله ثلاثاً..

فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ووجده بقباء، فخرج حتى وجده على باب مسجد قباء يركب حماره فدفع إليه الكتاب..

وفي علل الشرائع خبر عن البزنطي عن بعض أصحابه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **كان مما مَنَّ الله عز وجل به على رسوله صلى الله عليه وآله: أنه كان يقرأ ولا يكتب، فلما توجه أبو سفيان إلى أحد كتب العباس إلى النبي فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة، فقرأه ولم يُخبر أصحابه، وأمرهم أن يدخلوا المدينة، فلما دخلوا المدينة أخبرهم..**[1]

مؤتمر الشورى في يوم الجمعة

وقال الواقدي: ورأى رسول الله أن لا يخرج من المدينة، وكان يحب أن يوافق على مثل ما رأى وعبَّرَ عليه الرؤيا، وقال: **أشيروا عَليَّ**.. فقام عبد الله بن أُبي، فقال: يا رسول الله، كُنا نقاتل في الجاهلية فيها ونجعل النساء والذراري في هذه الصياصي ونجعل معهم الحجارة، وترمي المرأة والصبي من فوق الصياصي والآطام، ونقاتل بأسيافنا في السكك.. يا رسول الله، إنَّ مدينتنا عذراء، ما فُضَّت علينا قط، وما خرجنا إلى عدو قط الا أصاب منا، وما دخل علينا قط إلا أصبناه..فدعهم يا رسول الله، فإنهم إن أقاموا أقاموا بشرٍّ محَبس، وان رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين لم ينالوا خيرا.

يا رسول الله، أطعني في هذا الأمر واعلم أني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم، فهم كانوا أهل الحرب والتجربة.. وكان ذلك (الرأي)،رأي أكابر أصحاب

---

(١) علل الشرائع: ٥٣ كما في بحار الأنوار ٢٠: ١١١

رسول الله من المهاجرين والأنصار..[١]

وقال رجال من أهل السن وأهل النية منهم سعد بن عبادة: إنا نخشى - يا رسول الله - أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا، وقد كنتَ يوم بدر في ثلاثمئة رجل فظفَّرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير، قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا.

وقال مالك بن سنان الخدري أبو (أبي سعيد): يا رسول الله، نحن والله بين إحدى الحسنيين: إما أن يظفرنا الله بهم فهذا الذي نريد، فيذلهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر فلا يبقى منهم الا الشَّريد، والأخرى - يا رسول الله -: يرزقنا الله الشهادة، والله - يا رسول الله - ما أبالي أيهما كان، فان كلاً لَفيه الخير.

هذا ورسول الله لما يرى من إلحاحهم كاره، ولكنه سكت ولم يرد عليهم قولاً.. فقال حمزة بن عبد المطلب: والذي أنزل عليك الكتاب، لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة.. وكان صائماً.

وقال النعمان بن مالك: يا رسول الله، أنا أشهد أن البقر المذبح قتلى من أصحابك وأني منهم، فلِمَ تحرمنا الجنة؟ فوالذي لا إله الا هو لأدخلنها.

قال رسول الله: بِمَ؟ قال: اني أحب الله ورسوله، ولا أفر يوم الزحف..قال ﷺ: صدقت.

وقال إياس بن أوس: يا رسول الله، نحن بنو عبد الأشهل من البقر المذبح، نرجو أن نذبح في القوم ويذبح فينا فنصير إلى الجنة ويصيرون إلى النار، مع أني - يا رسول الله - لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها،فيقولون: حصرنا محمداً في صياصي يثرب وآطامها، فيكون هذا جرأة لقريش، وقد وطأوا سعفنا، فإذا لم نذبَّ عن عرضنا لم نزرع، وقد كنا - يا رسول الله - في جاهليتنا والعرب يأتوننا ولا يطمعون بهذا منا حتى نخرج إليهم

(١) الواقدي ١: ٢٠٩، ٢١٠

بأسيافنا حتى نذبهم عنا، فنحن اليوم أحق - إذ أيَّدنا الله بك وعرفنا مصيرنا - أن لا نحصر أنفسنا في بيوتنا.

وقال أنس بن قتادة: يا رسول الله، هي إحدى الحسنيين: إما الشهادة، واما الغنيمة والظفر في قتلهم.

فقال رسول الله: **اني أخاف عليكم الهزيمة!**.

فقام أبو (سعد) خيثمة (وهو من شهداء بدر) قال: يا رسول الله، إن قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ومن تبعها من أحابيشها، ثم جاؤونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا، فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا ثم يرجعون وافرين لم يكلموا؟! فيجرؤهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا ويصيبوا أطرافنا، ويضعوا العيون والأرصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترئ علينا العرب من حولنا حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم فنذبهم عن جوارنا، وعسى الله أن يظفرنا بهم فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الأخرى فهي الشهادة، لقد أخطأتني وقعة بدر وقد كنتُ عليها حريصاً، لقد بلغ من حرصي أن ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرُزق الشهادة، وقد كنت حريصاً على الشهادة.. وقد رأيتُ ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، وهو يقول: إلحَقْ بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقاً! وقد - والله يا رسول الله - أصبحتُ مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، وقد كبِرت سِني ودقَّ عظمي وأحببت لقاء ربي، فادع الله - يا رسول الله - أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة.. فدعا له رسول الله بذلك..[1]

وقال ابن إسحاق: وكان ذلك يوم الجمعة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار، يقال له: مالك بن عمرو من بني النجار، فصلى عليه رسول الله، ثم دخل بيته فلبس لأمته ثم خرج عليهم.. وندم الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله ولم يكن لنا ذلك..

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ٢١٠ - ٢١٣، تفسير القمي ١ : ١١١

فلما خرج عليهم رسول الله، قالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك، فان شئت فاقعد.

فقال رسول الله: **ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل..**[1].

بينما قال الواقدي: فلما أبوا الا الخروج، صلى رسول الله الجمعة بالناس، ثم وعظ الناس (أي بخطبة بعد الصلاة؟!) وأمرهم بالجدِّ والجهاد وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا.

وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم فأعلمهم بذلك بالشخوص إلى عدوهم، ففرح الناس بذلك، وكرهه كثير من أصحابه.. وحشد الناس وحضر أهل العوالي وصعدت النساء على الآطام، وحضر بنو عمرو بن عوف وحلفاؤهم والنبيت وحلفاؤهم وقد لبسوا السلاح لصلاة العصر فصلى بهم رسول الله.. ثم دخل بيته.. واصطف له الناس ما بين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه.

فجاءهم أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، فقالا: قلتم لرسول الله ما قلتم واستكرهتموه على الخروج،والأمر ينزل عليه من السماء، فردوا الأمر إليه فما أمركم به فافعلوه وما رأيتم له فيه هوى أو رأي فأطيعوه..وكان بعضهم كارها للخروج، فقالوا: القول ما قال سعد، ما كان لنا أن نلحَّ على رسول الله أمراً يهوى خلافه، وبعضهم مصرٌّ على الشخوص، إذ خرج رسول الله قد لبس لأمته ودرعين ظاهر بينهما (أي جعل ظهر أحدهما لوجه الآخر) وتحزَّم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدم، واعتم وتقلد سيفاً.

فقالوا: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك.

فقال: **قد دعوتكم إلى هذا فأبيتم ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه.. انظروا ما آمركم به فاتبعوه، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما**

---

(١) ابن إسحاق ٣: ٦٨ إعلام الورى ١: ١٧٦ وقصص الأنبياء: ٣٤٠ ومناقب آل أبي طالب ١: ١٩١

صبرتم[١].

وسلك رسول الله صلى الله عليه وآله على البدائع ثم زقاق الحسى (ببطن الرمة) ثم توجه إلى أطمى الشيخين، حتى انتهى إلى رأس الثنية، فالتفت فنظر إلى كتيبة خشناء خلفه لها صوت مرتفع، فقال صلى الله عليه وآله: ما هذه؟ قالوا: هؤلاء حلفاء ابن أبي من اليهود!

فقال: **لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك!** ومضى حتى أتى على أطمى الشيخين فعسكر به.. وأقبل ابن أبي فنزل ناحية من العسكر، فجعل مَنْ معه من المنافقين وحلفاؤه اليهود، يقولون له: أشرت عليه بالرأي ونصحته فأبى أن يقبله وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه! فرأوا فيه غشاً ونفاقاً.

وغابت الشمس فأذَّن بلال المغرب، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه ثم أذَّن بالعشاء فصلى بهم.. وبات بالشيخين.. ونام حتى أدلج (دخل عتمة الليل المظلمة)، فلما كان وقت السحر قال النبي: **هل من رجل يدلنا فيخرجنا على القوم من كثب..**

فسلك به في بني حارثة ثم مر بحائط المنافق مربع بن قيظي ومضى رسول الله.. حتى انتهوا إلى موضع ابن عامر.. فلما انتهى إلى موضع القنطرة اليوم من أحد حانت صلاة الفجر، فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى بأصحابه الصبح صفوفاً.

وانخذل ابن أبي من ذلك المكان في كتيبته يقدمهم كأنه ذكر النعام.. فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر،فقال: أذكركم الله ودينكم، ونبيكم، وما شرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم.. فقال ابن أبي: لئن أطعتني - يا أبا جابر - لترجعن، فان أهل الرأي والحِجى قد رجعوا، ونحن ناصروه في مدينتنا، وقد أشرتُ عليه بالرأي فأبى الا طواعية الغلمان.. وما أرى أن يكون بينهم قتال.. فلما أبى على عبد الله أن يرجع قال لهم أبو جابر: أبعدكم الله، إن الله سيغني النبي والمؤمنين عن نصركم..

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ٢١٣، ٢١٤

وانصرف عبد الله بن عمرو يعدو حتى لحق برسول الله وهو يسوِّي الصفوف..[١]

وقال ابن إسحاق: نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل..[٢]

وقال الواقدي: يقال: استدبر النبي الشمس وجعل عينين خلف ظهره، فواجه المشركون الشمس وهذا تكتيكياً وعسكرياً رأي صائب وحكيم تماماً، ولكن الثابت لدينا: أنه جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة، فاستقبل المشركون أحداً واستدبروا المدينة[٣].

وقال الواقدي: ثم دعا رسول الله بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية: للأوس، والخزرج، والمهاجرين، فدفع:

-لواء الأوس إلى أسيد بن حضير..

-ودفع لواء الخزرج إلى سعد بن عبادة أو الحباب بن المنذر بن الجموح..

-ودفع لواء المهاجرين إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما رأى صلى الله عليه وآله حملة لواء الشرك من بني عبد الدار أعطى اللواء مؤقتاً لمصعب بن عمير لأنه من بني عبد الدار كذلك، ولما استشهد عاد اللواء إلى صاحبه.. وأما ما قاله شيخنا المفيد في الإرشاد: وكانت راية رسول الله فيها بيد أمير المؤمنين عليه السلام كما كانت بيده يوم بدر، فصار إليه اللواء يومئذ دون غيره، فكان هو صاحب الراية واللواء جميعاً..[٤]

فهو بعيد عن المنطق إذ كيف لمقاتل أن يحمل راية ولواء ويكر على ثلاثة آلاف يقاتلهم،دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

ثم دعا النبي بفرسه فركبه، وأخذ بيده قناة زج رمحها من شبة (من النحاس الأصفر)

---

(١) الواقدي ١ : ٢١٧ ـ ٢١٩

(٢) ابن إسحاق ٣: ٦٩

(٣) الواقدي: ١ : ٢١٩، ٢٢٠ (الأمر يحتاج إلى دراسة خريطة المعركة ووقتها قبل الزوال أم بعده).

(٤) الإرشاد ١ : ٧٨

وأخذ قوساً.. وفي المسلمين مئة دارع..[١] وراح يسوّي الصفوف..

خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله

قال الواقدي: وجعل رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلم - يمشي على رجليه يسوِّي تلك الصفوف، (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٢].

يقول: تقدم يا فلان، وتأخَّر يا فلان، حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخره.. ثم قام رسول الله فخطب الناس، فقال: **(يا أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته،والتناهي عن محارمه..ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطَّن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط، فان جهاد العدو شديد كربه، قليل مَنْ يصبر عليه إلا من عزم الله رشده، فان الله مع مَنْ أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه.**

فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به، فاني حريص على رشدكم، فان الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف مما لا يحبه الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر.

يا أيها الناس قذف في صدري: أن من كان على حرام فرق الله بينه وبينه، ومن رغب عنه غفر الله ذنبه.. وإنه نفث في روعي الروح الأمين: أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم، فإنه لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته، وقد بيَّن لكم الحلال والحرام، غير أن بينهما شبهاً من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا مَن عَصم، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومَن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى

---

(١) الواقدي ١ : ٢١٥ و ٢٢٥

(٢) آل عمران: ١٢١

أوشك أن يقع فيه، وليس ملك إلا وله حمى، ألا وإن حمى الله محارمه.

والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعى له سائر الجسد، ومن أحسن من مسلم (أو كافر) وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صبياً، أو امرأةً، أو مريضاً، أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه، والله غني حميد.

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه.. ومن صلى عليَّ (مرة) صلى الله عليه وملائكته عشراً.. والسلام عليكم.

وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال.. وجعل رسول الله يصف أصحابه: وجعل الرماة خمسين رجلاً على جبل عينين، وعليهم عبد الله بن جُبير من بني عمرو بن عوف، وهو في ثياب بيض، وقال له ﷺ محُذِّراً: انضح (ادفع) الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فأثبت مكانك لا نؤتين من قِبَلك.. وتوجه رسول الله إلى الرماة، فقال لهم: احموا لنا ظهورنا فانا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه، وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وان رأيتمونا نُقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوا خيلهم بالنبل، فان الخيل لا تُقدم على النبل.. اللهم إني أشهدك عليهم..![1]

وجلس رسول الله تحت راية الأنصار (وهي بيد سعد) وأرسل رسول الله إلى الإمام علي عليه السلام أن: قدِّم الراية.. فتقدم علي عليه السلام وهو يقول: أنا أبو القضم..[2]

وقال ابن إسحاق: وأقبل المشركون قد صفوا صفوفهم:

-على الميمنة خالد بن الوليد.

---

(١) الواقدي ١ : ٢٢٤

(٢) ابن اسحق ٣ : ٧٨) (الواقدي ١ : ٢١٩

-وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل..

-وعلى الخيل صفوان بن أمية..

-ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة.. وصاح أبو سفيان: يا بني عبد الدار، نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا، وانما اتينا يوم بدر من اللواء، وانما يؤتى القوم من قبل لوائهم، فالزموا لواءكم وحافظوا عليه، أو خلوا بيننا وبينه فانا قوم موتورون مستميتون نطلب ثأراً حديث العهد، وإذا زالت الألوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها؟! فغضب بنو عبد الدار. وقالوا: نحن نسلم لواءنا؟! لا كان هذا أبدا! فأما المحافظة عليه فسترى! وأغلظوا لأبي سفيان بعض الإغلاظ، وأحدقوا باللواء واسندوا إليه الرماح.. فقال أبو سفيان، فنجعل لواء آخر؟ قالوا: ولا يحمله إلا رجل من بني عبد الدار، لا كان غير ذلك أبدا..[1]

الحرب والقتال

صُفَّت الصفوف ثلاثة آلاف من أهل الشرك يقابلهم سبعمائة من أهل الإيمان، أهل الشرك يقودهم أبو سفيان وربهم هبل، وأهل الإيمان يقودهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وربهم الله..

فدقت الطبول وعزفت قيان قريش ونسؤها وغنت هند الهنود لهم تحرِّضهم على الله ورسوله ليأخذوا لها ثأرها منهم، لأن قريش خرجت بهن كما تقدم من قبل.. نعم ؛تقدم نساء المشركين أمام صفوفهم قبل اللقاء يضربن بالدفوف والطبول الكبار، ثم رجعن فكن في أواخر الصفوف خلف الرجال وبين أكتافهم يذكرن من أصيب ببدر ويحرضن بذلك الرجال ويضربن بالدفوف ويقلن:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق

ان تقبلوا نعانق! ... أو تدبروا نفارق

---

(١) الواقدي: ١: ٢٢١

فراق غير وامق

وكانوا جيشاً عرمرماً من المشركين يقاتلون للثأر لقتلاهم في بدر ولخمد نيران حقدهم على الدين الجديد ورسوله البار الأمين، فكانوا عمياً لا يبصرون من شدة الحقد والغضب مع ما ملأ قلوبهم الله به من الخوف حتى وصلوا الرعب من هؤلاء الفقراء الذين وقفوا أمامهم يتحدون غطرستهم وشركهم البغيض، فكان همُّ أحدهم النجاة بنفسه للوصول إلى عرسه أو قينته ليعانقها..

أما جيش الإيمان فكان همهم رضا الله تعالى ونشر رسالته المباركة في كل المعمورة وأمله بالجنة ومعانقة الحور العين فيها ولا يقبل عنها غيرها من النعم.. وذاك هو الفارق الكبير ما بين الفريقين ولكن كيف سارت الأمور؟ لنسلسلها لنعرف تفاصيلها ثم نخلص إلى النتائج والعبر التي تمخَّضت عنها تلك المعركة الشهيرة..

فقد روى بسنده عن المطلب بن عبد الله، قال: إن أول من أنشب الحرب أبو عامر عبد عمرو (بن صيفي الراهب المدني الفاسق) إذ طلع في خمسين من قومه ومعه عبيد قريش، فنادى: يا آل أوس، أنا أبو عامر! (وكان رسول الله سماه الفاسق، فلما سمعه قومه) قالوا: لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق! (فلما سمع ردهم عليه) قال: لقد أصاب قومي بعدي شر، ثم تراموا فيما بينهم والمسلمين بالحجارة، ثم ولوا مدبرين كل إلى قومه وعسكره.

ولا يأخذك العجب إذا عرفتَ أن ولد هذا الرجل هو صهر رأس المنافقين ابن سلول وهو ذاته غسيل الملائكة المسمى حنظلة، الذي كان يروي القمي في تفسيره، فيقول: كان حنظلة بن أبي عامر رجلاً من الأوس وفي تلك الليلة التي كان في صبيحتها حرب أحد تزوج بنت عبد الله بن أبي بن سلول، واستأذن رسول الله أن يقيم عندها، فأنزل الله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ**

لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

فأذن له رسول الله ﷺ فدخل حنظلة بأهله ووقع عليها فأصبح وهو جُنب، فلما أراد حنظلة أن يخرج من عندها ليحضر القتال بعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار فأشهدت عليه: أنه قد واقعها.. فقيل لها: لِمَ فعلت ذلك؟ قالت: رأيت في هذه الليلة في نومي كأن السماء قد انفرجت فوقع فيها حنظلة ثم انضمت، فعلمت أنها الشهادة،فكرهت أن لا أشهد عليه.. وخرج وهو جُنب فحضر القتال واستشهد إلى رحمة الله فسماه رسول الله ﷺ بغسيل الملائكة لأنه رأى الملائكة تغسله من الجنابة..(٢)

وأما أول مَنْ رمى من المسلمين فهو قزمان الذي كان في المدينة في بني ظفر وهو رجل غريب لا يُدرى ممن هو، وكان ذا بأس وقوة معروفاً بالشجاعة، ولم يخرج معهم إلى أحد، فعيَّرته نساء بني ظفر وقلن له: يا قزمان قد خرج الرجال وبقيت؟! يا قزمان ألا تستحي مما صنعت؟! ما أنت إلا امرأة، خرج قومك وبقيت في الدار! فدخل بيته وأخرج سيفه وقوسه وجعبته، وخرج يعدو إلى أحد حتى انتهى إلى الصفِّ الأول فكان فيه، فكان هو أول من رمى من المسلمين.

وقزمان هذا وإن اختلف عن أولئك المنافقين المتخاذلين عن النبي والمسلمين في أحد، حيث تخاذل أولئك والتحق هذا، لكنه لم يختلف معهم في عاقبة النفاق، كما سنأتي على خبره.

ولبس رسول الله ﷺ درعين، ومدَّ ﷺ سيفاً كان بيده، وقال: **مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه؟**

قالوا: وما حقه؟ قال: **يضرب به العدو حتى ينحني!** فقال عمر: أنا، فأعرض عنه رسول الله، ثم عرضه بذلك الشرط فقام الزبير،فقال: أنا، فأعرض عنه حتى وجد عمر

---

(١) النور: ٦٢

(٢) تفسير القمي ١ : ١١٨ ونقل الخبر الواقدي في مغازي الواقدي ١ : ٢٧٣

والزبير في أنفسهما، ثم عرضه الثالثة فقال أبو دجانة سماك بن خرشة من بني ساعدة: أنا يا رسول الله آخذه بحقه! فدفعه إليه..[١]

وقد ذكر الطبري شرط النبي ﷺ في إعطاء سيفه لكنه لم يذكر عمر أصلاً، وساق الرواية عن الزبير شخصياً؛ قائلاً: قال الزبير عرض رسول الله ﷺ سيفا في يده يوم أحد، فقال: **من يأخذ هذا السيف بحقه؟** قال: فقمت، فقلت: أنا يا رسول الله، قال: فأعرض عني، ثم قال: **من يأخذ هذا السيف بحقه؟** فقمت فقلت: أنا يا رسول الله فأعرض عني، ثم قال: **من يأخذ هذا السيف بحقه؟** قال: فقام أبو دجانة سماك بن خرشة، فقال: أنا آخذه بحقه، وما حقه؟ قال ﷺ: **حقه ألا تقتل به مسلماً، وأن لا تفر به عن كافر.**[٢]

قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه! فأعطاه إياه.. فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابة له حمراء فعصَّب بها رأسه، ثم أخذ يمشي متبختراً! وكان يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر بالكبول أضرب بسيف الله والرسول[٣]

فقال رسول الله ﷺ: **إن هذه لمشية يبغضها الله عز وجل إلا عند القتال في سبيل الله..**[٤] والعجيب ما كتبه أحدهم عن هذه الحادثة، إقرأ ما يقول: وبعد أن أتمّ الرسول العربي تعبئة جنده، وتنظيم تراتيب القتال لجيشه جرّد سيفاً باتراً، ثم عرض السيف على أصحابه ونادى فيهم: (**مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه؟**).. فقام إليه رجال ليأخذوه **فأمسكه** عنهم، ومن هؤلاء الرجال، علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وعمر بن الخطاب.. ثم قام إليه أبو دجانة- وكان الرسول العربي يقصده- فقال: وما حقه يا رسول الله؟

فقال الرسول العربي: **تضرب به حتى ينحني، ولا تقتل به مسلماً، ولا تفر به عن**

---

(١) الواقدي ١ : ٢٥٩
(٢) تاريخ الطبري ٢ / ١٩٥، دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٣١٥
(٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٧١ ومغازي الواقدي ١ : ٢٥٩
(٤) فروع الكافي ١ : ٣٢٩ كما في بحار الأنوار ٢٠ : ١١٦

كافر..

فقال أبو دجانة سماك بن خرشه: أنا آخذه.. فدفعه إليه..[١]

فمن أين جاء بهذه الرواية لم يذكر الباحث، وكيف زجّ باسم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بهذا الشكل لم أعرف..؟ ولكن سأترك لك الحكم بذلك..

وهذا الأمر من معاجز رسول الله صلى الله عليه وآله في امتناعه من إعطاء سيفه لعمر والزبير فقد هربا جميعاً من المعركة يوم أحد، شارك الزبير (وقيل أنه باشر ذلك بيده، أو قتلهم ولده المشؤوم عبد الله ولكن بإشرافه شخصياً) في قتل سبعين مؤمناً في ليلة باردة، وبدم بارد في البصرة أثناء فتنة الجمل، بعد أن نقض اتفاقه مع والي البصرة عثمان بن حنيف على الهدنة.![٢]

بدء البراز بأحد

أول الغيث قطرة،وأول الحب نظرة،وأول العمل صورة عنه كله، أليس نقول المكتوب واضح من عنوانه؟ فأشرف ما في القرآن الكريم أمه (فاتحة الكتاب) وأشرف ما فيها فاتحتها (البسملة) وأشرف ما في البسملة فاتحتها (الباء) وأمير المؤمنين عليه السلام هنا يظهر في فاتحة الفاتحة المباركة، ألم يقل – روحي فداه –: **أنا النقطة تحت الباء**..

نعم ؛ أول مبارزة في بدر تخبرك عن نتيجتها..وأول مبارزة في أحد تنبئك عن ضرغامها الحيدر الذي قتل حملة اللواء التسعة من بني عبد الدار رؤوس قريش – وقد مرَّ معك تنازعهم مع أبي سفيان على الراية – وفي كل مرة تسقط الراية على الأرض إلى أن رفعتها امراة منهم والجميع قتلوا بسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام .. ولا عليك هنا من الروايات التي تنسب قتل فلان لفلان منهم فعند الجميع ترديد ويقول: ويقال قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ..وهذا هو الصحيح وإليك الرواية كاملة ومختصرة..

---

(١) الرسول العربي وفن الحرب، ص١٩٣.

(٢) راجع حروب التأويل للمؤلف (معركة الجمل) والكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ / ٢١٧

قال القمي في تفسيره: كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري (أي من بني عبد الدار)، فبرز ونادى: يا محمد! تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليَّ.! فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

يا طلح إن كنت كما تقول ... لنا خيول ولكم نصول

فأثبت لننظر أينا المقتول ... وأينا أولى بما تقول

فقد أتاك الأسد الصؤول ... بصارم ليس به فلول

ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة: مَنْ أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال طلحة: قد علمت - يا قَضيم - أنه لا يَجْسُر عليَّ أحد غيرك.![1]

وروي أن أبا سعيد بن أبي طلحة لما خرج بين الصفين فنادى: أنا القاصم.. مَنْ يبارزني، فمن يبارز براز؟ فلم يخرج إليه أحد! فقال: يا أصحاب محمد! زعمتم أن قتلاكم في الجنة وأن قتلانا في النار،كذبتم واللات،لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليَّ بعضكم.![2]

فخرج إليه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فتقدم، وقال: **أنا القاضم،و والله لا**

---

(١) وخبر هذا اللقب ما حدث به القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام قال: سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي عليه السلام: يا قضيم؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يجسر عليه أحد بمكة لموضع أبي طالب، فأغروا به الصبيان، فكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب، فشكى ذلك إلى علي عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ إذا خرجت فأخرجني معك. فخرج رسول الله ومعه علي عليه السلام فتعرض الصبيان لرسول الله كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم، فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا علي، قضمنا علي.. فلذلك سمي القضيم.. (تفسير القمي ١: ١١٤

(٢) ابن هشام ٣: ٧٨

أفارقك اليوم حتى أعجلك بسيفي إلى النار!

فشدَّ عليه طلحة، فاتقاه أمير المؤمنين بالجحفة (الترس الصغير)، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعا، فسقط على ظهره وهو يتشحط بدمه ويبوء بإثمه حيث عجَّله إلى ما طلب (النار) أمير المؤمنين علي عليه السلام كما وعده.. وسقطت الراية إلى الأرض، فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ فقال: **ناشدني الله والرحم، و والله قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبدا.**

وبالفعل مات طلحة في مكانه، وبشر به النبي فسُرَّ، وقال: **هذا كبش الكتيبة..**[1]

وكذب مَنْ قال: بأن سعد بن أبي وقاص أجهز عليه وهو جريح فقتله، وربما أراد أن ينسب مكرمة إلى سعد هو غني عنها لأنها كانت عادة الجبناء الإجهاز على الجرحى..

وأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة، فقتله الإمام علي عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مسافع بن طلحة، فقتله الإمام علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عثمان بن أبي طلحة، فقتله الإمام علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها الحارث بن أبي طلحة، فقتله الإمام علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها أبو عذير بن عثمان، فقتله الإمام علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عبد الله بن حميد، فقتله الإمام علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

وقتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبد الدار أرطاة بن شرحبيل فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مولاهم صواب، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين على شماله فقطعها، فاحتضنها بيديه المقطوعتين،ثم قال: يا

---

(١) المفيد في الارشاد ١ : ٨٥، ٨٦

بني عبد الدار، هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية.. فأخذتها عمرة بنت علقمة (عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية) فقبضتها (١).

النصر العاجل وهزيمة المشركين

فحمل المهاجرون والأنصار على المشركين من قريش حملة رائعة، وصالوا عليهم صولة الأسود الجائعة، فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سوادهم يضربون ويقتلون مَنْ يصلون إليه..

وفرَّت النساء تولول، حتى قال الزبير بن العوام: والله لقد رأيتني انظر إلى خدم (خلاخيل) هند بنت عتبة (زوجة أبا سفيان) وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير..

وقال آخر منهم: والله إني لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمات ما دون أخذهن (سبيهن) شيء لمن أراد ذلك.

وكان خالد من دُهاة قادتهم، فكان كلما كان خالد يأتي من قبل ميسرة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لأنه قائد ميمنة قريش ومعه مئتي فارس من أشداء الجيش، ليجوز وكان يأتي من قبل السفح كان يرشقه الرماة بسهامهم، فترتدَّ الخيل مسرعة عما يريد من مباغتة المسلمين من الوراء.. وفعل تلك المحاولة مراراً، وفعل به الرماة ذلك كراراً.

وانهزم المشركون وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا حتى أبعدوهم عن معسكرهم وأخذوا ينتهبونه..

و كان ضرار بن الخطاب الفهري يحدِّث عن وقعة أحد يقول: لما التقينا ما أقمنا لهم شيئاً حتى هزمونا فانكشفنا مولين، فقلت في نفسي: هذه أشد من وقعة بدر وجعلت أقول لخالد بن الوليد: كرَّ على القوم! فجعل يقول: وترى وجها نكر فيه؟ حتى نظرت إلى الجبل - الذي عليه الرماة - خالياً، فقلت: أبا سليمان، انظر وراءك! فعطف عنان فرسه،

فكر وكررنا معه، فانتهينا إلى الجبل فلم نجد عليه أحداً له بال، وجدنا نفيراً فأصبناهم، ثم دخلنا العسكر والقوم غارُّون ينتهبون العسكر فأقحمنا الخيل عليهم فتطايروا في كل وجه ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا..[١]

معصية الرماة

وهنا الإمتحان الرباني الذي أراد ربنا سبحانه أن يبينه لنا من خلال دروس وعبر هذه المعركة التي انتصروا فيها بزمن قياسي، فعادوا وانهزموا منها بشكل غير متوقع أبداً.. كيف ذلك، ولماذا؟

إنه الانضباط العسكري الصارم، والطاعة المطلقة للقائد الرباني، وأي مخالفة تستوجب العقوبة، والعقوبة في مثل هذه المواقف مؤلمة، والخسائر فادحة..لأنها الهزيمة وما يصحبها من القتل والجرح وكسر الشوكة وما إلى ذلك من الأحداث..

فالقائد العظيم صلى الله عليه وآله كان يعلم علم اليقين بالنتيجة، فأمرهم في أمر القتال وبشكل واضح لا لبس فيه أن المصائب ستأتي من قبلهم فهم الثغرة التي سُدَّت بهم وعندما يتركونها فإنها المنفذ القاتل للجيش كله.. ألم يقل لهم قائدهم صلى الله عليه وآله:

بعدما أمر قائدهم توجَّه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرماة فقال لهم: **احموا لنا ظهورنا فانا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه، وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوا خيلهم بالنبل، فان الخيل لا تقدم على النبل.. اللهم إني أشهدك عليهم.!**[٢]

ولكن – ويا للأسف – لم يطيعوا الأوامر عندما رؤوا زملاؤهم يجمعون الغنائم من فلول قريش فضعفت نفوسهم، وحليت الغنائم في أعينهم فتركوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ونزلوا عن الجبل فنزلت بهم النازلة العظمى، من القتل والهزيمة المنكرة فالمؤمن

---

(١) الواقدي ١ : ٢٨٣

(٢) الواقدي ١ : ٢٢٤

الشجاع قُتل، وأما المُسلم الجبان فإنه هرب..

قال المؤرخون: لما نظر أصحاب عبد الله بن جُبير إلى أصحاب رسول الله ﷺ ينهبون سواد القوم، فقالوا لعبد الله بن جبير: تقيمنا ها هنا وقد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة؟!

فقال لهم عبد الله: اتقوا الله، فان رسول الله ﷺ قد تقدم إلينا أن لا نبرح.! فلم يقبلوا منه وأقبل ينسلوا رجل فرجل حتى أخلوا مركزهم، وبقي عبد الله بن جبير بأقلّ من عشرة رجال..

وقيل أن بعض الرماة قال لرفاقه: لِمَ تقيمون ها هنا في غير شيء؟ قد هزم الله العدو، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم، فأدخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم! وأجابهم بعضهم: ألم تعلموا أن رسول الله، قال لكم: احموا ظهورنا ولا تبرحوا من مكانكم، وان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا؟!

فقال الآخرون: لم يُرد رسول الله هذا (إنظر لهذا التبرير العجيب للمخالفة أأنت عالم بقلب رسول الله حتى تحكم بهذا الحكم المخالف قال لكم اثبتوا اثبتوا في مكانكم إلى أن يأمركم بالنزول منه) وقد أذل الله المشركين وهزمهم، فأدخلوا المعسكر فانتهبوا مع إخوانكم.!

فلما اختلفوا خطبهم أميرهم عبد الله بن جبير وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله وأن لا يخالفوا أمر رسول الله ﷺ، فعصوه وانطلقوا حتى لم يبقَ منهم مع أميرهم عبد الله بن جبير إلا نفير ما يبلغون العشرة.

ويُروى عن نسطاس مولى صفوان بن أمية، قال: دنا القوم بعضهم من بعض واقتتلوا ساعة، ثم إذا أصحابنا منهزمون، ودخل أصحاب محمد عسكرنا، فأحدقوا بنا وأسرونا وانتهبوا العسكر.. وضُيِّعت الثغور التي كان بها الرماة (نعم؛ لقد ضاع الجيش بتضييع ذاك الثغر المهم جداً) وجاؤوا إلى النهب، فأنا أنظر إليهم متأبطين قِسيَّهم وجعابهم كل

رجل منهم في يديه أو في حضنه شيء قد أخذه..[١]

وهل تعلم كم استفاد المسلمون من الغنائم في يوم أحد بعد الهزيمة؟ يروي لنا الواقدي بسنده عن عمر بن الحكم، قال: ما بقي شيء مع أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أغاروا على النهب فأخذوا ما أخذوا من الذهب، إلا رجلين: أحدهما: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، والآخر: عباد بن بشر، فإنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وآله بأحد، فجاء عباد بصرة فيها ثلاثة عشر مثقالاً كان قد ألقاها في جيب قميصه وفوقها الدرع قد حزم وسطه، وجاء عاصم بمنطقة وجدها في العسكر فيها خمسون ديناراً فشدَّها على حقويه من تحت ثيابه. فنفلهما رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يخمِّسه..

أرأيت المعصية، واستعجال الدنيا، والحرص عليها كم يفوِّت على الإنسان من نعم دنيوية مطلوبة ومرغوبة لديه؟ فتكالب البعض من الرماة على جمع الغنائم من العدو المنهزم حوَّل الانتصار إلى هزيمة وجرى عليهم ما استأصل سبعين منهم..

ويُروى عن رافع بن خديج، قال: لما انصرف الرماة إلا من بقي، نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل (من الرُّماة) وقلة أهله، فكرَّ بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبي الجهل في الخيل، فانطلقا إلى بقية الرماة فحملوا عليهم، فراموا القوم حتى أصيبوا، ورمى عبد الله بن جبير حتى فنيت نبله، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر، ثم كسر جفن سيفه فقاتلهم حتى قُتل (قتله خالد أوعكرمة) رحمة الله عليه..[٢]

وكان أبو بردة بن نيار وجعال بن سراقة آخر من انصرف من الجبل بعد مقتل عبد الله بن جبير..[٣]

نعم؛ لما رأى خالد ذلك وجدها الفرصة التي كان ينتظرها منذ البداية وها هي الثغرة قد انفتحت أمامه ليوقع بالمسلمين من خلفهم.. فأمر مَنْ معه بالإلتفاف وانحطَّ خالد بن

(١) الواقدي ١ : ٢٣١

(٢) الواقدي ١ : ٣٠١، ٣٠٢ بتصرف

(٣) الواقدي ١ : ٢٣٢

الوليد على عبد الله بن جبير وقد فرَّ أصحابه وبقي في نفر قليل، فقتلوهم على باب الشعب، واستعقبوا (أي جاؤوا من أعقابهم وخلفهم) المسلمين فوضعوا فيهم السيف.. ونظرت قريش وهي في هزيمتها إلى رايتهم قد رفعت من جديد، فلاذوا بها والتفتوا إلى المسلمين من الأمام، فوقع المسلمون وهم قلَّة بين طرفي الكماشة القرشية، من الأمام قريش، ومن الخلف خالد ومَنْ معه..فما العمل هنا، فكان المسلمون بين خيارين لا ثالث لهما:

١- إما الصبر والقتال والشهادة في سبيل الله كما فعل أكثر من سبعين منهم وعلى رأسهم سيد الشهداء حمزة أسد الله وأسد رسوله ﷺ.

٢- وإما الهزيمة والفرار من الزحف، وهذا ما اختاره أكثرهم..

هزيمة المسلمين

وبالفعل لقد انهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه ولا يلتفتون إلى شيء.. فلما رأى رسول الله ﷺ الهزيمة منهم كشف البيضة عن رأسه الشريف، وقال: **إني أنا رسول الله، فإلى أين تفرون عن الله وعن رسوله؟**

وروي أن مغيرة بن العاص كان رجلاً أعسر، فحمل في طريقه إلى أحد ثلاثة أحجار، وقال: بهذه الأحجار أقتل محمداً.! فلما حضر القتال نظر إلى رسول الله ﷺ وبيده السيف، فرماه بحجر فأصاب به يد رسول الله فسقط السيف من يده، ثم رماه بحجر آخر فأصاب جبهته. فقال: قتلته واللات والعزى.!

وقال رسول الله ﷺ: **اللهم حيِّره** (جننه).. فلما انكشف الناس تحيَّر فلحقه عمار بن ياسر فقتله..

ولما اشتدَّ الضراب، وتكالب المشركون على رسول الله ﷺ حمل ابن القميئة على رسول الله ﷺ فقال: أروني محمداً، لا نجوت إن نجا محمد! **فضربه على حبل**

عاتقه - روحي له الفداء - ونادى: قتلت محمداً واللات والعزى.! وسلط الله على ابن القميئة بعدها الشجر فكان لا يمر بشجرة إلا وتأخذ من لحمه! وظل كذلك حتى مات..[١]

وقال ابن إسحاق: وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو حتى خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ارتثَّ بالحجارة ووقع لجانبه فأصيبت رباعيته وشُجَّ وجهه، وجُرحت شفته..

و روى ابن هشام: عن أبي سعيد الخدري: أن الذي جرح شفته السفلى وكسر رباعيته السفلى اليمنى هو عتبة بن أبي وقاص الزهري أخو سعد، والذي شجه في جبهته عبد الله بن شهاب الزهري، والذي جرح وجنته هو ابن قمئة حتى دخلت حلقتا المغفر في وجنته..[٢]

وروى الطبرسي في "إعلام الورى" خبر أبان بن عثمان عن الإمام الصادق عليه السلام ثم قال: وثاب إلى رسول الله جماعة من أصحابه، وأقبل أبي بن خلف (الجمحي من رؤوس طغاة قريش) وهو دارع على فرس له وهو يقول: هذا ابن أبي كبشة.! لا نجوتُ إن نجوتَ.! ورسول الله ما بين سهل بن حنيف والحارث بن الصمة يعتمد عليهما، فحمل عليه، فوقاه مصعب بن عمير (رحمه الله) بنفسه فطعن مصعباً فقتله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عنزة (حربة صغيرة كالخنجر) كانت في يد سهل بن حنيف فطعن به أبياً في جريبان درعه، فاعتنق فرسه، فانتهى إلى عسكره وهو يخور خوار الثور.!

فقال له أبو سفيان: ويلك ما أجزعك، إنما هو خدش ليس بشيء.! فقال أبي: ويلك يا ابن حرب، أتدري مَنْ طعنني؟ إنما طعنني محمد، وهو قال لي بمكة:إني سأقتلك، فعلمت أنه قاتلي.! والله لو أن ما بي بجميع أهل الحجاز لقضى عليهم، ثم مات (لعنه

---

(١) تفسير القمي ١ : ١١٥ – ١١٩

(٢) سيرة ابن اسحاق ٣ : ٨٥

الله).

ونقل الطبرسي عن كتاب أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الصباح بن سيابة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **ورمى رسول الله صلى الله عليه وآله ابن قميئة بقذافة (المقلاع) فأصاب كفه حتى ندر (سقط) السيف من يده، فقال صلى الله عليه وآله له: أذلَّكَ الله وأقمأك..**

ورماه عبد الله بن شهاب بقلاعة (قطعة تراب يابسة) فأصاب مرفقه، وضربه عتبة بن أبي وقاص حتى أدمى فاه (روحي لك الفداء يارسول الله ما أصبرك وما أنذلهم وأحقرهم من قوم)..

قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام: كُسرت رباعيته كما يقول هؤلاء؟ قال: **لا والله ولكنه شج في وجهه..** وقيل له صلى الله عليه وآله: ألا تدعو عليهم؟! قال: **اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون.**

قلت: فالغار في أحد الذي يزعمون أن رسول الله صار إليه (فبعضهم يروي أن رسول الله التجأ إلى غار في أحد)؟ **قال: والله ما برح مكانه.**

وروى الصدوق في " معاني الأخبار " بسنده عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام: يروى لنا أنه صلى الله عليه وآله كُسرت رباعيته؟ فقال: **لا، ولكنه شج في وجهه..**

وهنا المحنة والإختبار للمسلمين كباراً وصغاراً ممن حضر المعركة فإذا كان الفرار من الزحف كبيرة من الكبائر كما في آيات الكتاب العزيز؛ قال تعالى مُنادياً المؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ*وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[1].

فلماذا هذا الفرار الغير مبرر؟سيما وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كشف بيضته أي كشف لكم عن رأسه الشريف فلماذا هذا الشك؟ وأين الفرار عن الله ورسوله والواجب عليكم أن تفروا إلى الله بالشهادة كما فعل الأبطال حمزة الخير وأصحابه من الشهداء في

(١) الأنفال: ١٥ ـ ١٦

أحد؟ونأخذ نموذجين للثبات، رجل وامرأة..أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، ونُسيبة الخزرجية..

١ - المواساة العظيمة

إن العظماء تنبئك مواقفهم العظيمة عن عظمتهم، وإذا بحثت عن السر فإنك ستجده أنهم يأنفون من الصغائر ولا يقبلون التسافل أبداً.. والفرار عدا عن أنها كبيرة في الدين الحنيف إلا أنها منقصة تورث العار إلى الأجيال.. ولذا قال الشاعر العربي:

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة.

وأمير المؤمنين علي عليه السلام لا نريد أن نطريه أو نمدحه فهو فوق ذلك كله، فذكره مدحاً للذاكر لأن ذكره عبادة، ومعرفته سبباً لقبول العبادة من العباد لدى الرب المعبود..

ولكن نذكر هنا مواقفه العظيمة في المواقف التي تتزلزل فيها القلوب، وتقعد الرجال، وتتراجع الأبطال عن إقتحامها فكان الفتى الذي لا نظير له مدى الأيام، وكر الدهور، ومن مواقف الإمام علي عليه السلام في معركة أحد مايشيب لها الولدان كيف لا وقد تعجبت لها السماوات العُلا، وملائكة السماء من هذه المواساة العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

قال الشيخ القمي (رحمه الله): (لما رأى هزيمتهم وفرارهم بكل اتجاه) حمل الإمام علي عليه السلام كفاً من الحصى فرمى به في وجوههم، ثم قال: **شاهت الوجوه وقطت ولطت** (أي قطعت وشقت وضربت) **إلى أين تفرون؟! إلى النار؟!** فلم يرجعوا، فكر (أي حمل عليهم بالسيف) عليهم ثانية وبيده صحيفة يقطر منها الموت فقال لهم: **بايعتم ثم نكثتم؟! فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن قُتل.!** وكأن عينيه قدحان مملوءان دماء أو زيتاً يتوقدان ناراً.!

وفرَّ السبعمائة ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام وأبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري، وسهل بن حنيف، وبعض المسلمين ولم يتجاوز عددهم

على أكبر الروايات السبعة أي بنسبة واحد فقط من المئة..وأحدهم إمرأة وأي إمراة مؤمنة كانت؟

وهـمُّ المشركـين جميعـاً أن ينـالوا مـن رسـول الله ﷺ لينهـوا دعوتـه كـما يظنـون، وصاحب ثأرهم أمير المؤمنين علي عليه السلام، وها هي الفرصة لقد فرَّ الجميع إلا هؤلاء فراحوا يكرون عليهم أفواجاً، وكلما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام فيدفعهم عن رسول الله ويقتل فيهم حتى انقطع (انكسر) سيفه فلما انقطع سيف أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: **يا رسول الله إن الرجل يقاتل بالسلاح، وقد انقطع سيفي!** فدفع إليه رسول الله سيفه " ذا الفقار " وقال: قاتل بهذا.. فلم يكن يحمل على رسول الله ﷺ أحد إلا يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فإذا رأوه رجعوا لشدة بأسه ونكير ضرباته لأنه ما ضرب ضربة واحتاجت لأخرى فضرباته كانت أوتاراً.

وانحاز رسول الله ﷺ إلى ناحية جبل أحد ليحمي ظهره بعد أن فرَّ عنه أصحابه فوقف هناك، وكان القتال من وجه واحد فقط، (وهو تكتيك قتالي يلجأ إليه المغلوب على أمره كحالة دفاعية اضطرارية)، فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه، وصدره، وبطنه، ويديه، ورجليه تسعون جراحة.

ونزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله ﷺ، وقال: **هذه والله المواساة يا محمد! فقال رسول الله ﷺ: لأني منه وهو مني! فقال جبرائيل: وأنا منكما..**

وطار عارجاً إلى السماء فسمعوه وهو ينادي بصوت من السماء: **" لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي "**

وبحوار صريح – وهو نادر في تاريخنا الإسلامي – و الإسناد إلى زيد بن وهب مع عبد الله بن مسعود، قال: جاء خالد بن الوليد من خلف رسول الله يريده، حتى نظر إليه وهو في قلة من أصحابه، فقال لمن معه: دونكم هذا الذي تطلبون فشأنكم به.! فحملوا عليه حملة رجل واحد ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ورمياً بالنبال ورضخاً بالحجارة..

وثبت أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف يدفعون عن النبي صلى الله عليه وآله، وكثر عليهم المشركون وأغمي على النبي مما ناله، وفتح عينيه ونظر إلى علي عليه السلام فقال له: **ما فعل الناس؟** قال: **نقضوا العهد وولوا الدبر**، فقال: **فاكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي**.. فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكشفهم، ثم عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحية أخرى فكرَّ عليهم فكشفهم، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه بيد كل واحد منهما سيفه يذبُّ عنه..[1]

قال زيد بن وهب: فقلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله حتى لم يبق معه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف؟! فقال: ولحقهم طلحة بن عبيد الله.. فقلت: وأين كان أبو بكر وعمر؟ قال: كانا ممن تنحى.! (أي هرب)، قلت: وأين كان عثمان؟ قال: جاء بعد ثلاثة أيام من الوقعة! فقال له رسول الله: **لقد ذهبتَ فيها عريضة**.!فقلت له: وأنت أين كنت؟ قال: كنت ممن تنحى.. فقلت: فمن حدثك بهذا الحديث؟ قال: عاصم وسهل بن حنيف.. فقلت له: إن ثبوت علي في ذلك المقام لعجب.!

فقال: وإن تعجب من ذلك فقد تعجَّبت منه الملائكة، أما علمت أن جبرائيل عليه السلام قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: **لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي!**

قلت: فمن أين علم أن ذلك من جبرائيل عليه السلام ؟

قال: سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك، فسألوا النبي عنه فقال: **ذاك جبرائيل**..

ويروي أبو عمرو غلام ثعلب اللغوي الزاهد: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة فيها بنو سفيان بن عويف وهم: خالد بن سفيان، وأبو الشعثاء بن سفيان، وأبو الحمراء بن سفيان،

---

(١) الطبرسي" إعلام الورى " المفيد في " الإرشاد

وغراب بن سفيان. فقال رسول الله: **يا علي، اكفني هذه الكتيبة**، وهي تقارب خمسين فارساً، فحمل عليها وهو راجل فما زال يضربها بالسيف فتفترق عنه ثم تتجمع عليه مراراً حتى قتل بني سفيان الأربعة وتمام العشرة ممن لا يعرف، فقال جبرئيل عليه السلام لرسول الله: **يا محمد، إن هذه المواساة ولقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى**: فقال رسول الله: **وما يمنعه وهو مني وأنا منه.!** فقال جبرئيل عليه السلام: **وأنا منكما**.. وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يُرى شخص الصارخ به ينادي مراراً: **لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**. فسئل رسول الله عنه فقال: **هذا جبرئيل**.

ثم قال: وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق ورأيت بعضها خاليا عنه! وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينة، عن هذا الخبر فقال: خبر صحيح.. فقلت: فما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أو كلما كان صحيحاً اشتملت عليه كتب الصحاح؟! كم قد أهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة!..[1]

ثم روى عن عكرمة مولى ابن عباس،قال: سمعت علياً، يقول: لما انهزم الناس عن رسول الله يوم أحد لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قط ولم أملك نفسي، وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره.! فقلت (في نفسي): ما كان رسول الله ليفر، وما رأيته في القتلى، وأظنه رفع من بيننا إلى السماء.! فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي: لأقاتلن به عنه حتى أُقتل! وحملت على القوم فأفرجوا عني فإذا أنا برسول الله قد وقع على الأرض (فوقعت عليه فإذا به حيٌّ مغشي عليه) فقمت على رأسه، فنظر إليَّ، فقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر من العدو وأسلموك.! ونظر النبي إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي: رُدَّ عني هذه الكتيبة يا علي.. فحملت عليها أضربها بسيفي يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار.

---

(١) شرح النهج ١٤: ٢٥٠ و ٢٥١

فقال لي: يا علي، أما تسمع مديحك في السماء؟ إن ملكاً يُقال له رضوان ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي!

فبكيت سروراً وحمدت الله - سبحانه وتعالى - على نعمته.

ثم روى بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وآله في يوم أحد وثبت أمير المؤمنين عليه السلام قال له النبي: مالك لا تذهب مع القوم؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام: أذهب وأدعك يا رسول الله؟! والله لا برحت حتى أُقتل أو يُنجز الله لك ما وعدك من النصر!

فقال له النبي: أبشر يا علي، فإن الله مُنجز وعده، ولن ينالوا منا مثلها أبدا.. ثم نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه، فقال له: إحمل على هذه يا علي.. فحمل أمير المؤمنين عليه السلام عليها فقتل منها هشام بن أمية المخزومي وانهزم القوم.

ثم أقبلت كتيبة أخرى فقال له النبي: إحمل على هذه.. فحمل عليها فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحي وانهزمت أيضاً.

ثم أقبلت كتيبة أخرى فقال له النبي: إحمل على هذه، فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامري وانهزمت الكتيبة.

وأقبل أمية بن أبي حذيفة (المخزومي) وهو يقول: يوم بيوم بدر، فعرض له رجل من المسلمين فقتله أمية.. فصمد له علي بن أبي طالب عليه السلام فضربه بالسيف على هامته فنشب في بيضة مغفره، وضرب أمية بسيفه فاتقاها أمير المؤمنين عليه السلام بدرقته فنشب فيها، ونزع علي عليه السلام سيفه من مغفر أمية، وخلص أمية سيفه من درقة علي أيضاً ثم تناوشا، فنظر علي إلى فتق تحت إبط أمية فضربه بالسيف فقتله وانصرف عنه.. ولم يعد بعدها أحد منهم، وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وآله..

وقد حسد الأمويون علياً عليه السلام لما أبلاه في معركة أحد، وقول جبريل له:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وقتله أصحاب ألوية المشركين، فدسوا رواية في السيرة لأن الكثير من الأخبار الثابتة التي لا يمكن تغييرها فدسوا فيها كلمات أو أسماء ليضيعوا الحقيقة على الناس..كالرواية التي تتحدث عن الفارين فوق الجبل يعددون أبو بكر وعمر وعلي...

فإن احتج عليهم محتج بالفرار من الزحف قالوا وكان أميركم معهم، ونقول: حاشا لله ولرسوله ولأمير المؤمنين أن يفر أميرنا من الزحف فاسمه الشريف دُسَّ بينهم ليثبت أن هذا الحديث صحيحاً بأسماء الفارين ولكن إرفعوا منهم علي بنَ أبي طالب عليه السلام الذي لم ولن يفر أبد الدهر من عدو..

وقالوا: كان ذو الفقار سيف العاصي بن منبه بن الحجاج، فلما قتل كافراً بيد علي عليه السلام يوم بدر صار سيفه إلى علي عليه السلام ؛ وقال ابن الأثير بل صار للنبي صلى الله عليه وآله فوهبه لعلي عليه السلام..[1]

لقد صحح معلوماتهم كما يظن ولا يدري أن سيف ذو الفقار هدية سماوية من الله تعالى إلى رسوله الكريم ومنه إلى وصيه العظيم وما كان لأحد أن يحمل ذا الفقار إلا صاحبه الأمير عليه السلام فقط..

٢- الموقف المشرِّف لنسيبة الخزرجية

ليت الصحابة الكبار الذين نتغنى بهم في الصالات، وعلى المنابر في المساجد والجمعات مثل هذه المرأة الخزرجية، التي صمدت حين فروا وليس عليها جهاد أصلاً، وفروا عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أن أحدهم بقي يركض ثلاثة أيام إلى أن وصل إلى سيف البحر وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين عودته: **لقد ذهبت بها عريضاً**.. نعم ؛ عثمان بن عفان ذو النورين كما يسمونه رأس بني أمية والخليفة الراشدي الثالث يهرب ويذهب بها عريضاً ونسيبة المازنية تصمد بوجه ثلاثة آلاف مقاتل تُدافع عن رسولها ودينها، بالله عليك مَنْ هو الأفضل؟

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ١٩٧، سيرة ابن هشام ٣ / ١٠٦

وهكذا بقيت معه نسيبة بنت كعب المازنية، وكانت تخرج مع رسول الله في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع فحملت عليه، وقالت: يا بني إلى أين تفر عن الله وعن رسوله؟! فردته! فحمل عليه رجل يقتله فأخذت سيف ابنها وحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **بارك الله عليك يا نسيبة!** وكانت تقي رسول الله صلى الله عليه وآله بصدرها ويديها حتى أصابتها جراحات كثيرة.

ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل من المهاجرين وقد ألقى ترسه خلف ظهره وهو ينهزم، فناداه: **يا صاحب الترس ألق ترسك ومر إلى النار.!** فرمى بترسه، فقال رسول الله: **يا نسيبة خذي الترس..** فأخذت الترس؛ وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان، وفلان، وفلان.!**[1]

ثم روى عنها، أنها قالت: انكشف الناس عن رسول الله فما بقي إلا نفير ما يتمون عشرة! وأنا وابناي (عمارة وعبد الله) وزوجي (غزية بن عمرو) بين يديه نذبُّ (ندافع) عنه، والناس يمرون به منهزمين، وأنا لا ترس معي، ورأى رجلاً (أكيد من الصحابة) مولياً معه ترس، فقال له: يا صاحب الترس، ألق ترسك إلى من يقاتل! فألقى ترسه، فأخذته فجعلت أترس عن رسول الله به، فأقبل رجل على فرس فضربني فترست له فلم يصنع سيفه شيئاً وولى، وضربتُ عرقوب فرسه فوقع على ظهره، وصاح النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لابني: يا بن أم عمارة، أمك، أمك! فعاونني عليه حتى أوردته الموت..[2]

ثم روى بسنده عن ابنها عبد الله بن زيد أن رجلاً طويلاً ضربه على عضده اليسرى ومضى عنه، فجرح ولم يرقأ الدم وناداه الرسول: إعصب جرحك، فأقبلت إليه أمه ومعها عصائب في حقويها قد أعدتها للجراح، فربطت جرحه، ثم قالت له: انهض يا بني فضارب القوم، والنبي واقف ينظر، فقال لها: **ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة!** (تأمل

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٤ / ٢٦٦، ٢٦٩، قاموس الرجال ١١ / ٣٨ عن تفسير القمي، البحار ٢٠ / ١٣٤

(٢) الواقدي: ١ : ٢٧٠

بهذه الشهادة المباركة لهذه المرأة).

وعاد الرجل الضارب فقال لها رسول الله ﷺ: **هذا ضارب ابنك.! فاعترضت له** فضربت ساقه فبرك، فتبسم رسول الله حتى بدت نواجذه! وعلوه بالسلاح حتى مات فقال لها النبي: **الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك..**[١]

ثم روى بسنده عنه أيضاً، قال: لما تفرق الناس عن النبي بقيت أمي تذب عنه ودنوت منه لذلك ورميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر وهو على فرس فأصبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، والنبي ينظر ويتبسم، ونظر إلى جرح بعاتق أمي فقال لي: **أعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان، وفلان ومقامك لخير من مقام فلان، وفلان، رحمكم الله أهل البيت..**

فقالت له أمي: ادع الله أن نرافقك في الجنة.. فقال: **اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة،** فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا..[٢]

لا عليك ولكن إليك شهادة لا تُرد عن الفاروق، فقد روي عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله يوم أحد، يقول: **ما التفتُ يميناً ولا شمالاً إلا وأرى نسيبة تقاتل دوني..**[٣]

إذن فلم يكن عمر حاضراً إذ ذاك، وإلا لكان بامكانه أن يشهد لها بذلك شهادة مباشرة، ولم يكن بحاجة إلى أن يروي ذلك عن النبي رواية وحكاية، ألم تكن أجدر منها بالثبات يا أبا حفص..؟

نهايات الحرب

وتراجع المنهزمون من أصحاب رسول الله فصاروا على الجبل.. وصعدت جماعة من قريش على الجبل فيهم أبو سفيان، فنادى: أُعلُ هبل (أي أعل دينك يا هبل)..

---

(١) الواقدي ١ : ١٧١

(٢) الواقدي: ١ : ٢٧٢ و ٢٧٣

(٣) الواقدي: ١ : ٢٧١

فقال رسول الله لأمير المؤمنين عليه السلام: قل له: **الله أعلى وأجل.**

فقال علي ذلك، فقال أبو سفيان: يا علي، إنه قد أنعم علينا: فقال علي عليه السلام: **بل الله أنعم علينا..** ثم قال أبو سفيان: يا علي، أسألك باللات والعزى هل قتل محمد؟ فقال له علي عليه السلام: **لعنك الله ولعن الله اللات والعزى معك، والله ما قتل محمد، وهو يسمع كلامك..**[١]

ثم نادى أبو سفيان: موعدنا وموعدكم في عام قابل.. فقال رسول الله لعلي عليه السلام: قل: نعم[٢].

وروى الطوسي في " التبيان " عن عكرمة عن ابن عباس، قال: لما أصاب المسلمين ما أصابهم وصعد النبي الجبل وجاء أبو سفيان وقال: يا محمد، يوم لنا ويوم لكم، فقال رسول الله: أجيبوه. فقال المسلمون: **لا سواء، لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار!** فقال أبو سفيان: عزى لنا ولا عزى لكم! فقال النبي: قولوا: **الله مولانا ولا مولى لكم.** قال أبو سفيان: أعل هبل، قال النبي: قولوا له: **الله أعلى وأجل..** فقال أبو سفيان: موعدنا وموعدكم بدر الصفراء..[٣]

وقال: نادى أبو سفيان: أحي ابن أبي كبشة؟ فقال علي عليه السلام: **أي والذي بعثه بالحق وإنه ليسمع كلامك..** فقال أبو سفيان: إن ابن قميئة أخبرني أنه قتل محمداً، وأنت أبر عندي وأصدق.

ثم قال: إنه قد كانت في قتلاكم مُثلة، ووالله ما أمرت ولا نهيت.. ثم قال: إن ميعادنا بيننا وبينكم موسم بدر في قابل، هذا الشهر.. فقال رسول الله لعلي: قل: نعم.. فقال له

---

(١) تفسير القمي ١ : ١١٧

(٢) تفسير القمي ١ : ١٢٤

(٣) التبيان ٣ : ٣١٤، وعنه في مجمع البيان ٣ : ١٦٠. وفيهما: بدر الصغرى، وفي الواقدي ١ : ٢٩٧ : بدر الصفراء، وهو الصحيح، لأنها إنما وصفت بالصغرى بعد وقوعها

علي: نعم. فولى إلى أصحابه وقال لهم: اتخذوا الليل جملا وانصرفوا..[١]

وقال ابن إسحاق: ثم إن أبا سفيان بن حرب حين أراد الانصراف أشرف من على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته، فقال: أنعمت فعال (أي أنعمت فعلك فارتفع بنفسك يخاطب نفسه) إن الحرب سجال، يوم بيوم، أعل هبل (أي: أظهر دينك).[٢]

وقال رسول الله ﷺ: من رجل يأتينا بخبر القوم؟ فلم يُجبه أحد: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **أنا آتيك بخبرهم.. قال: اذهب، فإن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهم يريدون المدينة، والله لإن أرادوا المدينة لا يأذن الله فيهم.. وإن كانوا ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة.**

فمضى أمير المؤمنين عليه السلام على ما به من ألمِ الجراحات، حتى كان قريباً من القوم فرآهم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل. فرجع أمير المؤمنين إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله: **أرادوا مكة..**[٣]

وقال ابن إسحاق: ثم دعا رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام، (وسعد بن أبي وقاص)، فقال له: **اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة.. والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم.**

(ثمَّ أسرهما) فقال: **فإن رأيت القوم يريدون المدينة فأخبرني فيما بيني وبينك ولا تفتَّ في أعضاد المسلمين.!** كما في رواية الإمام الباقر عليه السلام فذهبا فرآهم قد امتطوا الإبل، فرجع فما ملك نفسه سعداً أن جعل يصيح سروراً بانصرافهم..[٤]

وسأل رسول الله ﷺ عنهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **رأيت خيولهم تضرب**

---

(١) إعلام الورى ١: ١٨١

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ٩٩

(٣) تفسير القمي ١: ١٢٤

(٤) ١: ٢٩٩

بأذنابها مجنوبة مدبرة (أي لم يركبوها وذاهبة)، **ورأيت القوم قد تحملوا سايرين**.. فطابت أنفس المسلمين بذهاب العدو..[١]

تفقد الجرحى والقتلى

وطابت أنفس المسلمين بذهاب العدو فانتشروا يتتبعون قتلاهم، فلم يجدوا قتيلاً إلا وقد مثلوا به إلا حنظلة بن أبي عامر، كان أبوه مع المشركين فترك له.. ووجدوا سيدنا الحمزة وقد شُقَّ بطنه وجُدع أنفه وقطعت أذناه واخذ كبده..[٢]

وقال الواقدي: قال رسول الله: **مَنْ له علم بذكوان بن عبد القيس؟** فقال علي عليه السلام: أنا - يا رسول الله - رأيت فارساً يركض في أثره حتى لحقه وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ.! فحمل عليه بفرسه، وذكوان راجل، فضربه وهو يقول: خذها وأنا ابن علاج! فأهويت إليه وهو فارس، فضربت رجله بالسيف حتى قطعتها عن نصف الفخذ ثم طرحته من فرسه فذففت عليه، وإذا هو أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن علاج الثقفي.[٣]

وقال القمي في تفسيره: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من له علم بسعد بن الربيع؟** فقال زيد بن ثابت: أنا أطلبه.

فأشار رسول الله إلى موضع، فقال: **اطلبه هناك، فإني قد رأيته في ذلك الموضع قد شرعت حوله اثنا عشر رمحاً**..[٤]

وقال لي: **إذا رأيته فاقرأه مني السلام وقل له: كيف تجدك؟** فجعلت أطلبه بين القتلى حتى وجدته بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، فقلت له: إن رسول الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: كيف تجدك؟ فقال: سلِّم على رسول الله، وقل لقومي الأنصار:

---

(١) إعلام الورى ١ : ١٨١

(٢) إعلام الورى ١ : ١٨١، ١٨٢

(٣) مغازي الواقدي ١ : ٢٨٣، المفيد في الإرشاد ١ : ٨٨

(٤) تفسير القمي ١ : ١٢٢

لا عذر لكم عند الله إن وصل إلى رسول الله وفيكم شغر يطرف! وفاضت نفسه..[١]

فجئت إلى رسول الله فأخبرته، فاستقبل رسول الله القبلة رافعا يديه يقول: **اللهم الق سعد بن الربيع وأنت عنه راض.**[٢]

ثم قال ﷺ: **رحم الله سعداً نصرنا حياً وأوصى بنا ميتاً..**[٣]

مصرع حمزة: ثم قال رسول الله: **مَنْ له علم بعمي حمزة؟**

فقال الحارث بن الصمة: أنا أعرف موضعه.. فجاء حتى وقف على حمزة فكره أن يرجع إلى رسول الله فيخبره.. ولما أبطأ الحارث عن العودة، قال رسول الله لأمير المؤمنين عليه السلام: **يا علي، اطلب عمك..**[٤]

فخرج عليه السلام وهو يرتجز، ويقول:

يا رب إن الحارث بن الصمة ... كان رفيقاً وبنا ذا ذمه

قد ضل في مهامه مهمة ... يلتمس الجنة فيما يهمه

حتى انتهى إلى الحارث فوجد (عمه) حمزة مقتولاً.. (وممثلاً به تلك المُثلة فرجع) فأخبر النبي ﷺ.. فخرج النبي يمشي حتى وقف عليه، فقال: **ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا الموقف.!**[٥]

وروى العياشي في تفسيره عن الحسين بن حمزة عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: **لما رأى رسول الله ما صنع بحمزة بن عبد المطلب، قال: اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان على ما أرى؛ ثم قال: لئن ظفرت لأمثلن، ولأمثلن..**

وبرواية أخرى: فلما انتهى إليه رسول الله خنقته العبرة، وقال: **لأمثلن بسبعين من**

---

(١) بحار الأنوار ٢٠: ٧٤ و ٧٥. عن معاني الأخبار: ١٠٢. وروى الخبر ابن إسحاق في سيرته ٣: ١٠٠

(٢) الواقدي ج١: ٢٩٣

(٣) تفسير القمي ١: ١٢٣

(٤) تفسير القمي ١: ١٢٣

(٥) الواقدي ج ١: ٢٨٩. وابن إسحاق في السيرة ٣: ١٧٤ و ١٧٥

قريش.. فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١).

فقال رسول الله: **أصبر، أصبر..** (٢)

والصحيح أن المسلمين، هم الذين قالوا: أما والله لئن أولانا الله عليهم لنمثلن بأخيارهم، والرواية عن الإمام مختصرة أو مقلوبة بحيث جعلت قول الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله خطأً، وأغلب الظن أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أصبر.. ولهذا مؤيدات كثيرة في الكتب المختلفة.. والله العالم.

وروى عن الزهري عن العذري قال: إن رسول الله أشرف على القتلى يوم أحد، فقال: **أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجُرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه، اللون لون دم والريح ريح مسك.**

ولم يغسل رسول الله الشهداء يومئذ (مما يوهم غسلهم قبل ذلك) وقال: **لفوهم بدمائهم وجراحهم فإنه ليس أحد يجرح في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة لون جرحه لون الدم وريحه ريح المسك.** ثم قال: **ضعوهم فأنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة.**

فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة بردة كانت عليه، فكانت إذا مدها على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدها على رجليه بدا رأسه، فمدها على رأسه وألقى على رجليه الحشيش. وأمر رسول الله أن يجمعوا القتلى فصلى عليهم (مع حمزة) وكبر على حمزة سبعين تكبيرة. ودفنهم في مضاجعهم (٣).

قال: وكان حمزة أول من جيء به إلى النبي فصلى عليه رسول الله، ثم جمع إليه الشهداء فكان كلما اتي بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة، لأن الشهداء سبعون.

---

(١) النحل: ١٢٦

(٢) تفسير العياشي ٢: ٢٧٤ و ٢٧٥

(٣) تفسير القمي ١: ١٢٣ و ١٢٤

ويقال: كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلي عليهم وترفع التسعة ويترك حمزة مكانه ويؤتى بتسعة آخرين فيوضعون إلى جنب حمزة فيصلي عليه وعليهم، فعل ذلك سبع مرات.

قال: وكان ابن عباس وجابر بن عبد الله وطلحة بن عبيد الله يقولون: صلى رسول الله على قتلى أحد وقال: **أنا شهيد على هؤلاء**. فقال أبو بكر: ألسنا إخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا! قال: **بلى، ولكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئا، ولا أدري ما تُحدثون بعدي!** فبكى أبو بكر، وقال: إنا لكائنون بعدك.![1]

ودفنه مع عبد الله بن جحش، وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب أخت حمزة، فحمزة خاله، قالوا: إن رسول الله دفنه مع حمزة في قبره.. وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد[2].

ثم قال رسول الله للمسلمين يومئذ: **احفروا وأوسعوا وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر وقدموا أكثرهم قرآنا**.. فكان المسلمون يقدمون في القبر أكثرهم قرآنا.. وكان ممن يعرف أنه دفن في قبر واحد: خارجة بن زيد وسعد بن الربيع، والنعمان بن مالك وعبدة بن الحسحاس في قبر واحد..[3]

و قالوا: إن رسول الله حين أمر بدفن القتلى، قال: **انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام** (أبي جابر بن عبد الله) **فاجعلوهما في قبر واحد فإنهما كانا متصافيين في الدنيا**..[4]

فلما أراد معاوية أن يجري عين كظامة (قناة من أحد إلى المدينة) نادى مناديه: مَنْ كان له قتيل بأحد فليشهد.. فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم طرايا يتثنون، وأصابت

---

(١) الواقدي ج ١: ٣٠٩، ٣١٠

(٢) سيرة ابن إسحاق

(٣) الواقدي ١: ٣١٠

(٤) سيرة ابن هشام، ٣: ١٠٣ و ١٠٤

المسحاة رجلاً منهم فانبعث دماً.! وكلما حفروا التراب فاح عليهم المسك..[١]

وحفر عنهما وعليهما نمرتان (شملتان)، وكانت يد عبد الله على جرح وجهه فأميطت يده فانبعث الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم، وما تغير من حاله قليل ولا كثير، كأنه نائم وبين ذلك وبين دفنه ست وأربعون سنة..[٢]

وقال القمي: ومر رجل من الأنصار بعمرو بن وقش فرآه صريعاً بين القتلى (المسلمين) وكان قد تأخر إسلامه، فقال له: يا عمرو، أنت على دينك الأول؟ فقال: معاذ الله، والله إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم مات.

فسأل رجل رسول الله، يا رسول الله إن عمرو بن وقش قد أسلم، فهو شهيد؟ فقال: **إي والله إنه لشهيد، وما رجل لم يصل لله ركعة دخل الجنة غيره!**[٣]

عن محمود بن أسد، قال: كان (عمرو بن ثابت بن وقش) يأبى الاسلام على قومه، فلما كان يوم خرج رسول الله إلى أحد بدا له في الاسلام فأسلم ودخل في عرض الناس وقاتل حتى أثبتته الجراحة.. فبينا رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: ما جاء به؟ وسألوه فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحدب على قومك؟ أم رغبة في الاسلام؟ قال: بل رغبة في الاسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني: ثم لم يلبث أن مات في أيديهم.. فذكروه لرسول الله، فقال: **إنه لمن أهل الجنة..**[٤]

قال ابن إسحاق: وكان ممن قتل يوم أحد، مخيريق (اليهودي) من بني ثعلبة بن فطيون.. (أسلم) وغدا إلى رسول الله فقاتل معه حتى قتل، فبلغنا أن رسول الله، قال: **مخيريق خير يهود..** (وكان قد قال لقومه: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن (محمداً نبي)

---

(١) الواقدي، ١ : ٢٦٨

(٢) الواقدي، ١ : ٢٦٧

(٣) تفسير القمي ١ : ١١٧

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٣ : ٩٥

وأن نصره عليكم لحق.. وأخذ عدته وسيفه، وقال لهم: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء..[١]

وقال: وقد كان رسول الله يزورهم في كل حول، فإذا صار بفم الشعب رفع صوته، يقول: **السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.! ثم قال لأصحابه: أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه..** وكان يقول: **ليت أني غودرت مع أصحاب الجبل** (شهداء أحد).

وكانت أم سلمة زوج النبي تذهب فتسلم عليهم في كل شهر فتظل يومها عندهم، فجاءت يوماً ومعها غلامها نبهان فلم يسلم، فقالت له: يا لكع (يا لئيم) ألا تسلم عليهم؟! والله لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا إلى يوم القيامة.! وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم وتدعو.. وعد من الزائرين: سلمة بن سلامة، ومحمد بن مسلمة وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة وأبا بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبي وقاص ومعاوية..[٢]

مواقف نسائية لا تنسى

النساء أخوات الرجال، بل أمهات الرجال، فأي رجل بعد أبينا آدم عليه السلام لم يكن لامرأة لها الفضل عليه بحمله وولادته أو رعايته وتربيته؟ فحتى السيد المسيح عليه السلام الذي استغنى عن الأب لم يكن ليستغني عن الأم وكأن ربنا يقول لنا لا يمكن لأحد منكم أن يكون بلا أم ولكن يمكن أن يكون بلا أب، وهذا ما أثبتته أيامنا بعلم الإستنساخ الذي أقام الدنيا ولم يقعدها..

ويروون عن أم نابليون بونابرت أنها قالت يوماً: من تهز ولدها بيمينها فإنها تهزُّ

---

(١) ابن اسحق ٣: ٩٤

(٢) الواقدي ١: ٣١٣ و ٣١٤

العالم بيسارها.. وقالوا: ما من عظيم إلا ووراءه إمرأة.. ولكن يبقى قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: **الجنة تحت أقدام الأمهات**.. الأجمل والأكمل لأنه ناظر إلى الدنيا والآخرة..

ويتبجح العالم بالحديث عن المرأة وحقوقها اليوم، فيا ويلهم ليس للمرأة حقوق، وليس لها شرف وكرامة وشخصية إلا في الإسلام الذي أعطى للمرأة معناها الروحي الحقيقي وهم مازالوا يريدون منها شكلها الخارجي، فاتخذوا منها دمية لأهوائهم البهيمية فحولوها إلى أدات إعلامية وإعلانية لترويج البضائع فقط..

فلإسلام العظيم قال لهم: المرأة إنسان وجنسها أنثى، كما أنت إنسان وجنسك ذكر، ولكل حقوقه وواجباته تجاه الآخر، ولكل له أجر عمله والتفاضل بالتقوى والعمل الصالح وليس بأي شيء آخر كما المقياس لدى الرجال تماماً.. وعليه فإليك هذه العيِّنة من نساء الأنصار المباركات تجاه الهزيمة بعد أحد بعد أن ذكرنا موقف نسيبة الخزرجية المشرِّف..

لما خسر المسلمون في أحد، نادى أحد اليهود على الأطم الذي فيه النساء: اليوم بطل السحر.. ثم ارتقى يصعد، فقالت صفية بنت عبد المطلب (عمة رسول الله وأم الزبير، لحسان بن ثابت الذي كان محله في الحرب مع النساء): يا حسان انزل إليه، فقال: رحمك الله يا بنت عبد المطلب، لو كنتُ ممن ينازل الأبطال، لخرجتُ مع رسول الله أقاتل، فأخذت صفية السيف وقيل أخذت هراوة فضربت اليهودي حتى قتلته..[1]

وفيها يقول حسان بن ثابت الجبان مفتخراً:

لو أن النساء كمثل هذي ... لفضِّلت النساء على الرجال

وحدَّث الواقدي عن صفية، قالت: عرفت انكشاف أصحاب رسول الله.. فخرجت والسيف في يدي حتى إذا كنت في بني حارثة أدركت نسوة من الأنصار ومعهن أم أيمن، فعدونا حتى انتهينا إلى رسول الله وأصحابه أوزاع (متفرقون) فأول من لقيت علياً ابن

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٩

أخي، فقال: **ارجعي يا عمة، فإن في الناس تكشفاً**. (بادين العورات لأنهم مسلوبين ممثلاً بهم)..

فقلت: ورسول الله؟ فقال: **صالح بحمد الله**.. قلت: أدللني عليه حتى أراه، فأشار لي إليه إشارة، فانتهيت إليه وبه الجراحة.

وقال الواقدي: وخرجت فاطمة الزهراء عليها السلام وصفية في نساء من نساء المسلمين إلى أرض المعركة.. كن يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم، وهن أربع عشرة امرأة منهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعمته صفية أم الزبير، وأم أيمن، وأم سليم بنت ملحان وعائشة على ظهورهما القرب يحملانها، وحمنة بنت جحش (بنت أميمة ابنة عبد المطلب أخت حمزة) تسقي العطشى وتداوي الجرحى، وأم أيمن تسقي الجرحى.

و لما انتهت فاطمة الزهراء عليها السلام وصفية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله (ونظر إليهما قادمتان)، قال لعلي عليه السلام: **أما عمتي فاحبسها عني، وأما فاطمة فدعها**.. فلما دنت فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وآله ورأته قد شج في وجهه وأدمي فوه إدماء، فاعتنقته وصاحت وجعلت تمسح الدم، وتقول: **اشتد غضب الله على مَنْ أدمى وجه رسول الله**..[1]

ويروي بعضهم هذا القول عينه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال القمي: وقعدت بين يديه فكان إذا بكى رسول الله صلى الله عليه وآله بكت لبكائه وإذا انتحب انتحبت..[2]

وأرادت أن تمسح الدم عن وجهه الشريف فقالت لابن عمها علي عليه السلام: **أريد ماء أغسل وجه أبي يا ابن العم**.. فقال لها الإمام علي عليه السلام: **إذن، أمسكي هذا السيف غير ذميم، خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم**.. وقيل أن القول في المدينة، وأنشد عليه السلام قائلاً:

---

(١) إعلام الورى ١ : ١٧٩

(٢) تفسير القمي ١ : ١٢٤

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بمليم
لقد أعذرت في نصر أحمد وطاعة رب بالعباد عليم
أميطي دماء القوم عنه فإنه سقى آل عبد الدار كأس حميم

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **خذيه يا فاطمة، فقد أدى بعلك ما عليه، وقتل الله بسيفه صناديد قريش..**[1]

وذهب يأتي بماء من المهراس.. (اسم لحفر كبار وصغار يجتمع فيها ماء المطر في أقصى شعب أحد..[2]

فأتى بماء في مجنته (الترس) فمضمض رسول الله صلى الله عليه وآله منه فاه ليغسل به الدم من فيه، وغسلت فاطمة عليها السلام الدم عن أبيها، وعليٌ يصب عليها الماء بالمجن (الترس).. وجعل النبي يقول: **لن ينالوا منا مثلها حتى تسنلموا الركن!** ولما رأت فاطمة عليها السلام أن الدم لا يرقأ (يتخثر فينقطع) أخذت قطعة حصير - أو صوفة - فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم..[3]

ولما علمت صفية بنت عبد المطلب بشهادة أخيها الحمزة أقبلت لتنظر إليه - وكان أخاها الشقيق لأبيها وأمها - فقال رسول الله صلى الله عليه وآله - رحمة بها - لابنها الزبير بن العوام: **إلقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها.**

فقال لها: يا أمه، إن رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرك أن ترجعي.

قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أن قد مُثِّلَ بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان في ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.!

فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بذلك، قال: **خلِ سبيلها..** فأتته فنظرت

---

(١) الإرشاد ١ : ٩٠، شرح النهج ١٥ : ٣٥
(٢) وفاء الوفاء ٢ : ٧٩ عن المبرد
(٣) الواقدي، ١ : ٢٤٩ و ٢٥٠

إليه فصلت واسترجعت واستغفرت له..[١]

ولما وقف النبي على حمزة وحفر له طلعت صفية، فقال رسول الله للزبير: **يا زبير أغن عني أمك**.. فقال الزبير لأمه: يا أمه، إن في الناس تكشفا (فارجعي)، فقالت: ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله ﷺ، فلما رأت رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله أين ابن أمي حمزة؟ قال رسول الله ﷺ: **هو في الناس!** (أي بين القتلى) قالت: لا أرجع حتى أنظر إليه.. فجعل الزبير يوطدها (يجلسها) إلى الأرض حتى يدفن حمزة..[٢]

فقال رسول الله ﷺ: دعوها (فجاءت) حتى جلست عند (النبي على قبر حمزة مع فاطمة عليها السلام فجعلت تبكي ويبكي رسول الله، وتنشج وينشج رسول الله، وفاطمة ابنته تبكي فيبكي رسول الله، ويقول: **لن أصاب بمثل حمزة أبدا!** ثم قال لهما رسول الله ﷺ: **أبشرا، فقد أتاني جبرئيل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله**..[٣]

وقال الواقدي: وأقبلت حمنة بنت جحش، فقال لها رسول الله: **يا حُمْنُ احتسبي!** قالت: مَنْ يا رسول الله؟ قال: **خالك حمزة**، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون غفر الله له ورحمه، هنيئا له الشهادة!

ثم قال لها: **احتسبي!** قالت: مَنْ يا رسول الله؟ قال: **أخوك (عبد الله)**.. قالت: إنا لله وانا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه، هنيئا له الجنة!

ثم قال لها: **احتسبي!** قالت: مَنْ يا رسول الله؟ قال: **بعلك مصعب بن عمير**.! قالت: وا حزناه! فقال لها رسول الله ﷺ: **لِمَ قلت هذا؟** قالت: يا رسول الله ذكرت يُتْمَ بنيه فراعني.. فدعا رسول الله ﷺ لولده أن يُحسن عليهم الخلف.. وقال: **إن للزوج من**

---

(١) ابن اسحق ٣: ١٠٢ و ١٠٣

(٢) الواقدي ١: ٢٨٨ و ٢٨٩ بتصرف

(٣) الواقدي ١: ٢٩٠ وابن هشام ٣: ١٠٢

المرأة مكانا ما هو لأحد.[١]

ودنت امرأة من بني النجار قد قتل أبوها، وأخوها، وزوجها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، دنت من رسول الله والمسلمون قيام على رأسه فقالت لرجل منهم: أحيٌّ رسول الله؟ قال: نعم، قالت: أستطيع أن أنظر إليه؟ قال: نعم، فأوسعوا لها فدنت منه، وقالت: كل مصيبة بعدك جلل! وانصرفت..[٢]

و روي: ان امرأة من بني دينار قد أصيب أبوها وأخوها وزوجها مع رسول الله بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله؟ قالوا: يا أم (فلان) هو بحمد الله كما تحبين.. قالت: أرونيه أنظر إليه.. فأشاروا إليه، فلما رأته قالت له: كل مصيبة بعدك جلل، تريد: صغيرة..[٣]

وقال الواقدي: إن السمراء بنت قيس من بني دينار أصيب ابناها (من زوجيها): سليم بن الحارث والنعمان بن عبد عمرو، أصيبا مع النبي بأحد، فلما خرجت ونعيا لها قالت: ما فعل رسول الله؟ قالوا: هو بحمد الله صالح على ما تحبين.. قالت: أرونيه انظر إليه. فأشاروا لها إليه، فلما رأته، قالت له: يا رسول الله، كل مصيبة بعدك جلل.[٤]

ثم خرجت ببعير إلى أحد فحملت ابنيها إلى المدينة، فلقيتها عائشة فقالت لها: ما وراءك؟ قالت: أما رسول الله فبخير بحمد الله، واتخذ الله من المؤمنين شهداء! فقالت لها عائشة: فمن هؤلاء معك؟ قالت: ابناي..[٥]

وقال: وكانت عائشة قد خرجت مع نسوة تستروح الخبر، ولم يضرب الحجاب يومئذ، فلما هبطت من بني حارثة إلى الوادي حتى إذا كانت بآخر الحرَّة (أرض الحجارة

---

(١) الواقدي ١ : ٢٩١ ـ ٢٩٢

(٢) إعلام الورى ١ : ١٨٣

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٣ : ١٠٥

(٤) شرح النهج ١٥ : ٣٧

(٥) ١ : ٢٩٢

السود) لقيت هند بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله بن عمرو بن حرام وزوج عمرو بن الجموح، وكانت تسوق بعيرا عليه أخوها عبد الله وزوجها عمرو وابنها خلاد بن عمرو، فقالت لها عائشة: عندك الخبر فما وراءك؟ فقالت هند: أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء..

قالت: فمن هؤلاء؟ قالت: أخي، وزوجي، وابني خلاد. قالت: فأين تذهبين بهم؟ قالت: إلى المدينة أقبرهم فيها.. ثم قالت لبعيرها: حل، حل، تزجره. فبرك (ولم يتحرك) فزجرته أخرى فقام فوجهته إلى المدينة فبرك، فوجهته راجعة إلى أحد فأسرع! فرجعت إلى النبي فأخبرته بذلك، فقال رسول الله ﷺ: **إن الجمل مأمور.. يا هند، ما زالت الملائكة مطلة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن! ثم مكث رسول الله ﷺ حتى قبرهم، ثم قال: يا هند، ترافقوا في الجنة جميعاً: عمرو بن الجموح، وابنك خلاد، وأخوك عبد الله.**

فقالت هند:يا رسول الله فادع الله عسى أن يجعلني معهم..[1]

رجوع الرسول من أحد

فلما فرغ رسول الله ﷺ من دفن أصحابه دعا بفرسه فركبه، وخرج المسلمون حوله، عامتهم جرحى، وأكثرهم في بني سلمة وبني عبد الأشهل... فلما كانوا بأصل الحرة (أول الحجارات السود) قال: اصطفوا فنثني على الله.. فاصطف الناس.. فرفع يديه فدعا: " **اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت! اللهم إني أسألك من بركتك ورحمتك، وفضلك وعافيتك.. اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.! اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف، والغناء يوم الفاقة، عائذا بك اللهم من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت منا.. اللهم توفنا**

(١) الواقدي، ١ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦

مسلمين.. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.. اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك.. اللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك، إله الحق آمين "..[١]

وانصرف رسول الله إلى المدينة، فمر بدور بني الأشهل وبني ظفر فسمع بكاء النوائح على قتلاهن، فترقرقت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى، ثم قال: **لكن حمزة لا بواكي له اليوم!** فلما سمعها سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، قالا: لا تبكين امرأة حميمها حتى تأتي فاطمة فتساعدها..[٢]

وصدر الخبر عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام. وزاد الصدوق في الفقيه: **فآلى أهل المدينة أن لا ينوحوا على ميت ولا يبكوه حتى يبدؤوا بحمزة فينوحوا عليه ويبكوه، فهم إلى اليوم على ذلك..**[٣]

وقال ابن إسحاق: فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دور بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ويذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وآله (حمزة سيد الشهداء)..[٤]

وقال الواقدي: ورجع (سعد بن معاذ) إلى نسائه فساقهن إلى بيت رسول الله[٥].

ويقال: وجاء معاذ بن جبل بنساء بني سلمة، وجاء عبد الله بن رواحة بنساء بني الحارث بن الخزرج[٦] وخرجت النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله.. فروى عن أم عامر من بني عبد الأشهل قالت: كنا في نوح على قتلانا إذ قيل لنا: قد أقبل النبي، فخرجنا ننظر

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ٣١٤ و ٣١٥

(٢) إعلام الورى ١ : ١٨٣

(٣) ن.م ١٨٣ ح ٥٥٣

(٤) ابن هشام ٣ : ١٠٥

(٥) مغازي الواقدي ١ : ٣١٦

(٦) مغازي الواقدي ١ : ٣١٧

إليه، فنظرت إليه والدرع عليه فقلت له: كل مصيبة بعدك جلل! وكان رسول الله على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بعنان فرسه، إذ خرجت أمه تعدو نحوه، فقال سعد: يا رسول الله أمي! فقال رسول الله: **مرحبا بها!** فدنت حتى تأملت رسول الله فقالت: أما إذ رأيتك سالما فقد أشوت (اشوت: قلت) المصيبة.. فعزاها رسول الله بابنها عمرو بن معاذ (أخي سعد) فقال لها: **يا أم سعد أبشري وبشري أهليهم أن قتلاهم قد ترافقوا في الجنة جميعاً، وقد شفعوا في أهليهم** (وكانوا اثني عشر رجلاً).

فقالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟! يا رسول الله ادعُ لمن خلفوا.. فقال: **اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا**.. ثم قال لسعد بن معاذ: **خلِّ يا أبا عمرو الدابة**.. فخلى الفرس، وتبعه الناس.

فقال رسول الله له: **يا أبا عمرو، إن الجراح في أهل دارك فاشية وليس فيهم مجروح إلا يأتي يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان، اللون لون دم والريح ريح المسك، فمن كان مجروحا فليقر في داره وليداو جرحه، ولا يبلغ معي بيتي، عزمة (أمراً) مني.!**

فنادى فيهم سعد: عزمة رسول الله، ألا يتبع رسول الله جريح من بني عبد الأشهل.! فتخلف كل مجروح، وإن فيهم لثلاثين جريحا.. ولكن سعد بن معاذ مضى معه إلى بيته[١].

وروى عن أبي سعيد الخدري، قال: جعلت أعدو بين يديه حتى انزل ببابه يتكئ على السعدين: سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، ورأيت ركبتيه مجروحتين..[٢]

فلما غربت الشمس وأذن بلال بالصلاة خرج رسول الله ﷺ على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين، ثم انصرف إلى بيته[٣].

ثم قال: وخرج (لصلاة العشاء) فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل بيته، فصليت

(١) مغازي الواقدي ١ : ٣١٥

(٢) مغازي الواقدي ١ : ٢٤٨

(٣) مغازي الواقدي ١ : ٢٤٨

معه العشاء، ثم رجع إلى بيته يمشي وحده، وقد صفَّ له الرجال ما بين مصلاه إلى بيته حتى دخل بيته..

قال: فبكين النساء بين المغرب والعشاء..[١]

وبقي الناس في المسجد يوقدون النيران يكمدون بها الجراح.

وقام رسول الله صلى الله عليه وآله حين فرغ من النوم لثلث الليل فسمع البكاء، فقال: ما هذا؟ فقيل: نساء الأنصار يبكين على حمزة..فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وآله: **رضي الله عنكن وعن أولادكن**.. وأمر النساء أن يرجعن إلى منازلهن.. قالت أم سعد بن معاذ: فرجعنا إلى بيوتنا معنا رجالنا[٢].

نقد وتحليل لمعركة أحد

النقد والتحليل لهذه المعركة يحتاج لكتاب مستقل، ولكن سأبحث بشيء من الإقتضاب والإختصار بحتين اثنين فقط، وأقدم لهما بمقدمة بسيطة..

بداية لا نريد أن نضع القداسة لأحد أو ننزعها عن أحد ولكن نقول لمن فعل فعلاً أنه فعل كذا، أو قال كيت.. ولا نريد الحساب فصاحبه ربنا تعالى في يوم الجزاء فيرحم من يشاء ويعذب من يشاء دون النظر لأقوال أحد لا بل ربما يحاسبنا عليها إن كان فيها تجني على أحد دون وجه حق..

واعلم – أيها النبيه – أن مقياس التفاضل عند الله التقوى والعمل الصالح الخالص من الرياء والطمع، وليس أي شيء آخر من المقاييس كالقرابة والنسب والصحبة وغيرها من مقاييسنا نحن، وإليك هذا المثال..

فقد نقل الطبرسي عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان قزمان –الذي مرَّ ذكره معنا –حين تخلفه وتعيير النساء له) قد قتل ستة أو سبعة من المشركين وقاتل قتالاً

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ٣١٦

(٢) مغازي الواقدي ١ : ٣١٦ و ٣١٧

شديداً حتى أثخنته الجراح فاحتمل إلى دور بني ظفر، فقال له المسلمون: أبشر يا قزمان! فقد أبليت اليوم! فقال: بِمَ تبشروني؟! فوالله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت! ولما اشتدت عليه الجراحة أخذ من كنانته مشقصاً فقتل به نفسه! فاتي رسول الله وقيل: إن قزمان استشهد، وذكر لرسول الله ﷺ حسن معونته لإخوانه، (أي أنه ﷺ قبل شهادتهم ولكن علمه به غير ذلك)، فقال: **يفعل الله ما يشاء، إنه من أهل النار!** ولذا عندما قيل له: إنه قتل نفسه!

فقال ﷺ: **أشهد أني رسول الله**[1].

وهناك رواية أخرى تسمي أحدهم بشهيد الحمار لأنه قاتل ليغنم حماراً أعجبه، وآخر شهيد القطيفة.. ولهذا قال ﷺ يوم الهجرة: **من كانت هجرته إلى الله ورسوله فإن هجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته لما هاجر إليه..**

والحال في القتال والشهادة مشابه تماماً، ولا نحتاج إلى الإطالة هنا ولكن أكتفي بهذه الإشارة لك، وإليك بحثا النتائج..

أولاً: الفارُّون يوم أحد (بحث لابدَّ منه)

أجمع المؤرخون وأصحاب السيرة على فرار القوم من أرض المعركة في يوم أحد، وثبت مع النبي الكريم اثنان من المهاجرين، وسبعة من الأنصار على أوثق الروايات، وفرَّ الباقون حتماً..

فقد جاء في تفسير ابن كثير: أفرد النبي ﷺ في تسعة سبعة من الأنصار ورجلين من قريش وهو عاشرهم.. (والحديث عن معركة أحد).. [2]

وقد أرخ الذهبي هذه الحادثة، قائلاً: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد فبقي

---

(١) (إعلام الورى ١ : ١٨٢، ١٨٣ (الواقدي ١ : ٢٦٣ و ٢٦٤

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٦٤٨

معه أحد عشر رجلاً وقال إن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش.. (فيكون العدد تسعة وليس احدى عشر وهذا هو الصحيح والله العالم)..[١]

والرجلان القرشيان هما: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومصعب بن عمير من بني عبد الدار، حيث صمد بعد مقتل سيدنا الحمزة وقاتل قتال الأبطال، رافعاً الراية فاديا الرسول ﷺ إلى أن نال وسام الشهادة في سبيل الله..

فلقد اختلفت الأحداث كثيراً في معركة أحد، إذ دارت الدوائر على المسلمين لعدم، طاعتهم أوامر الرسول ﷺ، فانهزموا من أرض المعركة، مخلفين النبي ﷺ مع بعض المسلمين في وسط عسكر الكفار؟! وأجمعت الأخبار على انهزام عمر وأبي بكر وعثمان ومعظم المسلمين من أرض المعركة، وتركهم نبيهم محمد ﷺ يلاقي سيوف قريش الحاقدة عليه وعلى الإسلام في معركة أحد..[٢]

ويروى عن عبد الله بن معاذ قال: انكشف المسلمون ذلك اليوم فما لهم لواء قائم ولا فئة ولا جمع، وإن كتائب المشركين لتحوسهم مقبلة ومدبرة في الوادي يلتقون ويفترقون ما يرون أحداً من الناس يردهم.. فاتبعت رسول الله فانظر إليه وهو يقصد أصحابه وما معه إلا نفير من المهاجرين والأنصار وانطلقوا به إلى الجبل..[٣]

ثم روى بسنده عن المقداد بن عمرو، قال: هُزم المشركون الهزيمة الأولى ثم كروا على المسلمين فأتوا من خلفهم فتفرق الناس.. واقتتلوا باختلاط الصفوف، ونادى المشركون بشعارهم: يا للعزى، يا لهبل، فأوجعوا والله فينا قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا.. ولا والذي بعثه بالحق ما رأيت رسول الله ﷺ زال شبراً واحداً، وإنه لفي وجه العدو وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة وتتفرق عنه مرة، فربما رأيته قائما يرمي عن قوسه أو يرمي بالحجر حتى تحاجزوا.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي المغازي ص ١٩١، دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٢٣٤، صحيح مسلم ٥ / ١٧٨

(٢). (نظريات الخليفتين، لنجاح الطائي

(٣) الواقدي: ١ : ٢٣٨

وبايعه يومئذ ثمانية على الموت: ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار: علي والزبير وطلحة (من المهاجرين).. وأبو دجانة والحارث بن الصمة، والحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف (من الأنصار).. فلم يقتل منهم أحد.

هذا خبر المقداد بن الأسود فارس يوم بدر والصحابي الجليل يحدثنا ويقسم باراً وليس متهما، وهذا القسم دعاه إليه ما أشاعوه عن رسول الله ﷺ من أنه كان يجلس في العريش ويدعو ويبكي ويخصص له صناديد ليحرسونه كما أشاعوا من قبل في عريش يوم بدر، وفي أحد من أنه التجأ إلى الغار في أحد فراراً من قريش بعدما أصابته الجراح – روحي وأرواح العالمين له الفداء – فكل ذلك دعا سيدنا المقداد لهذه الشهادة وذاك القسم..

لأن رسول الله ﷺ لا يجوز أن يفر من وجه العدو، ولا يمكن أن يتزحزح من ساحة القتال ولو اجتمعت الأرض لقتاله إنسها وجنها لقاتلهم منفرداً لا يوليهم الدبر..وإذا قرأنا عن تلميذ الرسول الأول أمير المؤمنين علي عليه السلام مثل هذه الكلمات: **(لو اجتمعت العرب على قتالي، لما وليت عنهم..أو لو أنهم طلاع الأرض لقاتلتهم منفرداً..)** فرسول الله ﷺ أولى به أن يقول ويفعل أكثر من هذا الذي صرَّح به وصيه وخليفته على أمته المرحومة..

فلم يفر رسول الله ﷺ من القتال وما ادعاه البعض فهو للتمويه على فرار الآخرين فقد نزل قرآن في الفارين، وكيف يفر وقد أنزل الله في الفارين ما أنزل.

وثانياً قال الواقدي: وصل رسول الله ﷺ إلى الشعب مع أصحابه فلم يكن هناك قتال..[1]

ولم يصعد المسلمون إلى قمة الجبل، بل بقوا في سفحه، فقد قال الواقدي: إن المسلمين لم يصعدوا الجبل وكانوا في سفحه، ولم يجاوزوه إلى غيره وكان فيه النبي

(١) مغازي الواقدي ١ / ٢٨١

صلى الله عليه وآله..[١]

فرسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام وخلّص أصحابه لم يفروا ولا يجوز لهم أن يفروا من المعركة ولكن الذين فروا هم غيرهم من الصحابة الأوائل، ونزل بهم قرآناً يتلى ولا أحد يستطيع أن ينكر فرارهم يوم أحد، وتقاعسهم عن عمرو بن عبد ود العامري يوم الأحزاب، وفرارهم الآخر يوم حنين حين أعجبته كثرتهم وأصابهم أبو بكر بالعين كما في التاريخ وسيأتيك التفصيل فيما بعد بإذن الله تعالى.. وإليك هنا نماذج عن كبار الصحابة في معركة أحد..

عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر)

هذا الرجل يذكرون له كل المناقب إلا الشجاعة والسيف، ولذا فلم يذكر له ذاكر من ذلك فليس له أمراً واحداً ذا بال، فيوم الغار كان يبكي كالنساء ويولول كالحريم (كما يروون حضوره بالغار وهو لم يكن بالغار أصلاً بل كان في المدينة)، ويوم بدر كان يبكي في العريش، ويوم أحد كان في أعلى الجبل يبحث مع أصحابه عن رجل يتوسط لهم عند رأس المنافقين ابن أبي السلول ليشفع لهم عند رأس المشركين أبا سفيان..

وقد قال الإسكافي عن أبي بكر أنه: لم يرمِ بسهم قط ولا سلَّ سيفاً ولا أراق دماً، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف ولا طالب ولا مطلوب.. ورد الإسكافي على الجاحظ بقوله: " أما ثباته (أبو بكر) يوم أحد، فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه"[٢].

وقد تيقن الأمويون بعدم جدوى أفعالهم فاخترعوا رواية مفادها أنه صلى الله عليه وآله قال لأبي بكر: شم (اغمد) سيفك وأمتعنا بك، (أو بنفسك).![٣]

وهذه الرواية مخالفة لسيرة المصطفى في قيادة الجيوش ودخول الحروب بنفسه مع

---

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٢٧٨

(٢) (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٣ / ٢٩٣، وآخر العثمانية ص ٣٣٩

(٣)

ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب عليه السلام، دون خوف من موت، طبقا لأقواله تعالى في الحثِّ على الجهاد، ونبذ الفرار والجبن.. وقد قاتل رسول الله ﷺ يوم أحد قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتى فني نبله، وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره..[١]

ومن أدلة فرار أبي بكر يوم أحد (والأمر لا يحتاج إلى دليل لوضوحه) ما أعترف به هو نفسه، إذ ورد عن عائشة: " كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: ذاك كان يوم طلحة (وهذه مكرمة طبلوا فيها كثيراً التيميون لطلحة لأنهم ليس لهم غيره وسيأتيك خبره).. ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله ﷺ فقلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، يكون رجلاً من قومي أحبُّ إليَّ، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف المشي خطفاً لا أعرفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح.. (فالمسألة عصبية)..[٢]

طلحة بن عبيد التيمي

قالوا و العهدة على الراوي أنه ثبت في أحد وهو الذي رفع رسول الله ﷺ من الحفرة التي حفرها الراهب الفاسق (وأنا أشك بوجودها وهل يعقل بوجود حفر ولا أحد من المسلمين يقع فيها إلا رسول الله ﷺ وهو الذي يرى من كل الجهات بنفس القوة والحال؟).

وهو الذي وقاه من سهم فشُلَّت خنصره فتسميه ابنة عمه عائشة (ذا الإصبع) كما كانت تنادي يوم الجمل.. ولكن كم قتل طلحة من قريش، وكم بارز برازاً، أو طاعن، أو جالد؟

---

(١) المصدر السابق ٢ / ١٥٧

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٦٥٤، طبقات ابن سعد ٣ / ١٥٥، السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٥٨، كنز العمال ١٠ / ٢٦٨، تاريخ الخميس ١ / ٤٣١، حياة الصحابة ١ / ٢٧٢، دلائل الصدق ٣٥٩، البداية والنهاية ٤ / ٣٣، تاريخ الإسلام، الذهبي، كتاب المغازي ص ١٩١، تفسير ابن كثير ١ / ٦٥٤، المستدرك، الحاكم ٣ / ٢٧

بالحقيقة – يا أخي – أن طلحة صمد بداية ولكنه لما رأى الموت الأحمر فرَّ مع الفارين وسكن معهم فوق الجبل كما في الروايات ولم يرجع إلا بانتهاء المعركة..

قال الأمير أسامة بن منقذ: " لما دون عمر الدواوين، جاء طلحة بنفر من بني تيم يستقرض لهم.. وجاء أنصاري بغلام مصفر سقيم، فسأل عنه عمر، فأخبر أنه البراء بن أنس بن النضر، ففرض له في أربعة آلاف، وفرض لأصحاب طلحة في ست مئة، فاعترض طلحة، فأجابه عمر: إني رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وأنا وأبو بكر قد تحدثنا: أن رسول الله قتل، فقال: يا أبا بكر ويا عمر: ما لي أراكما جالسين؟ إن كان رسول الله قتل فإن الله حي لا يموت..[1]

وهذه الشهادة من عمر تُبطل قول أبي بكر بثبات طلحة التيمي في معركة أحد وأثبت بأنه كان مع أبي بكر الفار فوق الجبل، يتحدث بأن محمداً صلى الله عليه وآله قد مات.

وجاء عن أنس بن مالك عن مجموعة الفارين فوق الجبل: إنه انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمد رسول الله..[2] وهذا يثبت فرار طلحة.

عمر بن الخطاب

أما هذا الفاروق فهو أبو الأهاويل وفيه لدى المؤرخون كلام طويل وعريض عن شجاعته ولكن بالكلام فقط، ولا أحسبه قتل فارساً أو بارز أحداً جاهلية وإسلاما..وها هو التاريخ وأتحدى على ذلك إلا أن يقولوا أنه حاول قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام، أو أنه شارك بضرب السيدة الزهراء أمام بعلها عليها السلام، فأقول مُسلِّماً: نعم إنها شجاعة لا تنكر على الرجل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) فمن يستطيع أن يقف بوجه الإمام علي عليه السلام في ذلك اليوم إلا أن يكون أبو حفص كما تغنى بذلك الموقف الشجاع شاعر النيل في

---

(١) (لباب الآداب ١٧٩ ، حياة محمد صلى الله عليه وآله لهيكل ٢٦٥، تاريخ الطبري ٢ / ١٩٩

(٢) الكامل في التاريخ ٢ / ١٥٦ ، دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٢٤٥، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦

عمرياته المخزية، بقوله:

وقولـــة لعـــلي قالهـــا عمـــر أعظـــم بســـمعها أعظـــم بملقيهـــا
حرَّقـــت عليـــك دارك لا أبقـــي بهـــا أحـــدا وبنـــت المصـــطفى فيهـــا
مـــا كـــان غـــير أبـــا حفـــص بقائلهـــا أمـــام فـــارس عـــدنان وحاميهـــا

نعوذ بالله من الزلل وسوء العاقبة، أيُفتخر بحرق بيت النبوة، ووحيدة الرسول وحبيبته من أجل بيعة وسلطان يا شاعر النيل الكبير؟ والله إن هذا لعجب عُجاب، والأعجب من ذلك أن الأمة مازالت ترى رأي عمر وتتغنى بأبيات شوقي مؤيدة له؟

وذكر الفخر الرازي: " ومن المنهزمين عمر إلا أنه لم يكن في أوائل المنهزمين، ولم يبعد بل ثبت على الجبل إلى أن صعد النبي ﷺ (وهنا فرية على النبي لا تغفل عنها فرسول الله لم يبرح مكانه من ساحة المعركة حتى انخذل المشركون).. ومنهم أيضا عثمان انهزم مع رجلين من الأنصار، يقال لهما: سعد، وعقبة، انهزموا حتى بلغوا موضعاً بعيداً، ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام "

وقد اعترف عمر بفراره في يوم أحد، إذ جاءت امرأة لعمر أيام خلافته، تطلب بردا من برود كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة ورد ابنته.. فقيل له في ذلك، فقال: إن أبُ هذه ثبت في يوم أحد، وأبُ هذه فرَّ يوم أحد، ولم يثبت..[1]

وهذه هي الصراحة البدوية الرائعة.. والشيء المُلفت للنظر نزول قرآن في هؤلاء المنهزمين وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا**﴾.[2]

وذكر ذلك المفسرون فالزمخشري يقول فيها: (إنما استزلهم الشيطان) طلب منهم الزلل، ودعاهم إليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم، ومعناه: إن الذين انهزموا يوم أحد، كان

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٥ / ٢٢
(٢) آل عمران: ١٥٥

السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان، فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعهم الله التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا ".

وقال السيوطي: قال عمر: لما كان يوم أحد هزمونا، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى (الثعلب).. [١]

ونقل النيسابوري عن القفال قوله: الذي تدل عليه الأخبار في الجملة، إن نفرا قليلاً تولوا وأبعدوا، فمنهم من دخل المدينة، ومنهم من ذهب إلى سائر الجوانب، ومن المنهزمين عمر.. [٢]

وحدث ابن أبي سبرة: " كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام يقول: الحمد لله الذي هداني للإسلام! لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب - رحمه الله - حين جالوا وانهزموا يوم أحد، وما معه أحد، وإني لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحد غيري، فنكبت عنه، وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له، فنظرت إليه موجها إلى الشعب ".. [٣]

وهنا لفتة ألفت إليها نظرك - يا رعاك الله - لماذا حاد خالد بن الوليد عن عمر ولم يقتله؟ ولماذا لم يغرِ به أحداً من رجاله فتركه يهرب بجلده وهو الرجل الثاني أو الثالث في المسلمين كما يقولون؟

وهل كان خالد لو رأى أحداً من بني هاشم الغر يتركه هكذا لا يتعرف عليه ولا يغري به أحداً ممن معه؟ لا والله..ولكن وراء الأكمة ما وراؤها، وفي الأمر سراً خفياً يبقى بعلم الله تعالى..

ويروى أن وهب بن قابوس المزني لما جاءت الخيل من خلف المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، واختلطوا، قاتل المزني أشد القتال.. فما زال

(١) حياة الصحابة ٣ / ٤٩٧، كنز العمال ٢ / ٢٤٢، دلائل الصدق ٢ / ٣٥٨، تفسير ابن كثير ج ١

(٢) تفسير غرائب القرآن ٤ / ١١٢ ـ ١١٣، بهامش تفسير الطبري

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٢٣٧ (البداية والنهاية ٤ / ٥٤

كذلك وهم محدقون به حتى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم فقتلوه ومثل به أقبح المثلة.. فكان عمر بن الخطاب يقول: إن أحب ميتة أموت عليها لما مات عليها المزني..[١]

وهذا دليل قوي على فرار أبي بكر وعمر. وعن كليب قال: خطبنا عمر فكان يقرأ على المنبر آل عمران ويقول: إنها أحدية ثم قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فسمعت يهوديا يقول: قتل محمد فقلت: لا أسمع أحدا يقول: قتل محمد إلا ضربت عنقه.. فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه، فنزلت: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...**﴾[٢]

أي أن عمر سمع ذلك اليهودي خارج أرض المعركة!

نعم؛ صراحة عمرية، ولكن من يجرؤ على الدخول إلى الموت أو يصمد إذا خرج إليه الموت هنا السر يا أبا حفص، حلاوة الشهادة في سبيل الله، وأنت مت بطعنة أبا لؤلؤة أفلا قاتلت في أحد كالمزني؟

عثمان بن عفان الأموي

وقال ابن كثير: وفرَّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتى بلغوا الجلعب، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص، فأقاموا ثلاثاً، ثم رجعوا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم: **لقد ذهبتم فيها عريضة**..

وقد ذكر ابن كثير (وباقي المؤرخين وأصحاب السنن ومنهم البخاري) فرار عثمان بن عفان يوم وأحد، وحنين، وتغيبه عن بيعة الرضوان، لكنه عذره بأعذار شتى..[٣]

---

(١) الواقدي: ١: ٢٧٥

(٢) كنز العمال ١ / ٢٣٨، دلائل الصدق ٢ / ٣٥٨، الدر المنثور ٢ / ٨٠، حياة الصحابة ٣ / ٤٩٧، آل عمران: ١٤٤

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير ٣ / ٥٥، البداية والنهاية، ابن كثير ٤ / ٣١، ٣٢، وصحيح البخاري، كتاب المغازي في التاريخ ٢ / ١٥٨، كتاب المغازي ٢١ باب ح ٤٠٦٨

وانتهت الهزيمة بجماعة من المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى الأعوص فأقاموا به ثلاثاً ثم أتوا النبي صلى الله عليه وآله فقال لهم صلى الله عليه وآله حين رآهم: **لقد ذهبتم فيها عريضة**[1].

إن فرار عثمان البيِّن في معركة أحد وحنين، وتخوفه من منازلة عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق، وعدم مشاركته في حروب الردة، والفتح في زمن أبي بكر وعمر وأيام خلافته يثبت فراره في أحد.. والنتيجة عدم مشاركة عثمان في الحروب الإسلامية قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وبعدها.

وفي معركة أحد خالف عثمان النبي، مرتين: مرة بفراره من أرض المعركة، ومرة بإخفائه أحد جنود قريش في بيته، وهو معاوية بن المغيرة بن أبي العاص (ابن عمه)، وقد أخبر الله سبحانه نبيه بوجود معاوية بن المغيرة في المدينة فأصدر أوامره بجلبه وقتله، ولما جاءوا به ادعى عثمان أنه جاء لطلب الأمان له.! فأعطاه الرسول صلى الله عليه وآله أمانا ثلاثة أيام، لكنه لم يخرج وبقي ثلاثاً يستعلم أخبار الرسول صلى الله عليه وآله ليأتي بها قريشاً، ولما عاد الرسول صلى الله عليه وآله في اليوم الرابع فرَّ معاوية، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فرمياه حتى قتلاه.[2].

أي أن عثمان أخفى ابن عمه الكافر المحارب إلى أن جاء خبر ذلك من الله تعالى، وفر هو في معركة أحد!

طلب الأمان من أبي سفيان

وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول.!فأين الإيمان يا أهل الإيمان، ولماذا لا نرجع عن ديننا اليوم ولو قطعنا وحاربتنا الدنيا بأسرها، وأولئك كانوا مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فإذا قُتل كما أشاعوا رجعوا مشركين إلى دينهم الأول ألم يسمهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالأصحاب ويسمينا بالأحباب وهنا يَكمُنُ الفرق بيننا

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ١٥٨، البداية والنهاية، ابن كثير ٤ / ٣٢، تاريخ الطبري ٢ / ٢٠٣

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠

وبينهم، وهنا يتبين لك الكم الهائل من روايات الفضائل لم تكن ولا سمع بها أصحابها أصلاً ولكن اختُرعت بزمن معاوية وبني أمية من أبناء الشجرة الملعونة في القرآن..فتبصَّر يا بصير..

وهذه رواية عن أنس بن مالك يروي قول وفعل جده: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمد رسول الله..

قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل وبه سمي أنس بن مالك. وجاء: " إن أنس بن النضر سمع نفراً من المسلمين يقولون لما سمعوا أن النبي قتل: ليت لنا مَنْ يأتِ عبد الله بن أبي بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا.. فقال لهم أنس: يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد.. اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء (يعني الفارين على الجبل) وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء (من قتل رسول الله ﷺ! ثم قاتل حتى قُتل..وهذا الذي افتخر به عمر في الحديث السابق على طلحة..[1]

وقال الواقدي: قالوا: مر مالك بن الدخشم على خارجة بن زيد بن أبي زهير – وهو قاعد وبه ثلاثة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل – فقال له: أما علمت أن محمداً قد قتل.! فقال خارجة: فإن كان قد قتل فإن الله حيٌّ لا يموت، فقد بلَّغ محمد، فقاتل عن دينك.! ومرَّ على سعد بن الربيع – وبه اثنا عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل – فقال له: أما علمت أن محمداً قد قُتل.! فقال سعد بن الربيع: أشهد أن محمداً قد بلَّغ رسالة ربه، فقاتل عن دينك، فإن الله حي لا يموت.. فلماذا بقيَّة الصحابة الفارين وما بهم من

(١) الكامل في التاريخ ٣ / ١٥٦، تاريخ الطبري ٢ / ٢٠١، مغازي الواقدي ١ / ٢٨٠، تفسير ابن كثير ١ / ٦٤٩، السيرة النبوية، ابن كثير ٣ / ٦٨

جُرح يبحثون عن وليجة وواسطة لدى رأس الكفر أبو سفيان.. أو يرجعون إلى الشرك والوثنية..؟!

عقدة فلان في التاريخ الإسلامي

ألم أقل لك أن العقدة عند فلان، وفلان هذا البُعبُع الذي لا يجرؤ أحد على التصريح باسمه فما زلنا نخاف من دُرته التي كانت تُسقط الحوامل من رعبها..ولكن أما كان الأجدر بفلان، وفلان بهذه الشهادات من رسول الله صلى الله عليه وآله لنسبية وذويها، أو هذا الطلب الذي ينمُّ عن عقيدة راسخة بالرسول والقيامة والجنة فمرافق الرسول صلى الله عليه وآله في الجنة نسيبة وذويها لا فلان وابنته كما يدَّعون..

وأخالني لا أكشف سراً لك يا عزيزي أن عقدتي – والكثيرين من أمثالي طبعاً – من فلان، وفلان في تاريخنا..فمَنْ هذا الفلان يا مسلمون؟ لماذا لا نجرؤ على التصريح باسم عمر مثلاً وهو يقول: فررت يوم أحد وكنت أنزو كالثعلب (أروى)؟وهو الذي كان يفاضل بين المسلمين وأبناءهم على أساس أن هذا ثَبَتَ وهذا فَرَّ، وكان يُقدِّم الثابتَ على الفار..

ولماذا إذا ذُكر أبا بكر نشف اللعاب في الحلوق وأجمع المؤرخون أنه ليس برجل حرب ولا ضرب لا من قريب ولا من بعيد وفر مع الفارين، حتى وصل إلى الجبل مع أصحابه وراحوا يبحثون عن كفيل لدى أبا سفيان..

وأما عثمان بن عفان فهو من أجبن الصحابة فلم يشارك المسلمين في موقعة إلا وفر منها بعيداً، ومن شجاعته ما مرَّ معنا أنه ربما وصل إلى سيف البحر الأحمر، وذهب بها عريضاً..

فلماذا لا نصرح بهذا الفلان سيما وقد صرحت به بعض المصادر ونتخلص من هذه العقدة فالحساب على الله ولن يحاسبَ أحد أحداً.. ولكن علينا بعد هذه القرون المتطاولة أن نعرِّف الأجيال الحقيقة كما هي، ليحيى من حيا على بينة من أمره والحساب

على رب الأرباب.

وإليك بعض الشهادات هنا، قال الدكتور مارسدن جونس في مقدمة كتاب المغازي للواقدي: في المخطوطة التي اتخذناها أصلاً لهذه النشرة نرى قائمة بمن فر من النبي ﷺ يوم أحد تبدأ بهذه الكلمات: " وكان ممن ولى فلان والحارث بن حاطب، وثعلبة بن حاطب، وسواد بن غزية، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان، وخارجة بن عامر، وأوس بن قيظي في نفر من بني حارثة..[1]

ولكن ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه عمر وعثمان بدل فلان.. وذكر البلاذري عن الواقدي أسم عثمان، ولم يذكر عمر[2].

وذكر محمد حسنين هيكل في كتابه أن أبا بكر وعمر كانا ممن فرَّ في معركة أحد. ومما يؤيد فرار أبي بكر وعمر في معركة أحد ما جاء في شرح النهج، حيث قال: حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه، في داره بدرب الوداب ببغداد، في سنة ثمان وستماية، وقارئ يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ حدثنا الواقدي عن ابن أبي سير عن خالد بن رياح عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد، قال: سمعت محمد بن سلمة يقول: سمعت أذناي ورأت عيناي رسول الله يقول يوم أحد، وقد انكشف عنه الناس إلى الجبل، وهو يدعوهم ولا يلوون عليه سمعته، يقول: **إليَّ يا فلان، إليَّ يا فلان أنا رسول الله فما عرَّج عليه أحد منهما، ومضيا مع من مضى عنه؟**

فقال: هذه كناية عنهما فأشار ابن معد إليَّ أي اسمع، فقلت: وما في هذه فقلت له ويجوز أن لا يكون عنهما لعله عن غيرهما. فقال: ليس في الصحابة من يُحتشم ويُستحيا من ذكره باسمه بالفرار، وما شابهه من العيب، فيضطر القائل إلى الكناية إلا هما (أي أبو بكر وعمر).. قلت: هذا وهم.. فقال: دعنا من جدلك ومنعك، ثم حلف بالله أن الواقدي

---

(١) مغازي الواقدي، ج ١، مقدمة مارسدن جونس ص ١٨

(٢) أنساب الأشراف ١ / ٣٢٦

ما عنى غيرهما، ولو كان غيرهما لذكره صريحاً، وبان في وجهه التنكر من مخالفتي له وحلف أنه ما عنى الواقدي غيرهما، وأنه لو كان غيرهما لذكره صريحاً..[١]

وقال الأستاذ محمد حسنين هيكل: وكان أكبر هم كل مسلم أن ينجو بنفسه إلا من عصم الله أمثال علي بن أبي طالب..[٢]

ومن خلال الروايات السابقة نفهم بأن كلمتي فلاناً، وفلاناً تعني أبا بكر وعمر.. لأنهم لا يتحرجون من ذكر أسماء الصحابة في الفارين، مثلما يتحرجون من ذكر اسمي أبي بكر وعمر.. وذكروا عن النبي صلى الله عليه وآله: " ثم أقبل صلى الله عليه وآله على عمر فقال: أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم "[٣]

ولقد أنزل الله سبحانه في معركة أحد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٤]

وعندما سأل الرسول صلى الله عليه وآله عن الفارين من أرض المعركة؟ قال: " كفر عامَّتهم "[٥]

وجاء بسند صحيح عن ابن عباس في قوله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أبو بكر وعمر..[٦]

وقال الرازي: وعندي فيه إشكال، لأن الذين أمر الله ورسوله بمشاورتهم، هم الذين أمره بالعفو عنهم، ويستغفر لهم، وهم المنهزمون، فهب أن عمر كان من المنهزمين فدخل

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٣ / ٣٩٠ طبع مصر دار الكتب العربية الكبرى (أو شرح نهج البلاغة، ج ١٥ : ٢٣ و ٢٤

(٢) حياة محمد، محمد حسنين هيكل

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٩

(٤) آل عمران: ١٥٥

(٥) دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٢٨٣

(٦) مستدرك الحاكم ٣ / ٧٠، تلخيصه للذهبي والبيهقي في سننه وابن الكلبي والدر المنثور ٢ / ٩٠، وتفسير الرازي ودلائل الصدق ٢ / ٣٥٩

تحت الآية، إلا أن أبا بكر ما كان منهم فكيف يدخل تحت هذه الآية..[١] (ولكن أين كان أبو بكر أيها الرازي، بحثنا عنه في أرض المعركة فلم نجده بين الشهداء، ولكن وجدناه بأعلى الجبل يبحث عن كفيل لدى أبا سفيان..فكيف استقام معك إشكالك بالله عليك؟).

لكن المصادر أثبتت فرار أبي بكر مع عمر إلى فوق الجبل فقد جاء: لما نادى كعب بن مالك يُبشر الناس بحياة الرسول ﷺ نهضوا إليه (أي الفارون فوق الجبل) فيهم أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وسعد والحارث بن الصمة.. (علماً أنهم أضافوا علياً فرفعناه كما أمر الله في سورة النور المباركة)[٢].

وقالت المعتزلة: ذلك الذنب (الفرار) إن كان من الصغائر جاز العفو عنه من غير توبة، وإن كان من الكبائر لم يجز إلا مع التوبة[٣].

وقد نزلت في أحد قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[٤].

ثانياً: بحث في أسباب الهزيمة

لكل شيء سبب أحياناً يكون ظاهراً وجلياً، وأخرى يكون مستوراً ومخفياً، وفي كل الأمور الكبيرة والقضايا المُهمة لها أسباب مباشرة (تكتيكية)، وأسباب بعيدة المدى (استراتيجية)..فما هي الأسباب التي أدَّت إلى هزيمة المسلمين المُنكرة بعد نصرهم الساحق في معركة أحد،وهم بأحوج ما يكون للنصر؟

١- أسباب ظاهرية:

أ- إشاعة مقتل الرسول القائد ﷺ.. وهذه الإشاعة وإن كان لها وقعُ الصَّاعقة

---

(١) تفسير الرازي ٩ / ٦٧

(٢) الثقات لابن حبان ١ / ٢٢٩، وقد أدخل الراوي علبا عليه السلام لحشره مع الفارين كذبا على الله ورسوله

(٣) تفسير الفخر الرازي ٣ / ٣٩٩

(٤) آل عمران: ١٥٥

على الأمة وليس على الجيش فقط، ولكن هذا ليس مُبرراً ولا بأي شكل من الأشكال للفرار من العدو، لا بل على العكس يجب أن يكون دافعاً ومحفِّزاً قوياً للإستبسال والقتال ثأراً للقائد الشهيد، وهذا ما صرَّح به أنس بن النضر حين قالوا له: أن رسول الله قد قتل.. فقال لهم: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. وبالفعل قاتل حتى قُتل وإنتقل إلى رحمة الله الواسعة وجنانه الوارفة..

فهذه الشائعة الهدامة والتي هدَّت جيش المسلمين في معركة أحد ما هو مصدرها، ومَنْ الذي أطلقها حتى كان لها هذا الصدى حتى وصل إلى جميع أبيات المدينة المنورة؟ قالوا: لها مصدران..

- **صيحة ابن القيئة**: وقال شيخنا الطبرسي في تفسيره " مجمع البيان ": رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه وأقبل يريد قتله، فذب مصعب بن عمير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قتله ابن قميئة، فرجع وهو يرى أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: إني قتلت محمداً.! وصاح صائح: ألا إن محمداً قد قتل.!

فانكشف الناس.! وفشا في الناس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان! وبعضهم جلسوا وألقوا بأيديهم (أي استسلموا للأمر الواقع والهزيمة).

ثم إن رسول الله التجأ إلى صخرة (في الجبل ليحمي ظهره بعد فرار أصحابه) وهو يدعو الناس (يقول: **إليَّ عباد الله**).

فأول مَنْ عرف رسول الله كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تحت المِغفر تزهران فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا فهذا رسول الله.! فأشار إليَّ: أن اسكت.! فانحازت إليه طائفة من أصحابه (حتى اجتمع إليه ثلاثون رجلاً) فلامهم النبي على الفرار، فقالوا: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا، أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين..

وهذا اعتراف بالفرار من الزحف حتى من الراجعين الذين ذكرتهم الآيات وشملتهم كما لا يخفى عليك..

- **صيحة إبليس اللعين**: إما مباشرة، أو على لسان جُعال بن سُراقة الذي تصوَّر بصورته وقاتل مع المشركين ونادى بصوته في المعركة.. وفي الخبر المروي: أنه كان جعال بن سراقة وأبو بردة بن نيار آخر من انصرف من الجبل بعد أن قتل عبد الله بن جبير، حتى لحقا بالقوم، فإنه كان يقاتل مع المسلمين أشد القتال إلى جنب أبي بردة بن نيار وخوات بن جبير (أخي عبد الله بن جبير) إذ ابتلي يومئذ جعال بن سراقة ببلية عظيمة: إذ تصوَّر إبليس بصورته ونادى ثلاث مرات: إن محمداً قد قتل.!

هذا وجعال يقاتل مع المسلمين أشد القتال.! فوالله ما رأينا أسرع من انتقال الدولة (النصر) للمشركين علينا، فأقبل المسلمون على جُعال بن سراقة، يقولون: هذا الذي صاح: إن محمدا قد قتل..وهم يريدون قتله لذلك،حتى شهد له أبو بردة بن نيار وخوات بن جبير بأنه حين صاح الصائح كان إلى جنبهما فالصائح غيره.

إذن فالمسلمون أقبلوا على جعال بن سراقة يقولون: هذا الذي صاح، وحتى أنهم أرادوا قتله لذلك.. ولكن إذ شهد له أبو بردة وخوات بن جبير أنه ليس هو الذي صاح، تركوه، ولكنهم حيث رأوا الصائح في صورة جعال، ونفى جعال ذلك، وشهد له الشاهدان، وبنوا على قبول الشهادة بالنفي، قالوا: إذن فالصائح المتصور بصورة جعال هو إبليس، والله العالم.

ويروي الواقدي بسنده عن أبي بشير المازني، قال: لما صاح الشيطان: إن محمداً قد قتل - لما أراد الله من ذلك؟! - سقط في أيدي المسلمين وتفرقوا في كل وجه وأصعدوا في الجبل.

وواضح على هذا الخبر عن المازني أنه يَنسب الصيحة إلى الشيطان رأساً دون القول بتصوره بصورة جعال، وعليه يبني فيُعلل ذلك بأن الله أراد أموراً من وراء تلك

الصيحة، إختباراً للمسلمين وتعليماً لهم على أصول ووجوب الطاعة المطلقة للقائد الرباني..

ثم روى الواقدي بسنده عن الأعرج، قال: لما صاح الشيطان: إن محمداً قد قتل.. قال أبو سفيان بن حرب: يا معشر قريش أيكم قتل محمداً؟! قال ابن القميئة: أنا قتلته.! قال: سنفعل بك كما تفعل الأعاجم بأبطالها: نسوِّرك (أي نلبسك أساور من ذهب).

ثم قال: ولما صاح إبليس: إن محمداً قد قتل.. تفرقوا في كل وجه، وجعل الناس يمرون على النبي لا يلوي عليه أحداً منهم، ورسول الله يدعوهم في أخراهم كما تخبرنا الآيات الشريفة..

نعم؛ يقال: إن ذلك الصائح كان إبليس لعنه الله، ولا أستبعد ذلك أبدً حيث صاح صائح بالمعركة: قتل رسول الله، فانخلعت لذلك القلوب وتحيَّر المنهزمون فأخذوا يميناً وشمالاً، وهو الذي صرخ بالمدينة كذلك ليُرعبَ أهلها..

وبالفعل فرح لذلك إبليس اللعين فرحاً شديداً، ولذا قالوا: وبينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجمعون له القتلى ويصلي عليهم، ويأمر بدفنهم ذهب إبليس وصاح بالمدينة: قتل محمداً.!

فلم يبق أحد من نساء المهاجرين والأنصار إلا خرجن، وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تعدو على قدميها حتى وافت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحد..[1]

ب – مقتل الأبطال الكبار من المسلمين..

إن الأبطال في كل زمان ومكان لهم حضورهم ومكانتهم المرموقة في المجتمع، سيما في ساحات الحرب قديماً لأنها كانت ساحات مواجهة مباشرة مع الخصم، والموت تحت السيف فمن يُقدم عليه برجليه إلا الأفذاذ والنشاما من الرجال..

والبطل كان يُميل الحرب من جانب إلى جانب ويرد الكتائب من بعد الكتائب

---

(١) تفسير القمي ١ : ١٢٣ و ١٢٤؛

بسيف بتَّار وضرب جبار تهدُّ الجبال وتقدُّ الرجال كما كان يفعل سيدنا الحمزة بن عبد المطلب ذاك الفتى الذي يملؤ ذكره القلب عنفواناً، وشموخاً، وعظمةً.. كم أنت عظيم يا حمزة، وكم كان فعلك كبيراً في المشركين في يوم بدر الأول وأحد؟

فمجرد وجود سيدنا الحمزة في الجيش كان له طعم خاص، ولذا كان لشهادته وقع عظيم عليهم، فمن كحمزة الذي يفر الموت منه تجاه كل من يقف أمامه فينخلع قلب الخصم المعادي ليأتيه الحسام ليحسم الأمر حيث يفرق ما بين الروح والجسد بضربة قاضية؟

ولكن ما أبشع الإغتيال، وأشنع نتائجه، قبَّح الله المغتالين للمؤمنين في كل زمان ومكان، كم فجعوا الأمة بأبطال لهم ذكرهم ووقعهم في الصدور والآذان..

مقتل سيدنا الحمزة عليه السلام

قالوا: كان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له واحد منهم..وكان معلَّماً بريشة نعام على صدره حتى لا يجهله الصديق والعدو، فالذي يريدني فأنا حمزة..

وروى أصحاب السِّير عن وحشي القاتل، قال: كنت غلاما لجبير بن مطعم، أو لابنة الحارث بن عامر، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق.

قال: وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلَّما أخطئ بها شيئاً، وبينما كان وحشي يتدرب على الرمي تمهيداً لإغتيال سيدنا الحمزة، جاءته هند الهنود حين سمعت بخبر وما عزم عليه لتشجعه وتغريه أكثر فهي الموتورة أكثر من كل أحد في قريش يوم بدر..

فقالت له: إن أبي (وعمي وأخي وولدي) قتل يوم بدر، فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر إن قتلت محمداً، أو حمزة، أو علي بن أبي طالب، فإني لا أرى في القوم كفؤاً

لأبي غيرهم.. وما تركته إلا وقد أعطته عهداً: لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطينك رضاك (حيث كانت من أصحاب الرايات كما تعلم، ومولعة بالسودان منهم خاصة)؟!

قال وحشي: أما محمد، فلا حيلة لي فيه لأن أصحابه يطيفون به، وأما علي فإنه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأما حمزة فإني أطمع فيه، لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه..

قال: فخرجت مع الناس ولي مزاريق (رماح قصار) وكنت أمر بهند بنت عتبة، فتقول: إيه أبا دسمة، إشفِ واشتَفِ!

وكان حمزة يوم أحد قد علَّم بريشة نعامة في صدره..وكان وحشي يخافه كثيراً، فهو الذي قال: أما حمزة فوالله لو وجدته نائما ما أيقظته من هيبته!

وأما علي فالتمسته، فبينا أنا في الناس ألتمسه إذ طلع علي فكان رجلاً ممارساً (أي متدرباً على الحرب جيداً)، وحذرا كثير الالتفات! فقلت في نفسي: ما هذا صاحبي الذي ألتمس! فرأيت حمزة يفري الناس فريا، فكمنت إلى صخرة (وهذا الصحيح لا شجرة) فاعترض له سباع بن أم أنمار - وكانت أمه مولاة لشريف بن علاج الثقفي ختانة النساء بمكة - فقال له حمزة: وأنت أيضا يا بن مقطعة البظور ممن يكثر علينا! هلمَّ إليَّ! ثم احتمله فرمى به وبرك عليه وشحطه شحط الشاة! ثم لما رآني أقبل إليَّ مكبساً، فلما بلغ المسيل وطأ على جرف فزلت قدمه، فهززت حربتي حتى رضيت منها فضربت بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته..

وكر عليه طائفة من أصحابه سمعتهم ينادونه: أبا عمارة (وهذه كنيته)! فلا يجيب فعلمت أنه قد مات! وانكشف عنه أصحابه حين أيقنوا بموته.. وذكرت هندا وما لقيت من مصابها على أبيها وعمها وأخيها (وبكرها) فكررت عليه فشققت بطنه فأخرجت كبده فجئت بها إلى هند بنت عتبة فقلت لها: ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك؟

قالت: سلبي! (أي كلي فالسليبة يؤخذ كل شيء معها ويفعل بها ما يشاء السالب)

ولذا أعطته حليها ولباسها ووعدته بالعطاء بمكة..

فقلت: فهذه كبد حمزة! فأخذتها إلى فيها فمضغتها ثم لفظتها فلا أدري أقذرتها أم لم تسغها! ثم نزعت حليها وثيابها! (وبرواية لما أخبرتها بذلك كان في ساقيها خلخالان من جزع ظفار، ومسكتان (سواران = معضدان) من ورق (فضة) وخواتيم منها (الفضة) كن في أصابع رجليها..)[1].

فأعطتنيه ثم قالت: إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير! ثم قالت: أرني مصرعه.. فأريتها مصرعه، فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه وقطعت اذنيه ثم جعلتها معضدين وخلخالين..[2].

و حدَّث صالح بن كيسان قال: وقعت هند والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله: يجدعن الآذان والأنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وانفهم خلخالا وقلائد، وأعطت خلخالها وقلائدها وقرطها لوحشي غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها. ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمه، وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري ... حتى ترم أعظمي في قبري

وقالت هند أيضا:

شفيت من حمزة نفسي بأحد ... حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد ... من لذعة الحزن الشديد المعتمد

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ٢٨٦ – ٢٨٨

(٢) ن.م ١ : ٢٨٥ و ٢٨٦

فأنشد حسان بن ثابت، فقال:

أشرت لكـــاع وكـــان عادتهـــا لؤمـــا - إذا أشرت - مـــع الكفـــر

ومر الحليس بن زبان بأبي سفيان وهو يضرب بزج الرمح في شدق حمزة بن عبد المطلب ويقول: ذق يا عقق (يا عاق) فقال الحليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون! فقال أبو سفيان: ويحك اكتمها عني فإنها كانت زلة![1]

فكانت هند أول من مثل بأصحاب النبي وأمرت النساء بالمثل: جدع الأنوف والآذان! فلم تبق امرأة إلا عليها معضدان وخلخالان، ومثل بهم كلهم، إلا حنظلة بن أبي عامر الراهب الفاسق لأنه نادى فيها: يا معشر قريش: حنظلة لا يمثل به وإن كان خالفكم وخالفني! فمثل بالناس وترك فلم يمثل به..[2]

وقيل عن مكان شهادته: أصيب حمزة عليه السلام في الركن الجنوبي الشرقي من جبل الرماة ثم سقط شهيدا في الجهة الشرقية منه ودفن في موضعه كما في مقال عبد الرحمن خويلد في مجلة الميقات..

ولا يغرَّنك ما يروونه عن إيمان وحشي وحسن إسلامة وصفح رسول الله صلى الله عليه وآله عنه إنما فعل ذلك خوفاً من العقاب الذي سيناله بعد فتح مكة فأين يهرب وقد عمَّ الإسلام الحنيف شبه الجزيرة العربية، ولكن لما سمع بأن الإسلام يجبُّ ما قبله والرسول كريم يعفو عنه إذا أسلم، ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مرغما معلن إسلامه لينقذ نفسه من القتل المؤكد..

وهذه روايته، قال: فلما رجعت إلى مكة أعتقت فأقمت بها حتى افتتح رسول الله مكة فهربت إلى الطائف فمكثت بها.. فلما أراد وفد الطائف أن يخرج إلى رسول الله ليسلموا قلت في نفسي ألحق ببعض البلاد اليمن أو الشام إذ قال لي رجل: إنه والله ما

---

(١) إعلام الورى ١ : ١٨١ . وفي مناقب آل أبي طالب ١ : ١٩٢ و ١٩٣ .

(٢) ن م: ١ : ٢٧٤

يقتل أحدا من الناس دخل دينه وتشهد شهادته. فلما قال لي ذلك خرجت (معهم) حتى قدمت على رسول الله المدينة وقمت على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآني، قال: **أوحشي؟** قلت: نعم يا رسول الله.

قال: **اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟** فحدثته، فلما فرغت من حديثي، قال: **ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك.**

فكنت أتنكب طريق رسول الله حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله. ونزل بعد ذلك وسكن عند خالد ابن الوليد في حمص يشرب الخمر ولم يزل يُحدُّ (أي يقام عليه الحد) في شرب الخمر حتى اخرج اسمه من ديوان العطاء ومات بحمص، وكان عمر يرى ذلك من سوء توفيقه فقال: علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة اي حتى يجعله من أهل النار..نعم ؛إن يأمره رسول الله ﷺ أن يغيب وجهه البغيض عنه لكي لا يراه في الدنيا، فكيف سيراه في الآخرة وكيف سيجتمع مع الحمزة هناك؟[1]

مقتل حنظلة غسيل الملائكة

ووقع إلى جانب حمزة حنظلة بن أبي عامر، كما قال الواقدي: لما انكشف المشركون اعترض حنظلة بن أبي عامر لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس ووقع أبو سفيان إلى الأرض، فجعل يصيح: يا معشر قريش، أنا أبو سفيان بن حرب، وحنظلة يريد ذبحه، حتى عاينه الأسود بن شعوب فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه فيه، فمشى حنظلة إليه بالرمح فجرحه به ثم ضربه الثانية فقتله.. وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه فلحق ببعضهم فردفه على فرسه..[2]

وقال رسول الله ﷺ: **إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المُزن في صحاف الفضة** (لا الذهب لأنه يقال صحاف فضة وأواني ذهب)

---

(١) سيرة ابن اسحاق ٣: ٧٧

(٢) الواقدي ١: ٢٧٣

فاسألوا أهله ما شأنه؟

فسُئلت صاحبته (جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول) عنه فقالت: خرج حين سمع (الصيحة للجهاد) وهو جُنب..فكان يُسمى: غسيل الملائكة..[١]

تأمل أرجوك بهذا الفتى الأنصاري البطل، فأباه أبو عامر الراهب الفاسق، وعمه والد زوجته رأس المنافقين ابن أبي السلول، وكان شاباً لا بل وعريساً في ليلة أحد فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يدخل بأهله ثم يلتحق به في المعركة، فأذن له..

وعندما أراد أن يخرج من البيت بعثت عروسه إلى رجال وأشهدتهم أنه دخل بها، ولما ذهب حنظلة سألوها لماذا، قالت: رأيت بالحلم كأن السماء انشقت وسقط فيها حنظلة ثم رتقت فعلمت أنه سوف يستشهد ولا يعود إليَّ..

عجيب ما يفعله الإيمان في الإنسان فعلاً، ألم يكن الأجدر بشيوخ الصحابة وكبارهم أن يكونوا ثبتوا كهذا الفتى البطل ولا يفروا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويسلمونه ويبحثون عن واسطة عند أبي سفيان؟

ولكن لما قتل حنظلة مر عليه أبوه أبو عامر وهو مقتول إلى جنب حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش، فقال: والله إن كنت لبراً بالوالد شريف الخلق في حياتك، وإن مماتك لمع سُراة أصحابك وأشرافهم.. وإن كنتُ أحذِّرك هذا الرجل من قبل هذا المصرع.! ثم نادى: يا معشر قريش حنظلة لا يُمثل به وإن كان خالفني وخالفكم، فمثل بالناس وترك فلم يمثل به..[٢]

وهكذا بقية الأبطال من المؤمنين كمصعب بن عمير، وابن الجموح الأعرج الذي وضع الجهاد عنه فهو الذي لم يقبل إلا ويطأ الجنة بعرجته، وابن النضر وغيرهم من الشهدا وهم سبعون بعدد من قتلوا ببدر تقريباً، وهكذا هي المعارك دائماً يُقتل الشجاع

---

(١) تفسير القمي ١ : ١١٨ ، الفقيه ١ : ١٥٩ ح ٤٤٥ ط. طهران. و ١ : ٩٧ ح ٤٦ ط. نجف) (ابن اسحق ٣ : ٧٩

(٢) الواقدي، ج ١ : ٢٧٤

البطل والجبان يقطف ثمار أتعابه فيحكي عنه ويتغنى بمآثره..ولكن هنا أسأل ولا أعلق فسأترك التعليق عليك يا نبيه..

أهؤلاء الأبطال قتلوا في الجولة الأولى للمعركة، أم قتلوا في الكرة الثانية بعد التفاف خالد وعكرمة من وراء الجبل؟

لم يُقتل أحد منهم في الجولة الأولى بل قُتلوا جميعاً في الكرة الثانية فلا يصلح أن يكونوا سبباً للفرار بل الفرار كان سبباً مباشراً أعان العدو عليهم حين هربوا وتخلوا عن مراكزهم القتالية فسدها الأبطال بأجسادهم، فاستشهدوا دفاعاً عن دينهم..

٢- **أسباب عسكرية**: وهي من عدة نواحي أهمها:

- **إختلال التوازن**: بالقوى والوسائط والمعدات العسكرية، فعدد المسلمين حوالي ربع عدد المشركين فقط، والإمكانات الكبيرة لجيش الشرك، والمعدات والتجهيزات الممتازة في ذلك العصر لهم.

- **المفاجأة**: إن الوقوع في الكمين كان من أكبر أسباب الهزيمة -- على ما يبدو -- لأن العلم العسكري، يقول: أن تحاصر عدوَّك وتقاتله من كل إتجاه، بأعداد تفوقه، ومعدات جيدة هذا يعني الفناء له، والنصر المؤزر لك..وإلى هذا التفت أحدهم فاسمع تحليله للمعركة، فهو مفيد وجميل..

قال ابن أبي الحديد: قرأت هذه الغزاة (أحد) من كتاب الواقدي على النقيب أبي يزيد، وقلت له: إني أستعظم ما جرى لهؤلاء في هذه الوقعة.! فكيف جرى ذلك؟

قال: بعد قتل أصحاب الألوية (التسعة من بني عبد الدار بيد أمير المؤمنين عليه السلام) حمل قلب المسلمين على قلب المشركين فكسره، فلو ثبتت مجنبتا رسول الله صلى الله عليه وآله اللتان فيهما أسيد بن حضير والحباب بن المنذر بإزاء مجنبتي المشركين لم ينكسر عسكر الإسلام، ولكن مجنبتا المسلمين أطبقت إطباقاً واحداً على قلب المشركين مضافاً إلى قلب المسلمين، فصار عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله قلباً واحداً وكتيبةً واحدةً..

فلما رأت مجنبتا قريش أن ليس بإزائها أحد استدارت المجنبتان من وراء عسكر المسلمين، وصمد كثير منهم للرماة الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين فقتلوهم عن آخرهم لأنهم لم يكونوا ممن يقومون لخالد (بن الوليد)، وعكرمة (بن أبي الجهل)، وهما في ألفي رجل وإنما كانوا خمسين رجلاً، لا سيما وقد شره كثير منهم إلى الغنيمة فترك مركزه وأكبَّ على النهب.!

والذي كسر المسلمين يومئذ ونال منهم كل منال خالد بن الوليد، وكان فارساً شجاعاً ومعه خيل كثيرة ورجال أبطال موتورون، واستدار خلف الجبل فدخل من الثغرة التي كان الرماة عليها فأتى من وراء المسلمين، وتراجع قلب المشركين بعد الهزيمة فصار المسلمون بينهم في مثل الحلقة المستديرة واختلط الناس، فلم يعرف المسلمون بعضهم بعضاً وضرب الرجل منهم أخاه وأباه بالسيف وهو لا يعرفه لشدة النقع والغبار، ولِما اعتراهم من الدهشة والعجلة والخوف، فكانت الدبرة عليهم بعد أن كانت لهم.. ومثل هذا يجري دائما في الحرب..

- **عدم الإنضباط العسكري:**

عدم الانضباط مقتلة لأي جيش في العالم مهما بلغت قوته وتطورت عدته، فالمقاتل إذا لم يلتزم بأوامر قائده فإن النتيجة الطبيعية هي الهزيمة كما حدث في معركة أحد..

والانضباط العسكري: هو التقيد التام بأوامر القائد الأعلى للجيش، والتنفيذ الدقيق للأوامر الصادرة منه..والإنضباط يجب أن يكون طوعياً؛ أي تنفذ الأوامر العسكرية بالقناعة والرضا بها، لا أن تنفذ الأوامر والتعليمات بالإكراه والإجبار دون قناعة ذاتية من المقاتلين كحال الجيش الجملي (معركة الجمل) وأتباع البهيمة الذين استقتلوا حوله حتى عقر ففروا بكل اتجاه فلو كانوا يقاتلون عن عقيدة لاستشهدوا قبل أن يفروا من أرض المعركة..

فالانضباط الطوعي التلقائي ينبع من نفوس المقاتلين وقناعاتهم الشخصية وهذا ينتج عن إيمانهم برسالة القائد وعدالة المعركة التي يخوضونها دفاعاً عن العقيدة والدين قبل أي شيء آخر، فتنفذ الأوامر بدقة وعن قناعة تامة ووعي كامل لدى أصحاب الرسول الأعظم ﷺ هو المطلوب منهم في معاركه كلها..

واعلم أن الانضباط العسكري، والروح المعنوية شبه فعلان متكاملان وذلك لان الانضباط يعزز ويقوي الروح المعنوية، والروح المعنوية العالية تؤدي إلى الالتزام بالأمر ومحاولة تنفيذها بدقة وبروح منفتحة، ونفس مطمئنة وهذا كان واضحاً في الرسول القائد والثابتين معه في أحد..

فما معنى قول الصحابي الجليل عمار بن ياسر (رض): والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لم يتزعزع يقيني أننا على الحق وهم على الباطل.. هذا من نتيجة الإنضباط العسكري الطوعي والواعي فهذا المقاتل يتجاوز التسعين ومن كبار الصحابة فلا يقول جزافاً أو رياءً بل كلامه نابع من إيمانه وعقيدته ويقينه بقائده..

وفوائد الانضباط في رفع الروح المعنوية للمقاتل هي من عدة اتجاهات وفي عدد من النقاط أهمها..

١ـ الانضباط يرسي ويرسخ دعائم المعنويات والروح المعنوية.

٢ـ الانضباط يساعد المقاتل على التكيف مع زملائه وقادته والحياة العسكرية بشكل عام..

٣ـ الانضباط يعلم الأفراد المقاتلين التضحية والإيثار ونكران الذات في سبيل تنفيذ الواجبات والمهام المطلوبة منه..

٤ـ الانضباط يصون أمن الجيش ويعزز الوحدة والتماسك فيه.

وكل هذه العوامل هي بمثابة أعمال معنوية تزيد من الروح المعنوية وفعالية الجيش وخاصة في الأعمال القتالية وهناك دور بارز للقائد في كل ذلك لأن القائد يجب أن يكون

مميزاً عن البقية مبدعاً واستراتيجياً في تفكيره وحكيمًا في قراراته ومتابعاً لتنفيذها..

ولدينا في تاريخنا الإسلامي صورة رائعة لتوضيح قيمة الانضباط العسكري، ولكنها مفجعة جداً في النتائج النهائية للمعركة التي لا يكون فيها إنضباط عسكري وتقيد تام بأوامر القائد الأعلى..

تلك الصورة الماثلة من معركة (أحد التي نحللها الآن) التي قادها الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم بكفاءة رائعة وانتصر على قريش بزمن قياسي جداً..إلا أن عدم انضباط الرُّماة الذين وضعهم القائد في سفح الجبل وأوصاهم بعدم ترك أماكنهم مهما كانت الظروف لهم أو عليهم ؛ (كما مرَّ من قبل) إلا أن حب الغنائم جعلهم يتركون مكانهم الإستراتيجي جداً، وينسون أمر القائد الأعلى مما جعل خالد بن الوليد يغتنمها فرصة ليلتفَّ على الجيش الإسلامي ويوقع به ويكبده الخسائر الفادحة..فما كانت تلك النازلة لتنزل على المسلمين لو كانوا منضبطين عسكرياً ومتقيدين بأوامر قائدهم الأعلى صلى الله عليه وآله وسلم .

فالعلم العسكري والخبرات الميدانية تؤكد: أن ما من ثغرة في الانضباط العسكري، أو الروح المعنوية، لأي جيش وفي أية معركة إلا وستظهر مؤثراتها ونتائجها في نتائج المعركة بشكل أو بآخر.

٣- أسباب حقيقية:

أما عن سبب الهزيمة، الحقيقية: فهي إمتحان رباني، ودرس تربوي للأمة الإسلامية ؛ ففي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام ،قال: **إن الله لما أخبر المؤمنين بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر ومنازلهم في الجنة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللهم أرنا القتال نستشهد فيه.! فأراهم الله إياه في يوم أحد، فلم يبق إلا من شاء الله منهم وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى**

عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١)

وبسبب هذا الإنقلاب على الأعقاب امتحنهم الله يوم أحد، فجُرح رسول الله ﷺ يوم أحد وعهد العاهد به (من الصحابة) على تلك الحال (جريحاً فقط)، فجعل الرجل يقول لمن لقيه: النجاء (أي انجِ بنفسك)، فإن رسول الله قد قتل!..(٢)

مدد السماء وقتال الملائكة

وربما يخطر على بالك هنا خاطر، وتسألك نفسك هذا السؤال الطبيعي، لماذا أرسل الله تعالى يوم بدر ثلاثة آلاف مع ثلاثة من الملائكة الكروبيين مدداً لرسوله، وتخلى عنه يوم أحد بهذا الشكل حتى جُرح عدة جراح في جسده المبارك، ووجهه الشريف؟

لا يا أخي الكريم ربنا لم، ولن يتخلَّ عن رسوله الكريم ولا حتى لحظة واحدة ولكنه تخلى عن المسلمين وتركهم لأنفسهم حتى يتعلموا على حسابهم..ويعرفوا أنفسهم لأنهم اغتروا كثيراً بعد معركة بدر وقالوا نحن الذي قاتلنا، ونحن الأبطال الشجعان الذين هزمنا قريش وقتلنا صناديدها..

فكانوا في شك من المدد السماوي، وغرور نفسي سوَّله لهم الشيطان اللعين الرجيم، فامتحنهم الله تعالى يوم أحد ليعلموا أن النصر من عند الله، وليس بسيوفهم الخشبية إذا تخلت عن الله ففروا عن رسولهم وهو يدعوهم ويناديهم من ورائهم: **إليَّ عباد الله فأنا رسول الله**..فلا يلوون عليه فيقول لهم: جوزوا إلى النار كما قال لصاحب الترس..

وأكبر دليل على ما قلناه هو نجاة رسول الله ﷺ ومَنْ ثَبَتَ معه فلم يقتل منهم أحد كما مرَّ معك من قبل.. هذا من جهة ومن جهة أخرى لاتنسَ درس الرماة ومعصيتهم للقائد..فهذه دروس للأمة الإسلامية بضرورة إلتزام أمرين اثنين، هما:

---

(١) آل عمران: ١٤٣ ـ ١٤٤

(٢) تفسير القمي ١ : ١١٩بتصرف

١- التوكل على الله، والاعتماد عليه في كل أمورنا، لا أن نعتمد على أنفسنا لاسيما الأمارة بالسوء..فهنا الزلل والمقتل.

٢- معرفة القيادة الربانية وطاعتها، طاعة مطلقة لا أن يجتهد كل منا ويعمل حسب رأيه، فلا رأي لك هنا..

نعم لم تقاتل الملائكة ولكنها كانت موجودة تحرث رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ثبت معه، واطمئنان الرسول وتبسمه لفعل نسيبة ومديحه لها ينبئك عن اليقين الذي كان يعيشه رسول الله صلى الله عليه وآله وثقته بالنصر ولو بقي وحيداً فريداً مع أمير المؤمنين عليه السلام فلا غرو في ذلك ألم يقل سيدنا موسى الكليم عليه السلام: **رب لا أجد إلا نفسي وأخي**..وانتصر موسى وأخوه على فرعون وجنوده..

ويروي الواقدي بسنده عن عبيد بن عمير، قال: لم تقاتل الملائكة يوم أحد، ولما رجعت قريش من أحد جعلوا يقولون: لم نر الخيل البلق ولا الرجال الذين كنا نراهم في بدر.. وكذب عكرمة بقوله (عن ابن عباس) وعمر بن الحكم، إذ قال: لم يُمد رسول الله يوم أحد بملك واحد..فما أدراه بما نزل من السماء وما عرج بها؟

وذكر روايتين عن مجاهد (عن ابن عباس) قال في إحداهما: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر، واعتنت الأخرى بدقة أكثر فقالت: حضرت الملائكة يومئذ ولم تقاتل.. وفصلت رواية عن أبي هريرة قال: كان الله وعدهم لو صبروا أن يمدهم، فلما انكشفوا لم تقاتل الملائكة يومئذ.. وهذا هو الصحيح والله العالم..[1]

غزوة حمراء الأسد

وهي بالحقيقة ليست غزوة بل هي من لواحق غزوة أحد إلا أن المؤرخين أفردوها وسموها غزوة، لأنه: لما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد فبلغوا الروحاء، ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا، فقالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب (السبايا

(١) الواقدي، ج ١: ٢٣٥

من الشابات) أردفتم قتلتموهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركتموهم، فارجعوا فاستأصلوهم..[١]

وكان ذلك لما نزلت قريش الروحاء، فقال عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد: نرجع فنغير على المدينة فقد قتلنا سراتهم وكبشهم.. (يعنون سيدنا الحمزة طبعاً).[٢]

فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: **إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولا يخرج معك إلا مَنْ به جراحة.!**[٣]

فأراد ربنا أن يُرهب رسول الله صلى الله عليه وآله العدو ويُريهم من نفسه وأصحابه القوة والشدة في طلبهم، ولولا هذا اللطف الإلهي والحكمة الرسولية لعادت قريش وغزوهم في قعر دارهم، وكسروا شوكتهم وازدادت مصائبهم أضعافاً.. فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، وقال: **ألا عصابة تَشْدُدْ لأمر الله تطلب عدوها؟ فإنها أنكى للعدو وأبعد للسمع..**[٤]

وقال صلى الله عليه وآله: فأمر رسول الله منادياً ينادي: **يا معشر المهاجرين والأنصار، مَنْ كانت به جراحة فليخرج، ومَنْ لم تكن به جراحة فليقم.!**[٥]

فخرجوا على علّتهم وما أصابهم من القرح والجرح.. وقدَّم علياً براية المهاجرين.. حتى انتهوا إلى حمراء الأسد..[٦]

ونادى منادي رسول الله: **ألا لا يخرجن أحد إلا من حضر يومنا بالأمس.. فانتدبت**

---

(١) مجمع البيان ٢ : ٨٨٦

(٢) تفسير القمي ١ : ١٢٥

(٣) تفسير القمي ١ : ١٢٤

(٤) مجمع البيان ٢ : ٨٨٦

(٥) تفسير القمي ١ : ١٢٥

(٦) إعلام الورى ١ : ١٨٣، ١٨٤

عصابة منهم مع ما بهم من القراح والجراح الذي أصابهم يوم أحد.. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في سبعين رجلاً، حتى بلغ حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال..[١]

فمرَّ بهم رجلاً خارجاً من المدينة، فسألوه الخبر،فقال: تركت محمداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جد الطلب..[٢]

ثم التقى بأبي سفيان معبد الخزاعي، فقال له: ما وراءك يا معبد؟ فقال معبد: قد والله تركت محمداً وأصحابه وهم يحرقون عليكم، وهذا علي بن أبي طالب عليه السلام قد أقبل على مقدمته في الناس، وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه، وقد دعاني ذلك إلى أن قلت شعراً في ذلك. قال أبو سفيان: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تُهدُّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل[٣]

تردي بأسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا خرق معازيل[٤]

فظلت عدوا أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول[٥]

فقلت:ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالخيل[٦]

إني نذير لأهل البسل ضاحية ... لكل ذي إربة منهم ومعقول[٧]

من جيش أحمد لا وخش تنابلة ... وليس يوصف ما أثبت بالقيل[٨]

---

(١) مجمع البيان ٢ : ٨٨٦

(٢) تفسير القمي ١ : ١٢٥

(٣) تهد : تسقط لهول ما رأت..الجرد : الخيل العتاق..الأبابيل : الجماعات.

(٤) تردى : تسرع..تنابلة : القصار..ميل : جمع أميل وهو الذي لا يثبت على السرج.. المعاذيل : الذي لا سلاح معهم.

(٥) العدو : المشي السريع (الركض)..سمواً : علوا وارتفاعاً.

(٦) ابن حرب : هو صخر بن حرب أبو سفيان..تغطمطت : اهتزت وارتجت..ومنه : بحر غطامط : إذا علت أمواجه.. البطحاء : السهل من الأرض.

(٧) أهل البسل : أهل مكة (الشجاعة)..الضاحية : البارزة للشمس..الإربة : العقل.

(٨) الوخش : رذالة الناس وأخساؤهم..القيل : القول الذي لا يعبأبه..

(السيرة النبوية لابن هشام : ج٣ص١٠٣)

فثنى ذلك أبا سفيان ومَنْ معه..فقال أبو سفيان: هذا النكد والبغي، قد ظفرنا بالقوم وبغينا، والله ما أفلح قوم قط بغوا.! ودبَّ الله الرعب في قلوب قريش فراح يبحث عن حيلة ليردَّ بها رسول الله ﷺ وجيشه عنهم ؛ وبينا هم في ذلك وافاهم نعيم بن مسعود الأشجعي، فقال أبو سفيان: أين تريد؟ قال: المدينة لأمتار لأهلي طعاماً.

قال: هل لك أن تمرَّ بحمراء الأسد وتلقى أصحاب محمد وتعلمهم أن حلفاءنا وموالينا من الأحابيش قد وافوا حتى يرجعوا عنا، ولك عندي عشرة قلايص (من الإبل) أملؤها زبيبا (وتمرا؟!). قال: نعم.. فوافى من غد ذلك اليوم حمراء الأسد فقال لأصحاب محمد: أين تريدون؟ قالوا: قريشاً.. قال: ارجعوا، فإن قريشاً قد أجنحت إليهم حلفاؤهم ومن كان تخلف عنهم، وما أظن [الا أن] أوائل القوم قد طلعوا عليكم الساعة! فقالوا: **حسبنا الله ونعم الوكيل**[1].

ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ، فقال: **ارجع يا محمد، فإن الله قد أرهب قريشاً ومروا لا يلوون على شيء**.. فرجع رسول الله إلى المدينة، يوم الجمعة.. وأنزل الله عليه ستون آية من آيات سورة آل عمران..[2]

ولكن لي سؤال هنا فقط لماذا اصطحب رسول الله ﷺ الجرحى من المسلمين فقط، وهم مَنْ ثبت ولم يفر من المعركة؟ إنها مسألة تحتاج إلى التأمل فالهاربون لم يكن بهم جراح، وكانوا أقوى على القتال، ذاك أمر الله وفي أوامره أسراراً لو ندركها؟

أمن المنطق والعدل أن يخرج الإمام علي عليه السلام وبه أكثر من سبعين جرح ويبقى أبطال الصحابة في مخادعهم؟ نعم، كل الحكمة والعدل لأن أمير المؤمنين عليه السلام لا يفر ولو كان به ألف جرح وغيره يفر من عواء كلب وهو يظنه زئير سبع ضارٍ..

موقف اليهود والمنافقين: وأظهرت اليهود القول السيء، فقالوا: ما محمد إلا طالب

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج٣ص١٠٣

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ج٣ص١٠٦

مُلك، أصيب في أصحابه وأصيب في بدنه.. وما أصيب هكذا نبي قط.. وجعل المنافقون يقولون لأصحاب رسول الله: لو كان مَنْ قُتل منكم عندنا ما ماتوا وما قتلوا (وهذا مضمون آيات تتلى آناء الليل وأطراف النهار وللتفصيل راجع المفسرون) فيخذلون بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه ويأمرونهم بالتفرُّق عنه..

أعمال الإمام علي عليه السلام في أحد

إذا كان أسس أمير المؤمنين علي عليه السلام في يوم بدر لدولة الإسلام في الواقع، فقد أسس لمعنى الإسلام في القلوب يوم أحد، وعلَّم الأمة لا بل الدنيا كيف تكون المواساة، والتضحية في سبيل الواجب المقدس الذي يؤمن به ويدافع عنه، فأعطى معنى القيمة والقداسة للعقيدة ووجوب حفظها بكل غال ونفيس لدى الإنسان لأنها الأغلى والأعلى في هذه الحياة..

وكذلك علمهم معنى الرسول، والقائد وقيمة الدفاع عنه وحمايته بالوجه والصدر واليدين، باللسان وبالجنان (القلب) لأن القائد هو القلب النابض في الجيش، والرسول هو النجم والفكر الثاقب للأمة فكيف يُترك القلب في قلب المعركة بلا حماية؟

وأعمال أمير المؤمنين علي عليه السلام في يوم أحد لا تقدر بالكلام، ولا توصف بالكتابة ولكن نشير إلى النقاط وأنت عليك التفكير بها والعودة إلى ما تقدم من الشرح المختصر..

١- كان الأمير عليه السلام صاحب اللواء للجيش بداية ونهاية..

٢- كان بطل المبارزات الأولى لحملة لواء الشرك من بني عبد الدار فقتل تسعة منهم تباعاً وفي كل مرة كانت تسقط رايتهم إلى الأرض حتى رفعتها امرأة من نسائهم..

٣- هو الذي ثبت عندما فرَّ الأصحاب وقاتل قتالاً منكراً..

٤- وهو صاحب المواساة العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي دافع عنه بما تعجبت به أهل السماوات، وقال جبرائيل: **هذه هي المواساة حقاً**..فقال صلى الله عليه وآله: **إنه مني وأنا**

منه..فقال جبرائيل: وأنا منكما..

٥- وهو الذي نادى باسمه وسيفه جبرائيل عليه السلام من السماء:

لا فتـــــــــى إلا عـــــــــلي ولا ســـــــيف إلا ذو الفقـــــــار

٦-وهو الذي دافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله ودحر كتائب قريش الواحدة تلو الأخرى حتى أصيب بأكثر من ثمانين جرحاً..

٧- وهو الذي جاء بالماء من المهراس ليصب على يدي الزهراء عليها السلام لتغسل وجه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله من الدماء قبل أن يغسل الدماء عن نفسه فقد كان ملطخا بالدماء..

٨- وهو الذي طارد فلول قريش في ما يسمى غزوة حمراء الأسد وأرعب قريش فقفلوا راجعين إلى مكة مذعورين..

٣- غزوة الأحزاب (الخندق)

وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام

هذه المعركة كانت معركة أمير المؤمنين علي عليه السلام بامتياز وليس لأحد غيره ذكر يُذكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه، فهي غزوة زلزال القلوب، وظنون السوء بالله ورسوله – والعياذ بالله – فالقرآن الكريم أنزل سورة باسم هذه المعركة، ووصف حال المسلمين بدقة متناهية فيها فتأملها أرجوك لتعرف حقيقة ما نقول هنا..

فالناكر لفضل أمير المؤمنين عليه السلام في يوم بدر، أو في يوم أحد ونسب مَنْ قتلهم إلى غيره ممن ترتضيه نفسه، فإنه لم يستطع إنكاره في غزوة الخندق (الأحزاب)، لأنه لا محيص عنه إلى غيره من الصحابة الذي قال أشجعهم عنده: يعدُنا محمد بالنصر وفتح البلدان وأحدنا لا يستطيع أن يخرج لقضاء حاجته (من الشجاعة طبعاً)..

تنظيمات معركة الأحزاب

- **الزمان**: في شهر شوال أواخر الصيف من السنة الخامسة للهجرة النبوية..

- **المكان**: سفوح جبل (سلع) القريب من المدينة المنورة..فكان خلف ظهره والخندق ممتد من المذاذ، إلى ذباب إلى راتج..وهي أماكن معروفة بقرب المدينة..

- **الأسباب الداعية لها:**

- **البعيدة (الإستراتيجية)**: فكانت استمراراً لحرب الخير والشر،والحق والباطل،والرسالة السماوية والعادات الجاهلية، وتلك هي الحرب الأزلية..

- **القريبة (التكتيكية)**: استئصال المسلمين وإطفاء نور الله.. كما كان يظن رأس الكفر أبو سفيان ومَنْ كان معه من الأعراب،وما زينه له اليهود من بني النُضير ورأسهم حيي بن أخطب..

- **الأعداد المشاركة (عدة وعدد):**

- **المسلمون**: كان عددهم ثلاثة آلاف رجل..

- المشركون: قال الواقدي: وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها في أربعة آلاف، وأقبلت بنو سليم في سبعمئة يقودهم أبو الأعور السلمي سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية - وهو شريك معاوية يوم صفين - وخرجت بنو فزارة وهم ألف يقودهم عيينة بن حصن؛ وخرجت أشجع في أربعمئة وقائدهم مسعود بن رخيلة؛ وخرجت بنو مرة في أربعمئة يقودهم الحارث بن عوف.. فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق من قريش، وسليم، وغطفان، وأسد: عشرة آلاف في ثلاثة عساكر، وعنان الأمر (القيادة العامة) إلى أبي سفيان (صخر بن حرب الأموي)..

وقال ابن شهراشوب: كانوا ثمانية عشر ألف رجل..

وقال المسعودي: أربعة وعشرين ألفاً.. وكانوا بأحسن العدة للحرب في ذاك العصر.. وعقدت قريش اللواء في دار الندوة، وقادوا معهم ثلاثمئة فرس، ومعهم من الظهر ألف وخمسمئة بعير عدا ما جاء به الآخرون كما تعلم.

الإعداد والمسير للحرب

خروج جيوش الأحزاب للحرب

تجمعت القوى بعد عقد العزم على استئصال محمد ﷺ ودينه الإسلام، وقتل مَنْ معه وتأديب الأوس والخزرج وأهل مدينة يثرب لإيوائهم والدفاع عنهم، كما كان يظن ويخطط رأسهم أبو سفيان رأس الفتنة والفساد أينما حلَّ أو ارتحل..

فعقد الألوية في دار الندوة وخرج على ضرب الطبول ولعب الخيول ورقص القيان والغواني، وخرجوا من مكة بجيش أشبه بجيش ملكي قوامه ثلاثة آلاف، متجهين شمالاً إلى يثرب..

ولما فصلت قريش من مكة باتجاهها إلى المدينة خرج ركب من خزاعة إلى النبي ﷺ فساروا من مكة إلى المدينة بأربعة أيام فأخبروه بفصول قريش..[1]

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٤

مؤتمر الشورى بالأحزاب

ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ، جمع أصحابه ليستشيرهم بهذا الأمر الجلل، فإن قريش عازمة على شرٍّ عظيم ولن ترجع عنه بسهولة، وكان رسول الله ﷺ قد عوَّدهم على مشاورتهم في الأمور الهامة ليبدون ما عندهم وليُعلمهم أصول الحياة الحضارية للدولة الإسلامية، وكانوا سبعمائة رجل..

ولما اجتمعوا أخبرهم خبر قريش وما جمعت لهم من جموع سميت بالأحزاب.. وأمرهم بالجد والجهاد ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا وأمرهم بطاعة الله ورسوله.. ثم قال مستشيراً: أنبرز لهم من المدينة؟ أم نكون فيها ونخندقها علينا (تأمل هنا بالكلمة فالخندق كانت وحياً سماوياً لرسول الله ﷺ ولكن الذي أظهرها للمسلمين كان سلمان الفارسي والله العالم)؟ أم نكون قريبا ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل (سلع)؟

فاختلفوا: فقالت طائفة: نكون مما يلي بعاث إلى ثنية الوداع، إلى الجرف، ثم أجمع رأيهم على المقام بالمدينة وحرب القوم على أنقابها وعلى أبوابها لأنهم ما غزاهم بها أحد إلا خذلوه، فكانت خطتهم الرجال تقاتل في الشوارع والنساء والأطفال يرمون العدو بالحجارة من فوق المنازل..

فقال سلمان الفارسي الذي التحق بالمسلمين عن قريب، فكانت الخندق أول مشهد شهده سلمان مع النبي ﷺ وهو حر لأنه كان في الرِّق عبداً ففاتته بدر،وأحد حتى عُتق في السنة الخامسة من الهجرة وكان رجلاً كبيراً في السن وذا رأي وحكمة لأنه كان من حكماء الفرس: يا رسول الله، إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المصاولة والقتال).

فقال له رسول الله: فما نصنع؟ قال سلمان: نحفر خندقا يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه؛ فإنا كنا - معاشر العجم في بلاد فارس - إذا دهمنا داهم من عدونا نحفر الخندق، فيكون الحرب من مواضع

معروفة.

فأعجب رأي سلمان المسلمين.. ونزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أشار سلمان بصواب..[١]

الاستطلاع الشخصي للقائد

وبادر القائد العظيم لجيش الرسالة، للعمل بعد نضوج الفكرة، فركب رسول الله صلى الله عليه وآله فرساً له وركب معه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، وخرجوا إلى مشارف المدينة ليحددوا أفضل الأماكن للمعسكر وأماكن الخندق، لتحديد إتجاه القتال واحكام المنافذ جيداً (وهذا تكتيك رائع وخطوة لا بد منها للقائد الناجح) فارتاد رسول الله صلى الله عليه وآله موضعاً ينزله، فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعا (جبل سلع ويسمى أيضاً جبل ثواب، في الشمال الغربي للمسجد النبوي الشريف بثمانمئة متر تقريباً، قريباً من مسجد السبق باتجاه المساجد السبعة)[٢].

خلف ظهره ويخندق من المذاذ (اسم اطم لبني حرام من بني سلمة غربي مسجد الفتح)[٣] إلى ذباب إلى راتج (هو جبل غربي بطحان إلى جنب جبل بني عبيد)[٤].

توزيع المهام

وبعد أن حدد رسول الله صلى الله عليه وآله الخندق قسمه إلى قطاعات ووكّل بكل جانب من

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٧٧

(٢) وقد غطت العمائر العالية أغلب جهاته ويمكن الصعود إليه من ممر ضيق بين عمارتي جوهرة أم القرى وجوهرة المدينة، وعليه كهف لا يزال حتى اليوم يعرف بكهف ابن حرام، قيل: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يبيت فيه محروسا أيام غزوة الخندق..
(كما في الدر الثمين: ٢٣٣ ومقال عبد الرحمان خويلد في مجلة الميقات ٤: ٢٥٦ وانظر فيها: ٢٥٩ ففيها: أنه صلى الله عليه وآله ضربت له قبة في الأيام الأولى من حفر الخندق على جبيل الراية خلف محطة الزغيبي للبنزين شمال المسجد النبوي الشريف بكيلو متر وثمانمئة متر، وفي موضع القبة اليوم مسجد يسمى مسجد الراية وقال السمهودي: هو جبل معروف بسوق المدينة. وفاء الوفاء ٢: ٣٢٤

(٣) وفاء الوفاء ٢: ٣٧٠

(٤) وفاء الوفاء ٢: ٣١٠

الخندق قوماً يحفرونه: فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذباب، وكانت الأنصار تحفر من ذباب إلى جبل بني عبيد.. وكانت سائر الأبنية في المدينة مشتبكة البنيان، وبحفر الخندق حولها جعلها قلعة حصينة.[١]

وقالوا: وكان الخندق ما بين جبل بني عبيد بخربى إلى راتج، فكان للمهاجرين من ذباب إلى راتج، وكان للأنصار ما بين ذباب إلى خربى.. وخندقت بنو عبد الأشهل بما يلي راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أبي بالجنوب (اليوم) وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي صارت كالحصن..[٢]

الجدية والنشاط بحفر الخندق

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله الحفر بيده المباركة، فأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وتعب، فلما نظر الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب.[٣]

وجعل رسول الله يعمل معهم في الخندق لينشط المسلمين، فجعلوا يعملون مستعجلين يبادرون (يسابقون) قدوم العدو عليهم[٤] وكان رسول الله يحمل التراب في المكتل يطرحه، ويقول:

هذا الجمال لا جمال خيبر هذا أبر - ربنا - وأطهر

فجعل المسلمون يرتجزون وإذا رأوا من الرجل فتورا ضحكوا منه[٥]. وقال رسول الله يومئذ: **لا يغضب أحد مما قال صاحبه لا يريد بذلك سوءا**.. وروى عن البراء بن

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٤٤٥

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٤٥٠

(٣) تفسير القمي ٢ : ١٧٧

(٤) مغازي الواقدي ٢ : ٤٤٥

(٥) مغازي الواقدي ٢ : ٤٤٦

عازب قال: رأيت رسول الله ﷺ يومئذ في حلة حمراء، وكان أبيض شديد البياض كثير الشعر يضرب الشعر منكبيه، ولقد رأيته يومئذ يحمل التراب على ظهره حتى حال الغبار بيني وبينه.

وروى عن أبي سعيد الخدري قال: رأيت رسول الله ﷺ يحفر الخندق مع المسلمين والتراب على صدره وهو يقول:

لا هم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا[1]

وجعلت الأنصار ترتجز وتقول:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

فقال النبي ﷺ:

لأهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار وللمهاجرة

أو قال:

لاهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار وللمهاجرة

لاهم والعن عضلاً والقارة هم كلفوني أنقل الحجارة[2]

وكان رسول الله يشاركهم في أعجاز أرجاز شعرهم، يقول: عمرا، ظهرا.[3]

وروى الواقدي بسنده قال: كان رجال المهاجرون والأنصار يحفرون والشباب منهم ينقلون التراب على رؤوسهم في المكاتل، فيجعلونه مما يلي النبي وأصحابه، (أي من جهة المشركين) حتى صارت الخندق قامة: وكانوا يأتون بالحجارة من جبل سلع فيسطرونها مما يليهم (أي من جهة المسلمين) كأنها أكوام تمر، فكانت من أعظم سلاحهم..[4] يرمون العدو بها عند المناوشة..

---

(١) لا همَّ: أي اللهم.. مغازي الواقدي ٢: ٤٤٩

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٤٥٣

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٧ و ٤٤٨

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٤٤٦

وكان سلمان الفارسي قوياً عارفاً بحفر الخندق.. وروى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: جعلوا لسلمان خمسة أذرع طولاً وعرضاً، فما مرَّ حين حتى فرغ منه وحده وهو يقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.. فتنافس الناس فيه فقال المهاجرون: سلمان منا! وقالت الأنصار: هو منا ونحن أحق به! فبلغ رسول الله قولهم فقال: " **سلمان رجل منا أهل البيت**.."[1]

ولقد كان يعمل عمل عشرة رجال حتى أصابه بعينه قيس بن أبي صعصعة فسقط إلى الأرض.. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: مروه فليتوضأ - أو ليغتسل - ويكفأ الإناء خلفه.. ففعل فكأنما حُلَّ من عقال..[2]

من معالم ومعاجز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ولما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكان ما سمي " بمسجد الفتح " (لأنه بني بعد ذلك مسجداً في ذاك المكان وسمي بمسجد الفتح، لحصول الفتح بدعاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فيه).

وروي عن عمرو بن عوف، قال: كنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار نقطع أربعين ذراعا، فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا.. فقلنا لسلمان: يا سلمان إرق إلى رسول الله فأخبره عن الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه.. فرقى سلمان حتى أتى رسول الله - وهو مضروب له قبة - فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحك فيها قليل ولا كثير، فمرنا بأمرك.

فهبط رسول الله مع سلمان في الخندق وأخذ المعول وضرب به ضربة فلمعت منها

---

(١) الطبرسي في مجمع البيان ٨ : ٥٣٣ عن الحافظ البيهقي في دلائل النبوة. وابن هشام في السيرة ٣: ٢٣٥

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٤٤٦ و ٤٤٧

برقة أضاءت ما بين لابتيها (اللابة: الحرة، وهي الأرض ذات الحجارة السود قد غطتها بكثرتها، والمدينة بين حرتين) حتى لكأنها مصباح في جوف ليل مظلم، فكبر رسول الله تكبيرة فتح، فكبر المسلمون، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى؛فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي أرى؟

فقال: أما الأولى: **فإن الله - عز وجل - فتح عليَّ بها اليمن**..

وأما الثانية: **فإن الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب**..

وأما الثالثة: **فإن الله فتح عليَّ بها المشرق**..[1]

وذكر القمي الخبر بتفصيل أكثر قال: قال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله مستلق على قفاه ورداؤه تحت رأسه وقد شد على بطنه حجراً، فقلت: يا رسول الله، إنه قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه.. فقام مسرعاً حتى جاء ثم دعا بماء في إناء فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه (توضأ) ثم شرب ومج من ذلك الماء ثم صبه على الحجر، ثم أخذ معولاً فضرب ضربة فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور الشام، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة نظرنا فيها إلى قصور المدائن، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة أخرى نظرنا فيها إلى قصور اليمن، فقال رسول الله: **أما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق**.. ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل[2].

فاستبشر المسلمون بذلك وتفاءلوا بالنصر وفتح البلاد عليهم، فقالوا: الحمد لله موعد صادق.. ولكن بعض المنافقين قالوا: يعدنا بكنوز كسرى وقيصر، وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلى![3].

---

(١) (مجمع البيان ٢: ٧٢٧ و ٨: ٥٣٤ ونقل خبر جابر الأنصاري عن دلائل النبوة للبيهقي، وروى خبر سلمان ابن إسحاق في السيرة ٣: ١٢٣٠!

(٢) تفسير القمي ٢: ١٧٨. وذكر الخبر ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٢٨، والواقدي ٢: ٤٥٢ من دون ذكر البرقة

(٣) روضة الكافي: ١٨٢ ح ٢٦٤

ومن دلائل النبوة: فقد روى الصدوق عن الإمام علي عليه السلام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله في حفر الخندق، إذ جاءته فاطمة عليها السلام ومعها كسيرة من خبز فدفعتها إلى النبي، فقال: **ما هذه الكسيرة؟** قالت: **قرص خبزته للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسيرة..** فقال النبي: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث..[1]

وعليه فقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما رأيت الحجر (كانوا إذا جاعوا يربطون على بطونهم حجراً يخفف عنهم ألم الجوع يسمونه حجر المجاعة) على بطن رسول الله صلى الله عليه وآله علمت أنه مقوي (أي جائع) فقلت: يا رسول الله، هل لك في الغذاء؟ قال: **ما عندك يا جابر؟** قلت عناق (أنثى ولد المعز قبل الحول وتسمى سخلة) وصاع من شعير..[2]

فقال: **تقدم وأصلح ما عندك.**

قال: فجئت إلى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير، وذبحت العنز وسلختها، وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوي، فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد فرغنا، فاحضر مع مَنْ أحببت (ورسول الله صلى الله عليه وآله يحب الأمة كلها)..

فقام إلى شفير الخندق ثم قال: **معاشر المهاجرين والأنصار، أجيبوا جابرا..** ثم لم يمر بأحد من المهاجرين والأنصار إلا قال: **أجيبوا جابرا،** وكان في الخندق سبعمئة رجل، فخرجوا كلهم! فتقدمت وقلت لأهلي: والله لقد أتاك محمد رسول الله صلى الله عليه وآله بما لا قبل لك به.. فقالت: أعلمته أنت بما عندنا؟ قلت: نعم.. قالت: فهو أعلم بما أتى به (تأمل بيقين هذه المرأة برسول الله صلى الله عليه وآله.

قال جابر: فدخل رسول الله فنظر في القدر، ثم قال: **اغرفي وأبقي..** ثم نظر في التنور، فقال: **أخرجي وأبقي..** ثم دعا بصحفة فثرد فيها وغرف، ثم قال: **يا جابر أدخل**

---

(١) تفسير القمي ٢ : ١٧٩ وكذلك في الواقدي ٢ : ٤٤٤

(٢) يساوي : ٧ / ٣ كيلو غرام

عليَّ عشرة.. فأدخلت عشرة فأكلوا حتى نهلوا وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم.. ثم قال: **يا جابر، عليَّ بالذراع** فأتيته بالذراع فأكلوه..

ثم قال: أدخل عليَّ عشرة، فدخلوا فأكلوا حتى نهلوا وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم.. ثم قال: عليَّ بالذراع فأكلوا وخرجوا.. ثم قال: أدخل عليَّ عشرة.. فأدخلتهم فأكلوا حتى نهلوا ولم ير في القصعة إلا آثار أصابعهم.. ثم قال: يا جابر عليَّ بالذراع فأتيته وقلت: يا رسول الله كم للشاة من ذراع؟ قال: ذراعان. فقلت: والذي بعثك بالحق نبيا لقد أتيتك بثلاثة.! فقال: **أما لو سكت يا جابر لأكل الناس كلهم من الذراع**.! قال جابر: فأقبلت ادخل عشرة عشرة فيأكلون حتى أكلوا كلهم وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياما..[1].

وحفر رسول الله ﷺ والمسلمون الخندق وفرغوا منه قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وجعل على كل باب (منه) رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار مع جماعة يحفظونه للحراسة والإنذار..

وصول الأحزاب

وقدمت قريش، وكنانة، وسليم، وهلال.. فنزلوا الزغابة.. ووادي العقيق (أرض بالمدينة بين الجرف وزغابة)..[2]

وقيل: أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف والغابة (الجرف: على ثلاثة أميال (٥ كم) من المدينة نحو الشام.. والغابة من المدينة نحو جبل سلع قبله بثمانية أميال (١٥ كم) وهو أبعد عن الخندق بكثير، فالصحيح أنها: الزغابة وليست الغابة)..[3] في عشرة

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٧٨ و ١٧٩ واختصره الطبرسي في إعلام الورى ١: ٨٠ وأشار إليه في ١٩١ وفي مجمع البيان ٨: ٥٣٥ عن البخاري ٥: ٩٠ ونقله المازندراني عن البخاري أيضا في مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٣. ورواه ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٢٩ ومغازي الواقدي ٢: ٤٥٢

(٢) معجم البلدان ٤: ٣٣٦

(٣) كما في الواقدي ٢: ٤٤٤ وكما في الروض الأنف للسهيلي وبهامش السيرة ٣: ٢٣٠ عنه

آلاف منهم وممن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة. وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد.[١]

وهم المعنيون بقوله - سبحانه - في سورة الأحزاب: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ يعني يوم الأحزاب وهو يوم الخندق، حيث اجتمعت العرب على قتال النبي، قريش وغطفان ويهود بنو قريظة وتظافروا على ذلك.. ﴿إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ وهم عُيينة بن حصن في أهل نجد ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ وهم أبو سفيان في قريش، وواجتهم قريظة..[٢]

وقال الطبرسي: (إذ جاؤوكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق: قريظة والنضير وغطفان " ومن أسفل منكم " أي من قبل المغرب من ناحية مكة: أبو سفيان في قريش ومن تبعه[٣].

وقال الواقدي: كان جميع القوم الذين وافوا الخندق عساكر ثلاثة، وعناج الأمر إلى أبي سفيان (أي عناق الأمر وهي القيادة فمن يمسك عناق الدابة يقودها).

وكان الناس قد حصدوا زروعهم قبل قدومهم بشهر فقدموا وليس في الوادي زرع، بل كانت المدينة حين قدموا جديبة، فجعلت قريش تسرح ركابها في وادي العقيق وليس هناك شيء للخيل إلا ما حملوه من علف الذرة، وسرحت غطفان إبلها في الجرف إلى الغابة في أثلها وطرفائها وعضاهها والأتبان، فكادت إبلهم تهلك من الهزال[٤].

معسكر المسلمين

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف

---

(١) مجمع البيان ٨ : ٥٣٥، والعبارة كما في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق ٣ : ٢٣٠ و ٢٣١. وقال المازندراني في المناقب ١ : ١٩٧. فكانوا ثمانية عشر ألف رجل. وقال المسعودي في التنبيه والإشراف : ٢١٦ فكان عدة الجميع أربعة وعشرين ألفا

(٢) التبيان ٨ : ٣٢٠

(٣) مجمع البيان ٨ : ٥٣٢

(٤) الواقدي ٢ : ٤٤٤

من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم..وأراد الرسول القائد ﷺ أن يحفظ أهل المدينة كإجراء احتياطي لضمان الأمن والأمان للجميع، أمر بالذراري والنساء فرفعوا في الحصون المنيعة.[1]. وضرب قبة من أدم (جلود) عند المسجد الأعلى بأصل الجبل.. كمقر قيادة للجيش..[2]

نقض بني قريظة للعهد

بنو قريظة يهود واليهود على مرِّ التاريخ لم يلتزموا بقيمة أخلاقية مع الآخرين قط، فكان أسهل شيء عليهم نقض العهود مع نبي الإسلام الكريم كيف لا وهم الذين كانوا يقتلون مابين الطلوعين سبعين نبياً ويخرجون إلى أعمالهم وكأنهم لم يفعلوا شيء..والعجيب أنهم لم يتعلموا من دروسهم المتتالية التي سنتحدث عنها فيما بعد.

فكان بنو قريظة في عهد وتصالح مع رسول الله ﷺ وهم في حصنهم قد تمسكوا بعهد رسول الله ﷺ لهم، فلما أقبلت قريش ونزلت العقيق جاء حُيي بن أخطب في جوف الليل إلى حصنهم ودق باب الحصن، فلما سمع كعب بن أسد سيد بني قريظة قرع الباب، قال لزوجته: هذا أخوك قد شأم قومه وجاء الآن يشأمنا ويهلكنا ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين محمد، وقد وفَّى لنا محمد وأحسن جوارنا.. ثم نزل إليه من غرفته، وقال له: مَنْ أنت؟ قال: حُيي بن أخطب قد جئتك بعزِّ الدهر!

قال كعب: بل جئتني بذلِّ الدهر.! قال: يا كعب، هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلوا بالعقيق مع حلفائهم من كنانة، وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت الزغابة، وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان، ولا يفلت محمد وأصحابه من هذا الجمع أبدا.! فافتح الباب وانقض العهد الذي بينك وبين محمد.!

فقال كعب: لستُ بفاتح لك! ارجع من حيثُ جئتَ.! فقال حيي: ما يمنعك من فتح

(١) مجمع البيان ٨: ٥٣٥ والعبارة في ابن هشام ٣: ٢٣١

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٤٥٤

الباب إلا جشيشتك (والجشيش: طعام يصنع من الشعير الجريش أو البر المطحون خشنا يريد اتهامه بالبخل) التي في التنور تخاف أن أشركك فيها، فافتح، فإنك آمن من ذلك.

فقال له كعب: لعنك الله، قد دخلت عليَّ من بابٍ ضيقٍ.. افتحوا له، ففتحوا له الباب، فقال: يا كعب، انقض العهد الذي بينك وبين محمد ولا تردَّ رأيي، فإن محمداً لا يفلت من هذا الجمع أبدا، فإن فاتك هذا الوقت فلا تدرك مثله أبدا.! ثم اجتمع إليه كل من كان في الحصن من رؤسائهم مثل غزال بن شموأل، وباشي بن قيس، ورفاعة بن زيد، والزبير بن باطا.

فقال لهم كعب: ما ترون؟ قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا وأنت صاحب عهدنا، فإن نقضت نقضنا وإن أقمت أقمنا معك، وإن خرجت خرجنا معك.. وكان الزبير بن باطا شيخاً مجرباً كبيراً قد ذهب بصره، فقال: قد قرأت التوراة التي أنزلها الله في سفرنا بأنه يبعث نبياً في آخر الزمان، يكون مخرجه بمكة ومهاجرته بالمدينة إلى البحيرة، يركب الحمار العاري ويلبس الشملة، ويجتزئ بالكسيرات والتميرات، وهو الضحوك القتال، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقاه يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر..فإن كان هذا هو فلا يهولنه هؤلاء وجمعهم، ولو ناوأته هذه الجبال الرواسي لغلبها!

فقال حيي: ليس هذا ذلك، ذلك النبي من بني إسرائيل وهذا من العرب من ولد إسماعيل، ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبدا.! لأن الله قد فضَّلهم على الناس جميعاً وجعل فيهم النبوة والملك، وقد عهد إلينا موسى: أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وليس مع محمد آية، وإنما جمعهم جمعاً وسحرهم ويريد أن يغلبهم بذلك.. فلم يزل يقلبهم عن رأيهم حتى أجابوه: فقال لهم: أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمد، فأخرجوه، فأخذه حيي بن أخطب ومزقه، وقال: لقد وقع الأمر، فتجهزوا وتهيئوا للقتال.. ورجع حيي بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش فأخبرهم بنقض

بني قريظة العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ، ففرحت قريش بذلك..[١].

التبيُّن عن نقض العهد

وبلغ رسول الله، ذلك فغمَّه غماً شديداً وفزع أصحابه، فقال رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ وأسيد بن حضير[٢] وكانا من الأوس وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس: إئتيا بني قريظة فانظروا ما صنعوا؟ فإن كانوا نقضوا العهد فلا تعلما أحداً بذلك إذا رجعتما إليَّ، وقولا: عضل والقارة.

وذلك أنه كانت عضل والقارة قبيلتين من العرب دخلتا في الإسلام ثم غدرتا، فكان إذا غدر أحد ضرب بهما المثل فقيل: عضل والقارة.. فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى باب الحصن، فأشرف عليهما كعب من الحصن فشتم سعداً وشتم رسول الله ﷺ.! فقال له سعد: إنما أنت ثعلب في جحر! لتولين قريش، وليحاصرنك رسول الله ﷺ ولينزلنك على الصغر والقماع، وليضربن عنقك.! ثم رجعا إلى رسول الله فقالا: عضل والقارة. فقال رسول الله: **لعناء!**[٣]

ثم قال: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، تبين النفاق..

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المسلمون كل ظن، وظهر النفاق من بعض المنافقين: حتى قال معتب بن قشير من بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.![٤]

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٧٩ ـ ١٨١. ومجمع البيان ٨: ٥٣٥ و ٥٣٦ وهي فيه عبارة ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣١ و ٢٣٢. والواقدي عن ابن كعب القرظي أكثر تفصيلا ٢: ٤٥٤ ـ ٤٥٧

(٢) ذكرهما الواقدي ٢: ٤٥٨ وزاد سعد بن عبادة، ثم روى رواية أخرى فيها إضافة. خوات ابن جبير وعبد الله بن رواحة ثم قال: والأول أثبت عندنا. والثانية هي رواية ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣٢

(٣) تفسير القمي ٢: ١٨١. وقريب منه في ابن هشام ٣: ٢٣٢ والواقدي ٢: ٤٥٨ أكثر تفصيلا

(٤) ومع ذلك قال ابن هشام: قال بعض أهل العلم: لم يكن معتب من المنافقين! واحتج بأنه كان من أهل بدر! ورواه الواقدي عن ابن كعب القرظي ٢: ٤٥٩ و ٤٦٠

وحتى قال أوس بن قيظي من بني حارثة: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة للعدو فإنها خارجة عن المدينة، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا..[1]

فكانوا كما قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً * وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِراراً * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْها وَما تَلَبَّثُوا بِها إِلاَّ يَسِيراً * وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُلاً * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً * قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقائِلِينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمالَهُمْ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً * يَحْسَبُونَ الأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً * لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً * وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَتَسْلِيماً * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ

(١) ابن هشام ٣: ٢٣٣. والواقدي ٢: ٤٦٣ أكثر تفصيلا

﴿المُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزاً﴾[١].

هذه الآيات المباركة تعطيك الصورة الحقيقية للناس وتصرفاتهم في يوم الخندق وهي تحتاج إلى كلام كثير إلا أنني سأكتفي باستعراض المعركة فسيتبين لك تفسيرها بإذن الله تعالى..

توهين للمشركين واختبار للمسلمين

وأراد رسول الله ﷺ أن بعث إلى عيينة بن حصن، والحارث بن عوف المري، وهما قائدا غطفان، يدعوهم إلى صلحه والكف عنه والرجوع بقومهما عن حربه.. ويعطيهم قسما من ثمار المدينة واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فيما همَّ به من البعث إلى عيينة والحارث..

فقالا: يا رسول الله: إن كان هذا الأمر لا بد لنا من العمل به لأن الله أمرك فيه بما صنعت والوحي جاءك، فافعل ما بدا لك، وإن كنت تختار أن تصنعه لنا كان لنا فيه رأي؟ فقال - عليه وآله السلام -: **لم يأتني وحي، ولكني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وجاؤوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمد ما.**

فقال سعد بن معاذ: قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعرف الله ولا نعبده، ونحن لا نطعمهم من ثمرنا إلا قرى (طعام الضيف) أو بيعاً، والآن حين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا به وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟! ما بنا إلى هذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.!

فقال رسول الله ﷺ: **الآن قد عرفتُ ما عندكم، فكونوا على ما أنتم عليه، فإن الله تعالى لن يخذل نبيه ولن يسلمه حتى ينجز له ما وعده..** ثم قام رسول الله ﷺ في المسلمين يدعوهم إلى جهاد العدو، ويشجعهم ويعدهم النصر من الله تعالى[٢].

---

(١) الأحزاب: ١٠ ـ ٢٥

(٢) الإرشاد ١: ٩٥، ٩٦، وهي ألفاظ ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣٤، عن الزهري، من دون جواب رسول الله الأخير. وفي المغازي للواقدي ٢: ٤٧٧ عن الزهري عن سعيد بن المسيب بتفصيل أكثر

مبارزة النصر على الأحزاب كلها

وجعل المشركون ينظرون إلى الخندق فيتهيبون القدوم عليه ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم وخيلهم ورجلهم، ويدعون المسلمين: ألا هلم للقتال والمبارزة، والمسلمون قد عسكروا خلف الخندق وأمرهم رسول الله فأظهروا العدة ولبسوا السلاح ووقفوا في مواقفهم ولزموا مواضعهم، فلا يجيبون أحدا من المشركين ولا يردون عليهم شيئا.. وأقاموا على ذلك شهراً تقريباً لم يكن بينهم قتال إلا نضح بالنبل ورمي بالحجارة من وراء الخندق..[1]

فلما طال ذلك بهم ونفدت أزوادهم اجتمعوا وندبوا من ينتدب منهم إلى اقتحام الخندق على رسول الله صلى الله عليه وآله.. فانتدب لذلك منهم (رجال أبطال) وكان أشدُّ مَنْ فيهم وأنجدهم عمرو بن عبد ود العامري (وود: اسم صنم بني عامر عشيرة عمرو، وجاء اسمه في سورة نوح: ﴿وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعاً...﴾[2] يعرف له ذلك جميعهم، وكان قد شهد بدراً مع المشركين وأثخن جراحة ونجا بنفسه فيمن نجا، ولم يشهد أحداً، فأراد أن يبين بنفسه وأنه من أبطال قريش، فتعلم بعلامة ليشهر نفسه.. وجاء القوم إلى الخندق فمشوا حوله حتى أتوا إلى موضع ضيق منه فأقحموا خيلهم فيه فدخلوا، ووقف الجميع من وراء الخندق ينتظرون ما يكون منهم، وثبت الناس في معسكرهم حسبما أمرهم الرسول به، ولما تداخلهم من الخوف وما عاينوه من الجموع..[3]

المبارزة الصاعقة للشرك

وجاء عمرو بن عبد ود وهبيرة بن وهب، وضرار بن الخطاب، و عكرمة بن أبي جهل، ومرداس الفهري وهو جد ضرار بن الخطاب إلى الخندق، فصاحوا بخيلهم حتى

---

(١) راجع سيرة ابن هشام: ج٣ ص٢٢٣.

(٢) نوح: ٢٣

(٣) شرح الأخبار ١: ٢٩٢ و ٢٩٣ وقريب منه في مجمع البيان ٨: ٥٣٧

طفروا (قفزوا) الخندق إلى جانب رسول الله.. وركز عمرو بن عبد ود رمحه في الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء ... بجمعكم: هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجاع ... مواقف القرن المناجز

إني كذلك، لم أزل ... متسرعا نحو الهزاهز

إن الشجاعة - في الفتى - ... والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله ﷺ: **مَنْ لهذا الكلب؟**

فلم يجبه أحد (من الأصحاب فأين مَنْ يتغنون بشجاعتهم، ورسول الله يهونه عليهم بوصفه الكلب؟)، ثم قال النبي ﷺ: **أيكم يبرز إلى عمرو و (أنا) أضمن له على الله الجنة؟!** (فأين طُلاب الجنان من أهل الإيمان، فليس هناك إلا الأمير يطلب الجنة)، فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **أنا يا رسول الله..**

فقل ﷺ: اجلس يا علي وليقم غيرك..وأعاد النداء: من يبرز إلى عمرو وأنا أضمن له على الله الجنة..

فلما سكتوا قال الإمام علي عليه السلام: **أنا يا رسول الله..**

فقال له: **اجلس يا علي وليقم غيرك..**ثم صاح بالناس: **من يبرز إلى عمر وأنا أضمن له على الله الجنة..**

وفي كل مرة لا يقوم إلا علي عليه السلام والقوم ناكسو رؤوسهم او كأن على رؤوسهم الطير كما يقولون،فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: **أنا له يا رسول الله..** فقال: **يا علي، هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل** (يليل: اسم موضع هجم فيه عمرو على عير وهزم ألف خيال منهم، قرب بدر).

فقال علي عليه السلام: **وأنا علي بن أبي طالب.!**

فقال رسول الله ﷺ: **ادنُ مني.. فدنا منه فعمَّمه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال**

له: **اذهب وقاتل بهذا. ثم دعا له فقال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته..**[١]

فلما برز قال صلى الله عليه وآله: **برز الإيمان كله إلى الشرك كله.**

وروي عن الباقر عليه السلام: أن النبي، قال يومئذ: **اللهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد؛ وهذا أخي علي بن أبي طالب.. ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ﴾.**[٢]

ورواه المعتزلي مرفوعاً، قال: إن رسول الله قال ذلك اليوم حين برز علي عليه السلام: **برز الإيمان كله إلى الشرك كله!** وما زال رافعا يديه مقمحاً رأسه نحو السماء داعياً ربه قائلاً: **اللهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، فاحفظ عليَّ اليوم عليا؛ ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ﴾.**[٣]

وقال ابن شهرآشوب في " المناقب ": ودعا النبي صلى الله عليه وآله وهو جاث على ركبتيه باسط يديه باكية عيناه ينادي: **يا صريخ المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، اكشف همي وكربي، فقد ترى حالي.!**[٤]

وقال القمي: فمرَّ أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيه وهو يقول:

لا تعجلن، فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة ... والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم ... عليك نائحة الجنائز!

---

(١) تفسير القمي ٢ : ١٨٣

(٢) الأنبياء : ٨٩

(٣) شرح النهج ١٩ : ٦١ والآية من ونقل الحديث السيد ابن طاوس في الطرائف عن الأوائل للعسكري، كما في بحار الأنوار ٣٩ : ١

(٤) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٩٨

مـــن ضربـــة نجـــلاء يبقـــى صـــوتها بعـــد الهزاهـــز![1]

فقال له عمرو: مَنْ أنتَ؟

قال: **أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وختنه.**

فقال عمرو: والله إن أباك كان لي صديقاً قديماً (وهنا يكذب عمرو فلم يتحدث أحد بهذه الصداقة ولكنه أرعبه اسم علي بن أبي طالب عليه السلام لأن أحد العرَّافة قال له: سيقتلك شخص بهذا الاسم..)، وإني أكره أن أقتلك.. ما آمن ابن عمك حين بعثك إليَّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً (مرفوعاً) بين السماء والأرض لا حيٌّ ولا ميت.!

فقال له علي عليه السلام: **قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة!**

فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي؟ تلك إذا قسمة ضيزى (جائرة ظالمة)!

فقال علي عليه السلام: **دع هذا يا عمرو، وإني سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة، تقول: لا يعرضنَّ عليَّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلا أجبته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة.**

قال: هات يا علي.

قال: أحدها: **أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.**

قال عمرو: نحِّ عني هذه فاسأل الثانية.

فقال: **أن ترجع وتردَّ هذا الجيش عن رسول الله، فإن يكُ صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن يكُ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره..**

فقال: لا تتحدث نساء قريش بذلك، ولا تنشد الشعراء في أشعارها: أني جبنت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال علي عليه السلام، فالثالثة: **أن تنزل إليَّ، فإنك راكب وأنا راجل، حتى أنابذك.!**

---

(١) نقل الخبر والرجزين لعمرو ولعلي عليه السلام الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٣٨ عن ابن إسحاق

فوثب عن فرسه وعرقبه (ضرب عرقوبه تجبراً)، وقال: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها..[١]

وفي رواية شيخنا المفيد: قال علي عليه السلام: **فإني أدعوك إلى النزال.**

فقال عمرو: ارجع، فقد كان بيني وبين أبيك خلة (صداقة)، وما أحب أن أقتلك!

فقال علي عليه السلام: **لكنني والله أحب أن أقتلك ما دمت أبيا للحق!**

فحمي عمرو عند ذلك، وقال: أتقتلني؟! ونزل عن فرسه فعقره وضرب وجهه حتى نفر، وأقبل على علي عليه السلام مصلتا سيفه..[٢]

فقال له علي عليه السلام: **يا عمرو أما كفاك أني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت عليَّ بظهير؟** (أي أنه لم يكن وحده يبارزه).. فالتفت عمرو إلى خلفه، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه فقطعهما جميعاً.. وارتفعت بينهما عجاجة (غبار)، فقال المنافقون: قُتل علي بن أبي طالب!

ثم انكشفت العجاجة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلم يضربه (ليذبحه) (بل تركه وقام عنه قليلاً)، قال الحلبي: فوقع المنافقون في علي عليه السلام، فردَّ عنه حذيفة بن اليمان، فقال له النبي: **مِهْ يا حذيفة فان علياً سيذكر سبب وقفته..**[٣]

وقال له عمرو: يا بن عم، إن لي إليك حاجة: لا تكشف سوأة ابن عمك ولا تسلبه سلبه. فقال علي عليه السلام: **ذلك أهون شيء عليَّ..**[٤]

ثم ذبحه وأخذ رأسه وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه يقطر منه الدم والرأس بيده وهو، يقول:

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٣ و ١٨٤. وعرقبه: ضرب عرقوب الفرس، عقب أقدامه

(٢) الإرشاد ١: ٩٧، ٩٩، وهي ألفاظ ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٣٦

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٥

(٤) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧

أنـــا عـــلي وابـــن عبـــد المطلـــب المـــوت خـــير للفتـــى مـــن الهـــرب

وقال القاضي النعمان: انصرف علي عليه السلام إلى رسول الله وهو يقول:

نصر الحجـــارة مـــن ســـفاهة رأيـــه ونصرت رب محمـــــد بصـــــواب
فصـــددت حـــين تركتـــه متجـــدلا كالجـــذع بـــين دكـــادك وروابي
وعففـــت عـــن أثوابـــه ولـــو اننـــي كنـــت المصرع بـــزني أثـــوابي[1]
لا تحســـبن الله خـــاذل دينـــه ونبيـــه، يـــا مـــعشر الأحـــزاب[2]

ونقلها المفيد في " الإرشاد " وروى عن الكلبي أبياتا أخرى عن علي عليه السلام قالها مفتخراً:

أعـــليَّ تقـــتحم الفـــوارس هكـــذا عنـــي وعنهـــا خـــبروا أصـــحابي
اليـــوم تمنعنـــي الفـــرار حفيظتـــي ومصـــمم في الـــرأس لـــيس بنـــابي
أرديـــت عمـــرا إذ طغـــى بمهنـــد صـــافي الحديـــد مجـــرب قضـــاب
فصـــددت حـــين تركتـــه متجـــدلا كالجـــذع بـــين دكـــادك وروابي

فلما رآه عمر قادم مزهوّاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن علياً لا يترك زهوه أبداً..

فقال صلى الله عليه وآله: **مِهْ يا ابن الخطاب علي ليس فيه زهو، وإن الله ليبغض هذه المشية إلا بمثل هذا المكان..**

ولما وصل علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله اعتنقه وقال له رسول الله: **يا علي، ماكرته؟** (لان عمروا التفت إلى خلفه فضرب على ساقه). قال: **نعم، يا رسول الله، الحرب خديعة..**[3]

فسأله النبي عن سبب وقفته؟ فقال: **قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن**

---

(١) بز: من أسماء الأصوات، اسم لصوت تمزق الثياب، أي قطعها ونزعها عني

(٢) شرح الأخبار ١: ٢٩٦ والإرشاد ١: ٩٩ وابن إسحاق في السيرة، وشكك في صحتها ابن هشام ٣: ٢٣٦

(٣) تفسير القمي ٢: ١٨٥

أضربه لحظ (لأجل) نفسي! فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله..[١]

وبرواية أخرى، قال: لما صرعه أمير المؤمنين عليه السلام وجلس على صدره، وهو يكبر الله ويمجده.. فلما هم أن يذبحه قال له عمرو: يا علي، قد جلست مني مجلساً عظيماً، فإذا قتلتني فلا تسلبني حلتي! فقال عليه السلام: **هي أهونُ عليَّ من ذلك**. وذبحه، وأتى برأسه وهو يتبختر في مشيته، فقال عمر للنبي: يا رسول الله، ألا ترى إلى علي كيف يتبختر في مشيته؟! فقال رسول الله: **إنها لمشية لا يمقتها الله في هذا المقام**.

ثم تلقاه النبي فمسح الغبار عن عينيه وقال له: **لو وزن اليوم عملك بعمل جميع أمة محمد لرجح عملك على عملهم**.. وذلك أنه لم يبق بيت من المشركين إلا وقد دخله ذل بقتل عمرو، ولم يبق بيت من المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو[٢].

وروي عن الحسن البصري، قال: إن علياً عليه السلام لما قتل عمرو بن عبد ود احتزَّ رأسه وحمله فألقاه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي عليه السلام[٣].

وروى ابن إسحاق - برواية يونس بن بكير - قال: لما قتل علي بن أبي طالب عليه السلام عمرا أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطاب: هلا سلبته يا علي درعه فإنه ليس في العرب مثلها؟! فقال عليه السلام: **إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي**..[٤]

وروى عن محمد بن إسحاق، قال: فقال له عمر: فهلا سلبت درعه فإنها تساوي ثلاثة آلاف وليس في العرب مثلها؟!

فقال: **أني استحيت أن اكشف ابن عمي**..

وبسبب هذا الموقف الشهم النبيل لأمير المؤمنين عليه السلام روى المدائني، قال: لما

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٥

(٢) كنز الفوائد: ١٣٨، كما في بحار الأنوار ٢٠: ٢١٥ و ٢١٦

(٣) ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٣٩

(٤) ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٣٨ عن حذيفة بن اليمان بزيادة

قتل علي بن أبي طالب عليه السلام عمرا نعي إلى أخته، فقالت: مَنْ ذا الذي اجترأ عليه؟

فقالوا: علي بن أبي طالب.

فقالت: لم يعد موته إلا على يد كفؤ كريم، لا رقأت دمعتي إن اهرقتها عليه، قتل الأبطال وبارز الأقران وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر، ثم قالت:

لو كان قاتل عمر غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبد

لكن قاتل عمر لا يعاب به ... من كان يدعى أبوه بيضة البلد[1]

قال الراوي: وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير إلى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلق هامته.. ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب (وهو من صناديد قريش وأبطالها)، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً، فقال ضرار: ويحك - يا بن صهاك - أترميني في مبارزة؟! والله لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكة إلا قتلته! فانهزم عنه عمر، ومرَّ نحوه ضرار وضربه على رأسه بالقناة (الرمح)، ثم قال: احفظها يا عمر، فإني آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه؛ فكان عمر يحفظها له فلما ولي عمر ولى ضرار ولاية..[2]

قال الواقدي: ورجعوا هاربين وخرج في أثرهم الزبير بن العوام وعمر بن الخطاب، فناوشوهم ساعة، وحمل ضرار بن الخطاب على عمر بن الخطاب بالرمح، حتى إذا وجد عمر مس الرمح رفع عنه وقال: هذه نعمة مشكورة فاحفظها يا بن الخطاب.! إني كنت قد حلفت أن لا تمكنني يداي من رجل من قريش أبدا.. وانصرف ضرار راجعا إلى أبي سفيان وأصحابه عند الجبل..[3]

---

(١) الإرشاد ١: ١٠٤ ـ ١٠٨. وقول الرسول ـ السابق ـ رواه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٤١ عن سليمان بن صرد. وفي السيرة ٣: ٢٦٦ مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧

(٢) تفسير القمي ٢: ١٨٥ ـ، ويأتي عن مغازي الواقدي مثله ـ ٢: ٤٧١ إلى ٥١٩

(٣) المغازي الواقدي ٢: ٤٧١

ثم حمل أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه على أصحاب عمرو فولوا بين أيديهم هاربين من الثغرة التي اقتحموها، وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه وهو منهزم في الخندق، وانكشف المشركون عن الخندق، وكبر المسلمون وفرحوا وزال عنهم أكثر الخوف الذي كان بهم..[1]

وقال رسول الله بعد قتله هؤلاء النفر: **الآن نغزوهم ولا يغزونا**..

تواعد قريش وغطفان لليوم الثاني

قال الواقدي: وهرب مَنْ بقي منهم، فلما رجعوا إلى أبي سفيان قال: هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء، ارجعوا.. فرجعت قريش إلى العقيق (معسكرها) ورجعت غطفان إلى (معسكرها) وتواعدوا أن يغدون (يذهبون في الصباح الباكر) جميعا (إلى الخندق) ولا يتخلف منهم أحد.. فباتت قريش يعبئون أصحابهم، وباتت غطفان يعبئون أصحابهم، ووافوا رسول الله صلى الله عليه وآله بالخندق قبل طلوع الشمس!

وعبَّأ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه وحضَّهم على القتال ووعدهم النصر إن صبروا.. والمشركون قد جعلوا المسلمين في مثل الحصن من كتائبهم، فأخذوا بكل وجه من الخندق.. وروى جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: فرَّقوا كتائبهم وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد، فقابلهم (في النص: فقاتلهم، ويبدو أن الصحيح ما أثبتناه، إذ لم يكن في الخندق قتال إلا قليلاً) يومه ذلك إلى أوائل الليل، ما يقدر رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من مواضعهم..

ثم رجعوا متفرقين: فرجعت قريش إلى منزلها، ورجعت غطفان إلى منزلها وانصرف المسلمون إلى معسكرهم و رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قبته.. وأقام أسيد بن حضير في مئتين من المسلمين على شفير الخندق، إذ كرت عليهم خيل من المشركين عليهم خالد بن الوليد وفيهم وحشي قاتل حمزة، يطلبون غرة من المسلمين، فناوشوهم ساعة،

---

(١) شرح الأخبار ١ : ٢٩٦

وزرق وحشي بمزرقته الطفيل بن النعمان الأنصاري فقتله.

وأرسلت بنو مخزوم إلى النبي - صلى الله عليه [وآله] وسلم - بدية رجل يشترون بها جثة نوفل بن عبد الله المخزومي (الذي وقع في الخندق فقُتل بالحجارة)، فبعث المشركون بعشرة آلاف إلى النبي ﷺ ثمن الجيفة، فقال رسول الله ﷺ: **إنما هي جيفة حمار.!..هو لكم، (ونحن) لا نأكل ثمن الموتى..**[١]

إصابة سعد بن معاذ: وكان من أثر الرمي بينهم أن رمى ابن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب العرق الأكحل الغليظ من يده وقال حين رماه: خذها وأنا ابن العرقة.. فأجابه ابن معاذ: عرَّق الله وجهك في النار! ثم دعا فقال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لحربهم، فإنه لا قوم أحب إليَّ أن أقاتلهم من قوم كذَّبوا رسولك وأخرجوه من حرمك، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة! وحملوه إلى رسول الله فبات عنده على الأرض..[٢]

وقال ابن إسحاق: وكانت امرأة من أسلم يقال لها: رُفيدة، تحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، فكانت تداوي الجرحى في مسجده..فحين أصاب السهم سعدا قال رسول الله ﷺ لقومه: **اجعلوه في خيمة رفيدة (في المسجد) حتى أعوده من قريب**[٣].

مكيدة نعيم بن مسعود (بقريش واليهود)

الذكاء نعمة لا تُقدَّر بثمن، والعقل والفطنة هبة ربانية سبحان واهبها، وبورك مَنْ وهبت له فاستعملها بما يرضي الله تعالى، سيما في وقت الشدة والمحنة كالحرب والحرب خدعة.. وإليك قصة في غاية الحنكة والحكمة لنعيم بن مسعود..

---

(١) الواقدي ٢ : ٤٧٢ ـ ٤٧٤. وفي مناقب آل أبي طالب ١ : ١٩٨

(٢) تفسير القمي ٢ : ١٨٨ وإعلام الورى ١ : ١٩٣. وفي السيرة ٣ : ٢٣٨

(٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٢٥٠، وفي تفسير القمي ٢ : ١٨٨

لما كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله ﷺ - وكان قد أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام - فقال له: يا رسول الله، قد آمنت بالله وصدقتك، وكتمت إيماني عن الكفرة، فإن أمرتني أن آتيك وأنصرك بنفسي، فعلت، وإن أمرت أن أخذِّل بين اليهود وبين قريش فعلت، حتى لا يخرجوا من حصنهم؟

فقال ﷺ: **خذِّل بين اليهود وقريش فإنه أوقع عندي..**

قال: فتأذن لي أن أقول فيك ما أريد؟ قال: **قُلْ ما بدا لك.**

وكان نعيم بن مسعود رجلاً من غطفان مع المشركين، وكان نديماً لبني قريظة، فأتاهم كالزائر لهم، فرحبوا به ووقروه، فلما خلا بهم، قال: قد عرفتم مودتي لكم، وقد جئت إليكم ناصحاً إن قبلتم مني. قالوا: جزاك الله خيراً، ما نتهمك، بل نحن ممن نثق بمودتك ونقبل نصيحتك، فقل ما أردت..

فقال لهم: إنكم قد فعلتم فعلاً لم تحسنوا النظر فيه لأنفسكم: نقضتم حلف محمد وصرتم مع قريش وغطفان، ولستم كمثلهم، إن قريشاً وغطفان إنما جاؤوا لحرب محمد وأصحابه على ظهور دوابهم، فإن أصابوا منه ما أرادوا، وإلا انصرفوا عنه وتركوكم معه! وأنتم تعلمون أنه لا طاقة لكم به وبأصحابه إن خلا بكم.. وقد تداخل أصحابنا الفشل والاختلاف، وطال مقامهم، وخفت أزوادهم.. وكان من أمر ابن عبد ود وأصحابه ما قد عرفتم وإنما كان المعتمد عليهم والنظر إلى ما يكون منهم عند اقتحامهم الخندق، فإذا قد كان من ذلك ما كان فقد تداخل اليأس إلى قلوب الناس، وأكثر ما يقيمون أياماً قليلةً، فإن رأوا فرصة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وتركوكم! قالوا: لقد صدقت ونصحت فيما قلت، فجزاك الله خيراً، فما الحيلة بعد هذا؟!

قال: الحيلة: أن لا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهائن من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم أن لا ينصرفوا عنكم ويدعوكم! قالوا: لقد أشرت بالرأي، فأحسن الله عنا جزاك.

ثم أتى عيينة بن حصن، وأبا سفيان، فقال: إن بني قريظة بيني وبينهم ما قد علمتم، وقد بِتُّ عندهم فاطلعت منهم على سرٍّ خشيت منه علينا! قالوا: وما هو؟! قال: إن القوم ندموا على ما نقضوا من حلف محمد لما رأوا مقامنا ولم نصنع شيئاً ونظروا إلى ما كان من أمر عمرو بن عبد ود وأصحابه، وخافوا أن ننصرف عنهم فيطأهم محمد، فأرسلوا إليه يرغبون في سلمه، ويذكرون ندامتهم على ما كان منهم وقالوا له: نحن نرضيك بأن نأخذ من القبيلتين رجالاً من أشرافهم فنسلمهم إليك فتضرب أعناقهم أو تفعل فيهم ما رأيت، ثم نكون معك على من بقي منهم.. فإياكما أن تخدعكما اليهود أو أن يظفروا بأحد منكم!

فأرسل أبو سفيان وعيينة إليهم عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان يستخبرونهم ذلك ويدعونهم إلى القتال معهم ويقولون: إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخف والحافر ونفد الزاد، وأبى محمد وأصحابه إلا لزوما لخندقهم، وأنتم أعلم بعورة الموضع، فاخرجوا إلينا بجماعتكم لنناجز محمداً وأصحابه ونقتحم عليهم الخندق بجماعتنا.

فلما جاء القوم بني قريظة بذلك، قالوا: قد كنا مع محمد على حلف، ولم نكن نرى منه إلا خيراً، ونقضنا ما كان بيننا وبينه، ونحن نخشى ونخاف إن ضرَّستكم الحرب أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به، فلسنا بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن من وجوه رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً.

فلما انصرف بذلك القوم إلى أبي سفيان وعيينة علما أن الأمر ما قاله نعيم بن مسعود، وأبوا أن يدفعوا إليهم أحداً.. وقالت بنو قريظة: هذا مصداق قول نعيم بن مسعود، ولزموا معاقلهم، واستوحش بعض القوم من بعض وتنافرت قلوبهم، ولم يجد الأحزاب إلا الرحيل إلى بلادهم..[1]

(١) (شرح الأخبار ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٩. وروى خبره ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٤٠ ـ ٢٤٢ وعنه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٣٩ و ٥٤٠. وروى الواقدي خبره بسنده عنه ٢: ٢٨٠ ـ ٢٨٤ ثم أخبارا أخرى أربعة ٢٨٤ ـ ٢٨٧، ثم قال: والأثبت قول نعيم الأول

لما كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله - وكان قد أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام - فقال له: يا رسول الله، قد آمنت بالله وصدقتك، وكتمت إيماني عن الكفرة، فإن أمرتني أن آتيك وأنصرك بنفسي، فعلت، وإن أمرت أن أخذِّل بين اليهود وبين قريش فعلت، حتى لا يخرجوا من حصنهم؟

فقال صلى الله عليه وآله: **خذِّل بين اليهود وقريش فإنه أوقع عندي..**

قال: فتأذن لي أن أقول فيك ما أريد؟ قال: **قُلْ ما بدا لك.**

وكان نعيم بن مسعود رجلاً من غطفان مع المشركين، وكان نديماً لبني قريظة، فأتاهم كالزائر لهم، فرحبوا به ووقروه، فلما خلا بهم، قال: قد عرفتم مودتي لكم، وقد جئت إليكم ناصحاً إن قبلتم مني. قالوا: جزاك الله خيراً، ما نتهمك، بل نحن ممن نثق بمودتك ونقبل نصيحتك، فقل ما أردت..

فقال لهم: إنكم قد فعلتم فعلاً لم تحسنوا النظر فيه لأنفسكم: نقضتم حلف محمد وصرتم مع قريش وغطفان، ولستم كمثلهم، إن قريشاً وغطفان إنما جاؤوا لحرب محمد وأصحابه على ظهور دوابهم، فإن أصابوا منه ما أرادوا، وإلا انصرفوا عنه وتركوكم معه! وأنتم تعلمون أنه لا طاقة لكم به وبأصحابه إن خلا بكم.. وقد تداخل أصحابنا الفشل والاختلاف، وطال مقامهم، وخفت أزوادهم.. وكان من أمر ابن عبد ود وأصحابه ما قد عرفتم وإنما كان المعتمد عليهم والنظر إلى ما يكون منهم عند اقتحامهم الخندق، فإذا قد كان من ذلك ما كان فقد تداخل اليأس إلى قلوب الناس، وأكثر ما يقيمون أياماً قليلةً، فإن رأوا فرصة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وتركوكم! قالوا: لقد صدقت ونصحت فيما قلت، فجزاك الله خيراً، فما الحيلة بعد هذا؟!

قال: الحيلة: أن لا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهائن من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم أن لا ينصرفوا عنكم ويدعوكم! قالوا: لقد أشرت بالرأي، فأحسن الله عنا جزاك.

ثم أتى عيينة بن حصن، وأبا سفيان، فقال: إن بني قريظة بيني وبينهم ما قد علمتم، وقد بِتُّ عندهم فاطلعت منهم على سرٍّ خشيت منه علينا! قالوا: وما هو؟! قال: إن القوم ندموا على ما نقضوا من حلف محمد لما رأوا مقامنا ولم نصنع شيئاً ونظروا إلى ما كان من أمر عمرو بن عبد ود وأصحابه، وخافوا أن ننصرف عنهم فيطأهم محمد، فأرسلوا إليه يرغبون في سلمه، ويذكرون ندامتهم على ما كان منهم وقالوا له: نحن نرضيك بأن نأخذ من القبيلتين رجالاً من أشرافهم فنسلمهم إليك فتضرب أعناقهم أو تفعل فيهم ما رأيت، ثم نكون معك على من بقي منهم.. فإياكما أن تخدعكما اليهود أو أن يظفروا بأحد منكم!

فأرسل أبو سفيان وعيينة إليهم عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان يستخبرونهم ذلك ويدعونهم إلى القتال معهم ويقولون: إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخف والحافر ونفد الزاد، وأبى محمد وأصحابه إلا لزوما لخندقهم، وأنتم أعلم بعورة الموضع، فاخرجوا إلينا بجماعتكم لنناجز محمداً وأصحابه ونقتحم عليهم الخندق بجماعتنا.

فلما جاء القوم بني قريظة بذلك، قالوا: قد كنا مع محمد على حلف، ولم نكن نرى منه إلا خيراً، ونقضنا ما كان بيننا وبينه، ونحن نخشى ونخاف إن ضرَّستكم الحرب أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به، فلسنا بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن من وجوه رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً.

فلما انصرف بذلك القوم إلى أبي سفيان وعيينة علما أن الأمر ما قاله نعيم بن مسعود، وأبوا أن يدفعوا إليهم أحداً.. وقالت بنو قريظة: هذا مصداق قول نعيم بن مسعود، ولزموا معاقلهم، واستوحش بعض القوم من بعض وتنافرت قلوبهم، ولم يجد الأحزاب إلا الرحيل إلى بلادهم..[1]

(١) (شرح الأخبار ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٩. وروى خبره ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٤٠ ـ ٢٤٢ وعنه الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٣٩ و ٥٤٠. وروى الواقدي خبره بسنده عنه ٢: ٢٨٠ ـ ٢٨٤ ثم أخبارا أخرى أربعة ٢٨٤ ـ ٢٨٧، ثم قال: والأثبت قول نعيم الأول

مَنْ الذي هزم الأحزاب وحده؟

الله ربنا سبحانه هو الذي هزم الأحزاب وحده بلا شك ولا ريب، ولكن يأبى الله إلا أن يجري الأمور إلا بأسبابها، والمعلولات إلا بعللها، فلكل شيء سبب، ولكل معلول علة فما هو سبب هزيمة الأحزاب..وربنا سبحانه يقول وهو أصدق القائلين: ﴿**وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزاً**﴾[1].

فالله سبحانه ردَّ الذين كفروا بغيظهم، ولكن بعد أن كفى المؤمنين القتال، ولم يتوقف القتال لولا مقتل عمرو بن عبد ود العامري وبعض من معه وهروب الآخرون خوفاً من ذي الفقار البتار..

وبالتفاصيل فقد روى: أنه في ليلة ظلماء قرَّة[2] قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التل الذي عليه " مسجد الفتح " في غزوة الأحزاب، فقال: **من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة؟**

فلم يقم أحد، ثم أعادها فلم يقم أحد.. قال الإمام الصادق عليه السلام مستفهماً: **وما أراد القوم؟ أرادوا أفضل من الجنة؟!**

ثم قال: ثم قال رسول الله لرجل: مَنْ هذا؟

فقال: حذيفة.. فقال له: **أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلم؟! أقُبرت؟!**

فقام حذيفة وهو يقول: القَرُّ والضُرُّ - جعلني الله فداك - منعني أن أجيبك.! فقال رسول الله: **انطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم يا حذيفة، ولا تُحدث شيئا حتى تأتيني.**

فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله حتى ترده..** فأخذ (حذيفة) سيفه وقوسه وجحفته[3].

قال حذيفة: فخرجت وما بي من ضر ولا قر، فمررت على باب الخندق.. ولما

---

(١) الأحزاب: ٢٥

(٢) باردة

(٣) الجحفة: الترس من الجلود بلا خشب ولا عقب

توجه حذيفة قام رسول الله ﷺ فصلى ثم، نادى: **يا صريخ المكروبين، ويا مجيب المضطرين، اكشف همي وغمي وكربي، فقد ترى حالي وحال أصحابي..**[1]

فنزل عليه جبرائيل عليه السلام فقال: **يا رسول الله، إن الله - عز ذكره - قد سمع مقالتك ودعاءك، وقد أجابك وكفاك هول عدوك!** فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه ثم، قال: **شكراً، شكراً كما رحمتني ورحمت أصحابي.**

وقال رسول الله ﷺ: **قد بعث الله - عز وجل - عليهم ريحاً من سماء الدنيا فيها حصى، وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل** (الحجارة أكبر من الحصى).

قال حذيفة: وأقبل جُند الله؛ الأول: ريح فيها حصى، فما تركت لهم ناراً إلا أذرتها (فرقتها وأطفأتها) ولا خباء إلا طرحته، ولا رمحاً إلا ألقته، حتى جعلوا يترسون من الحصى، وجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة..وقام (أبو سفيان) وقيل: إبليس في صورة رجل مطاع من المشركين، فقال: أيها الناس، إنكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذاب، ألا وإنه لن يفوتكم من أمره شيء فإنه ليس سنة مقام، قد هلك الخف والحافر، فارجعوا ولينظر كل رجل منكم مَنْ جليسه! قال حذيفة: فنظرت عن يميني فضربت بيدي فقلت: مَنْ أنت؟

قال: معاوية بن أبي سفيان.. فقلت للذي عن يساري: مَنْ أنت؟ قال: سهيل بن عمرو (أو عمرو بن العاص على رواية).

قال حذيفة: وأقبل جند الله الأعظم فقام أبو سفيان إلى راحلته، وصاح في قريش: النجاء، النجاء! وقال طلحة الأزدي: لقد زادكم محمد بشراً! ثم قام إلى راحلته، وصاح في بني أشجع: النجاء، النجاء! وفعل عيينة بن حصن مثلها.. ثم فعل الحارث بن عوف المزني مثلها.. ثم فعل الأقرع بن حابس مثلها.. وذهب الأحزاب.. ورجع حذيفة إلى

---

(١) ورواه في فروع الكافي ١: ٣١٨ وكامل الزيارات: ٢٤ والقمي في التفسير ٢: ١٨٦ والتهذيب ٢: ٦ و ٦٠

رسول الله فأخبره الخبر..[١]

وبرواية أخرى قال أبو سفيان: إنكم - والله - لستم بدار مقام، لقد هلك الخف والكراع وأجدب الجناب، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم ما نكره، ولقد لقينا من الريح ما ترون! والله ما يثبت لنا بناء (خيام) ولا تطمئن لنا قِدْر (أواني الطعام الكبيرة)، فارتحلوا فإني مرتحل.. وقام أبو سفيان وجلس على بعيره وهو معقول، ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم، فما أطلق عقاله إلا بعد ما قام.

فناداه عكرمة بن أبي جهل: إنك رأس القوم وقائدهم، تقشع (تهرب) وتترك الناس؟! فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله ونزل عنه وأخذ بزمامه وهو يقوده ويقول: ارحلوا.. فجعل الناس يرتحلون وهو قائم حتى خفَّ العسكر.

وأقام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد في مئتي فارس، خوف الطلب من المسلمين لهم وسار سائر العسكر.

وذهب حذيفة إلى غطفان فوجدهم يرتحلون.. ولما ارتحلوا وقف فرسان من بني سليم في أصحابهم، والحارث بن عوف في خيل من أصحابه، ومسعود بن رخيلة في خيل من أصحابه.. وأقامت خيل قريش حتى كان السحر ثم مضوا فلحقوا بالعسكر في ململ عند ارتفاع النهار.. ثم ارتحلت بقية خيل غطفان فالتحقوا بقومهم في المراض (المراض: على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة (٧٠ كم)[٢]، ثم تفرقت قبائلهم إلى محالهم، ورجع حذيفة - في الليل - إلى الرسول فأخبره الخبر.

وبقي أن نذكر رسالة أبو سفيان قبل أن ينصرف مدحوراً؛ فقد روي عن أبي وجزة، قال: لما ملَّت قريش المقام.. كتب أبو سفيان كتاباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه: باسمك اللهم، فإني أحلف باللات والعزى، لقد سرت إليك في جمعنا وإنا نريد أن لا نعود إليك

(١) (روضة الكافي: ٢٣٢، ح: ٤٢٠، وقريب منه في تفسير القمي ٢: ١٨٦ و ١٨٧ بتصرف ليتضح المعنى

(٢) وفاء الوفاء: ٣٧٠

أبدا حتى نستأصلك، فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضائق وخنادق.! فليت شعري من علمك هذا؟! فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد تبقر فيه النساء..! وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي.

فلما بلغه الكتاب دعا رسول الله أبي بن كعب فدخل معه قبته فقرأ عليه كتاب أبي سفيان.. وكتب إليه رسول الله ﷺ: من محمد رسول الله، إلى أبي سفيان بن حرب.. أما بعد، فقديماً غرك بالله الغَرور.. أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى.. وأما قولك: مَنْ علمك الذي صنعنا من الخندق؟ فإن الله - تعالى - ألهمني ذلك (فمسألة الخندق كانت إلهاماً ربانياً لرسول الله ﷺ كما تقدم، وإنما خرج كرأي على لسان سلمان تشريفاً له) لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك، وليأتين عليك يوم تدافعني فيه بالراح، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل، حتى أذكرك ذلك..

نقد وتحليل لغزوة الأحزاب:

الإمام علي عليه السلام فيها

التعليم عملية تراكمية كما يقولون.. والتدريب هو ممارسة التعليم على أرض الواقع ببذل الجهد والمران على ما نريد تعلمه، وكلما زاد المران والتكرار فإن الشخص يزداد مهارة وخبرة..

ورسول الله ﷺ جاء معلّماً للبشرية جمعاء وليس لأصحابه الذين كانوا حوله مهطعين، فكانت كل حركاته، وسكناته، وأقواله تشريع مأخوذ به أمراً أو نهياً، أو غير ذلك من الأحكام الخمسة..

فكان - روحي له الفداء - يعطي الأمة تجربة ولكن قلّما نجد الأمة تستفيد من تلك التجارب الغير مسموح أن يكررها الرسول ولكنها قطعاً وجزماً وحتماً ستتكرر في حياة

الأمة ومستقبلها مراراً كثيرة فتبقى تلك التجربة ماثلة أمامهم لتهديهم إلى سواء السبيل، وكأنها تقول لهم: مَنْ أراد النصر عليه أن يطيع القائد، ويثبت في ثغره لا يتركه حتى لا يكون مقتلاً له ولأصحابه..

فهل استفادت الأمة والصحابة من تجربة هزيمة يوم أحد، وأطاعوا رسول الله صلى الله عليه وآله القائد في كل صغيرة وكبيرة؟

الكل يعلم علم اليقين أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله واجبة على كل حال وضمانه ضمان الله تعالى فهو حق محقق لا محيص عنه، وما تقدم يروي لنا التاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله في موقفين وقف أمام أصحابه ونادى بهم ثلاث مرات، ويضمن الجنة لمن يجيب النداء..

١- عند مبارزة عمرو بن عبد ود العامري..

٢- وعندما كان يريد أن يبعث أحدهم ليستطلع أخبار قريش أخيراً..

في المرة الأولى لم يُجب إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام وفي الثانية استخرج رسول الله صلى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان – وهو مَنْ هو مكانة بين الصحابة – وأرسله قهراً، فذهب متثاقلاً إلى أن دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله بالحفظ فنشط الرجل وأدى المهمة وعاد سالماً..

فلماذا لم يستجيبوا للنداء؟ ولماذا كانوا يكرهون الجنان ومعانقة الحور العين وما هي إلا ضربة من عمرو بن عبد ود؟ وأذكر أنني قلت وكتبت يوما أن كل مَنْ حضر هناك ولم يُجب الرسول صلى الله عليه وآله على ندائه هو آثم ومخطئ لا بل ومذنب بتقاعسه، واللطيف بها: نداء رسول الله صلى الله عليه وآله الذي وصف به العدو بالكلب استهانة به، وقال لهم: مَنْ يبرز إلى عمرو، ولم يقل مَنْ يقتل عمرو.. فكانت مجرد البراز له موصل للجنة بضمانة الرسول سواء قَتل أو قُتل..

ولكن – على ما يبدو – أنه لا يُحب الجنة إلا مَنْ عرفها وتيقن بها، واشتاق إلى خيراتها وما أعدَّ الله لهم من أنواع النعيم المقيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا

خطر على قلب بشر..

وليس هذا فقط بل إليك ما يروونه عن طاعتهم التي كانت سببا بكسرتهم في يوم أحد..وإليك هاتين الروايتين للعبرة فقط.. فلما أصبح رسول الله ﷺ بالخندق أصبح وليس حوله أحد من عساكر المشركين، قال لأصحابه: لا تبرحوا.

فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة، وبقي رسول الله ﷺ في نفر يسير فأذن لهم بالانصراف إلى منازلهم، فخرجوا مبادرين (مسرعين) مسرورين.. كان دخول الرسول إلى المدينة في منصرفه من الخندق يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، أو صباح الخميس..

- وروى عبد الله بن عمر، قال: وكره رسول الله ﷺ أن يكون لقريش عين (جاسوس) فيرى سرعتهم في ذلك، فبعث مَنْ ينادي في أثرهم بردهم.. قال عبد الله بن عمر: فجعلت أصيح في أثرهم في كل ناحية: إن رسول الله ﷺ أمركم أن ترجعوا.. فما رجع منهم رجل واحد من الجوع والبرد..

- وقال جابر بن عبد الله: أمرني رسول الله ﷺ أن أردهم، فجعلت أصيح بهم، فما يرجع أحد من جهد الجوع والبرد.. فرجعت إلى النبي فأخبرته فضحك ﷺ.. (تأمل بهذه الرواية – أرجوك – وتذكر ما قلناه من قبل بيوم أحد، أين الطاعة والانضباط ألم يتعلموا من درس أحد؟)

نعم؛ أمير المؤمنين علي عليه السلام هو المطيع والمحب للجنة والراغب بثواب الله وواثق بضمان رسول الله ﷺ، وكان من أعماله وبطولاته التي لا تنساها الأيام وتناستها بعض أطراف الأمة وهذا من سوء طالعهم بالحقيقة، منها:

١- صاحب الراية العظمى لرسول الله ﷺ..

٢- صاحب مبارزة النصر الساحق بعد أن قتل فارس يليل عمرو بن عبد ود العامري الذي جبن الأصحاب عن مبارزته.

٣- وكفى به الله القتال: فقد أخرج أبو نعيم: عن ابن مسعود، قال: لما قتل علي عمرو بن عبد ود يوم الخندق أنزل الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[١]

بعلي، وأثبتها في مصحفه هكذا..[٢] وهذا ما رواه جلال الدين السيوطي: إن هذه الآية ﴿وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعلي، في مصحف ابن مسعود.[٣]

٤- صاحب الفضائل التي أعلنها رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم.

٥- هو الإيمان كله كما قال الرسول القائد صلى الله عليه وآله حين برز إلى عمرو مهروماً، ولهذا ورد أن قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.[٤]

أن المقصود بالإيمان هو أمير المؤمنين علي عليه السلام بالذات، ولذا فحبه المقياس ما بين الكفر والإيمان، بتصريح من الرسول صلى الله عليه وآله: يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق..أو يا علي لا يحبك إلا طاهر الولادة ولا يبغضك إلا خبيث الولادة..وغيرها كثير.. وعليه فإن مَنْ يدَّعي الإيمان وهو لا يعرف الإمام علي عليه السلام ويحبه أكثر من نفسه لأنه -روحي فداه- أغلى وأعلى وأولى بنا من أنفسنا فإن إدعاءه يحتاج إلى دليل، والقرآن دحض أقوال بعضهم وإدعاءهم للإيمان، فقال جل من قائل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

والإيمان هنا هو الإيمان كله الإمام علي عليه السلام وحبه وولايته.. نعم؛ هم مسلمون

---

(١) الأحزاب: ٢٥.

(٢) انظر شواهد التنزيل ١ / ٣ - ٥

(٣) الدر المنثور ٥ / ١٩٢

(٤) الحجرات: ٧.

(٥) الحجرات: ١٤

بنطق الشهادتين ولكن الإيمان الأعلى درجة من الإسلام لا يمكن الوصول إليه إلا بمعرفة وولاية وحب الإمام علي عليه السلام..

٦- هو صاحب العمل الواحد الذي يعادل عمل الثقلين إلى قيام الساعة في يوم الخندق، فشوقه إلى الجنة، ونصرته للدين، واستجابته لنداء الرسول صلى الله عليه وآله، ودفاعه عن بيضة الأمة كان عملاً عظيماً حقاً، ولهذا كان ثواب عمله وأجر ضربته في يوم الخندق يعادل بل يفوق عمل الثقلين إلى يوم القيامة، كما قال النبي صلى الله عليه وآله في قتل علي لعمرو، وهو من الأحاديث الشهيرة: **ضربة علي يوم الخندق أفضل من - أو تعدل - عبادة الثقلين إلى يوم القيامة..**

٧- وأخيراً ؛أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي، وأيضا أخرج الحافظ ابن شيرويه الديلمي في كتابه " الفردوس ": عن عروة بن الزبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: لما قتل على عمرو بن عبد ود العامري الذي كان أشجع العرب يوم الخندق بعد طلبه المبارزة ثلاثاً، وكان سيف على يقطر دماً، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال: **اللهم أعط علياً فضيلة لم يُعطاها أحداً.**

فهبط جبرائيل ومعه أترجة من الجنة فقال: **يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أعط هذه علياً، فدفعها إليه، فأخذها على فانفلقت في يده فلقتين فإذا فيها حريرة خضراء مكتوب فيها بسطرين: تحفة الله الطالب الغالب إلى الولي علي بن أبي طالب..**[1]

وليقل من شاء ما شاء من أعمال الأمة بثقليها الإنس والجن فإن ضربة واحدة من أمير المؤمنين علي عليه السلام تعادلها بل وتفوق عليها ودعهم يعملوا أو يدَّعوا العمل ويختلقوا الفضائل لمن جُرِّدوا منها كمعاوية وابن العاص وغيرهم من رؤوس الأحزاب..

وصدق أبو بكر بن عياش حيث قال: لقد ضرب علي بن أبي طالب عليه السلام ضربة ما كان في الإسلام أيمن منها ؛ ضربته عمرا يوم الخندق..[2]

---

(١) (المناقب للخوارزمي: ١٧٠، كفاية الطالب ٧٧، ثاقب المناقب: ٦١

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٩ / ٦١ ؛ الإرشاد: ١ / ١٠٥ وفيه " أعز " بدل " أيمن

٤-غزوة الفتح المبين

أ- الحديبية وصلحها

الحديبية بالحقيقة لم تكن غزوة، بل كانت عُمرة أُجهضت بصلح ما بين رسول الله صلى الله عليه وآله ومشركي قريش على أن يرجع إلى المدينة هذا العام ويعتمر بالعام المقبل بسلاح الراكب فقط وسلاحه في غمده..

ولكن الاعتراضات التي ظهرت من بعض المسلمين وشكّهم برسول الله صلى الله عليه وآله ورفضهم حلَّ الإحرام التقصير والعودة كان له الأثر الكبير، فلم يلبي ويطيع أقوال الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان من أعماله فيها:

١- نائب الرسول القائد في كل شيء..

٢- لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية نزل الجحفة فلم يجد بها ماء، فبعث سعد بن مالك بالروايا، حتى إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا، فقال: يا رسول الله، ما أستطيع أن أمضي.. لقد وقفت قدماي رعبا من القوم!!

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: اجلس.. ثم بعث رجلاً آخر، فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجع، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **لِمَ رجعت؟!**

فقال: والذي بعثك بالحق ما استطعت أن أمضي رعباً.!!

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهما)، فأرسله بالروايا، وخرج السقاة وهم لا يشكُّون في رجوعه لما رأوا من رجوع مَنْ تقدمه، فخرج الإمام علي عليه السلام بالروايا، حتى ورد الحرَّار[1] فاستقى، ثم أقبل بها إلى النبي صلى الله عليه وآله ولها زجل[2]، فكبر النبي صلى الله عليه وآله، ودعا له بخير[3].

---

(١) حرار: جمع حرة - وهي كثيرة في بلاد العرب ؛ كحرة أوطاس وحرة تبوك - وهي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار (تقويم البلدان: ٢ / ٢٣٤ و ٢٤٥

(٢) الزجل: الصوت (المحيط في اللغة: ٧ / ٢٣

(٣) الإرشاد: ١ / ١٢١ وراجع الإصابة: ٥ / ٢٦٩ / ٦٩٧٢

٣- هو الذي كتب معاهدة الصلح ولم يُرد محي الصفة الرسالية للرسول الأعظم ﷺ عندما طلب سهل فمحاها رسول الله ﷺ وقال له: **ستجيب لمثلها وأنت راض** (وكان ذلك بعد أكثر من ربع قرن من الزمن مع معاهدة الصلح للتحكيم مع معاوية بن أبي سفيان أبان معركة صفين)..

٤- هو الذي حلق رأس الرسول ﷺ، ونحر الجذور له..

وهذا الصلح سماه الله (بالفتح المبين) لما كان له من تأثير على مجريات الأحداث فيما بعد على مستوى الجزيرة العربية كلها بحيث بدأت الوفود المُسلمة أو المصالحة، أو المعاهدة تتوالى على رسول الله ﷺ من القبائل، وبعث رسول الله ﷺ برسائل إلى الملوك وقادة الأمبراطوريات العتيدة المجاورة له فيما بعد..

ب- فتح مكة المكرمة

- **زمانها:** كانت غزوة الفتح في الثالث عشر من شهر رمضان المبارك من سنة ثمان للهجرة الشريفة..

- **مكانها:** مكة المكرمة..

- **أسبابها:** وذلك أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشاً عام الحديبية دخلت خزاعة في حلف النبي ﷺ وعهده، ودخلت كنانة في حلف قريش، فلما مضت سنتان من القضية قعد رجل من كنانة يروي هجاء رسول الله ﷺ، فقال له رجل من خزاعة: لا تذكر هذا، قال: وما أنت وذاك؟ فقال: لئن أعدت لأكسرن فاك. فأعادها، فرفع الخزاعي يده فضرب بها فاه، فاستنصر الكناني قومه، والخزاعي قومه، وكانت كنانة أكثر فضربوهم حتى أدخلوهم الحرم، وقتلوا منهم، وأعانتهم قريش بالكراع والسلاح، فركب عمرو بن سالم إلى رسول الله ﷺ فخبَّره الخبر وقال أبيات من الشعر، منها:

لا هـــم أني ناشـــد محمـــدا حلـــف أبينـــا وأبيـــه الأتلـــدا

أن قريشـــاً أخلفـــوك الموعـــدا ونقضـــوا ميثاقـــك المؤكـــدا

وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (حسبك يا عمرو) ثم قام فدخل دار ميمونة، وقال: (اسكبوا لي ماء) فجعل يغتسل ويقول: (**لا نُصرت إن لم أنصر بني كعب**)، ثم أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله على المسير إلى مكة، وقال: (**اللهم خذ العيون عن قريش حتى نأتيها في بلادها**)..ليباغتهم في أرضهم..

فكتب حاطب في أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش: أن رسول الله خارج إليكم يوم كذا وكذا.. فخرجت وتركت الطريق ثم أخذت ذات اليسار في الحرة، فنزل جبرائيل فأخبره، فدعا علياً عليه السلام والزبير فقال لهما: (**أدركاها وخذا منها الكتاب**). فخرج الإمام علي عليه السلام والزبير لا يلقيان أحداً حتى وردا ذا الحليفة، وكان النبي صلى الله عليه وآله وضع حرساً على المدينة، وكان على الحرس حارثة بن النعمان، فأتيا الحرس فسألاهم فقالوا: ما مر بنا أحد، ثم استقبلا حاطباً فسألاه، فقال: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرَّة.

فأدركاها فأخذ الإمام علي عليه السلام منها الكتاب وردها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.. قال: فدعا صلى الله عليه وآله حاطبا فقال له: (انظر ما صنعت)؟

قال: أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما شككت، ولكني رجل ليس لي بمكة عشيرة، ولي بها أهل فأردت أن أتخذ عندهم يداً ليحفظوني فيهم.. فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فوالله لقد نافق..

فقال صلى الله عليه وآله: (**إنه من أهل بدر، ولعل الله اطلع عليهم فغفر لهم، أخرجوه من المسجد**).. فجعل الناس، يدفعون في ظهره وهو يلتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليرقَّ عليه، فأمر برده وقال له: (**قد عفوتُ عن جُرمك فاستغفر ربك ولا تعد لمثل هذه ما حييت**) فأنزل الله سبحانه ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ**﴾ [1]

---

(١) (الممتحنة: ١ ـ ٥). (سيرة ابن هشام ٤: ٣٢، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٥٨، وانظر: تاريخ الطبري ٢: ٤ و ٤٨، والكامل في التاريخ ٢: ٢٣٩، وسيرة ابن كثير ٣: ٥٢٦ و ٥٣٦، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٢٤ / ٢٢

-**أحداثها**: وخرج رسول الله يوم الجمعة حين صلى العصر لليلتين مضتا من شهر رمضان، فاستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، ودعا رئيس كل قوم فأمره أن يأتي قومه فيستنفرهم.. قال الإمام الباقر عليه السلام: **خرج رسول الله في غزوة الفتح فصام وصام الناس حتى نزل كراع الغميم فأمر بالإفطار فأفطر وأفطر الناس، وصام قوم فسُموا العُصاة لأنهم صاموا**..

ثم سار صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزل مر الظهران ومعه نحو من عشرة آلاف رجل ونحو من أربعمائة فارس وقد عميت الأخبار عن قريش، فخرج في تلك الليلة أبو سفيان وحكيم في حزام وبديل بن ورقاء هل يسمعون خبرا، وقد كان العباس بن عبد المطلب خرج يتلقى رسول الله، ومعه أبو سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية وقد تلقاه بنيق العقاب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبته - وعلى حرسه يومئذ زياد بن أسيد - فاستقبلهم زياد فقال: أما أنت يا أبا الفضل فامض إلى القبة، وأما أنتما فارجعا. فمضى العباس حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليه، وقال: بأبي أنت وأمي هذا ابن عمك قد جاء تائباً وابن عمتك. قال: (**لا حاجة لي فيهما، إن ابن عمي انتهك عرضي، وأما ابن عمتي فهو الذي يقول بمكة: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً**)..

فلما خرج العباس كلمته أم سلمة، وقالت: بأبي أنت وأمي ابن عمك قد جاء تائباً، لا يكون أشقى الناس بك، وأخي ابن عمتك وصهرك فلا يكونن شقياً بك.

ونادى أبو سفيان بن الحارث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كن لنا كما قال العبد الصالح: لا تثريب عليكم، فدعاه وقبل منه، ودعا عبد الله بن أبي أمية فقبل منه.. وقال العباس: هو والله هلاك قريش إلى آخر الدهر إن دخلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنوة، قال: فركبت بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيضاء وخرجت أطلب الحطابة أو صاحب لبن لعلي آمره أن يأتي قريشاً فيركبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأمنون إليه، إذ لقيت أبا سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام، وأبو سفيان يقول لبديل: ما هذه النيران؟ قال: هذه خزاعة.. قال: خزاعة أقل وأقل من أن

تكون هذه نيرانهم، ولكن لعل هذه تميم أو ربيعة.

قال العباس: فعرفتُ صوت أبي سفيان، فقلتُ: أبا حنظلة، قال: لبيك فمن أنت؟ قلت: أنا العباس، قال: فما هذه النيران فداك أبي وأمي قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عشرة آلاف من المسلمين، قال: فما الحيلة؟ قال: تركب في عجز هذه البغلة فأستأمن لك، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فأردفته خلفي ثم؛ جئتُ به، فكلما انتهيت إلى نار قاموا إلي فإذا رأوني قالوا: هذا عم رسول الله خلوا سبيله، حتى انتهيت إلى باب عمر فعرف أبا سفيان فقال: عدو الله الحمد الله الذي أمكن منك، فركضت البغلة حتى اجتمعنا على باب القبة، ودخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. فقال: هذا أبو سفيان قد أمكنك الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه. قال: العباس: فجلست عند رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

فقلت: بأبي أنت وأمي أبو سفيان قد أجرتُهُ، قال: (أدخله). فدخل فقام بين يديه، فقال: (**ويحك يا أبا سفيان أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**).

قال: بأبي أنت وأمي ما أكرمك وأوصلك وأحلمك، أما الله فلو كان معه إله لأغنى يوم بدر ويوم أحد، وأما أنك رسول الله فوالله إن في نفسي منها لشيئاً..

قال العباس: يَضرب والله عنقك الساعة أو تشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله - تلجلج بها فوه -.. فقال أبو سفيان للعباس: فما نصنع باللات والعزى؟

فقال له عمر: اسلح (تغوَّط) عليهما.

فقال أبو سفيان: أف لك ما أفحشك، ما يدخلك يا عمر في كلامي وكلام ابن عمي؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**عند مَنْ تكون الليلة**)؟ قال: عند أبي الفضل.. قال: (**فاذهب به يا أبا الفضل فأبته عندك الليلة واغد به عليَّ**).

فلما أصبح سمع بلالاً يؤذن،قال:ما هذا المنادي يا أبا الفضل؟ قال: هذا مؤذن رسول الله ﷺ قُمْ فتوضأ وصل، قال: كيف أتوضأ؟ فعلمه.. قال: ونظر أبو سفيان إلى النبي ﷺ وهو يتوضأ وأيدي المسلمين تحت شعره، فليس قطرة تصيب رجلاً منهم إلا مسح بها وجهه، فقال: بالله إن رأيت كاليوم قط كسرى ولا قيصر.

فلما صلى غدا به إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إني أحبُ أن تأذن لي (بالذهاب) إلى قومك فانذرهم وأدعوهم إلى الله ورسوله،فأذن له،فقال للعباس: كيف أقول لهم؟ بيِّن لي من ذلك أمراً يطمئنون إليه.. فقال ﷺ: (**تقول لهم: مَنْ قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله، وكفَّ يده فهو آمن، ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن**.. فقال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فلو خصصته بمعروف.. فقال ﷺ: (**مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن**).

قال أبو سفيان: داري؟! قال: (دارك)، ثم قال: (**ومَنْ أغلق بابه فهو آمن**).[1]

ولما مضى أبو سفيان قال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل من شأنه الغدر، وقد رأى من المسلمين تفرقاً.. قال: (فأدركه واحبسه في مضايق الوادي حتى يمر به جنود الله).. قال: فلحقه العباس، فقال: أبا حنظلة.! قال: أغدراً يا بني هاشم؟ قال: ستعلم أن الغدر ليس من شأننا، ولكن اصبر حتى تنظر إلى جنود الله.. قال العباس: فمر خالد بن الوليد فقال أبو سفيان: هذا رسول الله؟ قال: لا ولكن هذا خالد بن الوليد في المقدمة، ثم مر الزبير في جهينة وأشجع فقال أبو سفيان: يا عباس هذا محمد؟ قال: لا، هذا الزبير، فجعلت الجنود تمر به حتى مر رسول الله ﷺ في الأنصار ثم انتهى إليه سعد بن عبادة، بيده راية رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا حنظلة.. اليوم يوم الملحمة اليوم تُستحل (تسبى وتنتهك) الحرمة يا معشر الأوس والخزرج ثاركم يوم الجبل (يعني أحد).

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٢٠٦، وتاريخ الطبري ٣ : ٤٦، وسيرة ابن كثير ٣ : ٥٣٠، وفي الأخيرين باختلاف يسير، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١ : ١٢٦

فلما سمعها من سعد خلى العباس وسعى إلى رسول الله وزاحم حتى مر تحت الرماح فأخذ غرزه (الغرز: ركاب الرحل) [١] فقبّلها، ثم قال: بأبي أنت وأمي أما تسمع ما يقول سعد؟ وذكر ذلك القول، فقال صلى الله عليه وآله: (**ليس مما قال سعد شيء**) ثم قال لعلي عليه السلام: (**أدرك سعداً فخذ الراية منه وأدخلها إدخالاً رفيقاً**)، فأخذها علي عليه السلام وأدخلها كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله..ونادى عليه السلام حينها:

اليوم يوم المرحمة اليوم تصان الحرمة

وأقبل أبو سفيان حتى دخل مكة وقد سطع الغبار من فوق الجبال وقريش لا تعلم، وأقبل أبو سفيان من أسفل الوادي يركض فاستقبلته قريش وقالوا: ما وراءك وما هذا الغبار؟ قال: محمد في خلق، ثم صاح: يا آل غالب البيوت، البيوت، مَنْ دخل داري فهو آمن، فعرفت هند فأخذت تطردهم، ثم قالت: اقتلوا الشيخ الخبيث، لعنه الله من وافد قوم وطليعة قوم.. قال: ويلك إني رأيت ذات القرون، ورأيت فارس أبناء الكرام، ورأيت ملوك كندة وفتيان حمير يسلمن آخر النهار، ويلك اسكتي فقد والله جاء الحق ودنت البلية[٢].

وكان قد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المسلمين أن لا يقتلوا بمكة إلا مَنْ قاتلهم، سوى نفر كانوا يؤذون النبي (صلوات الله عليه وآله)، منهم: مقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعبد الله بن خطل، وقينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: (**اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة**).. فأدرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً فقتله، وقتل مقيس بن صبابة في السوق، وقتل علي عليه السلام إحدى القينتين وأفلتت الأخرى، وقتل عليه السلام أيضا الحويرث بن نقيذ بن كعب.

---

(١) لسان العرب ٥ : ٣٨٦

(٢) نقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١ : ١٢٧

وبلغه أن أم هانئ بنت أبي طالب قد آوت ناساً من بني مخزوم منهم الحارث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد نحو دارها مقنَّعاً بالحديد، فنادى: (أخرجوا مَنْ آويتم) فجعلوا يذرقون كما يذرق الحبارى خوفا منه.. فخرجت إليه أم هاني - وهي لا تعرفه - فقالت: يا عبد الله، أنا أم هاني بنت عم رسول الله ﷺ وأخت علي بن أبي طالب، انصرف عن داري.

فقال علي عليه السلام: **(أخرجوهم)**.

فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله ﷺ.. فنزع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشتد (تركض) حتى التزمته (احتضنته)، فقالت: فديتُكَ حلفتُ لأشكونك إلى رسول الله ﷺ؟ فقال لها: **(فاذهبي فبري قسمك، فإنه بأعلى الوادي)**.. (فأراد منها وأرادت أن تسلِّم على رسول الله ﷺ)

قالت أم هاني: فجئت إلى النبي ﷺ وهو في قبَّة يغتسل، وفاطمة عليها السلام تستره، فلما سمع رسول الله ﷺ كلامي قال: **(مرحباً بك يا أم هاني)**.. قلت: بأبي وأمي ما لقيت من علي اليوم.!

فقال (عليه وآله السلام): **(قد أجرتُ مَنْ أجرتِ)**.

فقالت فاطمة عليها السلام: **(إنما جئتِ يا أم هانئ تشكين علياً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله؟!)**

فقلت: احتمليني فديتك.

فقال رسول الله ﷺ: **(قد شكر الله لعلي[1] سعيه، وأجرتُ مَنْ أجارتْ أم هانئ لمكانها من علي بن أبي طالب)**.

قال أبان: وحدثني بشير النبال، عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: **فأتى رسول الله ﷺ البيت وأخذ بعضادتي الباب، ثم قال: لا إله إلا الله أنجز وعده، ونصر**

(١) نقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٣١

عبده، وغلب الأحزاب وحده.. ثم قال: ما تظنون وما أنتم قائلون؟

فقال سهيل بن عمرو: نقول خيراً، ونظن خيراً، أخ كريم وابن عم.. قال صلى الله عليه وآله: **فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف: ﴿قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]، ألا إن كل دم ومال ومأثرة كان في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي، إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما، ألا إن مكة مُحَرَّمة بتحريم الله، لم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، فهي مُحَرَّمة إلى أن تقوم الساعة، لا يختلي خلاها، ولا يقطع شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد.**

ثم قال: **ألا لبئس جيران النبي كنتم، لقد كذبتم وطردتم، وأخرجتم وفللتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني، فاذهبوا فأنتم الطلقاء.**

فخرج القوم كأنما أنشروا من القبور، ودخلوا في الإسلام.

وكان فتح مكة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر دخلوا من أسفل مكة وأخطأوا الطريق فقتلوا.[2]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله السرايا فيما حول مكة يدعون إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بقتال، فبعث غالب بن عبد الله إلى بني مدلج فقالوا: لسنا عليك ولسنا معك..

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى بني الديل فدعاهم إلى الله ورسوله فأبوا أشد الإباء..

وبعث عبد الله بن سهيل بن عمرو إلى بني محارب بن فهر فأسلموا وجاء معه نفر منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله..[3]

وبعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر، وقد كانوا أصابوا في الجاهلية من بني المغيرة نسوة وقتلوا عم خالد (الفاكه)، فاستقبلوه وعليهم السلاح وقالوا: يا خالد إنا

---

(١) يوسف: ٩٢.

(٢) نقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٣٢

(٣) نقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٤٠

لم نأخذ السلاح على الله وعلى رسوله ونحن مسلمون، فانظر فإن كان بعثك رسول الله ساعياً فهذه إبلنا وغنمنا فاغد عليها، فقال: ضعوا السلاح، قالوا: إنا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهلية وقد أماتها الله ورسوله. فانصرف عنهم بمن معه، فنزلوا قريباً ثم شنَّ عليهم الخيل، فقتل وأسر منهم رجالا، ثم قال: ليقتل كل رجل منكم أسيره، فقتلوا الأسرى، وجاء رسولهم إلى رسول الله فأخبره بما فعل خالد بهم، فرفع ﷺ يده إلى السماء، وقال: (**اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد**) وبكى ثم دعا علياً عليه السلام، فقال: (**اخرج إليهم وانظر في أمرهم**) وأعطاه سفطا من ذهب، ففعل ما أمره وأرضاهم..[1]

نقد تحليل لغزوة الفتح:

الإمام علي عليه السلام فيها

في هذه الفترة تبلورت معالم شخصية الدولة الإسلامية المنتظرة، فكان أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام هو الرجل الثاني فيها دون منازع، وهو الذي، قال: **كان يُنظر إلينا في عهد رسول الله ﷺ كما النجم في السماء**..ولكن دارت الأيام وإختارت الأمة – كما قالوا – نظرية (إن نبيكم ليهجر ؛ حسبنا كتاب الله)، فصار أمير المؤمنين غير أمير المؤمنين علي عليه السلام وصار علي بن أبي طالب كآخر شخص من المسلمين وربما كان يعمل بالأجرة عند اليهود ليُطعم عياله، فياللأسف الشديد لقد ضيَّعت نفسها الأمة حين ضيَّعت حقك يا أمير المؤمنين، ولكن نقول كما قال ذاك الأديب الشاعر:

فلا تحزن على دنيا أهانت حسين السبط واختارت يزيدا

المهم ؛ إن لأمير المؤمنين عليه السلام حضوره في الزمان والمكان فكيف كان بيوم فتح مكة، وما الذي فعله يومها؟

١ – هو نائب القائد العام للمسلمين، وحامل الراية في مكة..

---

(١) انظر: أمالي الصدوق: ١٤٦ / ٧، وارشاد المفيد ١ : ١٣٩، صحيح البخاري ٥ : ٢٠٣ كتاب المغازي، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٦١، وسيرة ابن هشام ٤ : ٧٠، ودلائل النبوة للبيهقي ٥ : ١١٤، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٥٥، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١ : ١٤٠ / ٢

٢- هو الذي أدرك مبعوثة حاطب بن أبي بلتعة إذ أرسلها برسالة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم، وكان معه ابن عمته الزبير، وعاد بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

٣- هو الذي أخذ الراية من سعد بن عبادة بعد أن نادى سعد:

اليوم يوم الملحمة اليوم تُستحل الحرمة

فقال عليه السلام:

اليوم يوم المرحمة اليوم تصان الحرمة

٤- وهو الذي قتل الحويرث بن نقيذ بن كعب الذي أهدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمه مع من أهدر وقال: **اقتلوهم ولوا تعلقوا بأستار الكعبة.**

٥- وهو الذي قتل إحدى المغنيتين اللتين كانتا تتغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأهدر دمهما، وهربت الأخرى من مكة..

٦- هو الذي أخرج المعتصمين ببيت أخته أم هانئ من المخزوميين، إلى أن أجارهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرامة له عليه السلام ولأنها أخته..

٧- وهو الذي أصلح ما أفسده خالد بن الوليد في بني جذيمة، وأرضاهم بعد أن أعطاهم زيادة عن حقهم، ليرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه بريء من فعل خالد الجاهلي بهم..

٨- وهو الذي كسر الأصنام كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت تعبد من دون الله وداسها بقدميه، أمام مرأى ومنظر من المشركين.

٩- وهو الذي أراد أن يرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرمي هُبل من أعلى الكعبة فلم يستطع حمله (روحي لهما الفداء) فنزل ورفعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى علا سطح الكعبة الشريفة ولما قالوا له: كيف استطعت على الصعود إلى سطحها وهي عالية جداً؟

فقال عليه السلام: **عندما رفعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعرت أنني لو أردت أن أمسك السماء**

بيدي لأمسكتها..

١٠- وهو الذي ألقى هُبل من أعلى الكعبة ودحا به الأرض فتحطم وتحطمت بتحطمه أعظم قلاع الشرك في الجزيرة العربية..

١١- وبعد أن رمى بهبل رغم ضخامته وثقله وكبره قفز من أعلى الكعبة إلى الأرض ولما استوى واقفاً ضحك لرسول الله ﷺ فقال له: **مِما ضحكت يا أبا الحسن؟**

فقال عليه السلام: **يا رسول الله لقد قفزت من هذا الإرتفاع العالي ولم يحدث لي شيئاً..**

فقال ﷺ: **كيف يحدث لك شيء ورسول الله ﷺ رفعك وجبريل أنزلك يا علي..**

١٢- وبقي علينا أن نقول بأن وليد الكعبة هو مَنْ طهرها من عبادة الأصنام والأوثان وما سجد لصنم أو وثن حتى وهو في بطن أمه فاطمة بنت أسد، ولذا نقول (كرَّم الله وجهه الشريف)، ونضَّر الله وجهاً والاه، وسوَّد الله وجهاً عاداه..إله الحق آمين يا رب العالمين..

٥- غزوة حنين والطائف..

الامتحان الأصعب للصحابة

في الامتحان يكرم المرء أو يهان كما قال الأقدمون، لأن النتيجة ستظهر بعد الامتحان، فالناجح يُكرَّم والفاشل يُلام، ويتوجه إليه الإتهام بالتقصير من ذوي الشأن..

وغزوة وادي حُنين كانت الامتحان الأخير للصحابة تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله في ساحات الحرب، كما أن تجهيز جيش أسامة بن زيد كان آخر امتحان لهم في السلم فهل نجح الصحب الكرام بهذه الامتحانات الصعبة، نترك التاريخ يحدثنا عما جرى في وادي حُنين..

- **الزمان:** سار رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة لست خلون من شوال وانتهوا إلى حنين لعشر خلون منه سنة ثمان للهجرة النبوية..

- **المكان:** وادي حُنين وهو واد وعر جداً قريباً من الطائف يبعد عن مكة مسير ثلاثة أيام..

- **الأسباب الداعية لها:**

- **البعيدة (الإستراتيجية):** فكانت لبسط النفوذ على كامل الجزيرة العربية، وتحطيم قوى الشرك الظالمة فيها إلى الأبد.

- **القريبة (التكتيكية):** استئصال القوة التي شكلتها هوازن وثقيف بغرض مواجهة الجيش الإسلامي الفاتح..

- **الأعداد المشاركة (عدة وعدد):**

- **المسلمون:** كان الجيش الذي سار به رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هوازن يبلغ (١٢) ألفاً من الجنود المسلحين: عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة، وشاركوا في فتح مكة، وألفان من رجال و شباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح، وقد أوكل النبي صلى الله عليه وآله قيادتهم

إلى أبي سفيان.[١]

- **المشركون:** تجمعت هوازن ومَنْ لاذ بها فكانوا زهاء ثلاثين ألف مقاتل،وهم من هوازن ثقيف كلها،ونصر وجُشُم كلها،وسعد بن بكر، وبعض من بني هلال..وغاب عنها هوازن كعب وكلاب..

- **الألوية والرايات:**

- **المسلمون:** رايات المسلمين كانت بذات التقسيم..

- **راية المهاجرين:** مع علي أمير المؤمنين صلوات الله عليه..

- **و راية الأنصار:** سعد بن عبادة..

-**أهل مكة:** كانوا بقيادة أبو سفيان،وهم ألفان..

- **الألوية المشركة:** كانت ثقيف وهوازن قد كلفت الشاب (مالك بن عوف) لقيادتهم في تلك المعركة التي اعتبروها حاسمة وفاصلة..رغم وجود شيخ العرب دريد بن الصمة الجُشُمي معهم.. وأما لواءهم فكان مع أبي جَرول بطلهم الذي يلوذون به..

الإعداد والمسير للحرب في معركة حنين

فبعد أن منَّ الله على رسوله ﷺ بفتح مكة، مكث فيها خمسة عشر يوماً، يبلِّغ الدين ويطبق أحكام الله ويطهر البيت من آثار الوثنية البغيضة، تناهى إلى سمعه الشريف من الوحي المقدس بأن ثقيف هوازن يجمعون له الجموع، ويعدون أنفسهم للحرب والقتال فلم يتعلموا من كل تلك الدروس السابقة، فعيَّن «معاذ بن جبل» ليعلِّمَ الناس القرآن، وأحكام الاسلام، و«عتابَ بن أُسيد» الذي كان رجلاً مؤهَّلاً، لادارة الامور، والصلاة بالناس جماعة، ثم غادر رسول الله ﷺ مكة بأصحابه متوجهاً إلى أرض هوازن.[٢]

جيش الإسلام الذي قلَّ نظيره

---

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٣٩، المغازي: ج ٣ ص ٨٨٩

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٣٧، والمغازي: ج ٣ ص ٨٨٩

وكان العرب يعيشون على شكل جماعات وعشائر متفرقة، (كحالنا اليوم من التفرقة والتشتت) وعند الضرورة والخطر كانوا يتحالفون فيما بينهم لتشكيل قوة يحمون بها أنفسهم، (أما اليوم فهم يتحالفون مع أعدائهم على إخوانهم كبني اسرائيل والمتصهينين كالولايات المتحدة وأذنابها)، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان أول مَنْ جمعهم وجعل لهم شخصية حضارية، فمتى كان لهم أن يبنوا دولة ويكون لهم جيش منظَّم قوامه يزيد على عشرة آلاف مقاتل..

فلقد كان مثل هذا الجيش العظيم والجمع الكبير الذي ألفه رسول الله صلى الله عليه وآله وتوجه به إلى هوازن قليل النظير، ونادر المثيل في تلك العصور، ولكن النعمة تنقلب نقمة إذا لم نحسن الشكر عليها، فلقد صارت هذه الكثرة ذاتها سبباً في هزيمته في بداية المعركة، فقد أُعجب أفراد هذا الجيش بكثرتهم – فمالوا تيهاً وقالوا: لن نُغلب بعد اليوم من قلَّة، على خلاف ما مضى من التواضع والشكر لله- فتجاهلوا التكتيكات العسكرية الدقيقة، وغفلوا عن خطط العدو ونواياهُ فكان ذلك داعياً إلى هزيمتهم!!

وقيل: أنه عانهم (أصابهم بالعين) عبد الله بن أبي قحافة، وذلك عندما نظر إلى هذه الأعداد الغفيرة التي خرجت من مكة المكرمة قاصدة ثقيف، وبدل أن يقول ما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، اللهم صل على محمد وآل محمد، فقال أبو بكر لما رأى وتعجَّب من كثرة المسلمين: لو لَقينا بني شيبان ما بالينا، لن نُغلَبَ اليومَ من قِلة.[1]

والقرآن الكريمُ يؤكد هذه الحقيقة اذ قال تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾[2]

فالنصر من عند الله أولاً، وحكمة وحنكة القائد ثانياً، وصبر وطاعة المرؤوسين

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٥٠، المغازي: ج ٣ ص ٨٨٩

(٢) التوبة: ٢٥

ثالثاً، وليس الانتصار بكثرة الافراد وضخامة الجيش، وحسن تجهيزاته ومعداته، وإلا لما كان يتسنى لشباب المقاومة الإسلامية في لبنان أن ينتصروا على اليهود بالأمس القريب، فإنهم ليس لهم إلا لباسهم والسلاح الفردي، وأولئك لديهم أحدث وأعقد المعدات القتالية في العالم، بل لديهم ترسانة ضخمة من السلاح، لأن هذا العامل غير مهمّ بالقياس إلى بقية العوامل.

التعبئة الشاملة لثقيف

بعد أن فتح المسلمون لمكة المكرمة شعرت هوازن وثقيف بالخطر، ودبّت في قبائل هوازن وثقيف حركة خاصة ناتجة من خوف حقيقي، فجرت اتصالات مكثفة واجتماعات ليتشاوروا بينهم، وكان المنسِّق للاتصال، والمدبر الحقيقي لهذه التحركات شاب في العقد الثالث من عمره عُرف بالعنجهية ويدَّعي الفروسية والشجاعة يدعى «مالك بن عوف النصري»، وكان الرأي بعد سلسلة من الاتصالات والمشاورات بين زعماء هوازن وثقيف أن يبادروا الى توجيه ضربة قوية الى جيش الاسلام ويغزوهم في مكة عبر خدعة عسكرية، قبل أن يغزوهم جنود الاسلام في عقر دارهم.

وكلفوا مالك بن عوف بالقيادة العامة، فأمر بالإعداد للحرب، وأمر جميع الأفراد بالمشاركة نساء وأطفالاً وشيوخ وحتى الأموال والبهائم أخذها معه، وأمر جيشه أن يجعلوا النساء والاطفال والاموال وراء ظهورهم.. فقبل المشتركون في تلك العملية بأمر قائدهم هذا بالاجماع، وجعلوا أموالهم وأهليهم خلفهم.

وعيَّن «مالك بن عوف» قائد هوازن وثقيف ثلاثة من رجاله كجواسيس وبعثهم إلى مكة ليتجسسوا له على المسلمين، ويأتوه بأخبارهم، فعاد ثلاثتهم فزعين مرعوبين ممّا رؤوه من قوة المسلمين وكثرتهم، فراح يُعدُّ الخطة للمواجهة..

وجاء الخبر إلى الحبيب المصطفى ﷺ من السماء يخبره عن تلك الحشود ويأمره بغزوهم قبل استفحال أمرهم، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي عينا

عليهم، فسمع ابن عوف يقول: يا معشر هوازن إنكم أحد العرب وأعدها، وإن هذا الرجل لم يلق قوماً يصدقونه القتال، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم واحملوا عليه حملة رجل واحد.

فأتى ابن أبي حدرد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد؟

فقال: (قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر وابن أبي حدرد صادق).[1]

خطة القتال الثقفية (الكمين)

لما سمع مالك بن عوف من جواسيسه أقوالهم، وما رآه في عيونهم من الخوف والفزع من جيش المسلمين تيقن أنه لن يستطيع أن ينتصر عليهم إلا بالحيلة والمكر والخديعة، فقرر أن يجبُر ضعف جنوده وخوفهم باستخدام الخدع العسكرية، والتوسل بأُسلوب المباغتة والكمين ليفرِّق - بهجوم مفاجئ - صفوف المسلمين، ويهدم نظامهم وانسجامهم، ويصيبهم بالهرج والمرج، والفوضى والحيرة ليختلّ باختلال الجيش أمر القيادة، فلا تتمكن من ضبط الأُمور، وبالتالي يتحقق الانتصار له على المسلمين.

وكانت خُطَّة الكمين بأن يحتلَّ جنوده وادي حُنين العسر ويختفي جنوده خلف كل حجر وشجر، وفي شغاف الجبال، وكل ما ارتفع من ذلك الوادي وظهر، ولا يظهر منهم أحد، وقسَّمهم إلى ثلاث فرق:

- فرقة اختفت بالجهة اليمنى من الوادي..
- وفرقة من الجهة اليسرى من الوادي..
- وفرقة ثالثة كمنت في بطن الوادي..

وأمرهم أن لا يظهروا إلا إذا صار معظم الجيش الإسلامي في الوادي فيقومون عليه

---

(١) (المناقب لا بن شهرآشوب ١ : ٢١٠، وانظر: المغازي للواقدي ٣ : ٨٩٠ و ٨٩٣، وسيرة ابن هشام ٤ : ٨٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٥ : ١٢١ و ١٣٠ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٦٢، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١ : ١٦٤ / ٩

قومة واحدة فالأطراف ترمي بالسهام والحجارة، ومن يخلص إلى الوادي يلتقيه الفرسان في بطن الوادي بالسيوف فيقضون عليهم بزمن قياسي وتكون لهم الغلبة.. فاتفق الجميع على هذه الخطة العسكرية الرائعة، وأعجبوا بقائدهم أيما إعجاب وأملوا النصر..

حكمة الشيوخ

وبعد الإستعداد أمرهم بالمسير إلى وادي حنين، بحماسة الشباب وطربه بخطته المحكمة، راح يسير ومن خلفه كل شيء عندهم من ثقل وأهل، وكان معه شيخ العرب وكبيرهم بالسن يشاورونه ويستفيدوا من خبرته.. نأخذها من مولانا الإمام الصادق عليه السلام، قال: (وكان مع هوازن دريد بن الصمَّة، خرجوا به شيخاً كبيراً يتيمنون برأيه، فلما نزلوا بأوطاس. (أوطاس: واد في ديار هوازن) [١].

قال: نِعمَ مجال الخيل لا حَزَن[٢] ضرس[٣]، ولا سهل دهس[٤]، مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبُكاء الصغير،ويعار الشاة؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وذراريهم.. قال: فأين مالك؟ فدُعي مالك له، فأتاه، فقال: يا مالك، أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، وثغاء (أو يعار) الشاة؟

قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم.

فأنقضَ به (أي زجره)،وقال: راعي ضأن والله؛ويحك وهل يردُّ وجه المنهزم شيء؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك..ثم قال له:ما فعلت كعب وكلاب؟

---

(١) معجم البلدان ١ : ٢٨١

(٢) الحزن: ما غلظ من الأرض في ارتفاع، لسان العرب ١٣ : ١١٤

(٣) الضرس: الأكمة الخشنة، الصحاح ـ ضرس ـ ٣ : ٩٤٢

(٤) الدهس: المكان اللين، لا يبلغ أن يكون رملاً، وليس هو بتراب ولا طين، ولونه الدهسة، الصحاح ـ دهس ـ ٣ : ٩٣١

قالوا:لم يشهدها منهم أحد..

فقال:غاب الحدُّ، والجدُّ..ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب،ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب،فمَنْ شهدها منكم؟

قالوا:عمرو بن عامر،وعوف بن مالك..

قال:ذانك الجذعان من عامر،لا ينفعان ولا يضران.. (ونادى مالك بن عوف قائلاً): يا مالك لم تصنع شيئاً، قدمت بيضة [1] هوازن في نحور الخيل،ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وُليا قومهم، ثم القَ الصُّباءَ (الصُّباة) على متون الخيل،فإن كانت لك لحِقَ بك مَنْ وراءك،وإن كانت عليك ألفاك قد أحرزت أهلك ومالك..

قال:والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرتَ وكبر عقلك (أي خرَّفت)..والله لتُطيعُنني يا معشر هوازن أو لأتكين على هذا السيف حتى يخرج من ظهري..وذلك لأنه كره أن يكون لدُريد بن الصمة فيها ذكر أو رأي..فقالوا: أطعناك..

فقال دريد: إن كنتُ قد كبرتُ فتورث غداً قومك ذلاً بتقصير رأيك وعقلك، هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه (ثم قال: حرب عوان يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع..[2]

ثم نادى دريد بالناس: يا قوم إن هذا فاضحُكُم في عورتكم، وممكِّن منكم عدوّكم، وهل يردُ المنهزم شيء؟

وبالفعل خالف مالك هذا الشيخ المجرِّب الذي حنَّكته الحروب ودرَّسته الأيام، ولقد اثبت المستقبلُ القريب لهم صحة ما قاله ذلك الشيخ المحنَّك، وسقم رأي الشاب المغرور بنفسه، فان إشراك النساء والاطفال والانعام في الحرب، وإخراجهم إلى ساحة

---

(١) البيضة: أصل القوم ومجتمعهم، لسان العرب ٧: ١٢٧

(٢) حرب عوان: أي حرب قوتل فيها مرة بعد الأخرى. (انظر: لسان العرب ١٣: ١٢٩٩، تفسير القمي ١: ٢٨٥، المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢١٠، وانظر: سيرة ابن هشام ٤: ٨٥، وتاريخ الطبري ٣: ٧١، ودلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٢١، والكامل في التاريخ ٢: ٢٦١، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٦

القتال أغبى فكرة عسكرية في تاريخ العرب القديم،لأنها أحدثت لمقاتلي ثقيف وهوازن مشاكل كثيرة، كانوا هم بغنى تماماً عنها،ولكن رحم الله الشاعر حيث يقول:

إن الأمور إذا الأحداث دبَّرها*دون الشيوخ ترى في بعضها خللا

والسيد الوالد (حفظه الله وروحي فداه) ينقل لنا عن شيخه قوله: في كلها وليس في بعضها خللا، ويؤيد ذلك من تجربته الشخصية..

مسير جيش المسلمين

كان رسول اللهّ ﷺ عالماً بالنتيجة، وما سيؤول إليه أمر جيشه من الهزيمة والهروب، فلبس رسولُ اللهّ ﷺ نفسُه درعين كما لبسَ المغفر والبيضة، لعلمه بأنه سيقاتل قتالاً حقيقياً في الوادي وهو شيخ تجاوز الستين من عمره الشريف.. وهوعالمٌ أيضاً بقوة العدوّ وعناده فدعى «صفوان بن أُمية» قبل مغادرة مكة، واستعار منه مائة درع بأداتها كاملة عارية مضمونة، يعيدها إليه بعد الفتح..

وركب رسولُ اللهّ ﷺ بغلته البيضاء وسار خلف جيشه وسار حتى دَنوا جميعاً من الوادي فاستراحوا ليلتهم عند فم الوادي، ومع غلس الصبح انحدرت كتيبة «بني سليم» بقيادة «خالد بن الوليد» في وادي «حنين»، وبينما دخل اكثر جنود الاسلام ذلك الوادي حمل عليهم رجالُ هوازن من كمائنهم في مضيق الوادي وشعابه حملة رجل واحد، وأخذوا يرشقونهم بالاحجار والنبال، فألقت أصواتُ الاحجار والنبال فزعاً شديداً في قلوب المسلمين الذين مُطروا بالسهام والنبال والاحجار من كل جانب، بينما احتوشهم فريق آخر من هوازن بسيوفهم ووقعوا فيهم ضرباً وقتلاً.

أجل لقد فعلت مكيدة هوازن فعلتها في قلوب المسلمين، فقد أوحشتها، وأصابت المسلمين بالفوضى، وخلخلت صفوفهم فلاذوا بالفرار من دون إختيار، وقد أخلّوا هم بنظامهم أكثر من ما فعله العدوُّ بهم[1].

---

(١) سيرة سيد المرسلين للسبحاني ٢

وقيل: استقبلهم من هوازن شيء لم يروا مثله من السواد والكثرة، وذلك في غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وشعبه، فحملوا حملة واحدة، فانكشفت خيل بني سليم مولية، وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس[١].

وفي السيرة النبوية عن جابر بن عبد الله: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف (أجوف: واسع الجوف) حطوط (شديد الانحدار)[٢]، إنما ننحدر فيه انحداراً، وفي عماية الصبح (عماية الصبح: بقية ظلمة الليل)[٣] وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد اجمعوا وتهيؤوا وأعدوا.. فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين، ثم قال: أين!! **أيها الناس هلموا إلي! أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.** قال: فلا شيء؛ حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وآله نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته..[٤]

ثبات رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته

والتاريخ يعيد نفسه، والمعصوم مَنْ عَصمه الله، وتتكرر تجربة يوم أحد في وادي حنين، فلماذا فروا والفار ملعون بالقرآن الكريم كما يعرفون ذلك جيداً، فقد نزلت الآيات وحفظوها من سنوات، وبايعوا تحت الشجرة يوم الحديبية على الموت؟

والكلمة السابقة عن جابر لقد زاد عليها المؤرخون لمعرفتهم بأنه لا أحد من المهاجرين أو الأنصار ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أهل بيته وأيمن، وهذا برواية جابر التي رواها غيرهم من المحدثين، قال: فانهزم الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد،

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٥٧٤ وراجع المغازي: ٣ / ٨٩٠

(٢) لسان العرب: ٩ / ٣٥ و ج ٧ / ٢٧٤

(٣) لسان العرب: ١٥ / ٩٨

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٤ / ٨٥، تاريخ الطبري: ٣ / ٧٤

وأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين، وأحدق ببغلته تسعة من بني عبد المطلب..[١]

واليعقوبي يذكر أسماءهم لك، قال: كانت هوازن قد كمنت في الوادي، فخرجوا على المسلمين ؛ وكان يوماً عظيم الخطب، وانهزم المسلمون عن رسول الله، حتى بقي في عشرة من بني هاشم، وقيل تسعة، وهم: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وقيل: أيمن بن أم أيمن[٢].

فأين المهاجرين والأنصار الذين ثبتوا أيها الشيخ الجليل؟

وفرح المنافقون في جيش رسول اللهّ ﷺ لهذا الحادث، وسروا به سروراً عظيماً حتى قال أبو سفيان شامتاً: لا تنتهي هزيمتُهم دون البحر، وقال آخر: ألا بطَلَ السحرُ اليوم، وقال ثالث: لا يجتبرها محمَّد وأصحابه، وعزم رابع على اغتيال رسول اللهّ ﷺ في ذلك الوضع المضطرب وإطفاء شعلة رسالته المقدسة..[٣]

كل ذلك ظناً منهم – يا ويلهم – بالله ظن السوء والعياذ بالله..

نعم ؛ لقد ازعج فرارُ المسلمين رسول اللهّ ﷺ أيما إزعاج، وأدرك (صلوات اللهّ عليه وآله) بأنه لو تأخّر لحظة واحدة عن اتخاذ الإجراء الصحيح والقرار السليم ببداهة القائد الكبير لكان للتاريخ حديث آخر، وللأيام مجرى مختلف عمَّا نراه اليوم من شعلة الإسلام النيِّرة..

فقام رسول الله ﷺ في الركابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعو ويقول:

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٢١١ ، وسيرة ابن هشام ٤ : ٨٥ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٧٤ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٥ : ١٢٦ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٦٢ ، وفيها باختلاف يسير، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١ : ١٦٦ / ضمن ح ٩

(٢) تاريخ اليعقوبي

(٣) المغازي: ج ٣ ص ٩٠٩ ـ ٩١٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٤٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤١١ و٤١٢

(**اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا**) ونادى أصحابه وذمرهم وقال: **أين أيها الناس،؟ هلموا إليَّ،أنا رسول الله،أنا محمد بن عبد الله**..قال: ولا أحد يرد الصوت أو يلتفت إلى صاحبه، فالتفت إلى عمه العباس الذي كان يمسك بزمام البغلة وهو جهوري الصوت، فقال له: **يا عباس اصرخ،يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السمرة** (يذكرهم ببيعة الشجرة)..

فناداهم العباس بما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،فأجابوا لندائه لبيك، لبيك..قال:فيذهب الرجل ليُثني بعيرهُ،فلا يقدر على ذلك،فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه،ويقتحم عن بعيره، ويُخلي سبيله،فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة،فاستقبلوا الناس (بالسيوف) فاقتتلوا..[1]

وهكذا عاد المسلمون واشتدَّ القتال، فكان هذا النداء المبارك المُجلب للصديق، والمُرعب للعدو، فهو النبي حقاً، وهو ابن عبد المطلب نسباً، فلماذا الفرار عنه؟

وأقبل مالك بن عوف يقول: أروني محمداً، فأروه فحمل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وكان رجلاً أهوج[2] فلقيه أيمن بن أم أيمن من المسلمين فالتقيا، فقتله مالك..[3]

وقيل: ثم أقدم فرسه باتجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأبى أن يقدم الفرس نحوه (صلوات الله عليه وآله)..

وصاح كلدة بن الحنبل - وهو أخو صفوان بن أمية لأمه وصفوان يومئذ مشرك -: ألا بطل السحر اليوم، فقال صفوان: اسكت فضَّ الله فاك، فوالله لأن يُربِّني رجل من قريش أحبُّ إليَّ من أن يربني رجل من هوازن..[4]

---

(١) سيرة ابن هشام: ج٤ص٤٤٥

(٢) رجل أهوج: أي طويل وبه تسرع وحمق. (الصحاح ـ هوج ـ ١: ٣٥١)

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢١١، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٦

(٤) المغازي للواقدي ٣: ٩١٠، وسيرة ابن هشام ٤: ٨٦، تاريخ الطبري ٣: ٧٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٢٨، والكامل في التاريخ ٢: ٢٦٣، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٦ ضمن ح ٩

وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار: اليوم أُدرك ثاري - وكان أبوه وتسعة من أهله قتلوا يوم أحد قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام جميعاً- اليوم أقتل محمداً، قال: فأدرت برسول الله صلى الله عليه وآله لأقتله فأقبل شيء حتى تغشَّى فؤادي، فلم أطق ذلك، فعرفت أنه ممنوع.[١]

وروى شيبة، قال: لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين قد عُري (ترك لوحده) ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحمزة إياهما، فقلت: أدرك ثأري اليوم من محمد، فذهبت لأجيئه عن يمينه، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائما عليه درع بيضاء كأنها فضة يكشف عنها العجاج، فقلت: عمه ولن يخذله، ثم جئته عن يساره، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، فقلت: ابن عمه ولن يخذله، ثم جئته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف إذ رفع لي شواظ (الشواظ والشواظ: اللهب الذي لا دخان له)[٢]،من نار بيني وبينه كأنه برق، فخفت أن يمحشني (المحش: تناول من لهب يحرق الجلد ويبدي العظم)[٣].

فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى، والتفتَ رسول الله صلى الله عليه وآله إليَّ وقال: **(يا شيبُ ادنُ مني، اللهم اذهب عنه الشيطان)** قال: فرفعت إليه بصري ولهو أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري، وقال: **(يا شيب قاتل الكفار)**..[٤]

وهكذا فإنه في ساعة العسرة هذه لم يبقَ مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قليل ؛ قرابة عشرة، فاستماتوا في الدفاع عنه، وفيهم أمير المؤمنين عليه السلام فكان لا يفتأ يحوم حوله مدافعاً،

---

(١) المغازي للواقدي ٣: ٩٠٩، وسيرة ابن هشام ٤: ٨٧، وتاريخ الطبري ٣: ٧٥، ودلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٢٨، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٦

(٢) الصحاح ـ شوظ ـ ٣: ٣٥١

(٣) العين ٣: ١٠٠

(٤) المغازي للواقدي ٣: ٩٠٩: ودلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٤٥، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٦

وهزم من كان يريد قتل النبي صلى الله عليه وآله، وأجبرهم على الفرار[١].

إن ثبات أمير المؤمنين علي عليه السلام وقتاله بلا هوادة في هذه المعركة لافتان للنظر أيضاً، فقد قتل أربعين من هوازن[٢]، وفيهم أبو جرول؛ وهو أحد شجعانهم، وكان هلاكه بداية لانهيار جيشهم[٣].

وأبو جرول فارس القوم، وبطلهم، قيل: أنه أقبل رجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم، إذا أدرك ظفرا من المسلمين أكب عليهم، وإذا فاته الناس رفعه (أعطاه) لمن وراءه من المشركين فاتبعوه، وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرول لا براح حتى نبيح القوم أو نباح

فصمد له أمير المؤمنين عليه السلام، فضرب عجز بعيره فصرعه، ثم ضربه فقطره، ثم قال:

قد علم القوم لدى الصباح أني في الهيجاء ذو نصاح[٤]

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول لعنه الله..[٥] وأربعين من رؤوسم المشركة فانخذلوا بحمد الله، وولوا هاربين..

فلقد أوجبت نداءاتُ العباس المتلاحقة التي كانت تخبر وتنبئ في الحقيقة عن سلامة رسول الله صلى الله عليه وآله وبطولات الهاشميين الثابتين، وقطعُ أمير المؤمنين عليه السلام لرؤوس المشركين الأثر الكبير لأن تعود الجماعات الهاربة من ساحة القتال الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهي نادمة على فرارها ندماً شديداً، فأعادوا تنظّيم صفوفهم أمام العدو من جديد بأفضل

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / ١٥١، تاريخ الطبري: ٣ / ٧٤، السيرة النبوية لابن هشام: ٤ / ٨٥، الكامل في التاريخ: ١ / ٦٢٥

(٢) الكافي: ٨ / ٣٧٦ / ٥٦٦، الإرشاد: ١ / ١٤٤ وص ١٥٠

(٣) الإرشاد: ١ / ١٤٣ وص ١٥٠ وراجع مسند أبي يعلى: ٢ / ٣٤٤ / ١٨٥٨ وتاريخ الطبري: ٣ / ٧٦ والسيرة النبوية لابن هشام: ٤ / ٨٨

(٤) البراح: الظهور والبيان (لسان العرب: ٢ / ٤٠٩

(٥) الإرشاد: ١ / ١٤٢، كشف الغمة: ١ / ٢٢٢

ممّا مضى، ثم حملوا حملة رجل واحد على العدوّ الغادر بأمر رسول اللهّ ﷺ لغسل ما لحق بهم من عار الفرار، واستطاعوا في أقصر مدة من الوقت ان يجبروا العدوّ على الانسحاب والفرار..

ويروى: أنه بعد أن أعاد النبيُ المسلمين الهاربين إلى ساحة المعركة فكّروا على هوازن وهزموهم هزيمة قبيحة، قالت ام سُليم بنت ملحان للنبي ﷺ: يا رسول اللهّ! ما رأيت هؤلاء الذي أسلموك وفرّوا عنك وخذلوك!! لا تعفُ عنهم اذا أمكنك اللهّ منهم، تقتلهم كما تقتُل هؤلاء المشركين!

فقال ﷺ: **يا أُم سُليم! قد كفى اللهّ، عافية اللهّ أوسعُ**[1].

وغضب المسلمون على المشركين فقتلوهم حتى اخذوا في قتل الذُرية، فلما بلغ ذلك رسول اللهّ ﷺ، قال: **ما بالُ أقوام ذهب بهم القتلُ حتى بلغ الذرية! ألا لا تُقتلُ الذرية.**

فقال أُسيد بن الحضير: يا رسول اللهّ أليس إنما هم أولاد المشركين!

فقال ﷺ: **أوَليس خيارُكم أولادُ المشركين؟! كلُ نسمة تولَدُ على الفطرة حتى يعرب عنها لسانُها، وأبواها يهوّدانها أو ينصّرانها..**[2]

وقد تسبَّب استخدام هذا التدبير العسكري الحكيم في إرعاب رجال هوازن ومن ساعدهم من ثقيف المقاتلين، بشدة بحيث انهزموا أمام هجوم المسلمين هذا هزيمة قبيحة ومنكرة، تاركين وراءهم اموالهم ونساءهم وصبيانهم الذين أتوا بهم إلى ساحة المعركة، وجعلوهم خلف ظهورهم بناء على أوامر قائدهم مالك - كما أسلفنا، وفروا بعد أن قُتِلَ منهم جماعة إلى منطقة أوطاس ونخلة، وقلاع الطائف.

وافترق المشركون فرقتين، فأخذت الأعراب ومَنْ تبعهم أوطاس، وأخذت ثقيف

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٠٩

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٠٩

ومَنْ تبعهم الطائف.[١]

وفرَّ مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومهم، وأسلم عند ذلك كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله وإعزاز دينه.[٢]

غنائمُ الحرب:

لقد بلغت خسائرُ المسلمين من الارواح في هذه المعركة ثمانية أشخاص (وقيل أربعة) في مقابل أسر ستة آلاف نفر من العدو.

كما وأن المسلمين غنموا في هذه الواقعة أربعة وعشرين ألف بعير، وأربعين ألف رأس غنم، وأربعة آلاف أُوقية من الفضة[٣].

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بأن يؤخذ الاسرى والغنائم الى منطقة تدعى الجعرانة (وهي ماء بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب) وكلّف أشخاصاً بحراستها وحفظها وجعل الأسرى في بيوت خاصة، كما أمر بأن تُحفظ الغنائم من دون أن يتصرف فيها أحد في ذلك المكان، ريثما يرى فيها رأيه، بعد ان يلاحق فلول العدو الذي فرّ الى أوطاس ونخلة والطائف.

غزوة الطائف

ثم كانت ما يسميه المؤرخون (غزوة الطائف)، وهي بالحقيقة استمراراً لغزوة حنين، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله سار إلى الطائف ليحاصرها بعد أن تحصَّن بها فلول الهاربين من هوازن وثقيف.. في شوال سنة ثمان فحاصرهم بضع عشر يوماً، وقيل: حاصر رسول الله صلى الله عليه وآله أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك، ثم انصرف عنهم ولم يؤذن فيهم،

---

(١) انظر: الارشاد للمفيد ١: ١٥١، وسيرة ابن هشام ٤: ٩٧، والمغازي للواقدي ٣: ٩١٥، وصحيح البخاري ٥: ١٩٧، وتاريخ الطبري ٣: ٧٩، ودلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٥٢، والكامل في التاريخ ٢: ٢٦٥

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٣٢ ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٧

(٣) الرطل ٢٥٦٤ غراماً والاوقية ١٢ / ١ من الرطل فعلى هذا تكون الأُوقية ٢١٣ غراماً، وأربعة آلاف أُوقية تساوى ٨٥٢ كيلو غراماً

فجاءه وفدهم في شهر رمضان فأسلموا[١].

وخرج نافع بن غيلان بن معتب في خيل من ثقيف فلقيه الإمام علي عليه السلام في خيله، فالتقوا ببطن وج[٢] فقتله علي عليه السلام وانهزم المشركون، ونزل من حصن الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من أرقائهم، منهم أبو بكرة - وكان عبداً للحارث بن كلدة المنبعث، وكان اسمه المضطجع، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله المنبعث - ووردان - وكان عبداً لعبد الله بن ربيعة - فأسلموا، فلما قدم وفد الطائف على رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلموا قالوا: يا رسول الله ردَّ علينا رقيقنا الذين أتوك، فقال: (لا، أولئك عتقاء الله)..[٣]

وذكر أنه: شاور رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه في حصن الطائف، فقال له سلمان الفارسي رحمه الله: يا رسول الله أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فعمل منجنيق، ويقال: قدم بالمنجنيق يزيد بن زمعة ودبابتين - ويقال: خالد بن سعيد - فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فأحرقت الدبابة.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقطع أعنابهم وتحريقها، فنادى سفيان بن عبد الله الثقفي: لم تقطع أموالنا، إما أن تأخذها إن ظهرت علينا، وإما أن تدعها لله والرحم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (فإني أدعها لله والرحم) فتركها..[٤]

كسر الأصنام

وأنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علياً عليه السلام في خيل عند محاصرته أهل الطائف وأمره

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢١٢، ودلائل النبوة للبيهقي: ٥: ١٦٩، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٩

(٢) وج (بالفتح ثم التشديد): الطائف، والوج في اللغة: عيدان يتداوى بها، قال أبو منصور: وما أراه عربيا محضا، والوج يعني: السرعة، والقطا، والنعام). (انظر: معجم البلدان ٥: ٣٦١

(٣) انظر: المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢١١ ـ ٢١٢، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٦٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٥٦ ـ ١٥٩، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٨

(٤) المغازي ٣: ٩٢٧، وانظر: الارشاد للمفيد ١: ٥٣، دلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٦١، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٨

أن يكسر كل صنم وجده، فخرج فلقيه جمع كثير من خثعم، فبرز له رجل من القوم وقال: هل من مبارز، فلم يقم أحد، فقام إليه الإمام علي عليه السلام، فوثب أبو العاص بن الربيع زوج بنت النبي صلى الله عليه وآله فقال: تكفاه أيها الأمير، فقال: **(لا، ولكن إن قتلتُ فأنت على الناس)** فبرز إليه الإمام علي عليه السلام وهو يرتجز ويقول:

على كل رئيس حقا أن يروي الصعدة أو تدقا[1]

ثم ضربه فقتله، ومضى حتى كسر الأصنام، وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بعد محاصر لأهل الطائف ينتظره، فلما رآه كبر وأخذ بيده وخلا به[2].

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الجعرانة بمن معه من الناس، وقسَّم بها ما أصاب من الغنائم يوم حنين في المؤلفة قلوبهم من قريش ومن سائر العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير[3].

وقيل: إنه جعل للأنصار شيئاً يسيراً، وأعطى الجمهور للمتألفين..[4]

قال محمد بن إسحاق: فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، ومعاوية ابنه مائة بعير، وحكيم بن حزام من بني أسد بن عبد العزى بني قصي مائة بعير، وأعطى النضير بن الحارث بن كلدة مائة بعير، وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة مائة بعير، وأعطى الحارث بن هشام من بني مخزوم مائة، وجبير بن مطعم من بني نوفل بن عبد مناف مائة، ومالك بن عوف النصري مائة، فهؤلاء أصحاب المائة. وقيل: إنه أعطى علقمة بن علاثة مائة، والأقرع بن حابس مائة، وعيينة بن حصن مائة، وأعطى العباس بن

---

(١) الصعدة: القناة المستوية تنبت كذلك، ومن القصب أيضا. (العين ١: ٢٩٠

(٢) ارشاد المفيد ١: ١٥٢، والمناقب لابن شهرآشوب ١: ٢١١، ونقله المجلسي في بحار. الأنوار ٢١: ١٦٩

(٣) انظر: إرشاد المفيد ١: ١٤٥، سيرة ابن هشام ٤: ١٣٥، ودلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٧٦، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٩

(٤) ارشاد المفيد ١: ١٤٥، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٦٩

مرداس أربعا فتسخطها وأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع

فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرء منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

وقد كنت في الحرب ذا تدرأ ... فلم أعط شيئا ولم أمنع

فقال له رسول الله ﷺ: (أنت القائل:

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين الأقرع وعيينة

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي لست بشاعر، قال ﷺ: (كيف قال؟) فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: **(يا علي قم فاقطع لسانه)**.

قال عباس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشد عليَّ من يوم خثعم، فأخذ علي عليه السلام بيدي فانطلق بي فقلت: يا علي إنك لقاطع لساني؟ قال: (إني ممض فيك ما أمرت) حتى أدخلني الحظائر، فقال: **(أعقل ما بين أربعة إلى مائة)**.

قال: قلت: بأبي أنتم وأمي، ما أكرمكم وأحلمكم وأجملكم وأعلمكم.. فقال لي: **(إن رسول الله ﷺ أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئت فخذها، وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة)**.

قال: فقلتُ لعلي عليه السلام: أشِر أنتَ عليَّ. قال: **(فإني آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى)**.. قال: فإني أفعل.[1]

قال: وغضب قوم من الأنصار لذلك وظهر منهم كلام قبيح حتى قال قائلهم: لقي الرجل أهله وبني عمه ونحن أصحاب كل كريهة، فلما رأى رسول الله ﷺ ما دخل على

---

(١) انظر: ارشاد المفيد ١: ١٤٦ ـ ١٤٧، المغازي للواقدي ٣: ٩٤٥ ـ ٩٤٧، وسيرة ابن هشام ٤: ١٣٦ ـ ١٣٧، وتاريخ الطبري ٣: ٩٠ ـ ٩١، ودلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٨٧ ـ ١٨٣، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٧٠

الأنصار من ذلك أمرهم أن يقعدوا ولا يقعد معهم غيرهم، ثم أتاهم شبه المغضب يتبعه الإمام علي عليه السلام، حتى جلس وسطهم، فقال: (**ألم آتكم وأنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله منها بي؟**). قالوا: بلى، ولله ولرسوله المَنُّ والطَّول والفضل علينا.

قال (**ألم آتكم وأنتم أعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟**). قالوا: أجل. ثم قال: (**ألم آتكم وأنتم قليل فكثركم الله بي؟**) وقال ما شاء الله أن يقول ثم سكت، ثم قال: (**ألا تجيبوني؟**).

قالوا بمَ نجيبك يا رسول الله، فداك أبونا وأمنا، لك المَنُّ والفضل والطول.. قال: (**بل لو شئتم قلتم: جئتنا طريداً مُكذباً فآويناك وصدقناك، وجئتنا خائفاً فآمناك**). فارتفعت أصواتهم، وقام إليه شيوخهم فقبلوا يديه ورجليه وركبتيه، ثم قالوا: رضينا عن الله وعن رسوله، وهذه أموالنا أيضاً بين يديك فأقسمها بين قومك إن شئت.. فقال: (**يا معشر الأنصار، أوجدتم في أنفسكم إذ قسمت مالاً أتألف به قوماً ووكلتكم إلى إيمانكم، أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاة والنعم ورجعتم أنتم ورسول الله في سهمكم؟**).

ثم قال صلى الله عليه وآله: (**الأنصار كرشي وعيبتي**) قال ابن الأثير في شرح هذا القول: أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته، الذين يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكرش والعيبة لذلك، لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته.. وقيل: أراد بالكرش الجماعة، أي جماعتي وصحابتي، ويقال: عليه كرش من الناس: أي جماعة.[1] (**لو سلك الناس واديا وسلك الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار، اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار**)[2].

قال: وقد كان فيما سبي أخته بنت حليمة، فلما قامت على رأسه، قالت: يا محمد

---

(١) النهاية ٤ : ١٦٣

(٢) ارشاد المفيد ١ : ١٤٥، وباختلاف يسير في المغازي للواقدي ٣ : ٩٥٦ ـ ٩٥٨، وسيرة ابن هشام ٤ : ١٤١ ـ ١٤٣، ودلائل النبوة ٥ : ١٧٦ ـ ١٧٨ والكامل في التاريخ ٢ : ٢٧١، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١ : ١٧١

أختك شيماء بنت حليمة، قال: فنزع رسول الله ﷺ برده فبسطه لها فأجلسها عليه، ثم أكب عليها يسائلها، وهي التي كانت تحضنه إذ كانت أمها ترضعه[1] ومن جميل ما تحدثت به السيرة عن كرمه ﷺ في هذه الغزوة، تفضله بأعظم سبي، سُبي له بسبب أبيات شعرية قدمت له ﷺ إليك هذه القصة الغريبة في بابها وعزيز إسنادها قد افتتن المحدثون بها وتهافتوا على روايتها، قال الراوي: سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي، يقول: لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم هوازن ذهب يفرق السبي فأتيته، فقلت:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر

امنن على بيضة قد عاقها قدر ... مشتت شملها في دهرها غير

أبقت لنا الدهر هتافا على ... حزن على قلوبهم الغماء والغمر

إن لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس علما حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

لا تجعلن كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهر

إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك إن العفو مشتهر

يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر

إنا نؤمل منك عفوا تلبسه ... هذي البرية إذ تعفو وتنتصر

فأعف عفا الله عما أنت واهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال فلما سمع النبي ﷺ هذا الشعر قال: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم..

وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ورسوله..

وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ورسوله.. وكان عدد السبي الذي ردَّه ﷺ على

---

(١) المغازي للواقدي ٣: ٩١٣، سيرة ابن هشام ٤: ١٠١، دلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٩٩، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٧٢

هوازن لما استشفعوا له بهذه الأبيات كما في المنح المكية للشهاب بن حجر من النساء والذراري ٦٠٠٠ رأساً، والإبل ٢٤٠٠٠ والغنم ٤٠٠٠٠ و ٤٠٠٠ أوقية فضة.

نقد وتحليل لغزوة حنين:

الإمام علي عليه السلام فيها

في غزوة حنين أعجبت المسلمين كثرتهم، وقالوا لن نغلب من قلة بعد اليوم، وأصابهم عبد الله بن أبي قحافة التيمي بالعين، فهزموا شرَّ من هزيمة يوم أحد، وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن معه إلا تسعة من بني هاشم الكرام وعاشرهم أيمن ابن أم أيمن مربية الرسول صلى الله عليه وآله، وربما أسامة بن زيد، فلا المهاجرين ثبتوا، ولا الأنصار صبروا فولوا مدبرين كما قال ربنا سبحانه في سورة التوبة الفاضحة لهم كما يسميها عبد الله بن العباس..

إلا أن أمير المؤمنين علي عليه السلام كان كالعهد به دائما ثابتاً لا يتزعزع، صابراً على كل ما ينزل به من البلاء والعناء في سبيل الله، ونصرة رسوله صلى الله عليه وآله.. ومما كان منه روحي له الفداء:

١- حامل الراية، ورافعها أبداً..

٢- هوالمدافع الأول عن رسول الله صلى الله عليه وآله بوجه هوازن كلها.. فكان الإمام علي بن أبي طالب (سلام الله عليه) يوم حنين من أشد الناس قتالا بين يديه صلى الله عليه وآله [1].

٣- وهو الذي قتل أبا جرول فارس القوم، وبطلهم،كما مرَّ من قبل،وقالوا: فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول لعنه الله..[2]

٤- وهو الذي قتل أربعين رجلاً من كبار فرسانهم، والإمام الصادق عليه السلام قال: **قتل علي بن أبي طالب عليه السلام بيده يوم حنين أربعين..**[3] فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أبا

---

(١) مسند أبي يعلى: ٣ / ٤٤٣ / ٣٥٩٤، المعجم الأوسط: ٣ / ١٤٨ / ٢٧٥٨

(٢) الإرشاد: ١ / ١٤٢، كشف الغمة: ١ / ٢٢٢

(٣) الكافي: ٨ / ٣٧٦ / ٥٦٦ عن عجلان، كشف الغمة: ٢ / ٨٣

جرول وخذل القوم لقتله، وضع المسلمون سيوفهم فيهم، وأمير المؤمنين عليه السلام يقدمهم حتى قتل أربعين رجلاً من القوم، ثم كانت الهزيمة والأسر حينئذ[1].

٥- وهو الذي قتل نافع بن غيلان بن معتب عندما خرج بخيل يقودها من الطائف..

٦- وهو الذي قتل البطل الخثعمي الذي خرج منهم وهم جمع كثير من خثعم يطلب المبارزة فبرز إليه وقتله وعجل به إلى النار، وغضب الجبار..

٧- وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله بخيل لكسر كل صنم وجده أمامه، فكسر الأصنام وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالطائف..

٨- وهو صاحب النجوى، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لما عاد من كسر الأصنام كبَّر واستقبله وخلى به يناجيه، فاقتحم عليهما عمر بن الخطاب فقال له صلى الله عليه وآله: **يا عمر ما أنا انتجيته بل الله انتجاه**.. فولى الرجل وهو يقول كما قلت لنا يوم الحديبية..

٩- وأخيراً، هو الذي قطع لسان العباس بن مرداس الشاعر ولو أن غيره قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اقطع لسانه لقطع لسان الرجل وما عرف معنى قول الرسول صلى الله عليه وآله، ولكن الأمير عليه السلام أخذه وأعطاه بما يقطع لسانه عن رسوله إلى أبد الدهر..

---

(١) الإرشاد: ١ / ١٤٤، كشف الغمة: ١ / ٢٢٣، إعلام الورى: ١ / ٣٨٧، كشف اليقين: ١٧٥

في غزوة تبوك:

استخلاف الأمير عليه السلام على المدينة

هذه هي الغزوة الوحيدة التي لم يشارك فيها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام رغم أن وجهتها كانت صعبة وخطيرة وجيشها سمي بجيش العُسرة، وأعتقد أن الرسول الكريم والقائد العظيم صلى الله عليه وآله وسلم كان على يقين من أنه لن يحارب في هذه الغزوة، ولو كان هناك حرب وقتال لما ترك أمير المؤمنين لحظة واحدة في المدينة..

ولكن عندما أتاه الأمر من الله تعالى بالغزو أمره باستخلاف أمير المؤمنين عليه السلام على المدينة كولي عهد، وحاكم أعلى إذا ما حدث حادث للقائد صلى الله عليه وآله وسلم..

يروى: أنه أوحى الله تبارك وتعالى اسمه إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يسير إليها بنفسه، ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمنى بقتال عدو، وأن الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم، ليتميزوا بذلك وتظهر سرائرهم.. فاستنفرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بلاد الروم، وقد أينعت ثمارهم، واشتد القيظ (الحر) عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته؛ رغبة في العاجل، وحرصا على المعيشة وإصلاحها، وخوفا من شدة القيظ، وبعد المسافة، ولقاء العدو.

ثم نهض بعضهم على استثقال للنهوض، وتخلف آخرون، ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخروج استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: **(يا علي، إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك)**؛ وذلك أنه عليه السلام علم من خبث نيات الأعراب، وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها وحصوله ببلاد الروم أو نحوها، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه، لم يؤمن من معرتهم[1]، وإيقاع الفساد في دار هجرته، والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلفيه. وعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من

---

(١) المعرة: الجناية، والأذى (لسان العرب: ٤ / ٥٥٦

فيها إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونصَّ عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً؛ وذلك فيما تظاهرت به الرواية أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجهم، وعلموا أنها تنحرس به، ولا يكون للعدو فيها مطمع، فساءهم ذلك، وكانوا يؤثرون خروجه معه؛ لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي النبي صلى الله عليه وآله عن المدينة، وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها.

وغبطه عليه السلام بعضهم على الرفاهية والدَّعَة بمقامه في أهله، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر، فأرجفوا به عليه السلام، وقالوا: لم يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله إكراماً له وإجلالاً ومودةً، وإنما خلفه استثقالاً له.. فبهتوه بهذا الإرجاف كبهت قريش للنبي صلى الله عليه وآله بالجنة تارة، وبالشعر أخرى، وبالسحر مرة، وبالكهانة أخرى، وهم يعلمون ضد ذلك ونقيضه، كما علم المنافقون ضد ما أرجفوا به على أمير المؤمنين عليه السلام وخلافه، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان أخص الناس بأمير المؤمنين عليه السلام، وكان هو أحب الناس إليه، وأسعدهم عنده، وأفضلهم لديه.

فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله، فقال: **يا رسول الله، إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقالاً ومقتاً.! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ارجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي!!**[1]

وعاد أمير المؤمنين عليه السلام معززاً مكرماً وباء الآخرون بخزيهم والحسد والحقد يأكل قلوبهم، فازدادوا غيظاً على غيظهم..

---

(١) الإرشاد: ١ / ١٥٤

الفصل الثاني:

الإمام علي عليه السلام وقيادة السرايا المستقلة

ذكر الثعالبي في فقه اللغة والمطرزي في اليواقيت عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا في سرية فرأيته قد أسبله ثيابه وعممه فركب علي فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو له ويوصيه وصفى ثيابه في سرجها أي جمعاً..وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد أن يرسل أمير المؤمنين علي عليه السلام ببعث أو سرية فإنه كان يعقد له الراية، ويلبسه الثياب ويعممه بالعمامة ويخرج معه مشيعا وهو يوصيه بوصاياه..ولا يتركه إلا بالدعاء له ولمن معه بالنصر، وإذا غاب عنه يشتاق إليه ويقول: **اللهم لا تمتني حتى ترييني وجه أخي علي بن أبي طالب**.. وإذا عاد ورجع كان أول من يستقبله ويأمر المسلمين بالخروج لاستقباله، ويحتضنه ويقبِّل ما بين عينيه ويتفقد جسده وربما يحمل عنه بعض لامة حربه..

وأمير المؤمنين علي عليه السلام كان رجل المهمات الصعبة، وكم أجادت الوصف سيدة النساء عليها السلام روحي لها الفداء، في خطبتها الفدكية بالصحابة وجموع المسلمين في المسجد النبوي الشريف، قالت عليها السلام: **(وبعد أن مني ببهم الرجال (شجعانهم)، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، ﴿كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾**[1]

أو نجم قرن الشيطان (ظهرت أمته وأتباعه) **أو فغرت فاغرة من المشركين** (فتحت جماعتهم أفواهها) **قذف أخاه** (أمير المؤمنين علي عليه السلام) **في لهواتها** (حلقها وأقصى أفواهها) **فلا ينكفئ** (يرجع) **حتى يطأ جناحها بأخمصه** (يدوسها بأسفل رجله)، **ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله** (مجاهدا بكل جهده)، **مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمراً، ناصحاً، مجداً، كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم..**

---

(١) سورة المائدة/ ٦٤

وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون (مطمئنون ساكنون)، **فاكهون** (منعمون مرفهون) **آمنون، تتربصون بنا الدوائر** (نزول البلاء وصروف الدهر)، **وتتوكفون الأخبار** (تتوقعونها وتنتظرونها)، **وتنكصون** (تفرون وتهربون) **عند النزال، وتفرون من القتال..)**[1]

نعم؛ هكذا كان أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وهكذا كان البقية من الناس، وإليك بعضاً من سرايا أمير النحل عليه السلام وأخبارها المفرحة..

١- سرية الإمام علي عليه السلام ذات السلاسل

-**زمانها**: في السنة الثامنة للهجرة وقبل فتح مكة بقليل..

-**مكانها**: وادي الرمل أو الوادي اليابس لوعورته..

-**سبب تسميتها**: أن أمير المؤمنين علي عليه السلام ربط الأسرى بالحبال فكانوا كالسلسلة وجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة..

أهمية الإستطلاع والتدابير الأمنية

لا بدَّ للقائد الناجح، ولا لقائد يريد أن ينتصر في معركة (استراتيجية، كانت أو تكتيكية) إلا إذا نظَّم صفوفه جيداً، وعرف عدوَّه جيد جداً..وهنا لدينا قاعدتين مهمتين للغاية، هما:

١- (إعرف نفسك) فمعرفة النفس تعطيك القوة والثقة..

٢- (وإعرف عدوَّك) لأن معرفة العدو تعطيك وتعلمك نقاط ضعفه ونقاط قوته فعليك أن تستغل نقاط الضعف لضرب مراكز القوة؛ فتعطيك إذن الخطة والتكتيك للمواجهة.

ورسولُ اللهّ صلى الله عليه وآله أعظم قائد عرفته البشرية (بشهادة مايكل هارت في الماءة الأوائل ونحن بغنى عن شهادته وأمثاله بعد شهادة الله رب العالمين له ولكن من أجل المثقفين

(١) كوثر النور فاطمة الزهراء: ٢٣٧

الجدد الذين لا يرون أمجادنا إلا بعيون غيرنا فتاريخنا لا ينفعهم) ولذا فما إن وصل إلى مدينة يثرب، ولحق به الآل والأصحاب حتى راح يبني أسس دولته التي كان يخطط الباري سبحانه وتعالى لها، ويؤولها على أرض الواقع رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم..

وعليه فلا بدَّ لرسولُ اللهّ صلى الله عليه وآله وسلم من أن يراقب الأعداء والمتربصين بالاسلام شراً، ويرصد حركاتهم، ويكشف مؤامراتهم، أولاً بأول؛ فكان من أهم المسائل مسألة الاستطلاع وتحصيل المعلومات المفصَّلة والدقيقة عن المتآمرين لاسيما قريش وأحلافها من المشركين وغيرهم..

والقادة عادة ما يرسلون العناصر النبيهة والذكية والخبيرة بمثل هذه المهام، وقبل المعركة على القائد الناجح أن يذهب شخصيا لاستطلاع مكان وساحة المعركة، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يعمد إلى إختيار أفضل الرجال لإرسالهم - بحجج مختلفة - إلى نواحي مكة، وبثّهم في القبائل المشركة المختلفة لمعرفة أخبارهم، والتعرف على نواياهم تجاه الإسلام، وتدابيرهم حيال مواجهته.

ولقد استطاع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بفضل الله وتسديده والاستطّلاع المبكِّر والدقيق أن يكشف الكثير من المؤامرات التي كانت تحاك ضدَّه أن يُفشِّلَ الكثير من خططهم المعادية.

ولربما كان صلى الله عليه وآله وسلم يفاجئ العدوّ، ويحاصره قبل أن يتحرك من مكانه، عن طريق المجموعات العسكرية التي كان يقودها بشخصه الكريم، أو التي كان يؤمِّر عليها أحد أركان جيشه ويوجّهها إلى مكان تجمع العدو، فيفرّقون جمعهم، ويشتتون شملهم، ويقضون على المؤامرة في مهدها، وبهذا كان الكيان الاسلامي في أمن من خطر الأعداء، وكان هذا العمل وهذا التدبير يجنّبُ الطرفين المزيد من إراقة الدماء، وإزهاق الأرواح.

إنّ الاطّلاع المبكِّر على أسرار العدوّ العسكرية، ومعرفة حجم طاقاته، ومبلغ إستعداداته، واكتشاف خططه، وتكتيكاته يُعدّ من العوامل الجوهرية، والمؤثرة في الظفر

والانتصار.

فلِلدُّول الكبرى اليوم أجهزة طويلة وعريضة، وتشكيلات واسعة، ومعقَّدة لإعداد وتخريج الجواسيس البارعين، وإرسالهم إلى النقاط والمراكز المطلوب اكتشاف أسرارها، والتعرف على أوضاعها وخصوصياتها، وترصد هذه الدول ميزانيات ضخمة لهذا الغرض.

وكان رسول اللهّ ﷺ أوّل من ابتكر في تاريخ الاسلام هذا العمل في صورته المنظَّمة، وتبعه في ذلك الخلفاء الذين جاؤوا من بعده، وبخاصّة الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي كان يستعين بجواسيس وعيون كثيرين في مجالات مختلفة، عسكرية، وإدارية.

فكان عليه السلام إذا نصبَ والياً على بلد، جعل عليه عيناً يراقب أعماله وتصرّفاته، ويخبر الإمام بها أوّلاً بأوّل، فكان الإمامُ يكتب إلى ذلك الوالي، ويوبّخه على تصرفاته وانحرافاته إن بلغَهُ شيء من ذلك[1].

وقد كان عدم مفاجأة قريش للنبيّ ﷺ في معركة «أُحُد» وخروجه المبكِّر من المدينة بقواه، وجنوده، والنزول في منطقة مناسبة عسكرياً خارجها، وحفره المبكِّر أيضاً للخندق المعروف في شمال المدينة، والذي منع العدو (جيش الأَحزاب) من اقتحام المدينة المنوَّرة، كل ذلك كان نابعاً من معرفة رسول اللهّ ﷺ المسبقة والدقيقة بأسرار العدوّ، ونواياه، وحجم قواته، وبالأَرض، وذلك عن طريق عيونه وجواسيسه الاذكياء اللبقين، اليقظين الذين كانوا يرصُدون - بدقة وباستمرار - أوضاع العدوّ، وتحركاته، وينقلون معلوماتهم إلى رسول اللهّ ﷺ وبذلك كانوا ينهضون بواجبهم الديني في مجال الحفاظ على الدين الجديد، وصيانته من خطر العدو.

إن هذا التدبير الذكيّ، والطريقة الحكيمة التي ابتكرها وأخذ بها رسولُ اللهّ ﷺ

---

(١) راجع: نهج البلاغة قسم الرسائل والكتب، رقم ٣٣، ٤٥

تُعتبر أكبر درس للمسلمين اليومَ، ودائماً.. ولهذا يتوجبُ على قادة المسلمين المخلصين أن يعرفوا بكل ما يُحاك - في بلاد الاسلام او في غيرها من بلاد العالم - من مؤامرات ضدّ المسلمين، وما يدبَّر من خُطَط لتقويض دعائم الاسلام، ويبادروا إلى إطفاء شرارات الفتن في مهدها، وقبل اشتعالها، وأن يسلكوا نفس المسلك الذي سلكه رسولُ الاسلام صلى الله عليه وآله ليحصلوا على ذات النتيجة، ولا شك أنّ مثل هذا العمل لا يتيسَّر من دون أجهزة مناسبة، ومن دون تشكيلات خاصّة.

ولقد استطاع رسولُ اللهّ صلى الله عليه وآله في غزوة «ذات السلاسِل»، أن يطفئ نار الفتنة عن طريق استخدام المعلومات الدقيقة التي حصل عليها عن العدوّ.. ولو أنّ رسول اللهّ صلى الله عليه وآله أغلق على نفسه هذا الباب لتحمَّل خسائر لا تُجبَر، ولتعرّضت الكثير من جهوده المباركة في سبيل نشر الدعوة الاسلامية لخطر الفشل والإخفاق[1].

أعمال هذه السرية

لقد جاء خبر إلى رسول اللهّ صلى الله عليه وآله بأن آلافاً من الناس قد تحالفوا وتعاقدوا في ما بنيهم في منطقة تدعى ب: «وادي اليابس» على التوجّه إلى المدينة المنوَّرة للقضاء على الاسلام بكل ما لديهم من قوة، فإمّا أن يُقتَلوا في هذا السبيل، أو يقتلوا «محمَّداً» أو فارسه البطل الفاتح«علي بن أبي طالب عليه السلام »!!

فقيل: «نزل جبرئيل على محمَّد صلى الله عليه وآله وأخبره بقصتهم، وما تعاقدوا عليه وتواثقوا»[2].

وقيل: بأنّ أَعرابياً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وأخبره باجتماع قوم من العرب بوادي الرمل (هو الوادي اليابس) للتآمر عليه، وعلى الاسلام، (واضاف) بأنهم يعملون على أن يبيّتوه بالمدينة[3].

---

(١) سيرة سيد المرسلين، للسبحاني ٢

(٢) تفسير علي بن ابراهيم: ج ٢ ص ٣٣٤ سورة العاديات

(٣) الارشاد: ص ٨٦

(ولربما كان ذاك الأعرابي جبرائيل عليه السلام فالسيرة تحدثنا أنه كان يأتي بصور أشخاص شتى يعرفونه كدحية الكلبي، أو لا يعرفونه ولكن عندما يخرج لا يرونه).

فرأى رسولُ اللهّ ﷺ أن يُطلِعَ المسلمين على هذا الأمر، فأمر مؤذنه بأن ينادي: الصلاة جامعة وهي جملة كان يراد منها اجتماع الناس للصلاة واستماع أمر مهمّ وذي شأن، ويقابلها اليوم دق ناقوس الخطر أو ضرب صفارة الإنذار.

فعلا مؤذن النبي ﷺ مكاناً مرتفعاً ونادى: الصلاة جامعة، فسارع المسلمون إلى الاجتماع في مسجد النبي ﷺ ثم رقى النبيّ ﷺ المنبر وقال في ما قال: «**أيُّها الناس، إنَّ هذا عَدوَّ اللهّ وعدوَّكم قد عمل على أن يبيِّتكم فمَن لهم؟**».

فانتدب جماعة أنفسهم لهذا الأمر، وأمّر عليهم النبيّ ﷺ أبا بكر، فتوجه أبو بكر بتلك المجموعة إلى قبيلة «بني سليم»، ولما سار بهم مسافة واجه أرضاً خشنة وكانت قبيلة «بني سليم» تسكن في شعب واسع، فلمّا أراد المقاتلون المسلمون ان ينحدروا إلى الشعب عارضهم بنو سليم وقاوموهم، فلم ير قائد المجموعة بُدّاً من الانسحاب بمجموعته والرجوع بهم من حيث أتى!!

يقول علي بن إبراهيم في تفسيره: قالوا (أي بني سليم لأبي بكر): ما أقدمك علينا؟

قال: أمرَني رسول اللهّ ﷺ أن أعرض عليكم الإسلام فان تدخُلوا فيما دخل فيه المسلمون لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم، وإلا فالحربُ بيننا وبينكم.

فهدّده زعماء تلك القبيلة - وهم يباهون بكثرة رجالهم ومقاتليهم - بقتله وقتل من معه، فأُرعبَ لتهديدهم وعاد بجماعته إلى رسول اللهّ ﷺ رغم أن أفراده كانوا يصرّون على مقاتلة بني سليم تنفيذاً لأوامر النبي ﷺ.!!

ولقد أزعجت عودةُ الجيش الاسلامي بهذه الصورة المهينة رسول اللهّ ﷺ، فأمر عمر بن الخطاب أن يتولى قيادة تلك المجموعة ويتوجه بها إلى «الوادي اليابس»، ففعل عمر ذلك.

ولكن العدوَّ كان قد ازداد - هذا المرة - يقظة وتحسباً فكمن عناصره عند فمِ الوادي، واختبؤوا وراء الاحجار والاشجار بحيث يرون المسلمين، ولا يراهم من المسلمين أحد.

ولهذا خرجوا على المسلمين بغتةً عندما حلّ الجيش الاسلاميّ بذلك الوادي، وقابلوهم ببسالة وشجاعة، فأمر قائد المجموعة الاسلامية أفراده بالانسحاب، وعاد بهم إلى المدينة مهزوماً مذعوراً كسابقه، فلقي من رسول اللهّ صلى الله عليه وآله مالقيه صاحبه من قبل من الاستياء، والكراهية.

وهنا قال عمرو بن العاص وكان من دُهاة العرب وساسته الماكرين، وقد كان يومئذ قريب عهد بالاسلام: إبعثني يا رسول اللهّ اليهم، فإن الحرب خدعة، فلعلّي أخدعُهم!

فأنفذه رسول اللهّ صلى الله عليه وآله مع جماعة ووصّاه فلما صار إلى الوادي خرج اليه بنو سليم فهزموه، وقتلوا من أصحابه جماعة!

وليس لها إلا أبو الحسن عليه السلام

فهذه الهزائم المتلاحقة أزعجت رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين وأحزنتهم بشدة فعمد رسولُ اللهّ صلى الله عليه وآله إلى تنظيم مجموعة جديدة واختار لقيادتها «الإمام عليَّ بن أبي طالب»، وأعطاه الراية، وأمر بأن يهيئ نفسه ويذهب إلى بني سليم..

وطلب الإمام عليّ عليه السلام من زوجته «فاطمة» بنت رسول اللهّ صلى الله عليه وآله أن تأتي له بالعصابة التي كان يشدّها على جبينه (الشريف العالي) في اللحظات الصعبة، فتعصَّب بها، فعرفت سيدة النساء أن الأمر مهم، وخطير، فحزنت «فاطمة عليها السلام » لمنظر زوجها وهو يتوجه بمثل هذه الصورة إلى «وادي اليابس» للقيام بهذا المهمة، وبكت إشفاقاً عليه، فسَلاها رسول اللهّ صلى الله عليه وآله وهدّأها، ومسح الدموع عن عينيها (بكمِّه وطمأنها أنه لن يصاب بأذى إن شاء الله) [1].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٨١، الارشاد: ص ٨٧

وقال لها: **ما لك تبكين؟ أتخافين أن يُقتل بعلك؟ كلا إن شاء الله.**

فقال له علي عليه السلام: **لا تنفس عليَّ بالجنة يا رسول الله.**

ثم انّه صلى الله عليه وآله خرج يشيّع عليّاً ويمشي معه ويوصيه حتى بلغ معه مسجد الأحزاب، وعليّ راكب على فرس أبلقٍ، وقد لبس بردين يمانيّين، وحمل رمحاً هندياً بيده.. ولما سألوه عن سبب إرساله له عليه السلام لمِا رؤوا من كراهته لذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أرسلته كراراً غير فرّار»**.

ثم توجّه الإمام علي عليه السلام بأفراده نحو الهدف، وعاد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ولكن عينه الشريفة تراقب علياً عليه السلام، وقلبه يحنُّ إلى رجعته إليه فإن كتاب التاريخ يذكرون أنه صلى الله عليه وآله كان إذا غاب أمير المؤمنين علي عليه السلام عنه كان يدعو الله ويقول: اللهم لا تمتني إلا وتريني علياً.. فليس في الأمر غرابة ألم يكن نفسه وأنسه؟

وتوجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى العدو، ولكن هل هو يذهب كما ذهب غيره من قبل ويوقع نفسه وجنده في كمين العدو أم يتبع تكتيكا آخر يوقع هو بالعدو، ويفاجئه في منازله؟

وأمير المؤمنين عليه السلام أحذر من أن يمكِّن العدو منه، لأنه سلك طريقاً غير الطريق المعروفة إلى تلك المنطقة ليعمّي على العدوّ وجهته، حتى أن جنده الذين خرجوا معه تصوّروا أنه يقصد العراق، وكان يكمن ويستريح في النهار ويسير في الليل، وعندما توجه إلى الوادي اليابس أمر جنوده بالنزول والراحة وإطعام الخيول وسقيها واراحتها، ولما ساروا أمرهم بكمِّ (ربط) أفواه الخيول حتى لا يسمع العدو صوت شخيرها، أي أنه قطع الأنفاس التي يمكن أن يحسَّ بها العدو، وهذا التكتيك الرائع منه عليه السلام كان له نتائج باهرة.

وعند الفجر صلّى «الإمام عليٌّ» عليه السلام بجنوده صلاة الصبح باكراً، ثم صعد بهم الجبَلَ حتى وصلوا إلى القمة، ثم انحدر بهم - بسرعة فائقة - إلى الوادي حيث يسكن

«بنو سليم» فأحاطوا بهم وهم نيام، فلم يستيقظوا إلا وقد حاصرهم المسلمون، فأسَرُوا منهم فريقاً، وفرَّ آخرون..وخرج رجال بني سليم وأبطالها فقتل أمير المؤمنين عليه السلام أربعة من الشجعان المعروفين في بني سليم فأرعبوا رعباً شديداً فقدوا معه السيطرة على أنفسهم، والقدرة على المقاومة في وجه الإمام عليّ عليه السلام ففرَّ الباقون بكل اتجاه تاركين وراءهم كل شيء فأخذ أمير المؤمنين كثيراً من غنائم بني سليم وجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله..

ولقد عاد بطلُ الإسلام الظافر إلى المدينة بفتح لا سابق له، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في جماعة من أصحابه لاستقباله، واستقبال مَنْ معه من جنود الاسلام.. وما أن وقعت عينا القائد الفاتح عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ترجّل عن فرسه فوراً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إركب فانَّ اللهّ ورسوله عنك راضيان**».

فاغرورقت عينا «الإمام عليّ» عليه السلام بالدموع استبشاراً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ لَولا أَنّي أُشفقُ أن تقولَ فيك طوائف مِن أُمتي ما قالت النصارى في المسيح لقلتُ فيك اليوم مقالاً لا تمرُّ بملأً من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك**»[1].

وبرواية عن أمنا أم سلمة، قالت: كان نبي الله عليه السلام قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعاً من منامه، فقلت له: الله جارك.

قال: **صدقت، الله جاري؛ لكن هذا جبرائيل عليه السلام يخبرني أن علياً قادم**.. ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا علياً عليه السلام، فقام المسلمون له صفين مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما بَصُر بالنبي صلى الله عليه وآله ترجَّل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبلهما (روحي لك الفداء يا أبا الحسن)..

فقال له صلى الله عليه وآله: **اركب فإن الله ورسوله عنك راضيان**. فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً.. وانصرف إلى منزله. فقال النبي صلى الله عليه وآله لبعض مَنْ كان معه في الجيش: **كيف رأيتم**

---

(١) وسائل الشيعة ج٦ ص٤٩.

أميركم؟

قالوا: لم ننكر منه شيئاً إلا أنه لم يؤمَّ بنا في صلاة إلا قرأ بنا فيها بـ(قل هو الله أحد)، فقال النبي ﷺ: **سأسأله عن ذلك.**

فلما جاءه قال له: لِمَ لَمْ تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الإخلاص؟ فقال: يا رسول الله، أحببتُها.. فقال له النبي عليه السلام: **فإن الله قد أحبَّك كما أحببتَها.. ثم قال له: يا علي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك!**[1]

وفي هذه الغزوة بالذات نزلت سورة مباركة نتلوها آناء الليل وأطراف النهار، يرتلونها ولا يعرفون سبب نزولها، فلقد بلغت تضحية «الإمام عليّ» عليه السلام وبسالته، وشجاعته في هذه الواقعة من الأهمية بحيث أقسم الله تعالى بالخيول، وركضها، وأنفاسها، وغبارها، وحتى الشَّرر المتطاير من تحت حوافرها إقرأها متأملاً أرجوك فكم صورها جميلة ومعانيها جزيلة، يقول ربنا سبحانه وتعالى فيها:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * وَالْعادِياتِ ضَبْحاً * فَالمُورِياتِ قَدْحاً * فَالمُغِيراتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً * إِنَّ الإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ..﴾.

وأسألك بالله، هل يمكن أن تفهم هذه السورة المباركة إلا إذا فهمت وعلمت سبب النزول لها؟

فما هي العاديات؟ وماهو ضبحها؟ ومتى ورت قدحها؟ ومَنْ الذي أغار صبحاً؟ ومَنْ الذي أثار بها النقع؟ ومَنْ هم القوم الذين نزلوا بوسطهم صبحاً؟

أسئلة وليس لها جواباً إلا بمعرفة قصة ذات السلاسل التي قام بها أمير المؤمنين عليه السلام على بني سليم في الوادي اليابس..لأنه هو الذي قاد الخيول العادية، وأخفى ضبحها عن العدو، وكان هجومه عليهم ليلاً، وشديداً فنزلوا عليهم من أعلى الجبل

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٦ ص ٤٩، التوحيد للصدوق: ص ٩٤

بسرعة فائقة فكانت ضربات الحوافر على الصخور توري شرراً فيرى بالليل، وشدة العدو أثارت غباراً كان مخفياً ولكن الوقعة كانت عظيمة على بني سليم حين وصلت الخيل إلى وسط بيوتهم وهم في غفلة نائمون وعندما خرج الأبطال جندلهم أمير المؤمنين علي عليه السلام..

فإذا لم نفهم الآيات بهذا الشكل لا يمكن فهمها أبداً، ولكن صدق ربنا حيث يقول فيها نفسها: ﴿إِنَّ الإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أي منكر وربما جاحد – والعياذ بالله – لأصحاب الفضل..

فقالوا: بأن السورة (مكية) وأسأل من يقول بهذا القول متى كان في مكة المكرمة جهاد، وعاديات، وضبح، وقدح، وغارات في الصبح؟ أنسي الأخوة أن الجهاد ما فُرض إلا في المدينة المنورة حيث اطمأن المسلمون على أنفسهم وقويت شوكتهم؟

أم أن المسألة فيها فرار ثلاثة من كبار الصحابة، وفتح مؤزر لأمير المؤمنين علي عليه السلام ننكر الغزوة من أصلها، ونقول بأن هذه الآيات نزلت في مكة المكرمة ونغالط البديهيات لدينا..الحق أحق أن يتبع أيها الأعزاء، وقول الحق شجاعة، والإلتزام به بطولة لا تقل شأناً عن الجها في سبيل الله..

إنَّ هذا القسم الحماسيّ الجميل وهذا الوصف الرائع لجند الله، لهو تكريم من الله سبحانه لبطولات جنود الاسلام في هذه الغزوة الظافرة، واكباراً بروحهم القتالية العالية، لأن الغزاة وخيولهم المغيرة صبحاً، قد أشعلت بحوافرها شرارات الفتح والانتصار لدين الله في هذه الحياة.

نقد وتحليل:

أعمال الإمام عليّ عليه السلام في هذه السرية

إنها كبقية الغزوات التي شهدها أمير الحرب والسلام، وأمير المنبر والكلام، وأمير المؤمنين من الإنس والجان، هي غزوته ببراعة وجدارة لا تنكر؛هذا ويمكن أن نلخّص

أعمال وعوامل انتصار الامام عليّ عليه السلام في هذه الموقعة في أُمور كثيرة منها:

١- كان هو القائد الأعلى لها، وصاحب الأمر والنهي..

٢- كانت على أعقاب ثلاث هزائم متتالية لجيش المسلمين من أمام بني سليم، وهذا له انعكاسات كبيرة على الروح المعنوية لجنده..

٣- خرج عليه السلام وسيدة النساء عليها السلام تبكي خلفه،ورسول الله صلى الله عليه وآله يكفكف دموعها بكمه، وشيَّعه ماشياً حتى مسجد الأحزاب..

٤- انتصر لأنه عليه السلام استعمل تكتيكاً مميزاً،بحيث أخفى مسيره ووجهته على العدوّ، فلم يشعر العدوّ بوجهته ومقصده، لأنّه غيّر مسيره حتى لا يعرف العدو به بواسطة الأعراب من سكان البادية.

٥- وفاز لأنه عليه السلام اتّبع مَبدءاً هامّاً من مبادئ العمل العسكري، واستخدم تكتيكاً مهماً آخر من التكتيكات الحربية: هو التمويه و (المناورة بالقوى) مع الكتمان والتستّر، فقد كان عليه السلام يسير بأفراده ليلاً، ويكمن نهاراً، ليستريح خلاله، ويعمي على العدو وجهته الحقيقية، وعندما اقترب من ارض العدوّ، أمر عليه السلام جنوده بان يكتُّموا أفواه خيولهم حتى لا يشعر العدوُّ بوجودهم بشخيرها وصهيلها.

٦- ونجح وخسر الآخرون لشجاعته عليه السلام وبسالته النادرة فهو الذي قتل الشجعان الاربعة لبني سليم فأرعب غيرهم إرعاباً شديداً ففرّ من الموت المحقق بسيف أمير المؤمنين عليه السلام..[1]

٢- سرية الإمام علي عليه السلام إلى فدك

- **زمانها:** في شهر شعبان السنة السادسة من الهجرة الشريفة.

- **مكانها:** فدك وهي قرية يسكنها بنو سعد بينها وبين المدينة ست ليال قريبة من خيبر..

---

(١) راجع تفسير فرات الكوفي: ص ٢٢٢ ـ ٢٢٦، مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٣٨

- سببها: إمداد يهود خيبر في حصارهم..

وهي سرية وقعت أثناء حصار المسلمين لحصون خيبر، فروي: أن بني سعد كانوا بفدك وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن لهم جمعا لإمداد يهود خيبر، فبعث إليهم الإمام عليا عليه السلام في مئة رجل في شعبان سنة ست، فسار الليل وكمن النهار حتى انتهى إلى الهمج (ماء قرب فدك بينها وبين خيبر) فأصابوا رجلا منهم فأخذوه، فقال له الإمام علي عليه السلام: **هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد؟**

قال: لا علم لي به، فشددوا عليه، فأقرَّ أنه عين (جاسوس) لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم. فقالوا له: فأين القوم؟ قال: تركتهم وقد تجمع منهم مئتا رجل ورأسهم وبر بن عليم. قالوا: فسر بنا حتى تدلنا.. قال: على أن تؤمنوني.! قالوا: إن دللتنا عليهم وعلى سرحهم آمناك وإلا فلا أمان لك.!

فخرج بهم وأوفى بهم على فدافد وآكام (تلال وعرة جداً) حتى ساء ظنهم به، ثم أفضى بهم إلى سهول فإذا شياه كثيرة ونعم، فقال: هذه شياههم ونعمهم، فأرسلوني. قالوا: لا حتى نأمن الطلب، ثم أغاروا فغنموا النعم والشياه وهرب راعيها فأنذر أهله وحذرهم فتفرقوا وهربوا، وانتهى المسلمون إلى محلهم فلم يروا أحدا، فأرسلوا الرجل. فمكث علي عليه السلام ثلاثاً، ثم عزل خُمس الغنائم، وصفَّى للنبي صلى الله عليه وآله لقوحاً (أي ناقة حلوبا قريبة عهد بنتاج (ولادة) تدعى الحَفِدَة سميت به لسرعة سيرها ومنه في الدعاء: إليك نسعى و نَحفِد أي نسرع)، وقسَّم سائر الغنائم، وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة..[1]

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي - محمد هادي اليوسفي - ج ٢ - ص ٥٧٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٨٩، السيرة الحلبية، ج ٣ ص ١٨٥

٣- سرية الإمام علي عليه السلام إلى اليمن

يقال: أن أمير المؤمنين علي عليه السلام ذهب إلى اليمن في سريتين فوافاها مرتين ولنستمع إلى بعض ما رواه – روحي فداه – عن تلك الرحلة الشاقة والجميلة ففيها من العبر العظام ما لا يخفى على اللبيب الأريب من أمثالك عزيزي القارئ الكريم..

فيروى أن أميرنا علي عليه السلام، قال: **دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فوجهني إلى اليمن لأصلح بينهم، فقلت: يا رسول الله إنهم قوم كثير، ولهم سن وأنا شاب حدث.. فقال: يا علي إذا صرت بأعلى عقبة فناد بأعلى صوتك: يا شجر، يا حجر، يا مدر، يا ثرى، محمد رسول الله يقرؤكم السلام..**

قال: **ذهبت فلما صرت بأعلى العقبة أشرفت على أهل اليمن فإذا هم بأسرهم مقبلون نحوي، شاهرون سلاحهم مشرعون (مسددون ومصوبون) أسنتهم، متنكبون قسيهم (ألفاه على منكبه) فناديت بأعلى صوتي: يا شجر، يا حجر، يا مدر، يا ثرى، محمد رسول الله يقرؤكم السلام، قال: فلم تبق شجرة ولا مدرة ولا ثرى إلا ارتج بصوت واحد: " وعلى محمد رسول الله وعليك السلام " فاضطربت قوائم القوم، وارتعدت ركبهم، ووقع السلاح من أيديهم، وأقبلوا إلي بالصلح مسرعين، فأصلحت بينهم وانصرفت**[1].

وعن أبي البختري عن الأمير علي عليه السلام قال: **بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضي فيهم ولا أدري ما القضاء فضرب في صدري بيده وقال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال فوالذي فلق الحبة ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين..**[2]

ويُحدِّث عبد الله بن محمد بن عمر بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فإني لأخطب يوما على

---

(١) الخرائج للراوندي ص ٤٩٢، البحار: ١٧ / ٣٧٢، عن أمالي الصدوق: ١٨٥

(٢) البحر الزخار للبزار ج ٣ ص ١٢٥ الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣ ص ١١٠٠

الناس وحبر من أحبار يهود واقف في يده سفر ينظر فيه، فلما رآني..

قال: صف لنا أبا القاسم، فقال علي عليه السلام: **رسول الله ليس بالقصير ولا بالطويل البائن، وليس بالجعد القطط ولا بالسبط، هو رجل الشعر أسوده، ضخم الرأس، مشربا لونه حمرة، عظيم الكراديس، شثن الكفين والقدمين، طويل المسربة، وهو الشعر الذي يكون من النحر إلى السرة، أهدب الأشفار، مقرون الحاجبين، صلت الجبين، بعيد ما بين المنكبين إذا مشى تكفأ كأنما ينزل من صبب، لم أر قبله مثله، ولا بعده مثله، قال: علي: ثم سكتُ..**

فقال لي الحبر: وماذا؟ قال علي عليه السلام: **هذا ما يحضرني، قال الحبر في عينيه حمرة، حسن اللحية، حسن الفم تام الأذنين، يقبل جميعاً، ويدبر جميعاً، فقال علي عليه السلام: والله هذه صفته..**

قال الحبر: وشيء آخر.. قال علي عليه السلام: وما هو؟

قال الحبر: وفيه جناء.. قال علي عليه السلام: **هو الذي قلت لك كأنما ينزل من صبب،** قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سفر آبائي ونجده يبعث في حرم الله وأمنه وموضع بيته، ثم يهاجر إلى حرم يحرمه هو ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذي حرم الله، ونجد أنصاره الذين هاجر إليهم قوما من ولد عمرو بن عامر أهل نخل وأهل الأرض قبلهم يهود..

قال علي عليه السلام: **هو، هو، وهو رسول الله** صلى الله عليه وآله.. قال الحبر: فإني أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافة، فعلى ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله[1].

وأما عن زمان ووقت كل سرية فالأمر مختلط ما بين المؤرخين ولكن من المهم أن نعرف:

الأولى: كان فيها فاتحاً، إذ هدى الله به همدان في يوم واحد..

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ١٨

والثانية: كان فيها قاضياً، وحاكماً، على ما يُفهم من الروايات..

- و ما أجمع عليه أهل السيرة أن النبي ﷺ بعث خالد بن وليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، وأنفذ معه جماعة من المسلمين فيهم البراء بن عازب رحمه الله، وأقام خالد على القوم ستة أشهر يدعوهم فلم يجبه أحد منهم فساء ذلك رسول الله ﷺ فدعا أمير المؤمنين علي عليه السلام وأمره أن يقفل خالدا ومن معه، وقال له: إن أراد أحد ممن مع خالد أن يعقب فاتركه، قال البراء: فكنت فيمن عقب معه فلما انتهينا إلى أوائل أهل اليمن وبلغ القوم الخبر فتجمعوا له فصلى بنا علي بن أبي طالب عليه السلام الفجر، ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ على القوم كتاب رسول الله، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك أمير المؤمنين عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فلما قرأ كتابه استبشر وابتهج وخرَّ ساجداً شكراً لله تعالى، ثم رفع رأسه وجلس، وقال: **السلام على همدان، السلام على همدان، السلام على همدان**، ويروى أنه ﷺ قال عنهم: **نعمَ الحي همدان ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد.**

ثم تتابع بعد إسلام همدان أهل اليمن على الإسلام..

وقيل: بل في شهر رمضان سنة عشر من مهاجر رسول الله ﷺ قالوا: بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن فعسكر بقباء حتى تتامَّ أصحابه، وعقد له لواء: أخذ عمامة فلفها مثنية مربعة وجعلها في رأس الرمح، ثم دفعها إليه وقال: **هاك هذا اللواء!** وعممه عمامة ثلاثة أكوار، وجعل ذراعها بين يديه وشبرا من ورائه، ثم قال: هكذا العمَّة (العمة: هيئة الإعتمام، والعمامة: ما يعتمم به)! ثم قال له: **امض ولا تلتفت!** فقال علي: **يا رسول الله، كيف اصنع؟**

قال: **إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك.. فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منك قتيلاً، فإن قتلوا منك قتيلاً فلا تقاتلهم، تلومهم (انتظرهم) حتى تربهم أناة.. ثم تقول لهم: هل لكم أن تقولوا لا إله إلا الله؟ فإن قالوا: نعم، فقل هل لكم إلى أن تصلوا؟**

فإن قالوا: نعم، فقل لهم: هل لكم إلى أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم؟ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدي الله على يديك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت.

فخرج في ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج ففرق أصحابه، فاتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك، فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد، فجعل على الغنائم بريدة بن الحصيب ثم لقي جمعا فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا ورموا بالنبل والحجارة ساعة، فصف أصحابه، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السلمي، وحمل عليه بمن معه، قتل منهم عشرين رجلاً، فانهزموا فلم يتبعهم، ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا.. وبايعه نفر من رؤوسائهم على الإسلام وقالوا: نحن على من وراءنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله..

قسمة الغنائم إلا الخمس:

وجمع على الغنائم وجزأها خمسة أجزاء.. وأقرع عليها، وكتب في سهم منها، فخرج أول السهام سهم الخمس، ولم ينفل منه أحدا من الناس شيئا.

وكان من قبله من الأمراء يعطون أصحابهم - الحاضر دون غيرهم - من الخمس، ثم يخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يرده عليهم، فطلبوا ذلك من الإمام علي عليه السلام فأبى وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يرى فيه رأيه، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يوافي الموسم، ونلقاه به فيصنع ما أراه الله فانصرف راجعا، وحمل الخمس، وساق معه ما كان ساق.. وكان في الخمس ثياب من ثياب اليمن أحمال معكومة، ونعم مما غنموا، ونعم من صدقة أموالهم.

ثم تعجل، وجعل أبا رافع على أصحابه وعلى الخمس، وكان الإمام علي عليه السلام ينهاهم عن ركوب إبل الصدقة.. فسأل القوم أبا رافع أن يكسوهم ثيابا يحرمون فيها، فكساهم ثوبين؛ فلما خرج علي عليه السلام يتلقاهم - وهم داخلون مكة ليقدم بهم - رأى

عليهم الثياب فعرفها، فقال لأبي رافع: ما هذا؟! فأخبره، فقال: **قد رأيت إبائي عليهم ذلك، ثم أعطيتهم وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلفت فتعطيهم؟!**

وجرد بعضهم من ثوبيه، فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوه، فدعاه، وقال: **ما لأصحابك يشكونك؟**

فقال: **ما أشكيتهم: قسمت عليهم ما غنموا، وحبست الخمس حتى نقدم عليك وترى رأيك فيه، وقد كانت الأمراء يفعلون أمورا: ينفلون من أرادوا من الخمس، فأردت أن أحمله إليك لترى فيه رأيك**[1].

وكان لأمير المؤمنين عليه السلام فيها من جليل المقامات فمن ذلك أن رسول الله ﷺ كان قد أنفذه عليه السلام إلى اليمن ليخمس ركازها ويقبض ما وافق عليه أهل نجران من الحلل والعين وغير ذلك، فتوجه لما ندبه إليه رسول الله ﷺ فأنجزه ممتثلا أمره فيه مسارعا إلى طاعته، ولم يأتمن رسول الله ﷺ أحدا غيره على ما إئتمنه عليه من ذلك، ولا رأى في القوم من يصلح للقيام به سواه، فأقامه عليه السلام مقام نفسه في ذلك واستنابه فيه مطمئنا إليه ساكنا إلى نهوضه بأعباء ما كلفه فيه؛ ثم أراد رسول الله ﷺ التوجه إلى الحج، وأداء ما فرض الله تعالى عليه فيه، فأذن في الناس به وبلغت دعوته إلى أقاصي بلاد أهل الإسلام فتجهز الناس للخروج معه وحضر المدينة من ضواحيها ومن حولها ويقرب منها خلق كثير، وتأهبوا وتهيئوا للخروج معه، فخرج ﷺ بهم لخمس بقين من ذي القعدة، وكاتب أمير المؤمنين عليه السلام بالتوجه إلى الحج من اليمن ولم يذكر له نوع الحج الذي قد عزم عليه، وخرج عليه السلام قارنا للحج بسياق الهدى، وأحرم عليه السلام من ذي الحليفة وأحرم الناس معه ولبي من عند الميل الذي بالبيداء فاتصل ما بين الحرمين بالتلبية حتى انتهى إلى كراع الغميم، وكان معه ركبانا ومشاة، فشق على المشاة المسير وأجهدهم السير والتعب به، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ واستحملوه، فأعلمهم انه لا يجد لهم ظهرا

(١) إمتاع الأسماع ـ المقريزي ج ٢ ص ٩٥ الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ١٦٩

وأمرهم ان يشدوا على أوساطهم ويخلطوا الرمل بالنسل، ففعلوا ذلك واستراحوا إليه. وخرج أمير المؤمنين عليه السلام بمن معه من العسكر الذي كان صحبه إلى اليمن، ومعه الحلل الذي كان أخذها من أهل نجران، فلما قارب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن، وتقدم الجيش للقاء النبي صلى الله عليه وآله وخلف عليهم رجلا منهم وتقدم إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد أشرف على مكة، فسلَّم عليه وخَبَّره بما صنع وبقبض ما قبض وانه سارع للقائه أمام الجيش فسر رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك، وابتهج بلقائه، وقال له: **بم أهللت يا علي؟**

فقال له: **يا رسول الله انك لم تكتب لي إهلالك ولا عرفته، فعقدت نيتي بنيتك، فقلت: اللهم إهلالاً كإهلال نبيك وسقت معي من البُدن أربعاً وثلاثين بُدنة.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر قد سقت أنا ستاً وستين وأنت شريكي في حجى مناسكي وهديي فأقم على إحرامك وعد إلى جيشك، فعجل بهم إليَّ حتى نجتمع بمكة إنشاء الله تعالى**، فودعه أمير المؤمنين عليه السلام وعاد إلى جيشه فلقيهم عن قرب فوجدهم قد لبسوا الحلل التي كانت معهم، فأنكر ذلك عليهم وقال للذي كان استخلفه عليهم: **ويلك ما دعاك إلى أن تعطيهم الحلل من قبل أن ندفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولم أكن أذنت لك في ذلك؟**

فقال: سئلوني أن يتجملوا بها ويحرموا فيها ثم يردوها عليَّ، فانتزعها أمير المؤمنين عليه السلام من القوم وشدها في الأعدال، فاضطغنوا ذلك عليه، فلما دخلوا مكة كثرت شكاياهم من أمير المؤمنين عليه السلام، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله مناديا فنادى في الناس: **ارفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه خشن في ذات الله عز وجل غير مداهن في دينه**، فكف القوم عن ذكره وعلموا مكانه من النبي صلى الله عليه وآله وسخطه على من رام الغميزة فيه، وأقام أمير المؤمنين عليه السلام على إحرامه تأسيا برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان قد خرج مع النبي صلى الله عليه وآله كثير من المسلمين بغير سياق هدي فأنزل الله تعالى: **﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن**

كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

فقال رسول الله ﷺ: **دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة**، وشبك إحدى أصابع يديه على الأخرى، ثم قال عليه السلام: **لو استقبلت من أمري ما استدبرته ما سقت الهدي**، ثم أمر مناديه أن ينادي: من لم يسق منكم هديا فليحل وليجعلها عمرة، ومن ساق منكم هديا فليقم على إحرامه، فأطاع في ذلك بعض الناس وخالف بعض، وجرت خطوب بينهم فيه، وقال منهم قائلون: ان رسول الله ﷺ أشعث أغبر نلبس الثياب ونقرب النساء وندهن؟.

وهذه أيضا منقبة لأمير المؤمنين عليه السلام ليس لاحد من الصحابة مثلها ولا مقاربها، وذلك أنه لما وقف الامر فيما بعث خالد وخيف الفساد به لم يوجد من يتلافى ذلك سوى أمير المؤمنين عليه السلام، فندب له فقام به أحسن قيام وجرى على عادة الله عنده في التوفيق لما يلايم إيثار النبي ﷺ، وكان بيُمْنِهِ ورفقه وحسن تدبيره وخلوص نيته في طاعة الله عز وجل، هداية من اهتدى بهداه من الناس، وإجابة من أجاب إلى الإسلام وعمارة الدين وقوة الايمان، وبلوغ النبي ﷺ ما اثره من المراد وانتظام الامر فيه على ما قرت به عينه، وظهر استبشاره به وسروره بتمامه لكافة أهل الإسلام، وقد ثبت ان الطاعة تتعاظم بتعاظم النفع بها، كما تعظم المعصية بتعاظم الضرر بها ولذلك صارت الأنبياء عليهم السلام أعظم الخلق ثوابا لتعاظم النفع بدعوتهم على سائر المنافع بأعمال من سواهم من الناس[2].

ويروى أنه لما عاد رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معد

---

(١) البقرة: ١٩٦

(٢) الإرشاد ج ١ ص ١٥٨

يكرب فقال النبي صلى الله عليه وآله: **أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر**، قال: يا محمد صلى الله عليه وآله وما الفزع الأكبر فاني لا أفزع؟

فقال: **يا عمرو انه ليس كما تظن وتحسب، ان الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت إلا نشر، ولا حي إلا مات إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحة أخرى فينشر من مات، ويصفون جميعا، وتنشق السماء، وتهد الأرض وتخر الجبال هدا، وترمي النار بمثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه وشغل بنفسه إلا ما شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟**

قال: ألا اني أسمع أمراً عظيماً فآمن بالله ورسوله وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلى قومهم، ثم إن عمرو بن معد يكرب نظر إلى أبي بن عثعث الخثعمي فأخذ برقبته ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أعدني على هذا الفاجر الذي قتل والدي؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية**، فانصرف عمرو مرتداً فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب ومضى إلى قومه فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره على المهاجرين وأنفذه إلى بني زبيد وأرسل خالد بن الوليد في طائفة من الاعراب وأمره أن يعمد لجعفي، وإذا التقيا فأمير الناس علي بن أبي طالب عليه السلام فسار أمير المؤمنين عليه السلام واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعري، فاما جعفي فإنها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين، فذهبت فرقة إلى اليمن وانضمت الفرقة الأخرى إلى بني زبيد، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إلى خالد بن الوليد: أن قف حيث أدركك رسولي، فلم يقف فكتب إلى خالد بن سعيد بن العاص تعرض له حتى تحبسه، فاعترض له خالد حتى حبسه وأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فعنَّفه على خلافه، ثم سار حتى لقي بني زبيد بواد يقال له كسر، فلما رآه بنو زبيد، قالوا لعمرو: كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي، فأخذ منك الإتاوة؟ قال: سيعلم إن لقيني! قال: وخرج عمرو، فقال: مَنْ يُبارز؟ فنهض

إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقام إليه خالد بن سعيد وقال له: دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه..

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: **ان كنت ترى أن لي عليك طاعة فقف في مكانك،** فوقف ثم برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحة فانهزم عمرو وقتل أخوه وابن أخيه، وأخذت امرأته ركانة بنت سلامة وسبي منهم نسوان، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلّف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم ويؤمن من عاد إليه من هرابهم مسلما فرجع عمرو بن معديكرب واستأذن على خالد بن سعيد فأذن له فعاد إلى الإسلام فكلمه في امرأته وولده، فوهبهم له وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجد جزورا قد نحرت، فجمع قوايمها ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً وكان يسمى سيفه الصمصامة، فلما وهب خالد بن سعيد لعمرو امرأته وولده، وهب له عمرو الصمصامة[1].

٤-سرية الإمام علي عليه السلام إلى هدم فُلس

-**زمانها**: كانت السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله..

-**مكانها**:بلاد وأرض قبيلة طيء..

-**سببها**:كسر الأصنام،ورفع راية التوحيد في الجزيرة العربية.

-**قوامها**:خمسون فارس ومئة يركبون على جمال..

وفُلس: بضم الفاء وسكون اللام، هو اسم صنم طيء.[2]

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً معه راية سوداء ولواء أبيض إلى هدم الفلس والغارة على طيء فشنوا الغارة عليهم مع الفجر فهدموا الفلس وأحرقوه واستاقو النعم

(١) لإرشاد ج ١ ص ١٤٥ السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧٠

(٢) معجم البلدان: ٤ / ٢٧٣

والشاه والسبي..

ووجدوا في خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهي رسوب، والمخذم، واليماني؛ وثلاثة أدراع وجعل الرسوب والمخذم صفيا لرسول الله ﷺ ثم صار اليه الثالث الذي هو اليماني..

وكان في السبي أخت عدي بن حاتم الطائي، واسمها سفانة (والسفانة في الأصل هي الدُّرة، وهذه أسلمت رضي الله تعالى عنها قال بعضهم ولا يعرف لحاتم بنت إلا هذه)..

ولما مرَّ بها رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ مَنَّ الله عليك.. قال ﷺ: **ومَنْ وفدك**..

قالت: عدي بن حاتم.. قال ﷺ: **الفار من الله ورسوله** (لأنه هرب لما رأى الجيش)، قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد فلما مرَّ بي، قلت له: يا محمد أرأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء من العرب فإني أبنة سيد قومي وإن أبي كان يحمى الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائى..

فقال لها النبي ﷺ: **يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه**..

وفي اليوم الثالث أشار إليَّ رجل خلفه بأن كلميه فكلمته فقلت: يا محمد أرأيت أن تمُنَّ عليَّ ولا تفضحني في قومي فإني بنت سيدهم إن أبي كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العريان ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي..

فقال لها ﷺ: **هذه مكارم الأخلاق حقاً ولو كان أبوك مسلما لترحمت عليه خلوا عنها فإن أباها يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحبُّ مكارم الأخلاق**..

ثم قال رسول الله ﷺ: **قد فعلتُ؛ فلا تعجلي حتى يجئ من قومك مَنْ يكون لك ثقة يبلغك إلى بلادك فآذنيني** (أعلميني).. وسألت عن الرجل الذي أشار عليَّ بكلامه فقيل لي: إنه علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، قالت: فصبرت حتى قدم عليَّ مَنْ أثق به فجئت رسول الله ﷺ واستأذنته فحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام علي أخي عدي.

الباب الثالث:

حروب اليهود وغزواتهم..

(اليهود غدّة سرطانية وبؤرة فساد في أي مكان نزلوا فيه..)

[المؤلف]

- تقديم: اليهود اللعناء ورسالة السماء

العلم مهما تطور فإن أصله من منبع واحد هو الوحي السماوي، أو الإلهام الرباني لأشخاص بعينهم دون غيرهم، ولذا فإنه ورد عن أهل العصمة والطهارة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أنه ما من علم نافع إلا وخرج من هذه البيوت (أو بيوتنا)..

والتقدم العلمي هو عبارة عن تراكمه عبر الأجيال، وتوسعه بالبحوث الدقيقة، والتجارب المتكررة، وما تطورت النظريات العلمية إلا عن هذا الطريق..

وعلماء الدين في كل أمة هم الأقدر على فهم تغيرات الزمان، وتطورات المكان ولذا ندبنا ربنا سبحانه لسؤال أهل الذكر عند إعضال المسائل، وهم أهل القرآن (أهل البيت عليهم السلام في الإسلام، وهم أهل الإنجيل من الرهبان من أوصياء وحواريي السيد المسيح في النصرانية، وهم أهل التوراة من أحبار اليهود وبقايا علوم وكتاب كليم الله موسى أخيه هارون عليهما السلام..

وإن لليهود بالخصوص مع الرسول الأعظم، والنبي الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم لعجب عجاب حقاً، فكانوا يتجمعون في جنوب الجزيرة العربية (مأرب اليمن) فلما انهار السد وأحدث تلك الكارثة العظيمة توجهوا إلى شمال لماذا؟

علماً أنهم يمرون بطريقهم على مكة المكرمة وفيها البيت العتيق وهو بيت إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يفتخرون بالنسب إليه، كما يعلمون ذلك جيداً، إلا أنهم ساروا أياما وليالي طويلة إلى أن وصلوا إلى مدينة يثرب واستوطنوا بها، وسكنوا حولها حتى أنشؤوا القلاع الحصينة، والحصون المنيعة، ولم يجتازوها إلى الشام حيث الأرض المقدسة كما يعتقدون؟

المؤرخون قالوا: أنهم سكن المدينة العلماء منهم بالخصوص، وأهل الفكر والخبرة، وهؤلاء أجبروا الناس على السكن هناك، لماذا؟

لأن الكتاب المقدس الذي يتوارثونه يقول لهم: أن الله سوف يبعث في آخر الزمان

رسولاً من العرب يكون مولده في مكة، ويجبره قومه للهجرة إلى هذه المدينة وكانت عندهم أوصافه كاملة، وأسماءه الشريفة، وطرفا من أخباره ومعجزاته..

وأنه سوف يفتح الدنيا له، وتضحك السماء والأرض فرحا به، وأن أتباعه أكثر أتباع الأنبياء والمرسلين، ولذا فعليهم أن يستوطنوا هنا انتظارا له، وقالوا لهم: إنه سوف يبعث من بني اسرائيل وليس من العرب بنو اسماعيل لأننا من أبناء السيدة (سارة)، والعرب من أبناء الجارية (هاجر) ولا يمكن أن يبعث الله نبيا وبهذه القوة إلا من بني إسرائيل فهم أبناء الله وأحباؤه..

هكذا كانوا يغالطون أنفسهم، ويكذبون كتابهم الذي يعتقدون به، ليضحكوا به على البسطاء من قومهم، فكان هؤلاء يبتزون أهل المدينة من العرب لا سيما الأوس والخزرج وإذا عاداهم أحد منهم يقولون: غدا سوف يظهر منا نبي يكون قتلكم وابادتكم على يديه وبسيوفنا سوف نقتل رجالكم ونسبي نساءكم وذراريكم..

ويصدق العرب البسطاء تلك الأقوال فهم مشركون وعباد أحجار وأخشاب من الأصنام والأوثان وهؤلاء أصحاب دين وعلم ولديهم أخبار من علمائهم وأحبارهم..

في يوم المولد الشريف

من أعاجيب الأخبار القليلة – وهي كثيرة جداً كما أعتقد إلا أن الأيدي الآثمة لهم أخفت كل تلك الحقائق الدامغة – التي روتها كتب التاريخ لرسول الله الخاتم ﷺ مع اليهود وأحبارهم تبدأ من لحظة ولادته الشريفة وكانت تخفى على أقرب المقربين إليه، هذه القصة..

يروى أنه لما ولد النبي الأكرم ﷺ جاء رجل من يهود مكة مرتبكاً وفزعاً إلى جماعة من أكابر قريش، فقال متعجباً: أولد فيكم مولود الليلة؟

قالوا: لا..

فقال اليهودي: فولد إذاً في فلسطين غلام اسمه أحمد به شامة سوداء بين كتفيه،

ويكون هلاك أهل الكتاب واليهود على يديه، قد أخطأكم – والله – يا معشر قريش.. (فهم يعرفون أن اسمه أحمد ومن العرب ومن قريش خاصة دون غيرهم)..

فتفرقواوسألوا فأخبروا أنه ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، (فالتحدي اليهودي أغضبهم على ما يبدو فراحوا يبحثون عن المولود المبارك فأصابوه في معدنه عند عبد المطلب سيدهم وعظيمهم) فطلبوا الرجل اليهودي فوجدوه، فقالوا: إنه قد ولد فينا والله غلام..

فقال اليهودي: انطلقوا بنا إليه حتى ننظر إليه، فانطلقوا حتى أتوا أمه – آمنة بنت وهب – فقالوا: أخرجي ابنك حتى ننظر إليه، فجاءت به إليهم فلما رآه اليهودي أغمي عليه، فلما أفاق سألوه عما حدث له، فقال: ذهبت نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة هذا – والله – مَنْ يُبيدهم..

ففرحت قريش بذلك، فلما رآهم قد فرحوا، قال اليهودي لهم: فرحتم أما والله لتنال قريش بوجوده الشريف العظمة والعزَّة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب..

فقال أبو سفيان: سوف تنال ذلك بمضر (لأنه منها) [1].

ومن ذلك اليوم واليهود وأحبارهم تغري لعناءهم، وسفهاء الناس بالكيد لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينتهي من مؤامراتهم حتى آخر لحظة من حياته الشريفة، والراجح أنه إنتقل إلى الرفيق الأعلى لأنه سُمَّ أكثر من أربعين مرة وكانت آخرها من امرأة يهودية كما تذكر بعض كتب السيرة والله العالم..

فاليهودية كدين نحترمها ونقدسها، ولكن اليهودي كفرد فإننا نهينه نحتقره لما فيه من الرذائل ومساوئ الأخلاق، ومذموم الشيم.. فاليهودي كالحشرة الضارة، أو الطحلب المتطفل، أو الفيروس القاتل الذي يكمن في حامله حتى يقتله إن استطاع.. واليهود ما نزلوا في مكان إلا وخربوه، وما حلوا في مجتمع إلا أفسدوه، فهم كالطاعون القاتل في

---

(١) كحل البصر: ٢٧

أي مكان نزلوا فيه فالويل لأهل ذاك المكان..

وكان بالمدينة عدا عن يهود الأحلاف مع الأوس والخزرج وبني عوف، فهناك ثلاثة أبطن من اليهود: بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهداً فنقضوا عهدهم فما هو العهد المنقوض، وكيف كان أساس بنائه؟

أسس العيش المشترك في المدينة المنورة

كانت المشكلةُ الكبرى التي واجهها رسول اللهّ ﷺ في المدينة هي مشكلة يهود يثرب الذين كانوا يقطنون المدينة وخارجها وكانوا يمسكون بأزمة التجارة والاقتصاد في تلك المنطقة..فكان ثلاثة بطون منهم يسكنون المدينة، وآخرون في خيبر وما حولها من الحصون السبعة، وثالثهم يسكنون في وادي القرى..

لقد كان رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وآله يدرك جيداً أنه ما لم يستتب الأمن وتصلح الأوضاع الداخلية في المدينة فإنه لا يستطيع بناء الدولة المرجوة، والأمن لن يستتب ما لم يأمن جانب اليهود الشركاء الأقوياء فيها، فيدُ واحدة لا تصفق جيدا، فما لم ينضمَّ يهود يثرب الى صفوفه فسيبقى الأمن الداخلي مقلقلاً، وهذا ما يهدد بناء أي مجتمع يريد أن يبني حضارته..

لاسيما وأن لهذه الدولة المنتظرة أعداء ألداء وموتورين ولن تهدأ لهم بال ما لم ينتقموا، وبالتالي فإنه لن يتهيّأ له ﷺ التفكير في أمر المشركين والوثنيين في شبه الجزيرة العربيّة وتبقى المشكلة الكبرى أمامه وهي قريش وطغاتها، وما تحوكه من مؤامرات ضده.

وبالفعل فلقد قام بين يهود المدينة والمسلمين في بداية هجرتهم اليها نوع من التفاهم يفرضه العيش المشترك، وكلا الجانبين كانا موحّدَين يعبدانِ اللهّ، ويرفضان الأوثان، وكان اليهود يتصوّرون أنهم يستطيعون - إذا اشتد ساعد المسلمين، وقويت شوكتهم - أن يأمنوا حملات المسيحيين الروم، هذا من جانب، ومن جانب كان بينهم

وبين الأوس والخزرج علاقات عريقة ومواثيق قديمة.

من هنا حاولَ النبيّ صلّى اللهّ عليه وآله أن يكرّس هذا التفاهم، ويبلوره بعقد معاهدة تعايش، ودفاعٍ مشترك بين الأنصار والمهاجرين وقَّع عليها يهود المدينة أيضاً (المقصود منهم يهود الأوس والخزرج، وأما يهود بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة فقد عقد معهم إتفاق خاص).

وقد احترمَ رسول اللهّ صلى الله عليه وآله في تلك المعاهدة دين اليهود وثروتهم في اطار شرائط معيّنة.

وقد أدرج كُتاب السيرة والمؤرّخون النصَّ الكامل لهذه المعاهدة في كتبهم..[1]

ونظراً لأَهميّتها الخاصَّة، ولأنها تُعتبر مستنداً تاريخّياً حيّاً، قويَّ الدلالة، ولكونها تكشف عن مدى التزام رسول الاسلام العظيم صلّى اللهّ عليه وآله بمبادئ الحرية والنظم والعدالة، ومبلغ مراعاته واحترامه لها في الحياة، ولأنها تكشف لنا كيف أنها أوجدت جبهةً متحدةً قويةً في وجه الحملات الخارجية نذكر هنا نقاطها الحسّاسة ونسجّلها كواحدٍ من أكبر الانتصارات السياسية التي أحرزتها الحكومة الاسلامية الناشئة في العالم ذلك اليوم.

أعظم معاهدة تاريخية

معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين ويهود يثرب

بسم اللهّ الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ من محمّد النبيّ صلى الله عليه وآله بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم.

«البند الأول»

١ - إنّهم أُمّةٌ واحدةٌ من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم (أي على

(١) مثل السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠١

الحال التي جاء الإسلام وهم عليها) يتعاقلون بينهم (أي يدفعون دية الدم) وهم يفدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٢ - وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كلُّ طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وهكذا بنو ساعدة وبنو الحارث، وبنو جشم، وبنو النجار، وبنو عمرو بن عوف وبنو النبيت، وبنو الأوس كلّ على ربعتهم (والحال التي جاء الاسلام وهم عليها من حيث التعاون على الديات الى اولياء المقتول، ودفع الفدية معاً لفكِّ الأسير).

٣ - وإنَّ المؤمنين لا يتركون مفرحاً (أي مثقلاً بالدّين وكثير العيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداءٍ أو عقل (أي دفع ديةٍ او فداء أسير).

٤ - وإنَّ المؤمنين المتقين (يد واحدة) على من بغى منهم، او ابتغى دسيعة (عظيمة) ظلمٍ أو إثمٍ أو عُدوان أو فساد بين المؤمنين، وأنّ أيديهم عليه جميعاً ولو كان وَلدَ احدهم.

٥ - وأَن لا يحالف مؤمن مولى (أي عبد) مؤمنٍ دونه (أي دون إِذنه).

٦ - وأن لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر (أي قصاصاً لمقتل كافر على يَدَي ذلك المؤمن) ولا ينصر كافراً على مؤمنٍ.

٧ - وانَّ ذمةَ اللهّ واحدة (تشمل جميع المسلمين بلا استثناء) يجيرُ عليهم أدناهم (فاذا أجار عبد مسلم كافراً قُبِلَت إِجارته واحترِمَ أمانه).

٨ - وإَنّ المؤمنين بعضَهُم مواليَ بعض دون الناس.

٩ - وإنّه مَن تبعنا من يهود فانَّ له النصرَ والأسوة غيرَ مظلومين، ولا متناصرين عليهم.

١٠ - وإنَّ سلمَ المؤمنين واحدةٌ لا يُسالمُ مؤمنٌ دون مؤمن في قتال في سبيل اللهّ إلا على سواءٍ وعَدل بينهم (فلا يجوز لأحد أن ينفرد بعقدِ معاهَدةِ صلحٍ مع أحدٍ من غير

المسلمين إلا بموافقة المسلمين).

١١ - وإنَّ كلَّ غازيةٍ غزت معنا يعقّب بعضها بعضاً (أي يتناوب المسلمون في المشاركة في الجهاد)، وانّ المؤمنين يبيء بعضُهم على بعض بما نالَ دماءَهم في سبيل اللهّ. (أي يراقُ منهم الدمُ على السواء لا أن يتعرض للقتل بعض دون بعض).

١٢ - وإن المؤمنين المتقين على أحسنِ هدى وأقومه.

١٣ - وأن لا يجيرَ مشرك (من مشركي المدينة) مالاً لقريش، ولا نفساً، ولا يحولَ دونه على مؤمنٍ. (أي لا يمنعه من مؤمن).

١٤ - وإنّه من اعتبط مؤمناً (أي قتل من المؤمنين مؤمناً بلا جناية منه توجب قتله) قتلاً عن بيّنة فانّه قِوَد به (أي يُقتَل بقتله قصاصاً) إلا أن يرضى وليُّ المقتول، وانّ المؤمنين عليه كافّة، ولا يحلُّ لهم إلا قيام عليه.

١٥ - وإنّه لا يحلُّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن باللهّ واليومِ الآخر، أن يَنصُر محُدِثاً (صاحب بدعة) ولا يؤويه وأنه من نصرَهُ، وآواه فعليهِ لعنةُ اللهّ وغضبُه يوم القيامة، ولا يُؤخذُ منه صرف ولا عدل.

١٦ - وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرّدَهُ إلى اللهّ عزّ وجل وَإلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

«البندُ الثاني»

١٧ - وإنّ اليهودَ ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين (ودفاعاً عن المدينة).

١٨ - وإنّ يهود بني عوف أُمةٌ من المؤمنين (وبنو عوف قبيلة من قبائل الأنصار) لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم واثم، فانه لا يوتغ (لا يهلك) آلا نفسه وأهل بيته (والسبب في هذا هو أن أهل بيت الرجل يتبعونه ويؤيدونه في فعله غالباً وعادة).. والمراد من هذا الاستثناء هو أن العلاقات والاتحاد يبقى قائماً بين تلك الطائفة من اليهود وبين المسلمين مادام لم يكن ثمة ظالمٌ ومعتدٍ.

١٩ - وإنّ ليهود بين النجار، وبني الحارث وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الأوس وبني ثعلبة، وبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، من الحقوق والامتيازات..وإن جفنة بطن من ثعلبة (أي تلك القبيلة فرعٌ من هذه)، وانّ لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف.

٢٠ - وإن البرَّ دونَ الإثم (أي أن يغلب حسناتُهم على سيّئاتِهم).

٢٠ - وإن موالي ثعلبة (أي المتحالفين معهم) كأنفسهم.

٢٢ - وإن بطانة يهود (أي خاصتهم) كأنفسهم.

٢٣ - وأنه لا يخرج منهم أحد (من هذه المعاهدة) إلا بإذن محمّد ﷺ.

٢٤ - وإنّه لا ينحجر على ثأر جرح (اي لا يضيع دم حتى الجرح)، وان من فتك (بأحد) فبنفسه فتك، وأهل بيته إلا من ظلم (أي إلا إذا كان المفتوك به ظالماً).

٢٥ - وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وانّ بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة (أي أن على كل جماعةٍ من المسلمين واليهود أن يقوم بنصيبه من نفقات الحرب).

٢٦ - وإن بينهم النصحَ والنصيحة (أي أن تكون العلاقات على هذا الأساس) والبر دون الإثم.

٢٧ - وإنّه لم يأثم امرؤ بحليفه (أي لا يحقُّ لأحدٍ أن يظلم حليفَه وأن النصرَ للمظلوم (لو فعل أحد ذلك).

٢٨ - وإنّ يثرب حرام جوفُها لأهل هذه الصحيفة (أي أنّ داخل المدينة حرم ومأمن لجميع من وقَّعَ على هذه الصحيفة).

٢٩ - وإنّ الجار (وهو من يدخل في أمانِ أحد) كالنفس غير مضارٌّ ولا آثم، (فلا يجوز إلحاق ضرر به).

٣٠ - وإنّه لا تجار حرمة (إمرأة) إلا بإذن أهلها.

٣١ - وإنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يُخاف فسادُه فان

مردَّهُ إلى اللهّ عزّ وجل وإلى محمّد رسول اللهّ صلى الله عليه وآله، وإنَّ اللهّ على من اتّقى ما في هذه الصحيفة وأبرّهُ (أي انّه تعالى ناصر وولي لمن التزم بهذه المعاهدة).

٣٢ - وإنّه لا تجارُ قريش ولا من نَصَرَها.

«البندُ الثالث»

٣٣ - وإن بينهم (أي بين اليهود والمسلمين) النصر على من دهم يثربَ، (فعليهم معاً أن يدافعوا عن المدينة ضدَّ المعتدين).

٣٤ - وإذا دُعوا (أي دعي المسلمون اليهود) إلى صلح يصالحونه، ويلبسونه، فإنهم يصالحونهُ ويَلبسونه.

وإنّهم إذا دُعوا (أي إذا دعا اليهودُ المسلمين) إلى مثل ذلك (الصلح) فانه لهم على المؤمنين إلا من حاربَ في الدين.

فعلى اليهود أن يوافقوا على كل صلح يعقِدُه المسلمون مع الأعداء، وهكذا على المسلمين أن يقبَلوا بكلِّ صلح يعقده اليهود مع الأعداء إلا إذا كان ذلك العدوّ ممن يخالفُ الإسلام ويعاديه ويتآمر عليه.

٣٥ - وإن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة.

«البندُ الرابع»

٣٦ - وإنهُ لا يحول هذا الكتاب دون ظالمٍ وآثم. (فلا يمكن لأحد أن يتستر وراءه ليتخلّص من العقاب إذا ارتكبَ خطيئةً وجنايةً).

٣٧ - وإنّه من خرج (من المدينة) آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم..

ثم خُتِمَت هذه المعاهدة بالعبارة التالية:

«وإنّ اللهّ جارٍ لمَن بَرَّ واتّقى، ومحمّدُ رسول اللهّ صلى الله عليه وآله».[1]

إنَّ هذه المعاهدة السياسية التاريخية التي أدرجنا هنا أهم مقاطعها تعدُّ نموذجاً كاملاً

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠٣ و ٥٠٤، الاموال: ص ١٢٥ – ٢٠٢

لرعاية الإسلام، وحرصِه على مبدأ حرّية الفكر والاعتقاد، ومبدأ الرفاه الاجتماعي العام، وضرورة التعاون في الأمور العامة، بل وتوضّح هذه المعاهدةُ - فوق كلّ ذلك - حدودَ صلاحّيات واختيارات القائد، ومسؤوليّة كلِّ الموقّعينَ عليها، وعلى أمثالها، على أنه وإن لم يشترك يهودُ «بني قريظة» و «بني النضير» و «بني قينقاع» في إبرام هذه المعاهدة والتوقيع عليها، بل شارك فيها يهودُ الأوس والخزرج فقط، إلا أنّ تلك الطوائف اليهودية (الثلاث) قد وقعت فيما بعد مع قائد المسلمين وزعيمهم ﷺ على معاهدات مماثلة أهم بنودها هي:

(أن لا يُعينوا على رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وآله ولا على أحدٍ من أصحابه بِلسان ولا يدٍ ولا بسلاح ولا بكراع (أي الخيل وغيرها من المراكب) في السر والعلانية لا بليلٍ ولا بنهارٍ، اللهّ بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول اللهّ في حلٍّ من سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، ونسائِهم، وأخذ أموالهم.)

وقد كتبَ رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وآله لكلِّ قبيلة منهم كتاباً على حدة على هذا الغرار، ثم وقع عليها «حيُ بن أخطب» عن قبيلة بني النضير، و «كعب بن أسد (الأشرف) » عن بني قريظة، و«المخيريق» عن قبيلة بني قينقاع[1].

وبهذا سادَ الأمنُ يثرب وضواحيها بعد أن اعتبرت المنطقة حرماً آمناً. احتفظ في ذاكرتك - أيها العزيز - بهذا القسم من المعاهدة الثانية لأن رسول اللهّ ﷺ عاقب اليهود بسبب نقضهم لهذه المعاهدة بالذات وليس المعاهدة العامة الأولى وإن شملتهم، إلا أن حكمة القائد وعلمه باليهود وأنهم سينقضون العهد معه جعل لهم معاهدة مستقلة وقع عليها رؤساءهم شخصياً.

ممارسات اليهود العدائية:

لقد تسبّبت تعاليمُ الاسلام الرفيعة وأخلاق الرسول العظيم في أن يتزايد عددُ

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١١٠

المنتمين الى الاسلام يوماً بعد يوم، وتزداد بذلك قوّةُ الاسلام العسكرية والاقتصادية والسياسية.

وقد أحدث هذا التقدمُ المتزايد الباهر قلقاً وضجةً عجيبةً في الأوساط اليهودية الدينية، لأنهم كانوا يتصوَّرون أنهم يستطيعون بدعمهم رسول اللهّ صلى الله عليه وآله وتقويته وتأييده جرَّه إلى صفوفهم، ولم يكونوا يتصوّرون قط أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سيحصل بذاته على قوةٍ تفوق قوة اليهود والنصارى، من هنا بَدَأوا بممارسة الأعمال الاجهاضية مثل طرح الاسئلة الدينية العويصة على رسول اللهّ صلى الله عليه وآله بغية زعزعة إيمان المسلمين بنبيّهم، ولكن جميع هذه المخططات باءت بالفشل ولم تترك أيّ أثر في صفوف المسلمين المتراصّة وإيمانهم العميق برسول الاسلام.

وقد جاءت بعض هذه المناظرات والمجادلات في سورة البقرة وسورة النساء..وغيرها من سور القرآن المعجزة..فمع أنهم كانوا يتلقون من رسول اللهّ صلى الله عليه وآله أجوبةٍ واضحةٍ لكلِّ واحد من اسئلتهم كانوا يتهرّبون من الانضواء تحت راية الاسلام، ويحجمون عن الاعتراف به، وكانوا يقولون في مقام الردّ على دعوة النبيّ إياهم إلى اعتناق الاسلام: «**قلوبُنا غلف**»..أي لا نفهم ما تقول.!![1].

إسلام عبد اللّه بن سلام:

هذه المناظرات والمجادلات وان كانت لاتزيد غالبية اليهود إلا تعنّتاً وعناداً، ولكنها كانت تسببّ أحياناً يقظة البعض وإقبالهم على الاسلام، مثل «عبد اللهّ بن سلام».

فقد أسلم ابن سلام الذي كان من علماء اليهود وأحبارهم، برسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وآله بعد سلسلة من المناظرات والمجادلات المطولة.

ولم يمض وقتٌ كبيرٌ على اسلام ابن سلام إلا والتحق به عالمٌ آخر من علماء اليهود هو «المخيريق».

---

(١) للمناظرات راجع السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٣٠ ـ ٥٧٢، بحار الأنوار: ج ٩ ص ٣٠٣ فما بعد

وكان عبد اللهّ بن سلام يعلم بأنه سيذمُّه قومّه من اليهود اذا عرفوا بإسلامه وترك دينهم، من هنا طلب من رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وآله أن يكتم عن الناس إسلامه، ريثما يحصل أولاً على اعتراف من قومه بعلمه وتقواه، وبمعرفتِه وصلاحِه قائلاً: « يا رسول اللهّ إن يهود قومُ بُهُت، وأني أحبُّ أن تُدخلني في بعضِ بيوتِك، وتغيّبني عنهم ثم تسألهم عنّي حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني».

فأدخله رسول اللهّ ﷺ في بعض بيوته وأخفاه عن الأنظار ثم قال لليهود الداخلين عليه: «**أيُّ رجلٍ الحصينُ بنُ سلام فيكم؟**».

قالوا: سيدُنا وابنُ سيدنا، وحَبرُنا وعالمُنا، فخرجَ عليهم «عبدُ اللهّ بنُ سلام» من مخبئه وقال لهم: يا معشر يهود اتّقوا اللهّ واقبَلوا ما جاءكم به، فواللهّ إنّكم لتعلمون أنه لرسول اللهّ تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فاني أشهدُ أنه رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وآله، وأُؤمن به وأُصدقه وأعرِفُه.

فغضب اليهودُ من مقالته، وقالوا له: كذبتَ، ووقعوا فيه، وعابوه، وبهتوه[1].

خطةُ أخرى للقضاءِ على الحكومة الإسلامية:

لم تضعف مجادلاتُ اليهود واسئلتّهم العويصة عقيدة المسلمين وايمانَهم برسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وآله فحسب، بل تسبَّبَت في أن تتضح مكانته العلمية، وقيمة معارفه الغيبية للجميع أكثر من ذي قبل.. ففي ظلّ هذه المجادلات والمحاورات رغب جماعات كبيرة من الوثنيين واليهود في الاسلام فآمنوا برسول اللهّ ﷺ وصدَّقوه.

من هنا دبَّر اليهودُ مؤامرة أُخرى وهي التذرُّع بأُسلوبِ «فرِقْ تسُدْ»، لالقاء الفرقة في صفوف المسلمين.. فقد رأى دهاة اليهود وساستهم أن يستغلّوا رواسب الاختلافات، ويؤججوا نيران العداء القديم بين الأوس والخزرج الذي زال بفضل الاسلام، وبفضل ما

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥١٦

أرساه من قواعد الاخوة والمساواة والمواساة والمحبة، بعد أن كانت مشتعلةً طوال مائة وعشرين عاماً متواليةً، ليستطعيوا بهذه الطريقة تمزيق صفوف المسلمين بإثارة الحروب الداخلية بينهم، والتي من شأنها حرق الاخضر واليابس والقضاء على الجميع دونما استثناء.

ففيما كان نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه إذ مرّ عليهم «شاس بن قيس» وهو يهوديُ شديد العداء للإسلام، عظيمُ الكفر، شديدُ الضغن على المسلمين، فغاظه ما رأى من أُلفة الأوس والخزرج، واجتماعهم وتوادُدِهم، وصلاح ذاتَ بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوةِ الطويلة في الجاهلية، فأمر فتى من يهود كان معهم فقال له: إِعْمِدْ إِليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يومَ بعاث (هو يوم اقتتلت فيه الأوسُ والخزرج وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج) وما كان قبله وأنشدهم بعضَ ما كانوا تقاولوا وتبادلوا فيه من الاشعار!! ايقاعاً بين هاتين الطائفتين من الأنصار، وإِثارة لنيران الاحقاد الدفينة، والعداوات الغابرة.

ففعل ذلك الغلامُ اليهوديُ ما أمره به «شاس» فتكلمَ القومُ عند ذلك، وتنازعوا، وتفاخروا، وتواثبَ رجلان من القبيلتين على الرُكَب وأخذ كل منهما يهدّدُ الآخر، وتفاقم النزاعُ، وغضب الفريقان وتصايحا، وقاما إِلى السلاح وكاد أن يقع قتالُ ودمُ بعد أن ارتفعت النداءات القبلية بالاستغاثة والاستنجاد على عادة الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وعرف بمكيدة اليهود، ومؤامرتهم الخبيثة هذه، فخرج الى تلك الجماعة المتصايحة من الأوس والخزرج في جمع من أصحابه المهاجرين، فقال:

«يا معشر المسلمين، اللهَ اللهَ أبِدعوى الجاهليةِ وأنا بينَ أظهُرِكُم بَعدَ أن هَداكُم لِلإسلام، وأكرَمَكُم به، وقطع به عنكم أمرَ الجاهِليّة، واستَنقذكُم به من الكُفر، وألَّف بينَ قُلُوبِكُم؟؟».

فعرف القومُ أنها مؤامرة مبيَّتة من اليهود أعداء الإسلام والمسلمين، وكيدُ خبيثُ

منهم، فندموا على ما حدث، وبكَوا وعانَق الرجال من الأوس والخزرج بعضُهم بعضاً، ثم انصّرفوا مع رسول اللهّ ﷺ سامعين مطيعين، وأطفأ اللهُ عنهم كيدَ أعدائهم[١].

إلا أن مؤمرات اليهود لم تتوقف عند هذا الحدّ، ولم تنته بهذا، فقد اتسعت دائرة خيانتهم وجنايتهم، ونقضهم للعهد وأقاموا علاقات سرية وخاصةَ مع مشركي الأوس والخزرج، ومع المنافقين والمترددين في اسلامهم واعتقادهم، واشتركوا بصورةٍ صريحةٍ في اعتداءات قريش على المسلمين، وفي الحروب التي وقعت بين الطرفين، وكانوا يُقدّمون كل ما أمكنهم من الدعم والمساعدة للوثنيين، ويعملون لصالحهم!!

وقد جَرّت هذه النشاطاتُ السرّيةُ والعلنيةُ المضادّةُ المعاديةُ للاسلام والمسلمين، وهذا التعاون المشؤوم مع مشركي قريش، جرّت إلى وقوع مصادمات وحروب دامية بين المسلمين والطوائف اليهودية أدت في المآل إلى القضاء على الوجود اليهودي في المدينة.

وسيأتيك التفاصيل وسيتضح لك كيف أن اليهود ردوا على الجميل الذي تعكسه كلتا المعاهدتين من أولهما الى آخرهما، بنقض العهد، ومعاداة الاسلام والمسلمين، والتآمر ضدّ رسول اللهّ ﷺ خاصّة، وبنصرة أعدائه، ودعم خصومِه، الأمرُ الذي أجبر النبيّ ﷺ على تجاوز تلك المعاهدات الودية والانسانية ومن ثم محاربتهم، وإخراجهم من المدينة وما حولها والقضاء على ما تبقى مِن كياناتهم الشريرة[٢].

وتتحدث كتب السيرة والتاريخ عن خمسة غزوات غزاها رسول الله ﷺ لليهود منها أثنتين لم يقع بهما قتال بل نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ونفذوا أوامره وأما الثلاثة الأخرى فكان فيها قتال كان أشدها في يوم خيبر وما حولها من الحصون والقلاع..

---

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٥٥ – ٥٥٧

(٢) سيرة سيد المرسلين للشيخ السبحاني بتصرف بسيط منا ج٢: ٢٢ وما بعدها

أ- الغزوات التي انتهت بالصلح والجلاء..

الحسد في اليهود خلق متأصل، ويهود المدينة كانوا يسيطرون عليها ماليا واقتصاديا، وعندما بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله ينهض بالعرب ويبني لهم حضارتهم بدأت قلوبهم تغلي حقداً وحسدا كالمرجل على رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أجابه من المسلمين لا سيما بعد النصر الإلهي الكبير في بدر..

وبنو قينقاع كانوا من أوائل من نقض العهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم قاطني المدينة وعلى تماس مباشر مع المسلمين جميعاً لاسيما النساء منهم، (بسبب عملهم بالصياغة والذهب) ولما أحسوا بالخطر الداهم الذي كان يهدد مصالحهم مباشرة بعد النصر الإلهي على قريش في بدر، فراحوا يشنون حملة حرب نفسية على المسلمين للتحرش بهم..

من قبيل أنكم لم تقاتلوا رجالا وأبطالا ونحن الرجال وعندنا المقاتلين الذين إن قاتلتمونا سنربيكم، ونعلمكم أصول القتال، وأقدار الرجال، والمسلمون المنتصرون على قريش مازالوا في زهوتهم وقوتهم يقتخرون على كل أحد في ذلك اليوم فلم يقبلوا هذا التحدي فأوصلوه إلى القائد العظيم رسول الله صلى الله عليه وآله فأجابهم بمنطق الحكمة فنحن وإياهم على عهد وميثاق للتعايش السلمي فيما بيننا ولا يصح نقضه. إلا أن اليهود ليس عليهم أن ينقضوا العهود فالغدر عادتهم المتأصلة فيهم، وبما أن بني قينقاع يسيطرون على الحركة الإقتصادية للمدينة بوضع أيديهم على حركة الأموال، لأنهم من كبار تجار اليهود وعملهم بالذهب خصوصاً فكانوا يسيطرون على سوق الصياغة بالإجمال، ولما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله أصحاب بدر وقدم المدينة، بغت يهود (بني قينقاع) وقطعت ما كان بينها وبين النبي من عهد[1].

ولم تكن هذه الحرب الباردة الشريرة لتبرر تصدي القوى الاسلامية لها بالحرب

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٧٦

الساخنة، واستعمال السلاح، لأن ما يمكن حله بسلاحِ المنطق لا يحبذ أن يعالَج بمنطق السلاح، وخاصة أن الرد الساخن والمسلح يؤدي إلى زعزعة الأمن والاستقرار في المدينة، والحال أن المحافظة على الوحدة السياسية، واستتباب الأمن والاستقرار في المدينة كان مما يهمّ النبيّ ﷺ جداً وهو يواجه أعداءً أشداء من الخارج.

ولهذا - وبغية اتمام الحجة على يهود بني قينقاع - وقف رسول اللهّ ﷺ ذات يوم في سوقهم بعد أن جمعهم فيه ثم قال لهم: «**يا معشر يهود احذروا من اللهّ مِثل ما نزلَ بقريش من النقمة، وأسلموا، فانكم قد عرفتُم انّي رسول الله** (أو أني نبي مرسَل) تجدون ذلكَ في كتابكم وعهد اللهّ اليكم».

ولكن اليهود المغرورين المتكبرين لم يشكروا نصيحة النبي هذه أو يسكتوا حسب، بل ردوا عليه بعناد ولجاج وصلافة قائلين: يا محمّد انك ترى انا قومك لا يغرّنك أنك لقيتَ قوماً لا عِلمَ لهم بالحرب، فأصبتَ منهم فرصة، إنا واللهّ ولئن حاربناك لتعلمنَّ أنّا نحن الناس (أو أنّا واللهّ أصحاب الحرب، ولئِن قاتلتنا لتعلمنَّ أنك لم تقاتل مثلنا)!![1]

فلم تترك الكلمات التي يطفح منها ريح مؤذية يشتمها كل ذي ذوق سليم، فمتى كان أبطال قريش أقل شأنا من اليهود؟ بل ومتى كان لدى اليهود رجال لهم هيبتهم، وسمعتهم بين القبائل العربية؟ ولا تلتفت إلى ما يدعونه عن بعض رجالهم فما هي إلا دعايات جوفاء فارغة ينقصها الدليل.. فكلمات يهود «بني قينقاع» الجوفاء، وتشدقهم الفارغ بقوتهم وقدرتهم على القتال والمواجهة ما هي إلا من نفوسهم المليئة بالتكبر والتجبر المعروف فيهم، ولذا فلست تجد لكلامهم أدنى اثر في نفوس المسلمين حينئذ.

ولكن النبيّ ﷺ - رحمة بهم - قد أتم الحجة عليهم، فلم يعودوا معذورين حسب السياسة الاسلامية وأخلاقياتهم، ولا بد من الاحتكام إلى منطق السلاح بعد أن لم

---

(١) المغازي: ج ١ ص ١٧٥ و١٧٦، تفسير القمي ١: ٩٧ وإعلام الورى ١: ١٧٥ بلفظ آخر والمناقب ١: ١٩٠ مختصر الخبر وابن إسحاق في السيرة ٣: ٥٠ والواقدي في المغازي ١: ١٧٤

ينجع سلاح المنطق، ولم يقنع اليهود بضرورة تغيير مواقفهم، والتخلي عن مؤامراتهم وخططهم الايذائية ضد النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين[١].

١-غزوة بني قينقاع..

-**زمانها**: حاصرهم النبي صلى الله عليه وآله يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً (من الهجرة) إلى هلال ذي القعدة حيث قعد النبي فيه عن القتال..[٢].

-**مكانها**: محلَّة وديار بني قينقاع من المدينة لأنهم من ساكنيها..

-**أسبابها**:كبقية الحروب والغزوات لها أسبابها..

- **البعيدة**: الحسد للمسلمين، والحقد عليهم، فعقدة الحقارة من أعقد العقد في اليهود فما زالوا ينظرون إلى الناس نظرة دونية وهم أبناء الله وأحباؤه كما بين لنا القرآن حقيقتهم..

- **القريبة**: وكانت شرارة جلائهم عن المدينة خساسة من أحدهم تجاه امرأة عربية مسلمة، إذ جاءت المرأة التي كانت تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع وجلست عند صائغ من أجل حُليٍّ لها، وجاء رجل من يهود قينقاع فجلس من ورائها وهي لا تشعر فربط أسفل مدرعتها إلى ظهرها بشوكة (دبوس)، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها.

فقام رجل من المسلمين واتبع (الرجل اليهودي الذي فعل ذلك بها) فقتله! فاجتمعت بنو قينقاع على (المسلم) فقتلوه! و (بذلك بدت نواياهم الخبيثة) فأعلنوا الحرب على رسول الله صلى الله عليه وآله ونبذوا العهد بينهم وبينه[٣].

- **اللواء**: وكان لواء رسول الله مع سيدنا الحمزة بن عبد المطلب عليه السلام أسد الله

---

(١) سيرة سيد المرسلين السبحاني، ج٢

(٢) الواقدي؛ ١ : ١٧٦

(٣) مغازي الواقدي ١ : ١٧٦، ١٧٧. وابن هشام في السيرة ٣ : ٥١

وأسد رسوله.

الواقعة صارت لا بد منها قبل أن يستفحل الأمر لهؤلاء المتغطرسين، علما أن رسول الله ﷺ أعذر إليهم وقد تضمنت دعوته هذه لهم انذارا وتبشيرا: انذارا بحرب كحرب بدر لأنهم حاربوه ونقضوا عهده، وتبشيرا بأنهم لو دخلوا في الإسلام فالإسلام يجبُّ ما قبله، فلا يطالبهم بالانتقام للمسلم المقتول إلا قصاصاً بل وعفوا.

وقال الواقدي: ولقد كانوا أشجع اليهود، وقد كان عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي معهم في حلف سابق، وهو الذي كان قد أمرهم أن يتحصنوا، وزعم لهم أنه سيدخل معهم ولم يدخل.[١]

فأحسّ «بنو قينقاع» بخطر الموقف، وأدركوا انه لم يعد من الصالح أن يبقوا في أسواقهم، ويواصلوا البيع والشراء، وقد تلبّد الجوّ بالغيوم الداكنة على أثر العمل الفظيع والجناية الكبرى التي ارتكبوها، فتركوا أسواقهم بسرعة، وعادوا إلى قلاعهم المحصّنة، وتحصّنوا فيها، وكان ذلك منهم انسحاباً خانعاً بعد ذلك التشدّق الصلف!!

ولقد أخطؤوا هذه المرة أيضاً إذ ظنوا انهم مانعتهم حصونهم، من انتقام اللهّ، ولو أنهم اعتذروا لخطأهم، وأظهروا الندامة لكانوا يجلبون رضا المسلمين، ويحصلون على عفو النبيّ ﷺ وهم يعرفون خلقه العظيم، وصفحه الكريم، إلا أن تحصنهم كان آية عنادهم، واعلانهم الحرب، ونصبهم العداء الصريح للاسلام والنبيّ والمسلمين[٢].

فنادى بالمسلمين، وخرج قاصداً لبني قينقاع في محلتهم بعد أن استخلف النبي ﷺ على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، كما كان[٣].

وسار إليهم حسب الأوامر الإلهية فحاصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة أشد

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٧٨

(٢) سيرة سيد المرسلين للسبحاني، ١٢٦/٢

(٣) مغازي الواقدي ١ : ١٨٠ عن أبي بكر بن حزم

الحصار وهم لزموا حصنهم فما رموا بسهم ولا قاتلوا..[١] إذ قذف الله في قلوبهم الرعب، فقالوا: أفننزل وننطلق في البلاد خارج المدينة؟

قال رسول الله: لا، إلا على حُكمي.. فنزلوا على صلح رسول الله وحكمه، على أن تكون أموالهم لرسول الله..[٢]

وكانوا صاغة، فكانت لهم آلات للصياغة، وسلاح كثير، وأموال وديون، ولم تكن لهم مزارع ولا أراضي زراعية في المدينة..[٣] وصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على الجلاء عن المدينة، وأموالهم لله ورسول، ولهم أنفسهم والذرية والنساء..[٤].

فلما نزلوا وفتحوا حصنهم، أمر النبي صلى الله عليه وآله محمد بن مسلمة بقبض أموالهم، وأمر المنذر بن قدامة السلمي أن يربطهم، فكانوا يكتفون كتافاً.. فوثب ابن أبي السلول إلى النبي صلى الله عليه وآله فأدخل يده في جيب درعه من خلفه، (تأمل بهذا التصرف الأرعن أرجوك)، وقال: يا محمد! أحسِن إلى مواليَّ!

فتغير وجه النبي صلى الله عليه وآله وأقبل عليه مغضباً، وقال له: **ويلك أرسلني!**

فقال: لا أرسلك حتى تُحسن في موالي، أربعمئة دارع وثلاثمئة حاسر.. منعوني يوم بعاث (معركة لهم مشهودة) ويوم الحدائق من الأحمر والأسود تريد أن تحصدهم في غداة واحدة؟! إني والله امرؤ أخشى الدوائر.. وفيه نزل بعد ذلك قوله تعالى: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ**﴾[٥].[٦]

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٧٧ وفي السيرة ٣ : ٥٢

(٢) مغازي الواقدي ١ : ١٧٨

(٣) مغازي الواقدي ١ : ١٧٩

(٤) مغازي الواقدي ١ : ١٨٠

(٥) المائدة: ٥٢

(٦) وفي ابن هشام عن ابن إسحاق: أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع ٣: ٥٢، مغازي الواقدي ١ : ١٧٨ وفي السيرة ٣: ٥١، ٥٢.

وأمر رسول الله عبادة بن الصامت أن يجليهم عن المدينة لأنه جاء إلى رسول الله ﷺ بعهدهم وتبرأ منه ونبذه.. فجعلت قينقاع تقول له: يا أبا الوليد، تفعل بنا هذا ونحن مواليك من بين الأوس والخزرج؟!

فقال عبادة: لما حاربتم رسول الله ﷺ جئت إليه وقلت له: اني أبرأ إليك منهم ومن حلفهم.. فقال ابن أبي: تبرأت من حلف مواليك؟ ما هذه بيدهم (جزاءهم) عندك.. وذكَّره بمواطن بلائهم.

فقال عبادة: أبا الحباب أما والله انك لمعتصم بأمر سترى غِبَّهُ غداً، فلقد محا الإسلام العهود..

فقالت قينقاع: يا محمد، إن لنا دَيْناً في الناس وطلبوا التنفس.

فقال عبادة: لكم ثلاث، لا أزيدكم عليها، وهذا أمر رسول الله، ولو كنت أنا لما نفستكم.![1]

فأخذوا بالخروج..وجاء ابن أبي ببعضهم يريد أن يكلم رسول الله ﷺ أن يقرَّهم في ديارهم، فوجد على باب النبي عويم بن ساعدة، فذهب ليدخل فرده عويم، وقال: لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فدفعه ابن أبي، فغلظ عليه عويم ودفعه فجرح وجهه وسال دمه، فأخذ يمسح الدم عن وجهه، وتصايح حلفاؤه من اليهود؟!

قالوا: يا أبا الحباب لا نقيم بدار أصاب وجهك فيها هذا ولا نقدر أن نُغيِّره.! فجعل ابن أبي يصيح عليهم، يقول: ويحكم قروا! وجعلوا هم يتصايحون: لا نقيم بدار أصاب وجهك فيها هذا ولا نستطيع تغييره![2]

وقبض محمد بن مسلمة أموالهم وخمَّس رسول الله ﷺ ما أصاب منهم (وهو أول خمس خمَّسَهُ بعد آية الخمس) وقسم ما بقي على أصحابه، ووهب لمحمد بن مسلمة

---

(١) مغازي الواقدي ١ : ١٧٩

(٢) مغازي الواقدي ١ : ١٧٨

درعا من دروعهم، وأعطى سعد بن معاذ درعا يقال لها السحل.. وأخذ هو من سلاحهم ثلاث قسي: قوس تدعى الكتوم كسرت بأحد، وقوس تدعى الروحاء، وقوس تدعى البيضاء.. وأخذ من سلاحهم أيضا درعين: درعا يقال لها الصغدية وأخرى: فضة. وثلاثة أسياف: البتار والقلعي (نسبة إلى قلعة بالبادية) واليماني، وثلاثة أرماح، ولما مضت ثلاثة أيام خرج عبادة في آثارهم، حتى بلغ بهم خلف دُباب سالكين طريق الشام، ثم رجع.. فنزلوا في يهود وادي القرى وأقاموا فيهم شهرا.. وكانوا قد حملوا الذرية والنساء على الإبل وهم يمشون راجلين.. فحمل يهود وادي القرى من كان راجلا منهم، وأعانوهم، ثم ساروا حتى لحقوا بأذرعات (منطقة درعا السورية اليوم)، ولم يبقوا بها الا قليلاً..[1]

٢- غزوة بني النضير

- **بني النضير**: لقد فرح المنافقون ويهود بما أصاب المسلمين في معركة «أحد» وطاروا فرحاً بمصرع أولئك الرجال الأبطال الذين كان ذكرهم يرعبهم فظنوا الظنون بالرسول صلى الله عليه وآله والدعوة المباركة، فراحوا يطربون و يتغنون لذلك، وراودتهم أحلامهم بالانتصار على رسول الله صلى الله عليه وآله والإسلام، وباتوا يتحيّنون الفرصة لإثارة القلاقل والفتن في المدينة لنقض العهد الذي باتوا مستغنين عنه – حسب وجهة نظرهم القاصرة - وإفهام القبائل خارج المدينة بأنه لا توجد أية وحدة سياسيّةٍ وانسجام اجتماعيّ في مركز الاسلام، وعاصمة الحكومة الاسلامية، وأن في مقدور الأعداء الخارجيين أن يُجهزوا على حكومة الاسلام الفتية، ويقضوا عليها بسهولة!!

ونُطقت كلمات، وظهرت أعمال تشير إلى هذا المعنى الذي فهمه المسلمون جيداً، ولكن عظمة رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وأخلاقه الكريمة أبت أن يأخذهم بتلك الإشارات فأحب أن يقف صلى الله عليه وآله على حقيقة نوايا ودخائل يهود بني النضير فمشى إليهم في جماعة من أصحابه قاصداً إلى حصنهم استعانة على دية قتيل كما تنص المعاهدة المبرمة فيما

(١) (مغازي الواقدي ١ : ١٧٨ ـ ١٨٠. وأذرعات كانت أول بلدة بحدود الأردن من الحجاز

بينهم.

- **زمانها**: وقعت هذه الحادثة في شهر ربيع الأول في السنة الرابعة من الهجرة ونزلت سورة الحشر في شأنهم..

- **مكانها**: محلة وحصون بني النضير في المدينة..

- **أسبابها**:

- **البعيدة**: الحسد، والضغينة المتأصلة في اليهود..

- **القريبة**: كان السبب المباشر في جلاء بني النضير غدرهم ومحاولتهم اغتيال الرسول الأعظم ﷺ في ديرتهم..بحيث نقض بني النضير عهدهم لأنهم عندما أتاهم رسول الله ﷺ يستسلفهم - يعني يستقرض منهم - دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلة، (هو عمرو بن أمية الضمري الذي قتل رجلين عامريين مسلمين أو هما في جوار رسول الله) [1].

وقصد كعب بن الأشرف سيدهم.. فلما دخل على كعب (ومعه جمع من أصحابه) قال له: مرحباً يا أبا القاسم وأهلاً.. وقام كأنه يريد أن يصنع لهم الطعام، وحدَّث نفسه (بالغدر) أن يقتل رسول الله ﷺ ثم يتبعه أصحابه..

وبرواية أخرى: فلما وصل رسول اللهّ ﷺ الى حيث يسكن بنو النضير، وكلّمهم في أن يعينوه في تلك الدية، رحبوا به ظاهراً، ووعدوا بأن يلبّوا مطلبه، ثم إنهم خاطبوه قائلين: يا أبا القاسم نعينك على ما احببتَ.. ثم دعوه إلى أن يدخل في بيوتهم، ويقضي يومه فيها، قائلين: قد آن لك أن تزورنا، وأن تأتينا، إجلس حتى نطعمك، فلم يقبل رسول اللهّ ﷺ بتلبية مطلبهم، بل جلس مستنداً الى جدار بيت من بيوتهم واخذ يكلمهم..

ووجدوها فرصة ذهبية فقرر سيدهم كعب بن الأشرف الغدر كعادة اليهود.. فأرادوا أن يتخلصوا منه ﷺ باغتياله والغدر به على حين غفلة منه ﷺ، والفتك بأصحابه

(١) تفسير القمي ٢: ٣٥٨ و ٣٥٩

الذين جاؤوا معه.. فانتدبوا أحدهم وهو «عمرو بن الجحاش» لتنفيذ هذه الجريمة، وذلك بأن يعلو على البيت الذي استند رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جداره فيلقي عليه صخرة تقتله.

فنزل جبرائيل عليه السلام فأخبره بذلك.. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله كأنه يُريد أن يقضي حاجة، وعرف أنهم لا يقتلون أصحابه وهو حيٌّ، فأخذ الطريق نحو المدينة.. وكان كعب قد أرسل إلى بعض أصحابه ليستعين بهم على رسول الله، فاستقبلوا رسول الله صلى الله عليه وآله راجعاً إلى المدينة، فأخبروا كعباً بذلك، فأخبر أصحاب النبي برجوعه فساروا راجعين في أثره.. وكان عبد الله بن صوريا أعلمهم فقال لهم: والله إن ربه أطلعه على ما أردتموه من الغدر! ولا يأتيكم - والله - أول ما يأتيكم إلا رسول محمد يأمركم عنه بالجلاء.! فأطيعوني في خصلتين لا خير في الثالثة: أن تُسلموا.! فتأمنوا على دياركم وأموالكم، وإلا، فإنه يأتيكم من يقول لكم: اخرجوا من دياركم.! فقالوا: هذه أحب إلينا.! فقال: أما إن الأولى خير لكم منها، ولولا أن أفضحكم لأسلمت..[1]

-**اللواء**: كان مع أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام..

-**أحداثها**: وعندما رجع الأصحاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله قُمْتَ ولم نشعر؟ فقال صلى الله عليه وآله: «**همّت اليهودُ بالغدر بي، فأخبرني اللهُ بذلك فقمتُ**»[2].

وأخبرهم بنية الغدر التي بيتها كعب بن الأشرف، فغضب المسلمون لذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمحمد بن مسلمة الأنصاري: إذهب إلى بني النضير فأخبرهم: **إن الله - عز وجل - قد أخبرني بما هممتم به من الغدر.! فإما أن تخرجوا من بلدنا.! وإما أن تأذنوا بحرب.!**[3].

وبرواية أخرى: «**قد نقضتُم العهد الّذي جعلتُ لكم بما هممتُم به من الغدر**

(١) إعلام الورى ١ : ١٨٨

(٢) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٥٧، امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٧٨

(٣) تفسير القمي ٢ : ٣٥٩

بي..أُخرجُوا مِن بلادي فقد أجّلتكُم عشراً فمن رُئي بعد ذلك ضربتُ عنقه».

فأحدثت هذه الرسالة الشديدة اللهجة والساخنة المضمون انكساراً عجيباً في يهود بني النضير، وأخذوا يتلاومون، وأخذ يحمّل كل واحد منهم الآخر مسؤولية هذه القضية، وأعطاهم هذه المهلة للتشاور فيما بينهم، ثم بعثه إليهم ليعلم رأيهم..

فقالوا: نخرج من بلادك..إلا أن أهل النفاق يأبون إلا الشقاق وقد كان رأس هذا الحزب هو «عبد اللهّ بن أُبي» و«مالك بن أُبي» و.. و.. فلمّا سمع هؤلاء المنافقون بما يلقاه بنو النضير من رسول اللهّ ﷺ أرسلوا اليهم من يقول لهم: لا تخرجوا من دياركم وأموالكم، وأقيموا في حصونكم، فان معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب، يدخلون معكم حصنكم فيموتون من آخرهم قبل أن يوصل إليكم وتمدكم قريظة فانه لن يخذلونكم، ويمدّكم حلفاؤكم من غطفان؟! فلا تخرجوا، وأقيموا ونابذوا محمداً الحرب، فإني أنصركم أنا وقومي وحلفائي، فإن خرجتم خرجتُ معكم، وإن قاتلتم قاتلتُ معكم.!

ولقد جرأت هذه الوعود بني النضير، فانصرفوا عن فكرة الرضوخ لمطلب النبيّ ﷺ بالجلاء عن المدينة، فأغلقوا أبواب حصونهم، وأعدُّوا عدة الحرب، وعزموا على أن يقاوموا رسول اللهّ ﷺ مهما كلّف الثمن، ولا يسمحوا للمسلمين بأن يسيطروا على بساتينهم وممتلكاتهم دون عوض.

فنصحهم أحد كبرائهم وهو «سلام بن مشكم» وشكك في وعود عبد اللهّ بن ابي، واعتبرها وعوداً جوفاء، وقال: ليس رأي ابن أُبيّ بشيء، فهو واللهّ جلاؤُنا من أرضنا، وذهاب أموالنا، أو سباء ذرارينا مع قتل مقاتلينا..إلا أن حُيي بن أخطب أبى إلا الحرب..

فقام رسول الله ﷺ وكبَّر، وكبَّر أصحابه، وعقد الراية ودفعها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و قال له: تقدم إلى بني النضير..فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الراية وتقدم، وجاء رسول الله وأحاط بحصنهم وأمر بقطع نخلهم، فجزعوا من ذلك وقالوا: يا محمدا أيأمرك

الله بالفساد؟ إن كان هذا لك فخذه وإن كان لنا فلا تقطعه[١].

وضرب رسول الله قبته في أقصى بني خطمة من البطحاء (وهو الموضع الذي كان نفر من الأنصار يشربون فيه نبيذ التمر (الفضيخ) وبلغهم تحريم الخمر فأراقوا قربتهم، وبنوا فيه فيما بعد مسجدا أسموه مسجد الفضيخ.[٢].

فلما جنَّ الليل وحلك الظلام رماه رجل من بني النضير بسهم! فأصاب القبة! فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن تحول قبته إلى السفح، وأحاط به المهاجرون والأنصار.. فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام فقال الناس: يا رسول الله لا نرى عليا؟! فقال: **أراه في بعض ما يصلح شأنكم**.. فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي، وكان يقال له: عزورا (أو عازورا) فطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **كيف صنعت يا أبا الحسن؟** قال عليه السلام: **إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فقلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل يطلب منا غرة.! فكمنت له، فأقبل مصلتا بسيفه في تسعة نفر من اليهود، فشددت عليه وقتلته، وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريبا، فابعث معي نفرا فإني أرجو أن أظفر بهم.**

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبي صلى الله عليه وآله، فأمر أن تطرح في بعض آبار بني خطمة[٣].

وبعد ذلك قذف ربنا سبحانه في قلوبهم الرعب ليذلهم ويخزيهم، فقالوا: يا محمد نخرج من بلادك واعطنا مالنا.

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣٥٩

(٢) تأريخ المدينة لابن شبة ١: ٦٩(وهو جنوب مشربة أم إبراهيم في الشارع الموصل بين شارع العوالي وخط الحزام على طريق مستشفى المدينة الوطني كما ذكره عبد الرحمن خويلد في كتابه: المساجد والأماكن الأثرية المجهولة) وعنه في مجلة ميقات الحج ٧: ٢٧٥

(٣) الإرشاد ١: ٩٢، بحار الأنوار ٢٠: ١٧٢

فقال: **لا، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل**..فلم يقبلوا ذلك فبقوا أياماً، ثم قالوا: نخرج ولنا ما حملت الإبل وهنا أذكرك بهذه الخصلة المتجذرة ببني إسرائيل وهي: أنهم لا يفهمن الأمر من أول مرة فيطيعوا لا بل يشددوا على أنفسهم حتى يشدد الله ورسله عليهم، وقصة البقرة في سورة البقرة المباركة تعطي أوضح البيان عنهم.

فقال ﷺ: **لا، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئا، فمن وجدنا معه شيئا من ذلك قتلناه.!**

فخرجوا على ذلك، فلو خرجوا من أول مرة لغنموا الكثير ؛ فخرج قوم منهم إلى فدك ووادي القرى، وخرج الآخرون منهم إلى الشام[1]..وتوزعوا في البلاد فيما بعد إلى خيبر والحيرة وأريحا وأذرعات، لكل ثلاثة منهم بعير[2].

وجعل الله سبحانه أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يفعل بها ما يشاء، فقسمها بين المهاجرين الأولين، وأمر عليا عليه السلام فحاز (ملك) ما لرسول الله منها فجعله صدقة، وكانت بيده مدة حياته ﷺ، ثم بيد أمير المؤمنين عليه السلام بعده إلى أن صادره الخليفة الأول..

وتقدم النبي ﷺ للأنصار فقال: **إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديارکم، وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم، ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة؟** فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها.

وفيما كان من أمر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة وقتله اليهودي ومجيئه إلى النبي برؤوس التسعة يقول حسان بن ثابت:

لله أي كريمة أبليتها ببني قريظة، والنفوس تطلع

---

(١) تفسير القمي ٢ : ٣٥٩

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٩٧

أردى رئيسهم وآب بتسعة طورا يشلهم وطورا يدفع

ونقل العلامة الحلي عن السدي، قال: لما فتح الله بنى النضير فغنم أموالهم، قال عثمان بن عفان لعلي عليه السلام: ائت رسول الله فاسأله أرض كذا، فان أعطاكها فأنا شريكك فيها.. وأنا آتيه فاسأله ذلك، فان أعطانيها فأنت شريكي فيها.. فسأله عثمان قبل علي عليه السلام فأعطاه إياها، وأبى أن يشرك علياً معه، فدعاه إلى حكم النبي صلى الله عليه وآله فأبى ذلك أيضاً، فقيل له: لم لا تنطلق معه إلى النبي؟ قال: هو ابن عمه فأخاف أن يقضي له.. (تأمل بإيمان هذا الأموي أرجوك)..ولكن لما علم النبي صلى الله عليه وآله بذلك حكم بالحق لعلي عليه السلام.

ولكن أنّى لمثل عثمان الأموي البرجوازي أن يفهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحابي ولا يداهن ولا يحكم إلا بالحق وليس بالقرابة أو الصداقة أو المصلحة كما كانوا يفعلون هم..فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ينطق عن الهوى بل عن الوحي المقدس..

ب- الغزوات التي كان بها حرب وقتال..

١- غزوة بني المصطلق (المسيريع)

- **زمانها**: وقد اختلف الخبر عن تأريخ هذه الغزوة، فقيل: في سنة خمس للهجرة خرج النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، وقدم المدينة لهلال رمضان[١].

وقيل بل هي: في شعبان سنة ست[٢].

- **مكانها**: ماء المسيريع من ناحية قديد إلى الساحل بينه وبين الفرع نحو يوم[٣].

- **أسبابها**: ولهذه الغزوة أسبابها الوجيهة..

- **البعيدة**: ثأراً لبني قومهم من اليهود الذين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة، مع حسدهم الكبير، وحقدهم الدفين..

---

(١) الواقدي ١ : ٤٠٤

(٢) سيرة ابن هشام ٣٢: ٣٠٢

(٣) وفاء الوفاء ٢ : ٣٧٣

- **القريبة**: الغدر ونقض العهد، لأن بني المصطلق من خزاعة المتحالفة مع قريش، وكانوا ينزلون بناحية الفرع، وبدأ الركبان يأتون من ناحيتهم فيخبرون رسول الله أن الحارث بن أبي ضرار رأس المصطلق وسيدهم قد سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلى حرب رسول الله، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ بعث بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، فاستأذن النبي أن يقول ما شاء فأذن له.

فخرج حتى ورد ماءهم فوجد قوما مغرورين قد جمعوا الجموع. فقالوا له: من الرجل؟ قال: رجل منكم، قدمت لما بلغني عن جمعكم لهذا الرجل، فأسير في قومي ومن أطاعني، فتكون يدنا واحدة حتى نستأصله.. فقال له الحارث: فنحن على ذلك فعجِّل علينا.. فقال بريدة: اركب الآن فآتيكم بجمع كثيف من قومي ومن أطاعني فركب ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر القوم.

-**الرايات**:

- **المهاجرين**: مع عمار بن ياسر..

- **الأنصار**: مع سعد بن عبادة..

-**أحداثها**: فندب رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم، فأسرع الناس للخروج، وفيهم ثلاثون فارساً، عشرة من المهاجرين: وعشرون من الأنصار، وخرج مع رسول الله بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة مثلها قط، ليس لهم رغبة في الجهاد، ولكن قرب السفر عليهم، وأرادوا أن يصيبوا من عرض الدنيا وغنائم القوم ليقينهم بنصر رسول الله ﷺ.

وسلك رسول الله على الحلائق[1] فنزل بها، وفيها جاءه رجل من عبد القيس فسلم على رسول الله، فسأله: أين أهلك؟ قال: بالروحاء.. قال: فأين تريد؟ قال: جئت لأؤمن بك وأشهد أن ما جئت به الحق وأقاتل عدوك.. فقال رسول الله: **الحمد لله الذي هداك**

(١) المغازي ٢: ٤٠٥

للإسلام.. فلما أسلم قال: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: **الصلاة في أول وقتها**[١].

وكان الرجل قد التقى يوم أمس بمسعود بن هنيدة مولى أبي تميم وقد أعتقه، وكان أهله بموضع يعرف بالخذوات، وقد رغب الناس حولهم في الإسلام وكثر، قال: فتركت أهلي وجئت لأسلم على رسول الله ولقيت رسول الله صلى الله عليه وآله في بقعاء (موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة).[٢].

فقال له: يا رسول الله قد رأيتني أمس إذ لقيت رجلاً من عبد القيس فدعوته إلى الإسلام فرغبته فيه فأسلم.. فقال له رسول الله: **لإسلامه على يديك كان خيرا لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت**.. ثم قال له: **كن معنا حتى نلقى عدونا، فإني أرجو أن ينفلنا الله أموالهم وذراريهم**.

ثم قال: فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله قطعة من الإبل وقطعة من غنم.. فقلت: يا رسول الله كيف أقدر أن أسوق الإبل ومعي الغنم؟! اجعلها غنما كلها أو إبلا كلها.. فتبسم رسول الله وقال: **أي ذلك أحب إليك؟** فقلت: تجعلها إبلاً.. قال: **اعطه عشراً من الإبل**.. فأعطيتها..[٣]

وفي بقعاء صادفوا رجلاً من المشركين فسألوه: ما وراءك؟ وأين الناس؟ فقال: لا علم لي بهم.. فقال له عمر بن الخطاب: لتصدقن أو لأضربن عنقك.! فقال: أنا رجل من بني المصطلق، تركت الحارث بن أبي ضرار قد جمع لكم الجموع وجلب إليه ناسا كثيرا، وبعثني إليكم لآتيه بخبركم وهل تحركتم من المدينة.

فأتى عمر إلى رسول الله فأخبره الخبر فدعا به رسول الله ودعاه إلى الإسلام، فقال: لست بمتبع دينكم حتى أنظر ما يصنع قومي، فإن دخلوا في دينكم كنت كأحدهم، وإن

(١) المغازي ٢ : ٤٠٦

(٢) وفاء الوفاء ٢ : ٢٦٤

(٣) المغازي ٢ : ٤٠٩

ثبتوا على دينهم فأنا رجل منهم! فقال عمر: يا رسول الله أضرب عنقه؟ فأذن له، فضرب عنقه.. فذهب خبره إلى بني المصطلق فساء بذلك زعيمهم الحارث بن أبي ضرار ومن معه وخافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنه من كان قد اجتمع إليه من أفناء العرب حتى ما بقي منهم أحد سوى بني المصطلق.

وفي المريسيع: حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى ماء المريسيع فنزله، وضربت له قبة من أدُم.. وقد اجتمع بنو المصطلق على الماء وأعدوا وتهيئوا للقتال.. فصف رسول الله ﷺ أصحابه، ودفع راية المهاجرين - فيما قيل - إلى عمار بن ياسر (رضي الله عنه) وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة (رضي الله عنه).

وروى زيد بن طلحة: أن رسول الله أمر عمر فنادى فيهم: قولوا: لا إله إلا الله، تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم! فأبوا.. ورمى رجل منهم المسلمين فرماهم المسلمون بالنبل ساعة[1].

ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، قتل منهم عشرة واسر سائرهم[2].

فقتل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من (رؤوس) القوم هما مالك وابنه.. و سبى جويرية بنت الحارث أمير القوم، فجاء بها إلى النبي ﷺ، فاصطفاها النبي (عليه وآله الصلاة والسلام).

وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين، وبعد إسلام بقية القوم جاء الحارث أبو جويرية إلى النبي ﷺ بفداء ابنته فلما كان في وادي العقيق نظر الى الإبل التي جاء بها لفداء ابنته فرغبَ في بعيرين منها فغيَّبها في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال: يا محمَّد أصبتم إبنتي وهذا فداؤها، فسأله النبي

---

(١) المغازي ٢: ٤٠٤

(٢) إعلام الورى ١: ١٩٧ وهو لفظ الواقدي ٢: ٤٠٧

(عليه وآله السلام) عن الجملين الذين خبأهما في شعب العقيق.. فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك لرسول الله، والله ما عرف بهما أحد سواي! ثم قال: يا رسول الله، إن ابنتي لا تسبى إنها امرأة كريمة (ابنة سيد القوم).

فقال صلى الله عليه وآله: **اذهب فخيِّرها.**

قال: قد أحسنت وأجملت.. وجاء إليها أبوها، فقال لها: يا بُنية لا تفضحي قومك! فقالت له: اخترت الله ورسوله.! فقال لها أبوها: فعل الله بك وفعل.![1]

وأعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعلها في جملة أزواجه، فلما بلغ الناس أن رسول الله تزوج جويرية بنت الحارث قالوا: أصهار رسول الله.! فأرسلوا ما كان في أيديهم منهم فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها..[2]

وإليك رواية الغيورة، وهي رواية يأباها الضمير، والخُلق العظيم لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكن أنقلها لتعلم كيف أرادوا أن يوصلوا لنا صورة رسول الله صلى الله عليه وآله ذا الخلق العظيم، وأنا أبرأ إلى الله من تبعات هذا الحديث سلفاً، وهو لفظ الواقدي عن السيدة عائشة..

فقد روى الواقدي بسنده عن عائشة، قالت: بينا النبي صلى الله عليه وآله عندي ونحن على الماء (المريسيع) إذ دخلت عليه جويرية.. فقالت: يا رسول الله، إني امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له، فتخلصني من ابن عمه بنخلات له بالمدينة، ثم كاتبني على ما لا طاقة لي به ولا يدان، وما أكرهني على ذلك، إلا أني رجوتك - صلى الله عليك - فأعني في مكاتبتي.!

قالت عائشة (تأمل هنا أرجوك): وكانت جويرية جارية حلوة لا يكاد يراها أحد إلا ذهبت بنفسه.. فكرهتُ دخولها على النبي وعرفتُ أنه سيرى منها مثل الذي رأيتُ.! (فيا

---

(١) الإرشاد ١ : ١١٩. وقال الحلبي في المناقب ١ : ٢٠١

(٢) إعلام الورى ١ : ١٩٧

لله ماذا رأيتِ وأين فكرك دائماً).

فقال رسول الله ﷺ: أو خيرٌ من ذلك؟

فقالت: ما هو يا رسول الله؟

قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؟!

قالت: نعم يا رسول الله قد فعلت.! فأرسل رسول الله إلى ثابت فطلبها منه وأدى ما كان عليها من كتابتها وأعتقها وتزوجها.. وخرج الخبر إلى الناس ورجال بني المصطلق قد اقتُسموا ومُلكوا، ووطئ نساؤهم، فقالوا: أصهار النبي.! فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي، فأعتق مئة أهل بيت بتزويج رسول الله إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها[١].

ولكن الحقيقة نأخذها من صاحبة الشأن نفسها، وليس من ضرتها الغيورة جداً، وهو ما نقله الواقدي أيضاً، فقد روى بسنده عن مولاة جويرية عنها، قالت: إن أبي افتداني من ثابت بن قيس بن شماس بما كانت تُفتدى به المرأة من السبي، (فأبوها مَنْ افتداها)، ثم خطبني رسول الله ﷺ إلى أبي فأنكحني إياه (ورسول الله ﷺ خطبها ولم، ولن تتم بتلك الطريقة التي يأباها أي كريم على نفسه، فكيف يفعل ذلك صاحب الخُلق العظيم؟).

وإن رسول الله ﷺ هو الذي سماها جويرية وكان اسمها بَرَّة..وروى عنها - أيضا - قالت: رأيت قبل قدوم النبي - صلى الله عليه [وآله] وسلم - بثلاث ليال: كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري (فالأمر إلهي وتسديد وليس حلاوة وذهاب نفس منها)، فكرهت أن أخبرها (الرؤية) أحدا من الناس حتى قدم رسول الله ﷺ، فلما سبينا رجوت الرؤيا..[٢]

---

(١) الواقدي ٢ : ٤١١

(٢) الواقدي، ٢ : ٤١١

٢- غزوة بني قريظة

وقريظة: هم فخذ من جذام، ونزلوا بجبل يقال له قريظة فنُسبوا إليه، وقيل بل هو نسبة إلى جدهم قريظة، ولعل الجبل منسوب إليه[١].

-**زمانها**: إن النبي صلى الله عليه وآله سار إليهم يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، وهو اليوم الذي عاد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون من غزوة الأحزاب وكان بنو قريظة مع الأحزاب خارج حصونهم..[٢]

-**مكانها**: كانوا في جبل قريظة وهو على بعد يوم من المدينة..

-**أسبابها**:

- **البعيدة**: الخلاص من شر اليهود وجوارهم النكد..

- **القريبة**: نقض العهد وتحالفهم مع الأحزاب..

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **وأصبح رسول الله بالمسلمين حتى دخل المدينة، فضربت فاطمة ابنته غسولا، فهي تغسل رأسه.. إذ أتاه جبرئيل على بغلة معتجرا بعمامة بيضاء** (الإعتجار بالعمامة: شدها بلا إسدال شيء منها تحت الحنك) **عليه قطيفة من استبرق معلق عليها الدر والياقوت، وعليه الغبار.**

فقام رسول الله فمسح الغبار من وجهه.. فقال له جبرائيل: **رحمك ربك، وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء، ما زلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء، انهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب، فوالله لأدقنَّهم دقَّ البيضة على الصخرة. !وإن الله يأمرك أن لا تصلي العصر إلا ببني قريظة.**

---

(١) كما قال اليعقوبي ١ : ٥٢ ومكان هذا الجبل اليوم مقابل مستشفى المدينة الوطني في طريق خط الحزام العام إلى مسجد قباء، في الشارع الفرعي الأيسر بعد محطة البنزين لابن فارس، في أول شارع فرعي على اليمين قبل منازل الإسكان الحكومي. وحول الجبل خندق يصل إلى حزام الرجل حفره الشيخ عبد العزيز بن صالح الإمام الأسبق للمسجد النبوي الشريف، حيث بنى لنفسه قصرا بسفح الجبل

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٤٩٦

قال: فخرج رسول الله (من داره) فاستقبله حارثة بن النعمان.. فقال له: ادعُ لي علياً.. فجاء الإمام علي عليه السلام، فقال له: ناد في الناس: لا يُصلين أحد العصر إلا في بني قريظة.!

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله باللواء- لأن لواء الرسول في مرجعه من الخندق كان على حاله لم يُحل بعد- فدعا عليا عليه السلام فدفع إليه اللواء، وأمره بالتقدم، وسار رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه معه الراية العظمى (وكانت سوداء تدعى العقاب، وكان لواؤه أبيض).

وسار معه المهاجرون وبنو عبد الأشهل وبنو النجار لم يتخلف منهم أحد، وجعل النبي يسرب إليه الرجال، فما صلى بعضهم العصر إلا بعد العشاء..

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج، وقال له: انظر هل نزل بنو قريظة في حصونهم؟ فلما شارف سورهم سمع منهم الهجر (فعلم رجوعهم إلى حصونهم).

فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال: دعهم فإن الله سيمكن منهم، إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد ود لا يخذلك. فقف حتى يجتمع الناس إليك، وأبشر بنصر من عند الله، فإن الله تعالى قد نصرني بالرعب من بين يدي مسيرة شهر.

قال علي عليه السلام: فاجتمع الناس إليَّ، فسرت.. فقال لي النبي صلى الله عليه وآله حين توجهت إلى بني قريظة: سر على بركة الله تعالى، فإن الله قد وعدكم أرضهم وديارهم.! فسرت متيقناً لنصر الله - عز وجل -حتى ركزت الراية في أصل الحصن.

-محاصرة بني قريظة:

روي عن الإمام علي عليه السلام قال: وسرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا عليَّ، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو.! وقال آخر: أقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وسمعت راجزا يرتجز:

قتل عليٌّ عمراً ... صاد عليٌّ صقراً

قصـــــم عـــــليٌّ ظهـــــراً أبـــــرم عـــــليٌّ أمـــــراً

هتك عليٌّ ستراً

فقلت: **الحمد الله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك.. وسرت متيقنا بنصر الله - عز وجل - حتى ركزت الراية في أصل الحصن.. فاستقبلوني في صياصيهم (حصونهم) يسبون رسول الله صلى الله عليه وآله.. فلما سمعت سبهم له كرهت أن يسمع رسول الله ذلك، فعملت على الرجوع إليه، فإذا به قد طلع وسمع سبهم له.! فناداهم: يا إخوة القردة والخنازير، إنا إذا حللنا بساحة قوم (فساء صباح المنذرين)..ثم أمر فضربت خيمته بإزاء حصونهم**[1].

وأنزل رسول الله العسكر حول حصنهم فحاصرهم.. وبعد ثلاثة أيام نزل إليه عزال بن سموأل فقال: يا محمد! تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير: احقن دماءنا ونخلي لك البلاد وما فيها ولا نكتمك شيئا؟ فقال: **لا، أو تنزلون على حكمي**. فرجع[2] الرجل إلى حصنهم.

وقال الواقدي: لبس رسول الله الدرع والبيضة والمغفر وأخذ قناة بيده وتقلد ترساً وركب فرسه، وتلبس أصحابه السلاح وركبوا الخيل وحفوا به وهم ستة وثلاثون فارساً، والخيل والرجالة حوله حتى انتهى إلى بني قريظة فنزل على بئر لهم أسفل حرَّتهم، ثم قدم الرماة من أصحابه وأمرهم برميهم بالنبال[3].

وروى عن كعب بن عمرو المازني، قال: رميت يومئذ بما في كنانتي حتى أمسكنا عنهم بعد أن ذهبت ساعة من الليل.! ورسول الله واقف على فرسه وعليه السلاح وأصحاب الخيل حوله.. ثم أمرنا رسول الله فانصرفنا إلى معسكرنا، وكان طعامنا أحمال تمر بعث بها سعد بن عبادة، فبتنا نأكل منها، ورسول الله يأكل منها ويقول: **نعم الطعام**

---

(١) الإرشاد ١ : ١٠٩

(٢) تفسير القمي ٢ : ١٩

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٥٠٠

التمر.!

ثم كانت الغداة، فقدم رسول الله الرماة، وعبأ أصحابه فأحاطوا بحصونهم من كل ناحية، وجعل الرماة يرامونهم بالنبل والحجارة، يعقب بعضهم بعضا.. وروى عن محمد بن مسلمة، قال: جعلنا ندنوا من الحصن ونرميهم عن كثب، ولزمنا حصونهم فلم نفارقها حتى أمسينا..

وروى عن ابن عمر قال: كنا نقوم حيث تبلغهم نبلنا، وكانوا يرامونا من حصونهم بالنبل والحجارة أشد الرمي.! وقال ابن مسلمة: وما رجعنا إلى معسكرنا حتى أمسكوا عن قتالنا، وقالوا: نكلمك.. فانزلوا نباش بن قيس، فكلم رسول الله، فقال: يا محمد، ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير: لك الأموال والحلقة[1] وتحقن دماءنا، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري، ولنا ما حملت الإبل؟ فأبى رسول الله.. فقالوا: فتحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل؟

فقال رسول الله: **لا، إلا أن تنزلوا على حكمي**.. فرجع نباش إلى أصحابه بمقالة رسول الله[2].

شورى بني قريظة:

فحاصرهم رسول الله خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب؛ فلما أيقنوا أن رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم.. قالوا: ما هنَّ؟

قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم.. فقالوا: لا نفارق حكم

---

(١) السلاح

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٥٠٠ و ٥٠١

التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره.!

قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه فهلموا فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمنا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يهمنا، وإن نظهر لنجدن النساء والأبناء.! فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟! فما خير في العيش بعدهم.!

قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا فلعلنا نصيب منهم غرة! فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ؟! فقال لهم: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما.![1].

مشورة أبي لبابة وخيانته:

روى الزهري: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أبى إلا أن ينزلوا على حكمه، قالوا: أرسل إلينا أبا لبابة.. وكان ماله وعياله وولده عندهم فكان مناصحاً لهم[2].

فقال رسول الله: **يا أبا لبابة، ائت حلفاءك ومواليك.**

فأتاهم، فقالوا له: يا أبا لبابة، ما ترى؟ ننزل على حكم محمد؟ فقال: أنزلوا واعلموا أن حكمه فيكم الذبح - بالإشارة إلى حلقه -ثم ندم على ذلك، فقال: خنت الله ورسوله (بإفشاء السر للعدو).. ونزل من حصنهم ولم يرجع إلى رسول الله، ومر إلى المسجد وشدَّ في عنقه حبلاً ثم شده إلى الأسطوانة التي تسمى " أسطوانة التوبة الآن " وقال: لا أحله حتى أموت أو يتوب الله علي! فبلغ ذلك رسول الله فقال: **أما لو أتانا لاستغفرنا الله له، فأما إذا قصد إلى ربه فالله أولى به**[3].

---

(١) مجمع البيان ٨: ٥٥٢. ونقله ابن إسحاق بلفظه بلا إسناد ٣: ٢٤٦. ونقله الواقدي عن محمد بن مسلمة أكثر تفصيلا ٢: ٥٠١ و ٥٠٢

(٢) مجمع البيان ٤: ٨٢٣

(٣) تفسير القمي ١: ٣٠٣

وروي بسند عن السائب بن أبي لبابة عن أبيه، قال: لما أرسل بنو قريظة إلى رسول الله يسألونه أن يرسلني إليهم، دعاني رسول الله فقال: **إذهب إلى حلفائك، فإنهم أرسلوا إليك من بين الأوس**. قال: فدخلت عليهم فأسرعوا إلي وقالوا: يا أبا لبابة، نحن مواليك دون الناس كلهم.. وقام كعب بن أسد، فقال: أبا بشير، قد علمت ما صنعنا في أمرك وأمر قومك يوم الحدائق وبعاث وكل حرب كنتم فيها، وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا، ومحمد يأبى أن يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه، ولو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نكثر عليه جمعا أبدا... ثم قال كعب: فما ترى؟ فإنا قد اخترناك على غيرك؟ إن محمداً قد أبى إلا أن ننزل على حكمه، أفننزل؟

قال أبو لبابة: فقلت نعم فانزلوا.. وأومأت إلى حلقي أنه الذبح، ثم نزلت والناس ينتظرون رجوعي إليهم... وندمت واسترجعت وبكيت وأخذت من وراء الحصن طريقا آخر حتى جئت إلى المسجد فارتبطت إلى الأسطوانة المخلقة (المخلقة: المطلاة بالخلوق: نوع من العطر العربي قديما).. وبلغ رسول الله ذهابي وما صنعت، فقال: **دعوه حتى يحدث الله فيه ما يشاء، لو كان جاءني استغفرت له، فأما إذ لم يأتني وذهب فدعوه.!**[1]

وفي ليلة نزول بني قريظة على حكم رسول الله قام فيهم رجل يدعى عمرو بن سعدى، فروى الواقدي أنه قال لهم: يا معشر اليهود، إنكم قد حالفتم محمدا على ما حالفتموه عليه: أن لا تنصروا عليه أحدا من عدوه، وأن تنصروه على من دهمه، فنقضتم ذلك العهد الذي كان بينكم وبينه، فلم أدخل فيه ولم أشرككم في غدركم. فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية واعطوا الجزية ووالله ما أدري يقبلها أم لا؟ فقالوا له: نحن لا نقر للعرب بخرج في رقابنا يأخذوننا به، القتل خير من ذلك.! فقال لهم: فإني برئ منكم.

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٥٠٦ و ٥٠٧

وقام منهم أسد بن عبيد - ومعه ابنا أخيه أسيد وثعلبة ابنا سعيد - فقال لهم: يا معشر بني قريظة، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأن صفته عندنا، حدثنا بها علماؤنا وعلماء بني النضير. هذا أولهم - وأشار إلى حيي بن أخطب وكان قد دخل حصن بني قريظة بعد رجوع قريش - مع جبير بن الهيبان أصدق الناس عندنا، فهو قد خبرنا بصفته عند موته! فقالوا له: لا نفارق التوراة. فلما رأى هؤلاء النفر إباء قومهم نزلوا في تلك الليلة فأسلم هؤلاء الثلاثة وأما عمرو بن سعدى ففر على وجهه فلم يدر أين ذهب[1].

نزولهم على الحكم: وبقوا أياما، حتى جزعوا جزعاً شديداً وبكت النساء والصبيان.. فلما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر بالرجال فكتفوا وكانوا سبعمائة، وأمر بالنساء فعزلن.

(أمر رسول الله بأسرهم وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة، فكتفوا رباطا ونحوا ناحية.. وأخرجوا النساء والذرية من الحصون فكانوا ناحية.. واستعمل رسول الله عليهم عبد الله بن سلام.. وأمر رسول الله بجمع أمتعتهم وما وجد في حصونهم من الحلقة (السلاح) والأثاث والثياب.. فروى أنهم وجدوا فيها ألفي رمح، وألفا وخمسمئة سيف، وألفا وخمسمئة ترس وجحفة (من جلود) وثلاثمئة درع.. وأخرجوا أثاثا كثيرا وآنية كثيرة، وجرارا من خمر وسكر، فأراقوها ولم يخمسوها (وخمسوا ما عداها) وجمالا وماشية[2].

وقام الأوس إلى رسول الله فقالوا: يا رسول الله حلفاؤنا وموالينا من دون الناس، نصرونا على الخزرج في المواطن كلها، وقد وهبت لعبد الله بن أبي سبعمائة دارع وثلاثمائة حاسر في صحيفة واحدة، ولسنا نحن بأقل من عبد الله بن أبي! فلما أكثروا على رسول الله قال لهم: **أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم؟!**

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٥٠٣ و ٥٠٤. ابن إسحاق في السيرة ٣ : ٢٤٩

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٥٠٩ و ٥١٠

فقالوا: بلى، فمَنْ هو؟ قال: **سعد بن معاذ**. قالوا: قد رضينا بحكمه. فأتوا به في محفة، واجتمعت الأوس حوله يقولون له: يا أبا عمرو، اتق الله وأحسن في حلفائك ومواليك، فقد نصرونا ببعاث والحدائق والمواطن كلها. فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لاّ تأخذه في الله لومة لائم.!

فقال الأوس: وا قوماه! ذهبت - والله - بنو قريظة! وبكت النساء والصبيان حول سعد، فلما سكتوا قال لهم: يا معشر يهود! أرضيتم بحكمي فيكم؟ فقالوا: بلى قد رضينا بحكمك، وقد رجونا نصفك ومعروفك وحسن نظرك.! فأعاد عليهم القول، فقالوا: بلى يا أبا عمرو.! فالتفت إلى رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال: ما ترى بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟

قال ﷺ: **احكم فيهم يا سعد، فقد رضيت بحكمك فيهم**[1].

فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال وتُقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء..

فقال ﷺ: **لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبعة أرقعة** (يعني سماوات)..

وأمر النبي بإنزال الرجال وكانوا تسعمائة رجل[2]، فجيء بهم إلى المدينة.. وحبسوا في دور بني النجّار..

وقال الواقدي: فأمر بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية إلى دار ابنه الحارث، وأمر بأحمال التمر فنثرت عليهم.. وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع والثياب فحمل إلى دار بنت الحارث، وتركوا الإبل والغنم هناك ترعى في الشجر.

وخرج رسول الله ﷺ إلى موضع السوق[3]، فخندق فيه خنادق، وأمر بهم أن

---

(١) تفسير القمي ٢ : ١٩١، السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٠.

(٢) وقيل أنهم سبعمائة وفي سيرة ابن هشام تفصيل ج٣ ص٢٤١.

(٣) ما بين أحجار الزيت إلى موضع دار أبي جهم العدوي

يخرجوا، وتقدم إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن يضرب أعناقهم في الخنادق..[١]

مقتل كعب بن أسد:

قال القمي في تفسيره: فأخرج كعب بن أسد (سيد بني قريظة) مجموعة يداه إلى عنقه، وكان جميلاً وسيماً، فلما نظر إليه رسول الله، قال له: **يا كعب، أما نفعتك وصية ابن خراش الحبر الذكي الذي قدم عليكم من الشام، فقال: (تركت الخمر والخمور، وجئت إلى البؤس والتمور، لنبي يُبعث، مخرجه بمكة ومهاجرته في هذه البحيرة، يجتزئ بالكسيرات والتميرات، ويركب الحمار العاري[٢] في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى منكم، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر)!**

فقال كعب: قد كان ذلك يا محمد! ولولا أن اليهود يعيروني أني جزعت عند القتل لآمنت بك وصدقتك، ولكني على دين اليهود، عليه أحيى وعليه أموت! فقال رسول الله: **قدموه فاضربوا عنقه.** فضربت عنقه[٣].

ثم قدم حيي بن أخطب (سيد بني النضير) فقال له رسول الله: **يا فاسق، كيف رأيت صنع الله بك؟!** فقال: والله - يا محمد - ما ألوم نفسي في عداوتك، ولقد قلقلت كل مقلقل وجهدت كل الجهد، ولكن من يخذل الله يخذل[٤].

ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بد من أمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل.! ثم أقيم بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف! فقال له أمير المؤمنين: **إن خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرارهم يقتلون خيارهم فالويل لمن قتله الأخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأراذل الكفار.!**

---

(١) الإرشاد ١ : ١١١

(٢) ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله دنا من حصن بني قريظة على حمار

(٣) وفي مغازي الواقدي ٢ : ٥١٦ مختصرا

(٤) تفسير القمي ٢ : ١٩١ ومغازي الواقدي ٢ : ٥١٣

فقال حيي: صدقت.! لا تسلبني حلتي.. قال علي عليه السلام: **هو أهون عليَّ من ذلك..**

فقال: سترتني! سترك الله! ثم مد عنقه فضربه علي عليه السلام ولم يسلبه حلته، ثم قال لمن جاء به: ما كان يقول حيي وهو يقاد إلى الموت؟ قال: كان يقول:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى بلغ النفس جهدها وحاول يبغي العز كل مقلقل[1]

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

لقد كان ذا جهد وجد بكفره فقيد إلينا في المجامع يعتل

فقلدته بالسيف ضربة محفظ فصار إلى قعر الجحيم يكبل[2]

فذاك مآب الكافرين، ومن يطع لأمر إله الخلق في الخلد ينزل

واصطفى من نسائهم امرأة هي عمرة بنت خنافة أو ريحانة بنت عمرو بن خنافة وعرض رسول الله صلى الله عليه وآله عليها الإسلام فأبت إلا اليهودية.! فعزلها عن النساء، وبعد فترة أسلمت ريحانة، فعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها أو يبقيها في ملكه، فقالت: بل تتركني في ملكك فهو أخفُّ عليَّ وعليك! فتركها فكانت عنده حتى توفي عنها وهي في ملكه[3].

ونقل عن الزهري قوله: إنها كانت تحتجب في أهلها، وتقول: لا يراني أحد بعد رسول الله[4].

واستمر قتلهم في الصباح وقرب المساء من ثلاثة أيام، ولم يقتلهم في حر الظهر، رحمة بهم و قال صلى الله عليه وآله: **لا تجمعوا عليهم حرَّ الشمس وحرَّ السلاح، وأحسنوا إسارهم وقيلوهم (أجلسوهم) وأطعموهم الطيِّب واسقوهم العذب واسقوهم حتى يبردوا فتقتلوا**

---

(١) والمقلقل: المذهب في الأرض، أي في كل وجه. (أساس البلاغة: ٧٨٨)

(٢) أحفظه أي: أغضبه، محفظ أي: مغضب

(٣) في السيرة ٣: ٧٥٦ بتصرف

(٤) الواقدي في المغازي ٢: ٥٢٠

من بقي[١].

فقيل: أنه صلى الله عليه وآله إنما قتل منهم أربعمئة وخمسون رجلاً، وسبى سبعمئة وخمسين.[٢]

أخلاق نبوية وشفاعة مقبولة

وكان بنو قريظة حلفاء الأوس على الخزرج، فنصروهم عليهم يوم بعاث، فظفر منهم الزبير بن باطا بثابت بن قيس بن شماس من الخزرج أسيرا، فروى ابن إسحاق عن الزهري عن بعض ولد الزبير: أنه جز ناصية ثابت وخلى سبيله مناً عليه.. وكان الزبير يوم بني قريظة شيخا كبيرا أسيرا فأراد ثابت أن يرد عليه منته عليه في الجاهلية، فأتى النبي فقال: يا رسول الله، إنه قد كانت للزبير عليَّ مِنَّةٌ، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه.

فقال رسول الله: هو لك.. فأتاه فقال له: إن رسول الله قد وهب لي دمك، فهو لك.. قال الزبير: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟! فأتى ثابت إلى رسول الله، فقال له: بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، هب لي امرأته وولده، قال: هم لك.. فأتاه فقال له: قد وهب لي رسول الله أهلك وولدك، فهم لك..

قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم؟ فما بقاؤهم على ذلك؟! فأتى ثابت إلى رسول الله، فقال له: يا رسول الله ماله؟ قال: هو لك.. فأتاه ثابت فقال له: قد أعطاني رسول الله مالك، فهو لك. قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحي، كعب بن أسد؟ قال: قُتل.. قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قُتل. قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموأل؟ قال: قُتل. قال: فما فعل الحيان بنو كعب بن قريظة وبنو عمرو بن قريظة؟ قال: قتلوا. قال: يا ثابت، فإني أسألك بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش خير بعد هؤلاء.! فقدمه

---

(١) تفسير القمي ٢ : ١٩٢ الواقدي ٢ : ٥١٤

(٢) مجمع البيان ٨ : ٥٥٣

ثابت فضرب عنقه[١].

ونقل الواقدي الخبر ولكنه قال: قال الزبير: يا ثابت قدمني فاقتلني.. فقال ثابت: ما كنت لأقتلك.. فقال الزبير: ما كنت أبالي من قتلني.! ولكن يا ثابت، انظر إلى امرأتي وولدي فإنهم جزعوا من الموت فاطلب إلى صاحبك أن يطلقهم ويرد إليهم أموالهم. فأدناه ثابت إلى الزبير بن العوام فقدمه فضرب عنقه.. ثم طلب ثابت من رسول الله في أهل الزبير وولده وماله.. فترك رسول الله أهله من السبا، ورد على ولده الأموال من النخل والإبل والرثة، إلا الحلقة (السلاح)، فكانوا مع آل ثابت بن قيس بن شماس[٢].

تقسيم الغنائم وبيعها:

قال الطبرسي في (مجمع البيان): ثم قسم رسول الله نساءهم وأبناءهم وأموالهم على المسلمين، وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصاري، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا[٣].

وزاد ابن إسحاق: ثم إن رسول الله أخرج الخمس من أموال بني قريظة وقسم ما سواه على المسلمين، فكان للفارس ثلاثة أسهم: سهمان للفرس وسهم للفارس، وسهم للراجل[٤].

وزاد الواقدي: أن المسلمين كانوا ثلاثة آلاف والخيل فيهم ستة وثلاثون فرسا، فكانت الأسهم على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما: للفرس سهمان ولصاحبه سهم.. وروى: أنها جزئت خمسة أجزاء فأخرج خمسه قبل بيع المغنم فأخذ خمسه، فكان يهب ويخدم من أراد ويعتق منه، وكذلك صنع بما أصاب من أثاثهم فقسمها قبل أن تباع، وكذلك عزل خمس النخل.. والذي قسم المغنم بين المسلمين محمية بن جزء الزبيدي..

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ص٢٤٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٥٢٠

(٣) مجمع البيان ٨: ٥٥٣. ونحوه في السيرة

(٤) سيرة ابن هشام ٣: ٢٥٥

وروى: أنه صلى الله عليه وآله قال يومئذ: **لا يفرق بين الام وولدها حتى يبلغوا**. فقيل: يا رسول الله، وما بلوغهم؟ قال: **تحيض الجارية، ويحتلم الغلام**.. فكانت الام تباع مع ولدها الصغار، ويفرق بين الام والبنت إذا بلغت، وكذا بين الأختين إذا بلغتا، فإذا كان الولد صغيرا لا أم له لم يبع إلا من المسلمين..وبعث طائفة منهم إلى الشام مع سعد بن عبادة يبيعهم ويشتري بهم خيلاً وسلاحاً.. وبعث طائفة أخرى إلى نجد[1].

شهادة عظيمة وتشييع مهيب

لكل إنسان مقامه، ولكل عظيم منزلته، فالشهادة بحدِّ ذاتها عظيمة فكيف إذا كان الشهيد سعد بن معاذ البطل، فإن ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله مع سعد لم يذكر لأحد من الأصحاب، وحتى أقرب المقربين، لأن سعداً كان كبيراً فإنه ممن كان يقرأ: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ**﴾ في كل حالاته نائما أو قائما، سائرا أو راكبا، في ليله ونهاره، كما تفيد الرواية الشريفة الواردة..

فقيل: أنه لما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ، (لأنه دعا الله تعالى أن يرزقه الشهادة كما مرَّ معنا من قبل) فرده رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الخيمة التي ضربت عليه في المسجد.

وقال الواقدي: ودخل عليه رسول الله يعوده في نفر من أصحابه، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه وجعل رأسه في حجره، ثم قال: **اللهم إن سعدا قد جاهد في سبيلك وصدق رسولك وقضى الذي عليه، فاقبض روحه بخير ما تقبض فيه أرواح الخلق.**

ففتح سعد عينيه، فقال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنك قد بلغت رسالته. فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه من حجره وقام ورجع إلى منزله، فمكث ساعة من نهار أو أكثر من ساعة فمات (إلى رحمة الله).. ونزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمد، مَنْ هذا الرجل الصالح الذي مات فيكم؟ فتحت له أبواب السماء، واهتز له

---

(١) ن.م: ص٢٤٥.

عرش الرحمن؟

فقال رسول الله ﷺ لجبرائيل: **عهدي بسعد بن معاذ وهو يموت**.. ثم خرج فزعاً إلى خيمة كعيبة يجرُّ ثوبه مسرعاً، فوجد سعداً قد مات..

فأمر رسول الله ﷺ أن يُغسل، فغسله ابن أخيه الحارث بن أوس بن معاذ، وابن عمه أسيد بن حضير، وكان سلمة بن سلامة يصب الماء، ورسول الله ﷺ حاضر، فغسل بالماء الأولى، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور، ثم كفن في ثلاثة أثواب صحارية (من صحار في عمان) وأدرج فيها إدراجاً.

وأتي بسرير كان عند آل سبط يُحمل عليه الموتى فوضع على السرير، ورأوا رسول الله ﷺ يحمله بين عمودي سريره حين رفع من داره إلى أن اخرج.. وخرج الناس معه فلما برز إلى البقيع قال: خذوا في جهاز صاحبكم..

وبرواية عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: **فلما حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله بلا حذاء ولا رداء، ثم كان يأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهي به إلى القبر، فنزل رسول الله حتى لحده وسوى عليه اللبن وجعل يقول: ناولوني حجرا ناولوني ترابا فيسد به ما بين اللبن.. فلما أن فرغ وحثا عليه التراب وسوى قبره قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم أنه سيبلى ويصل البلى إليه ولكن الله يحب عبدا إذا عمل عملا أحكمه!**

فلما أن سوى التربة عليه قالت أم سعد – من جانب –: يا سعد هنيئا لك الجنة! فقال رسول الله ﷺ: يا أم سعد لا تجزمي على ربك، فإن سعدا قد أصابته ضمة (القبر وضغطته)!

فلما رجع رسول الله ﷺ ورجع الناس قالوا له: يا رسول الله، لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا حذاء ولا رداء؟! فقال: **إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسيت بها.!**

قالوا: وكنت تأخذ يمنة السرير ويسرته؟! فقال: **كانت يدي بيد جبرائيل عليه السلام آخذ حيث يأخذ.!**

فقالوا: أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره ثم قلت: **إن سعدا قد أصابته ضمة! فقال: نعم، إنه كان في خلقه سوء (أو كان به زعارة) مع أهله..**[1]

روى أبو سعيد الخدري، قال: كنت أنا ممن حفر له قبره عند دار عقيل - اليوم - وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره من تراب حتى انتهينا إلى اللحد.. وطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد فرغنا من حفرته ووضعنا اللبن والماء عند القبر.. فوضعه رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره ثم صلى عليه والناس قد ملؤوا البقيع.. وروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: نزل في قبره أربعة نفر: ابن أخيه الحارث بن أوس بن معاذ، وابن عمه أسيد بن حضير، وأبو نائلة، وسلمة بن سلامة. ورسول الله صلى الله عليه وآله واقف على قدميه على قبره، فلما وضع في لحده تغيَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسبَّح ثلاثا، فسبح المسلمون ثلاثا حتى ارتج البقيع، ثم كبر رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثا، فكبر أصحابه ثلاثا حتى ارتج البقيع بتكبيره.

فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك: يا رسول الله رأينا لوجهك تغيراً وسبحت ثلاثا؟! قال: **تضايق على صاحبكم قبره، وضُمَّ ضَمَّةً لو نجا منها أحد لنجا منها سعد، ثم فرج الله عنه.!**[2]

وروى عن المسور بن رفاعة قال: جاءت أم سعد تنظر إليه في اللحد، فردها الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعوها.. فأقبلت حتى نظرت إليه وهو في اللحد قبل أن يبنى عليه اللبن والتراب، فقالت: أحتسبك عند الله.! وعزاها رسول الله صلى الله عليه وآله على قبره، وجعل المسلمون يردون تراب قبره ويسوونه، وتنحى رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس حتى سوي على

---

(١) أمالي الصدوق وأمالي الطوسي: ٤٢٧ ح ٩٥٥ وعنهما في بحار الأنوار ٢٢: ١٠٧ و ١٠٨

(٢) السيرة ٣: ٢٦٢

قبره ورشّ على قبره الماء؛ ثم أقبل فوقف عليه فدعا له وانصرف[١].

نقد وتحليل غزوة بني قريظة:

عمل الإمام علي عليه السلام فيها

وتجلت شخصية الإمام عليه السلام في هذا التحرك أيضا، وكان دوره فيه لافتا للنظر لأمور:

١ - كانت راية الإسلام الخفاقة بيده المباركة.[٢].

٢ - كان قائداً لمقدمة الجيش المتوجه إلى العدو الغادر..[٣]

٣ - كان بنو قريظة قد تسامعوا به، ولما رأوه، قالوا: جاء قاتل عمرو بن عبد ود؛ يقول ابن هشام: نزل بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ ؛ لأن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: **والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم..**[٤]

٤- صاحب الفتح الموعود، قال عليه السلام: **وكان النبي صلى الله عليه وآله قال لي حين توجهت إلى بني قريظة: سِر على بركة الله ؛ فإن الله قد وعدك أرضهم وديارهم.. فسرت مستيقنا لنصر الله عز وجل حتى ركزت الراية في أصل الحصن..**[٥]

٣- غزوة خيبر وفتحها

إنّ خيانة، وخباثة ولؤم يهود خيبر حملت رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يقضي على بؤرة المؤامرة ومركز الفساد والخطر هذا، وأن يجرّد سكانها جميعاً من السلاح، لأنه كان يخشى أن يعود هذا الشعب المعاند الخبيث - ببذل الأموال الطائلة - إلى تأليب العرب

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٥٢٥ ـ ٥٣١

(٢) الطبقات الكبرى: ٢ / ٧٤، تاريخ الطبري: ٢ / ٥٨٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٣١١، السيرة النبوية لابن هشام: ٣ / ٢٤٥، الكامل في التاريخ: ١ / ٥٧٣ ؛ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٥٢

(٣) تاريخ الطبري: ٢ / ٥٨٢، السيرة النبوية لابن هشام: ٣ / ٢٤٥، المغازي: ٢ / ٤٩٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٣١١، الكامل في التاريخ: ١ / ٥٧٣ ؛ الإرشاد: ١ / ١٠٩

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٣ / ٢٥١ ؛ الإرشاد: ١ / ١٠٩

(٥) الإرشاد: ١ / ١٠٩، كشف اليقين: ١٥٨ / ١٧٠، بحار الأنوار: ٢ / ٢٦٢ / ١٩

الوثنيين مرة أُخرى ضد المسلمين ويعيدوا قصة الأحزاب مرة أُخرى.. وخاصة أن تعصّب اليهود لدينهم ومعتقدهم كان أشدّ من تعصّب قريش للوثنية، ولهذا التعصب كان يسلم ألفُ مشرك وثنيّ ولا يدع يهوديُ واحد دينه، ومعتقده!!

- **زمانها:** يذهب ابن هشام في سيرته: إلى ان خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر كان في المحرمّ..[1] السنة السادسة للهجرة،وقيل بل كانت في جمادى الأولى.. بينما ذهب ابن سعد في الطبقات الكبرى: إلى انه كان في جمادى الثانية من السنة السابعة..[2]

وحيث ان ارسال الرسل الى المدوك والامراء تم في شهر محرم من هذه السنة ذاتها لذلك يكون الرأي الثاني أقرب إلى الصحة، وخاصة أن مهاجري حبشة التحقوا برسول الله صلى الله عليه وآله في خيبر بعد وصول رسالة النبي صلى الله عليه وآله إلى النجاشي بوساطة «عمرو بن أُمية» لان ذهاب رسول النبي صلى الله عليه وآله إلى الحبشة وعودته مع المهاجرين الى المدينة ثم خيبر بحاجة إلى زمان، وحيث ان توجه الرسل والسفراء كان في شهر محرم لذلك يجب ان يكون قتال الخيبريين في الاشهر التالية[3].

فالأمر بالتهيؤ للغزوة كان في ذي الحجة من سنة ست، وأما التحرك لها فكان أول سنة سبع من الهجرة الشريفة، والقتال فيها كان متأخراً عن هذا التاريخ حتى جمادى.

-**مكانها:** في منطقة خيبر وحصونها، وكانت خيبر منطقة واسعة وخصبة تقع على بُعد اثنين وثلاثين فرسخاً شمال غربي المدينة تبعد عنها حوالي (٢٠٠) كيلومتر..[4]

سكنها اليهود قبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وبنوا فيها سبع قلاع وحصون قوية لتحصنهم وتحفظهم،و كان لكل حصن من حصون خيبر السبعة اسم خاص يعرف به فهي عبارة عن: «ناعم» و«القموص» و«الكتيبة» و«النطاة»، و«شقّ» و«سطح»، و«سلالم»، وربما

---

(١) السيرة ج ٢ ص ٣٢٨

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٧

(٣) سيرة سيد المرسلين للسبحاني، ج٢

(٤) (معجم البلدان: ٢ / ٤٠٩، الطبقات الكبرى: ٢ / ١٠٦

سمّي بعض هذه الحصون باسم زعيم الحصن وسيّده، مثل حصن مرحب[١].

وحيث أن التربة خصبة، والمناخ جميلاً ومعتدلاً في تلك المنطقة فكانت مكاناً جيداً وصالحاً للزراعة، ولذا فإن سكانها اليهود كان لهم خبرة واسعة، ومهارة جيدة في أُمور الزراعة وجمع المحاصيل، وتهيئة وسائل الدفاع والقتال، وإعداد السلاح والقوة.

-**أسبابها**: وأما عن أسبابها فإنها..

- **البعيدة**: تطهير الجزيرة العربية من رجس اليهود.

- **قريبة**: إن أكبر ذنب اقترفه يهود «خيبر» هو أنهم شجّعوا جميع القبائل العربية على محاربة الحكومة الاسلامية والقضاء عليها، واستطاع جيش الاحزاب المشرك بمساعدة يهود «خيبر» أن يتحركوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة واستئصال المسلمين في أكبر تحالف عسكري واتّحاد نظاميّ من نوعه في ذلك العصر

- **أعداد الجيش**: أعداد المسلمين كانت قليلة نسبةً لليهود..

- **المسلمون**: قيل خرج مع رسول اللهّ ﷺ الى خيبر ما يقرب من ألف وستمائة مقاتل، بينهم مائتا فارس..[٢]

- **اليهود**: كان عدد نفوسها في المنطقة كلها ما يقارب عشرين الف نسمة بينهم ألفان من المقاتلين الأشداء المعروفين لديهم..[٣]

أحداث غزوة خيبر

للأسباب والعوامل والاعتبارات السابقة أمر رسول اللهّ ﷺ المسلمين بالتهيّؤ لغزو خيبر آخر مركز من مراكز اليهود فيما يحيط بالمدينة وبالتالي في الجزيرة العربية، وقال: «**لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد أما الغنيمة فلا**».

---

(١) ن م: ص ٣٩١

(٢) الامالي للطوسي: ص ١٦٤

(٣) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٦، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٤٦

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف على المدينة «نميلة بن عبد الله الليثي»، ودفع راية بيضاء الى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأمر المسلمين بالتوجه إلى خيبر، ولكي تسرع الابل في سيرها ويفاجئ العدو أذن لعامر بن الاكوع أن يحدوا بالابل لان الابل تُستَحبّ بالحداء، فأخذ يرتجز قائلاً:

والله لولا الله ما اهتَدينَا ولا تصَدّقنا ولا صَلَّينا

إنّا إذا قوم بَغُوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

فَأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وقد عكست هذه الأبيات الجميلة جانباً من هدف هذه الغزوة، فهي تفيد أن اليهود ظلمونا، وأشعلوا نيران الفتنة وقد خرجنا لاطفائها، وتحمّلنا في سبيل ذلك عناء هذا السفر.

ولقد سُرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بمضامين هذه الابيات فدعا لابن الاكوع، وقال: «يرحمك الله» وقد استشهد ابن الاكوع هذا في هذه الغزوة[1].

خطة التحرك وسرية الحركة

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله مسدداً في كل الأمور ولذا فإنك تراه بارعا وموفقا في كل قرار يتخذه، ومن دروسه في المسير والتحرك العسكري أنه كان يراعي مبدأ الاستتار في جميع تحركاته العسكرية، فقد كان يحب أن لا يعرف العدوُّ بمسيره ومقصده حتى يفاجئ العدو ويباغته، ويحاصره قبل أن يستطيع فعل شيء، وبذلك يحقق هدفين اثنين هما:

١- يفاجئ العدو فيبهته ويحيره بأمره فيحطم معنوياته وإرادته بالقتال..

٢- يمنع عنه الإمداد والمعونات الخارجية وهذا أهم من الأول..

وفي غزوة خيبر اعتمد الرسول القائد صلى الله عليه وآله على هذه الخطة فحقق الهدفين المشار إليهما سابقاً كيف ذلك؟

---

(١) سيرة سيد المرسلين للسبحاني، ج٢/ ٣٨٩

١- **المفاجأة**: وهذا من أهم أسباب الإنتصار على العدو المتفوق لما للمفاجأة من وقع على النفوس وبلبلة للصفوف وتحير للقادة واضطراب في الشعب الذي يفاجأ بجيش يريد غزوهم لقتل الرجال وسبي النساء والأطفال..وبالفعل فإن جيش المسلمين الذي لا يتجاوز ألف وستمائة مقاتل وهم بعيدون أكثر من ٢٠٠ كم من المدينة واليهود في قلاعهم وهم يزيدون على العشرين ألف، إلا أن المفاجأة فعلت فعلها بالروح المعنوية لدى الجميع..

٢- **منع الإمداد الخارجي**: تحركت طلائع الجيش الإسلامي متجهة إلى الشمال، فمن رآهم تصوّر أن رسول الله ﷺ يقصد منطقة الشمال (شمال المدينة) وذلك لتأديب قبائل غطفان وفزارة الذين تعاونوا مع الأحزاب واليهود في معركة الخندق، ولكنه عندما وصل إلى منطقة «الرجيع» عرَّج بجيشه صوب «خيبر» وبهذا قطع الطريق على أية إمدادات عسكرية من ناحية الشمال إلى خيبر، بقطع خطّ الارتباط بين قبائل عطفان وفزارة ويهود خيبر، فمع ان حصار خيبر طال مدة شهر واحد تقريباً لم تستطع القبائل المذكورة ان تمدّ حلفاءها اليهود بأي شيء..[1].

هذا مُضافاً إلى ناحية أُخرى وهي أن يظن حلفاء العدوّ الذي يقصده ويريد الإيقاع به، بأنه يقصدهم ويسير إليهم، فيدب الذعر في قلوبهم فيغلقوا على أنفسهم أبواب منازلهم ولا ينضم بعضهم الى بعض، أو يفكروا بمساعدة أحد لأنهم سيكونون بحاجة لمساعدة إذا ما غزاهم جيش الإسلام الظافر.

وتقدم الجيش بأمان إلى أن وصل إلى الهدف المنشود (خيبر) وعندما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر توجه إلى الله تعالى ودعا بهذا الدعاء الذي يكشف عن نيته الحسنة تجاه أعدائه «**اللهّم ربَّ السماوات وما اظللنَ، وربَّ الارضيين وما اقللنَ، وربَّ الشياطين وما اضللنَ، وربَّ الرياح وما أذرينَ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها**

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٠ لابن هشام.

ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها»[١].

فدخل اليهود قلاعهم وأغلقوا عليهم أبوابهم وراحوا يضربون أخماساً بأسداس ولا يجدون مهرباً أو ناصرا أو معينا لهم في هذه النازلة الكبرى عليهم إلا الإستسلام وبالتالي القتل أو الجلاء عن بلادهم وأخذ أموالهم وتشريدهم في البلاد كمن سبقهم من إخوانهم إخوان الشياطين ولعنة الممسوخين..

حالة العدو الدفاعية

سبحان الله ؛ إن الدارس لحياة ومسيرة هؤلاء اللعناء (اليهود) من بني البشر تدلك على أنهم أقل شعوب الأرض استجابة للتقدم الحضاري والقيمي وذلك راجع إلى عقيدة (أبناء الله وأحباؤه) عندهم، وعقدة الحقارة فيهم..

فالأولى (العقيدة) جعلتهم متجبرين ومتغطرسين على بني جلدتهم من البشر الذين **(هم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)**[٢]..كما قال أمير المؤمني علي عليه السلام ولكنهم يقولون لا نظير لنا في الخلق فنحن أبناء الله، وبقية البشر ما هم إلا عبيد لنا، ويتعاملون مع الآخرين بهذا المنظار فتراهم منغلقين على أنفسهم لا يألفون أحد ولا يحبهم أحد..

وأما الثانية (العقدة) فهي ناتجة من الأولى لأن من يحتقر الناس يحتقرونه، وما من أحد يحتقر الناس إلا لأنه حقير ذليل في نفسه – كما أكد علماء النفس حالياً – فالشهم الأبي يحترم الآخرين ليس ليفرض إحترامه عليهم ولكن لأنه هو نفسه محترماً فتكون طباعه سوية ومحترمة، فيحترمه العدو والصديق على السواء، والغريب قبل القريب، فالإنسان جُبل على الخير وحب الكمال، لا سيما في القيم والأخلاق والفضائل وكل هذا حُرم منه اليهود لخساسة طبعهم، ودناءة نفوسهم..

---

(١) ن.م: ج٢ ص٣٢٩.

(٢) نهج البلاغة عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر.

وهذا ما عبَّر عنه ربنا سبحانه وتعالى بقوله عنهم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللهِّ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِّ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِّ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[1].

فعندما غيَّروا طباعهم وأصروا عليها بدَّل الله سبحانه الطباع الحسنة بما تتطبعوا عليه من الخسة والدناءة، فاستعاضوا العزة بالذل، والفخر بالمسكنة، والشهامة بالدياسة، والفضل بالخساسة، والشجاعة بالجبن، والخير بالشر، والنور بالظلام..وهل هناك غضب أكثر من هذا الغضب الذي يجعل منهم لعنة الجماهير في كل زمان ومكان وأينما حلوا أو ارتحلوا فلا أحد يطيقهم ولا هم أنفسهم يطيقون أنفسهم..

فالدارس لكتاب الله العظيم (القرآن الحكيم) يجد الوصف الدقيق لهم، وبما أننا في الحرب فإننا سنعرض لهذا الجانب، فربنا سبحانه وتعالى قال لنا عنهم: ﴿أَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللهَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.[2]

وهنا النكتة الدقيقة إذا تأملت بها جيداً: اليهود يخافون من الناس ولا يخافون من الله، لأن عقيدتهم أنهم أبناؤه وأحباؤه والوالد والحبيب لا يعذب حتى المذنب من أبنائه وأحبابه، ولهذا قال ربنا سبحانه عنهم: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ فلو فقهوا عن الله تعالى ووحدوه حقاً لما اعتقدوا هذه العقيدة الفاسدة أساساً فليس لله والد ولا ولد سبحانه وتعالى عما يقوله اليهود وأمثالهم..

والخوف من الناس جعل اليهود لا يفكرون إلا بالتحصن من البشر بما يرد غاراتهم

---

(١) آل عمران: ١١٢

(٢) الحشر: ١٣ـ١٤.

عليهم فتراهم من أقدم العصور ما نزلوا في مجتمع إلا وبنوا جدراً وقلاع، وتحصنوا بالحصون ظنا منهم أن هذا يرد عنهم عادية البشر، وأمنوا مكر الله فكانوا عرضة للذل على أيدي المؤمنين بالله في كل العصور، ورغم كل تلك الإنتكاسات لم يستفيدوا من آلاف وربما ملايين الدروس عبر التاريخ الطويل لهم، وما نراه اليوم على أرض فلسطين أكبر شاهد على هذه العقيدة الباطلة، وعلى تلك الأوهامة التي ما زالوا يعيشون فيها وما فهموا أن الجدران لا تقي، وأن الكيبوتزات ستكون وبالا عليهم، وأن الحصن الحقيقي الذي يحفظ الإنسان، هو عقيدته بالتوحيد الخالص المخلص لله، وشجاعة القلب الذي هو عرش الله، فمن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء..

تلك هي المعادلة التي تتكرر معهم في كل مجتمع، وفي كل مكان نزلوه وما زالوا مصرين على عنادهم معتقدين سلامتها، فكيف يعتقدون بالتجربة وتكرارها في العلوم كلها ليصححوا النظريات العلمية، ويصرون على إعادة التجربة الفاشلة في الاجتماع، فجربوا غيرها أيها الأغبياء..

فبنوا آلاف القلاع، وشيدوا آلاف الحصون ولكن لم يسألوا أنفسهم الخبيثة هذا السؤال: هل حمتكم تلك القلاع، أو حصنتكم تلك الحصون من الآخري يوماً؟ لم يستفيدوا من كل تلك التجارب فها هي تجربة اليوم ماثلة أمامنا فرغم القوة الهائلة التي يتبجحون بها، وكل دول العالم تنصرها وتساندها وتؤيدها ولو ظاهرياً، لاسيما دول القوة والمال الثمانية وعلى أقدامهم الولايات المتحدة الأمريكية وذيلها انكلترا..هل فادهم شيء أمام القوة البسيطة لرجال الله من حركة المقاومة الإسلامية، وحزب الله بالخصوص في الجنوب اللبناني البطل؟

حيث صبُّوا كل حقدهم، وحسدهم، وغيظ قلوبهم، وحقارتهم، ونذالتهم وبدون أدنى شيء من القيم -لأنهم عراة منها والحمد لله – على ثلة من الشباب المؤمن ربما لا

يتجاوزون المئات فقط فدمروا الأخضر واليابس، ولكن هزمتهم قوة الإيمان، ودحرتهم إرادة الصمود، وكسرتهم صرخة (الله أكبر)، وعقدتهم عقدة جديدة صرختها (يا حسين)، فماذا فعل (غولاني) المرعب – كما يظنون – إلا البكاء والعويل، والفرار كالجرذان، وماذا فعلت (الميركافا) التي جمعوا فيها أكثر من خمس وخمسين طناً من الفولاذ الصلب التي تحولت لأفران لشوي الجنود اللعناء؟ وماذا فعلت القوة الجوية الضاربة التي تفوق الدول العربية مجتمعة – كما يقولون ويدعون- دمرت بيروت، لا بل دمرت لبنان ولكن هل استطاعت أن تدمر إرادة إمرأة عجوز من اللبنانيين، عدا عن المقاتلين الأشاوس من المقاومة، أو القيادات البطلة للبنان وللمقاومة؟

وإذا تركنا تجربة لبنان المرة وربما يقال هي تجربة وحيدة لا تتكرر، وحسب عقيدتنا أنها ستتكرر لأنها اختبرت عدة مرات وأثبتت سلامتها وصحتها.. وها هي التجربة الفلسطينية وحركة حماس فلماذا يبنون كل هذه القلاع، والجدران وهي لا تقي من الصواريخ، وقذائف الهاون، عدا عن الطيران والصواريخ الإستراتيجية، فنزعوا من الفلسطيني كل شيء ولكن لم يستطيعوا ولن يستطيعوا كسر إرادة المقاومة والعيش بكرامة، وكل سياسات الإنبطاح لا تفيد شيئا يا عقلاء الأمة، وما يفيدنا كتاب الله وسنة رسوله الكريم فعودوا إليها تنتصرون على كل قوى الشر والظلم والإستكبار في العالم..

درس خيبر وتحصيناته

من يدرس اليوم الخطة العسكرية اليهودية في فلسطين يجدها تعتمد على مبدأ (نقاط الإستناد) وما هي إلا قلعة مصغرة وحصنها خطوط من الخنادق والجدران، وحقول الألغام المختلفة، وملاجئ للجنود وما يحتاجون إليه، وتترابط تلك النقاط فيما بينها بخنادق من تحت الأرض، لتأمين التواصل عدا عن معدات الإتصال السلكية واللاسلكية المختلفة؛ والعجيب أنهم في تلك الحصون الحصينة عند المساء يوزعون الحراس ويغلقون الأبواب جيدا ولا يستطيعون النوم بأمان من شجاعتهم وبطولتهم

الفأرية..

وبنفس الخطة تقريباً كانوا قد صنعوا في منطقة خيبر، فقد كان لهم سبعة حصون قوية مترابطة فيما بينها بعهود وربما بخنادق أرضية، وكان لكل حصن من حصون خيبر السبعة اسم خاص يعرف به فهي عبارة عن: «ناعم» و«القموص» و«الكتيبة» و«النطاة»، و«شقّ» و«سطح»، و«سلالم»، وربما سمّي بعض هذه الحصون باسم زعيم الحصن وسيّده، مثل حصن مرحب.

كما أنه كانوا قد بنوا عند كل حصن من تلك الحصون برجاً للمراقبة، ولرصد كل التحركات خارج الحصن، ولأجل أن ينقل الحراس والمراقبون المستقرون في هذه الأبراج الأخبار إلى داخل الحصن.. وقد كانت تلك الأبراج والحصون قد شيِّدت بحيث يسيطرُ سكانُها على خارج الحصن سيطرة كاملة وكانوا يستطيعون - عن طريق (المنجنيق) وغيرها من آلات الرمي - إبعاد أي عدو، وافشال أيّة محاولة للاقتراب الى الحصن، وذلك برميه بالاحجار أو الكتل المشتعلة ناراً.

وقد كان بين سكان هذه الحصون البالغ عددهم عشرين ألفاً، ألفان من الفرسان الشجعان والصناديد الابطال (كلواء النخبة غولاني اليوم) الذين توفرت لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب، والذين أُعدت لهم في المخازن كل ما يحتاجون إليه من الاسلحة والعتاد.

وكانت هذه الحصون من الإحكام والقوة بحيث كان من المستحيل إحداث أيّة ثغرة في حيطانها أيضاً، وكل من أراد الاقتراب إليها رمي بالاحجار فجرح بها أو قتل، فكانت تعدُّ هذه الحصون - في الحقيقة - متاريس قوية لمقاتلي اليهود (كنقاط الإستناد اليوم تماماً)..

لقد واجه المسلمون في هذه الغزوة مثل هذا العدوّ المسلح، المتمنع بمثل هذه المتاريس القوية، فكان لابدّ لفتح هذه القلاع من استخدام تكتيك عسكري دقيق.

ولهذا فانّ أوّل عمل قام به رسول الله ﷺ وأصحابه في هذا السبيل هو احتلال كل النقاط والطرق الحساسة ليلاً..وقد تم هذا العمل بسرية وسرعة بالغة جداً بحيث لم يعرف به حتى مراقبو الابراج اليقظون أيضاً.

ولما كان صبيحة تلك الليلة خرج عُمّال خيبر غادين إلى مزارعهم وبساتينهم وهم يحملون مساحيهم ومكاتيلهم واذا بهم يفاجؤون بجنود الاسلام الابطال وقد احتلوا بقوة الايمان جميع النقاط الحساسة وسدّوا جميع الطرق عليهم بحيث لو قدموا شبراً لقبضَ عليهم، فأفزعهم ذلك وخافوا خوفاً شديداً، فأدبروا هراباً وهم يقولون: محمَّد والجيش معه.. وبادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون وإحكامها..وعندما رأى رسول الله ﷺ مساحي اليهود ومكاتيلهم وغيرها من أدوات الهدم قال متفائلاً: «**الله أكبر خربت خيبرُ أنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنذرين**».

وعقد القادة وذوي الشأن منهم جلسة للتشاور فيما بينهم، ولكي يضعون خطة عسكرية محكمة لمواجة جيش المسلمين الغازي لهم، ولن يعود إلا بتحقيق أهدافه التي جاء من أجلها، فاجتمعوا في داخل حصنهم المركزي وتبادلوا الرأي للمواجهة، وخرجوا بخطة متكاملة رباعية البنود وهي:

١- أن يجعلوا الأطفال والنساء في أحد الحصون ويغلقوا عليهم لحفظهم..

٢- أن ويجعلوا الذخيرة والمؤن من الطعام ومواد الغذاء في حصن آخر..

٣- أن يحتل المقاتلون الشجعان أماكنهم على الأبراج ويدافعوا عن كل قلعة وحصن بالأحجار

٤- أن يخرج الابطال الصناديد من كل حصن ويقاتلوا المسلمين خارجه، كحرب العصابات.

كانت هذه هي خطة اليهود لمواجهة جنود الاسلام، وقد أصروا على تنفيذها حتى آخر لحظة من القتال ولهذا استطاعوا أن يقاوموا في وجه الجيش الاسلامي مدة شهر

واحد تقريباً بحيث كانت محاولة فتح كل حصن من تلك الحصون تستغرق عشرة أيام دون نتيجة.

متاريس اليهود تتهاوى:

ولما نزلت القوات الإسلامية المباركة بدينها وقيادتها الحكيمة، قال الرسول القائد صلى الله عليه وآله لمحمَّد بن مسلمة –وكان ذا خبرة قتالية جيدة –: أُنظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم، بريئاً من الوباء نأمن فيه بياتهم»، فطاف محمَّد حتى انتهى إلى الرجيع (وهو واد بقرب خيبر) ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وآله ليلاً، فقال: وجدت لك منزلاً، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بتحويل مقر القيادة إلى وادي الرجيع، فتحولت خيمة القيادة عند المساء إلى ذلك المكان الاكثر أماناً من بيات اليهود وغدرهم فكان النبي يغدو كل يوم فيقاتل أهل النطاة يومه إلى الليل ثم إذا أمسى رجع الى الرجيع حيث غرفة القيادة، وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل في مقامه بالرجيع سبعة أيام..[1]

وللأسف لم يحفظ لنا التاريخ تفاصيل دقيقة عن تلك الغزوة، وأعتقد أن المندسين من اليهود ككعب الأحبار وابن منبه وغيرهما ضيعوا تلك التفاصيل قصدا، ليعموا عن الأجيال الأعمال الإسلامية البطولية فيها.. وعلى كل فإن المستفاد من المصادر التاريخية هو أن جنود الاسلام حاصروا القلاع والحصون وفتحوها تباعاً، حصناً تلو حصن، وأول ما فعلوه: هو قطع الطرق الظاهرة للتواصل بين القلاع، وحاولوا بذلك قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقية الحصون ثم فتحه، ثم محاصرة حصن آخر، وهكذا..

ولقد تم فتح هذه الحصون ببطء لأنها كانت مرتبطة ببعضها بارتباط سرّي، أو كان المقاتلون يدافعون عنها دفاعاً مستميتاً، وان أول حصن فُتح على أيدي المسلمين بعد شيء كبير من الجهد – كما يقول بعض المؤرخين – هو حصن «ناعم».

ثم عمد المقاتلون المسلمون – بعد فتح حِصن «ناعم» – إلى فتح حصن

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٩

«القموص» الذي كان يرأسه أبناء «أبي الحقيق»، ولقد فتح هذا الحصن بفضل تفاني جنود الاسلام، وأُسرت منه «صفية بنت حيي بن أخطب» التي صارت فيما بعد من زوجات رسول الله ﷺ.

ولقد قوّى هذان الانتصاران العظيمان معنوية الجنود المسلمين وألقى رعباً شديداً في نفوس اليهود ولكن المسلمين وقعوا في مخمصة شديدة بسبب قلّة المواد الغذائية بحيث اضطروا إلى أن يأكلوا من بعض الانعام المكروهة اللحم (كالخيل والحمير)، وقد كان هناك بين حصون اليهود حصن مملوء طعاماً الا أن المسلمين لم يظفروا به حتى ذلك الحين، وربما لم يعرفوه بعد.

ونال الجوع والتعب من جيش الإسلام، وأخذ بهم في كل مأخذ فتوجه الحبيب المصطفى ﷺ على الله قائلاً: «**اللَّهم إنَّك قد عرفت حالهَم وان ليست بهم قوة، وان ليس بيدي شيء أُعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حُصونها عنهم غناء، وأكثرها طعاماً**»[1].

ففتح الله سبحانه حصن الصعب بن معاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً منه.. وهذا الدعاء الشريف يؤكد لنا ما ذهبنا إليه من أن الحصن الذي فيه الغذاء مازال مجهولاً عنهم ولم يكن يأذن لاحد من المسلمين بأن يأخذ شيئاً من اموال الناس تحت أي ذريعة أبداً.

واستجاب ربنا سبحانه دعاء رسوله الكريم، فبعد فتح القلاع المذكورة حمل جنود الإسلام على حصن (الوطيح)، (وسلالم)، ولكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من اليهود الذين كانوا يدافعون عنها من خارجها، فلم يستطع جنود الاسلام الأبطال ان يحرزوا انتصاراً بل ظلوا يجالدون مقاتلي اليهود أكثر من عشرة أيام، ولكنهم كانوا يعودون في كل يوم إلى مقرّهم من دون نتيجة.

وكان من أشد حصونهم وأكثرها رجالا (القموص)، فأخذ أبو بكر راية المهاجرين

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٢٢ سيرة ابن هشام ج٣ ص٣٣٢.

فقاتل بها ثم رجع منهزما، يجبِّن أصحابه ويجبنونه (أي هو يقول بأنهم جبناء فارون، وهم يقولون بأنه هو الجبان الذي فر).. ثم أخذها عمر بن الخطاب من الغد فرجع منهزماً يجبِّن الناس ويجبنونه.. نعم؛ رجع ولم يُحقِّق فتحاً، بل عاد - حسب ما يروي الطبري - فزعاً مرعوباً وهو يصف شجاعة مرحب وقوّته البالغة..[1]

وأغضب هذا العمل رسول الله صلى الله عليه وآله وفرسان الاسلام الابطال وقادة الجيش الاسلامي الغيارى، فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله رؤوس وأبطال جيشه، ثم قال: (**لأعطين الراية غدا رجلاً كراراً غير فرار، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يده**).

ولقد انزعج - وكل شجاع غيور ينزعج من الفرار- المؤرخ الاسلامي المعروف عز الدين بن أبي الحديد من فرار هذين الشيخين من وجه اليهود، فقال في ضمن قصيدة له:

وما أنسَ لا أنسَ اللَّذين تَقدَّما ... وَفرَّهُما والفرُّ قَد علِما حُوبُ

وللراية العظمى وقد ذهبا بها ... ملابس ذلّ فوقها وجلابيب

يشلُّهما من آل موسى شمردَل ... طويل نجاد السيف أجيد يعبوبُ[2]

وقد أثارت هذه الجملة الخالدة الحاكية عن فضيلة وشجاعة وتفوّق ذلك الفارس الذي قدر أن يكون الفتح على يديه وتميّزه المعنوي على غيره موجة من الفرح الممزوج بالاضطراب بين أفراد الجيش وقادته الشجعان، فقد بات كل واحد منهم يتمنى أن يكون هو صاحب هذا الوسام الخالد والعظيم، وان تصيب القُرعة اسمه وتحركاته.. فغدت قريش يقول بعضهم لبعض: أما علي فقد كفيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه.. وقال الإمام علي عليه السلام لما سمع مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله: (**اللهم لا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت**).

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٣٠٠

(٢) الغدير: ج ٧ ص ٢٠١ اقتباساً من القصائد العلويات

وعند الصباح ومع طلوع الشمس التي شقت بأشعتها رداء الظلام، وأضاءت السهل والجبل، تجمّع قادة الجيش الاسلامي وصناديده وأبطاله وغيرهم من الرجال وفيهم الاميران المنهزمان بالأمس حول رسول الله ﷺ وهم يريدون بشوق بالغ أن يعرفوا من سيعطيه الراية اليوم، وقد تطاول لها أبو بكر وعمر..[1]

وقال سعد بن أبي وقاص: جلست نصب عينيه، ثم جثوت على ركبتي ثم قمت على رجلي قائما؛ رجاء أن يدعوني، فقال: **(ادعو لي علياً)** فصاح الناس من كل جانب: إنه أرمد رمداً لا يبصر موضع قدمه، فقال: **(أرسلوا إليه وادعوه)**.

فاتي به يقاد (يسحب من يده)، فوضع رأسه على فخذه ثم تفل في عينيه، فقام وكأن عينيه جزعتان (أو جذوتان وكلاهما دلالة على شدة الإحمرار)، ثم أعطاه الراية ودعا له فخرج يهرول هرولة، فوالله ما بلغت أخراهم حتى دخل الحصن.. وقال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا، وصاح سعد: يا أبا الحسن أربع (انتظر وتمهل) يلحق بك الناس، فأقبل حتى ركزها قريباً من الحصن، في رضم أو رجم من الحجارة تحت الحصن..

وبرواية مسلم عن أبي هريرة: إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه**.. قال عمر بن الخطاب: ما أحببتُ الإمارة إلا يومئذ. قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، (تساورت لها: أي رفعت لها شخصي)..[2].

قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فأعطاه إياها، وقال: **امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك**.

قال: فسار علي عليه السلام شيئا ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: **يا رسول الله.! على ماذا أقاتل الناس؟** قال: **قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**..[3]

---

(١) هذه هي عبارة الطبري: ج ٢ ص ٣٠٠، كنز العمال: ج ٦

(٢) النهاية: ٢ / ٤٢٠

(٣) صحيح مسلم: ٤ / ١٨٧١ / ٣٣، مسند ابن حنبل: ٣ / ٣٣١ / ٩٠٠٠، خصائص أمير المؤمنين

ثم قال لعلي عليه السلام: «**لَئن يهدِيَ اللهّ بكَ رَجُلاً واحِداً خَير مِنَ أن يكُونَ لكَ حُمرُ النّعمَ**».

أجل إن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله يفكّر في هداية الناس حتى في أشد لحظات الحرب، وهذا يفيد بأن جميع حروب رسول اللهّ صلى الله عليه وآله كانت لهداية الناس لا غير.

الانتصار الكبير في خيبر

عندما كُلِّفَ عليّ عليه السلام من جانب النبي صلى الله عليه وآله بفتح قلعتي سلالم والوطيح (وهما الحصنان اللذان عجز عن فتحهما الأميران السابقان ووجها بفرارهما ضربة لا تجبر إلى شرف الجيش الاسلامي)، ارتدى درعاً قوياً وحمل سيفه الخاص ذا الفقار وراح يهرول بشجاعة منقطعة النظير نحو القلعتين المذكورتين، والجندُ خلفَه، حتى ركز الراية التي أعطاها له رسول اللهّ صلى الله عليه وآله على الأَرض تحت الحصن..

فأشرف عليه رجل من يهود، فقال: مَنْ أنت؟ قال: **أنا علي بن أبي طالب**، فقال اليهودي: (علوتم وما نزل على موسى) وصاح غُلبتم يا معشر يهود.!! لأنهم كانوا يحفظون جيداً أن مَنْ يفتح حصنهم ويقتل أبطالهم اسمه (إيليا) علي بن أبي طالب عليه السلام..

وبرواية شيخنا المفيد، بعد نقل فرار الفارين من وجه مِرحب وفرسانه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: **ليست هذه الراية لمن حملها**، (أي هذه الراية ليس لحامليها بل حاملها الإمام علي الذي لا يفر وصاح بهم) **جيؤوني بعلي بن أبي طالب**.. فقيل له: إنه أرمد. قال: **أرونيه تروني رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يأخذها بحقها ليس بفرار.**

فجاؤوا بعلي بن أبي طالب عليه السلام يقودونه إليه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **ما تشتكي يا علي؟**

للنسائي: ٦٤ / ١٩، الطبقات الكبرى: ٢ / ١١٠ وزاد فيه " ويحبه الله ورسوله "، تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٠٧٢، دلائل النبوة للبيهقي: ٤ / ٢٠٦، تاريخ دمشق: ٤٢ / ٨٢ / ٨٤٢٣

قال عليه السلام: **رمد ما أبصر معه، وصداع برأسي..**

فقال له: **اجلس وضع رأسك على فخذي..** ففعل علي عليه السلام ذلك، فدعا له النبي صلى الله عليه وآله وتفل في يده فمسحها على عينيه ورأسه، فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع وقال في دعائه له: **اللهم قِهِ الحرَّ والبرد..**

وأعطاه الراية - وكانت راية بيضاء - وقال له: **خُذ الراية وامضِ بها، فجبرئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم - يا علي - أنهم يجدون في كتابهم: إن الذي يدمر عليهم اسمه آليا، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي، فإنهم يخذلون إن شاء الله..**

ولذا جاء لما قال عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب، قال حبر من أحبار القوم: غلبتم وما أنزل على موسى.. فدخل قلوبهم من الرعب ما لم يمكنهم معه الاستيطان به..[1]

ولما رأى اليهود انه دنا من الحصن خرج اليه كبار صناديدهم.. وكان أول من خرج اليه أخو مرحب ويدعى «الحارث» وقيل ياسر فتقدم إلى عليّ وصوته يدوي في ساحة القتال بحيث تأخر من كان خلف عليّ من شدة الفزع؛ قال الراوي: **فانكشف المسلمون وثبت عليّ..**[2]

ولكن لم يمض زمان حتى سقط الحارث على الارض جثة هامدة بضربة قاضية من علي عليه السلام، فغضب مرحب بطل خيبر المعروف لمقتل أخيه الحارث وخرج من الحصن وهو غارق في السلاح، فقد لبس درعاً يمانياً، ووضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، وتقدم إلى عليّ عليه السلام كالفحل الصؤول يرتجز ويقول:

قَـــد عَلِمَـــت خيـــبرُ أني مرحـــبُ شـــاكي الســـلاح بطـــل مجـــربُ
إن غلـــب الـــدهرُ فـــاني أغلـــبُ والقـــرنُ عنـــدي بالـــدما مخُضّـــبُ

(١) الإرشاد: ١ / ١٢٥ وراجع تاريخ دمشق: ٤٢ / ١٠٧
(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣١٤

فأجابه الإمام علي عليه السلام مرتجزاً وقد أظهر للعدو شخصيته العسكرية في رجزه:

أنـــا الّـــذي سَـــمَّتني أُمّـــي حَيـــدرَة ضرغـــامُ آجـــام ولَيـــث قَســـورَة

عَبـــل الـــذِراعين غَلـــيظُ القـــيصرة كليـــث غابـــاتٍ كريـــهُ المنظـــرة

وبعد أن انتهى الطرفان من إنشاد رجزهما تبادلا الضربات بالسيوف والرماح، فألقت قعقعة السيوف وصوت الرماح رعباً عجيباً في قلوب المشاهدين، وفجأة نزل سيف بطل الاسلام القاطع على المفرق من رأس «مرحب» بطل اليهود قدّت خوذته نصفين ونزلت على رأسه وشقته نصفين الى أسنانه!!وقيل: بل قدَّته نصفين، ونزل السف إلى رقبة الحصان الذي يركبه مرحب فقطعته، ووصلت إلى الصخرة التي كانا يتقاتلان عليها فقدتها وأنبعت الماء من تحتها، وآثارها باقية في منطقة خيبر إلى اليوم..

ولقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث افزعت أكثر من خرج مع «مرحب» من أبطال اليهود وصناديدهم ففروا من فورهم، ولجأوا إلى الحصن، وبقي جماعة فقاتلوا علياً منازلة فقاتلهم حتى قتلهم جميعاً، ثم لاحق الفارين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح (سقط) ترسُه من يده المباركة، فتناول عليه السلام باباً كان على الحصن وانتزعه من مكانه، فترس به عن نفسه فلم يزل ذلك البابُ في يده وهو يقاتل حتى فتح اللهّ على يديه ثم القاه من يده حين فرغ، وقد حاول ثمانية من أبطال الاسلام ومنهم أبو رافع مولى رسول اللهّ صلى الله عليه وآله أن يقلبوا ذلك الباب أو يحركوه من مكانه فلم يقدروا على ذلك..

وخرج البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: أن عليا دخل الحصن، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج علي عليه السلام يتلقاه، فقال صلى الله عليه وآله: **قد بلغني نبأك المشكور وصنيعك المذكور، قد رضي الله عنك ورضيتُ أنا عنك.**

فبكى علي عليه السلام، فقال له: **ما يبكيك يا علي؟**

فقال: **فرحا بأن الله ورسوله عني راضيان.**

وأخرج أبو المؤيد أخطب الخطباء موفق بن أحمد الخوارزمي المكي: عن سيد الحفاظ أبي منصور شهردار بن شيرويه الديلمي بسنده عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين على (سلام الله عليهم جميعاً) قال: **قال لي رسول الله ﷺ يوم فتحت خيبر بقدرة الله: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر على ملأ من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.**

يا علي أنت تؤدي ديني، وتقاتل عل سنتي، وأنت في الآخرة أقرب الناس مني، وإنك غداً على الحوض خليفتي، وأنت أول من يرد على الحوض، وأنت تذود منافقين على حوضي، وأنت أول داخل في الجنة من أمتي، وإن محبيك وأتباعك على منابر من نور رواء مرويين، مبيضة وجوههم حولي، أشفع لهم فيكونون غدا [في الجنة] جيراني، وإن أعداءك غداً ظماء مظمئين، مسودة وجوههم، يضربون بالمقامع - وهي سياط من نار - مقمحين، وحربك حربي وسلمك سلمي، وسرك سري، وعلانيتك علانيتي، وسريرة صدرك سريرة صدري، وأنت باب علمي، وإن ولدك ولدي، ولحمك لحمي، ودمك دمي، وإن الحق معك والحق على لسانك وفى قلبك وبين عينيك، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وإن الله [عز وجل] أمرني أن أبشرك انك وعترتك ومحبيك في الجنة، و [أن] عدوك في النار [يا علي] لا يرد على الحوض مبغضك ولا يغيب عنه محبك.

قال [قال] علي: فخررت ساجداً الله - تبارك وتعالى - وحمدته على ما أنعم به [عليَّ] من الإسلام والقرآن وحببني إلى خاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ..[1]

وأخذ علي عليه السلام فيمن أخذ صفية بنت حيي بن أخطب سبية، فدعا بلالاً فدفعها

---

(١) المناقب للخوارزمي: ١٢٨، المناقب لابن المغازلي: ٢٣٧، روضة الواعظين ١ / ١١٢

إليه، وقال له: **لا تضعها إلا في يدي رسول الله حتى يرى فيها رأيه**، فأخرجها بلال ومرَّ بها في طريقه إلى رسول الله على القتلى من قومها، وقد كادت تذهب روحها، فقال صلى الله عليه وآله، لبلال: **أنزعت منك الرحمة يا بلال؟!**

ثم اصطفاها صلى الله عليه وآله لنفسه، فأعتقها وتزوجها..ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر عقد لواء ثم قال: (**من يقوم إليه فيأخذه بحقه؟**) وهو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك، فقام الزبير إليه فقال: أنا، فقال له: (**امط عنه**) ثم قام إليه سعد، فقال: (**امط عنه**)، ثم قال: (**يا علي قم إليه فخذه**) فأخذه فبعث به إلى فدك فصالحهم على أن يحقن دماءهم، فكانت حوائط فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصا خالصا (**لأنها فتحت بدون حرب فلم يشترك فيها المسلمون**)..

فنزل جبرائيل عليه السلام، فقال: إن الله عز وجل يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه. فقال: (**يا جبرئيل ومن قرباي وما حقها؟**). قال: (**فاطمة فأعطها حوائط فدك، وما لله ولرسوله فيها**).

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وكتب لها كتاباً، وبعد انتقال الحبيب المصطفى بالرفيق الأعلى صدر قرار التأميم لأموال النبي صلى الله عليه وآله المنقولة وغير المنقولة من أعضاء السلطة، بحديث جاؤوا به عن الرسول صلى الله عليه وآله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة.. ودحضت سيدة النساء عليها السلام هذا الحديث المخترع بآيات من كتاب الله تعالى..

ولما لم يسمعوا حجتها بالميراث قالت لهم هذه نحلة وهديَّة من الله ورسوله لي وهذا كتاب أبي بذلك، فجاءت به إلى أبي بكر وقالت: (**هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولابني**) فرضي أبو بكر منها وأعطاها الكتاب إلا أن وزيره عمر أخذ الكتاب ومزقه وقال لها ليس لكم شيء، فخرجت وهي باكية غاضبة عليهما واستشهدت وهي غاضبة كما نقله المؤرخون بالإجماع تقريباً.

الفرح بفتح خيبر وقدوم جعفر

ولما افتتح رسول الله ﷺ حصون خيبر أتاه البشير بقدوم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة إلى المدينة، فقال: (**ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**).

و عن جابر قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب عليه السلام من أرض الحبشة تلقاه رسول الله ﷺ، فلما نظر جعفر إلى رسول الله حجل - يعني مشى على رجل واحدة - إعظاما لرسول الله، فقبّل رسول الله ﷺ ما بين عينيه.

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: أن رسول الله ﷺ لما استقبل جعفرا التزمه ثم قبل بين عينيه، قال: (وكان رسول الله ﷺ بعث قبل أن يسير إلى خيبر عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي عظيم الحبشة، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وكان أمر عمرا ان يُقدم بجعفر وأصحابه، فجهز النجاشي جعفرا وأصحابه بجهاز حسن، وأمر لهم بكسوة، وحملهم في سفينتين).

فصل الخطاب بقلع الباب

يروي المؤرخون: أنه لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام مرحبا رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن (القموص: وهو جبل بخيبر عليه حصن أبي الحقيق اليهودي) [1] عليهم دونه، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إليه فعالجه حتى فتحه، وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام باب الحصن فجعله على الخندق جسرا لهم حتى عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم.. فلما انصرفوا من الحصون أخذه أمير المؤمنين بيمناه فدحا به أذرعاً من الأرض، وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً منهم..[2]

وزرارة قال: قال الإمام الباقر عليه السلام: (**انتهى إلى باب الحصن وقد أغلق في وجهه**

---

(١) معجم البلدان: ٤ / ٣٩٨

(٢) الإرشاد: ١ / ١٢٧، كشف اليقين: ١٧٠ / ١٧٧، كشف الغمة: ١ / ٢١٥

فاجتذبه اجتذابا وتترس به، ثم حمله على ظهره واقتحم الحصن اقتحاما، واقتحم المسلمون والباب على ظهره. قال: فوالله ما لقي علي عليه السلام من الناس تحت الباب أشد مما لقي من الباب، ثم رمى بالباب رميا.

ويقول اليعقوبي في تاريخه: ان الباب الذي قلعه علي عليه السلام كان من الصخر وكان طوله أربعة أُذرع وعرضه ذراعين..

وعن جابر بن عبد الله قال: إن عليا عليه السلام حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون ففتحوها (القموص)، وأنه جرَّبَ فلم يحمله إلا أربعون رجلاً..[1]

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: إنه لما دنا من القموص.. أقبل أعداء الله من اليهود يرمونه بالنبل والحجارة، فحمل عليهم علي عليه السلام حتى دنا من الباب، فثنى رجله ثم نزل مغضبا إلى أصل عتبة الباب فاقتلعه، ثم رمى به خلف ظهره أربعين ذراعاً.!

ثم قال ابن عمرو: وما عجبنا من فتح الله خيبر على يدي علي عليه السلام، ولكنا عجبنا من قلعه الباب ورميه خلفه أربعين ذراعاً، ولقد تكلف حمله أربعون رجلاً فما أطاقوه! فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فقال: **والذي نفسي بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكاً**..[2]

ويقول الشيخ المفيد في ارشاده بسند خاص عن امير المؤمنين عليه السلام وقصة قلعه ذلك الباب:

«لما عالجتُ باب خيبر جعلته مجنّاً لي فقاتلتُهم به، فلما أخزاهمُ اللهّ وضعتُ الباب على حصنهم طريقاً ثم رميتُ به في خندقهم، ولما قال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً قال

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة: ٧ / ٥٠٧ / ٧٦، تاريخ بغداد: ١١ / ٣٢٤ / ٦١٤٢، دلائل النبوة للبيهقي: ٤ / ٢١٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٤١٢، البداية والنهاية: ٧ / ٢٢٥ و ج ٤ / ١٩٠، المناقب للخوارزمي: ١٧٢ / ٢٠٧ ؛ مجمع البيان: ٩ / ١٨٣، روضة الواعظين: ١٤٢، المناقب لابن شهر آشوب: ٢ / ٢٩٤ وراجع الإرشاد: ١ / ١٢٩

(٢) الأمالي للصدوق: ٦٠٤ / ٨٣٩، روضة الواعظين: ١٤٢، الدعوات: ٦٤ / ١٦٠ نحوه، كلاهما عن عبد الله بن عمر

عليه السلام: «ما كان إلاّ مثل جُنّتي التي في يدي في غير ذلك المقام».

وقد نقل المؤرخون قضايا عجيبة حول قلع أمير المؤمنين عليه السلام لباب حصن القموص في خيبر هذا وخصوصياته ومواصفاته، وعن بطولات الإمام علي عليه السلام في فتح هذا الحصن، ويقول الأمير علي عليه السلام نفسه في هذا الصدد ما يرفع كل شك وإبهام قد يعترض المرء في هذا المجال: «**ما قَلعتُها بِقوّة بَشريّة ولكن قَلعتها بقوة الهية ونفس بلقاء ربّها مطمئنة رضية**».

والإمام علي عليه السلام يقول: **والله ما قلعت باب خيبر، ودكدكت حصن يهود بقوة جسمانية، بل بقوة إلهية..**[1]

وعنه عليه السلام في رسالته إلى سهل بن حنيف،يقول: **والله ما قلعت باب خيبر ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعا بقوة جسدية ولا حركة غذائية، لكني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضية..**[2]

وفي مشارق أنوار اليقين: في ذلك اليوم لما سأله عمر فقال: يا أبا الحسن، لقد اقتلعت منيعا ولك ثلاثة أيام خميصا (رجل خميص: إذا كان ضامر البطن من الصوم والجوع)[3]، فهل قلعتها بقوة بشرية؟ فقال: **ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية، ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية..**[4]

والفخر الرازي يعلق في تفسيره ويقول: إن كل من كان أكثر علما بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلبا وأقل ضعفا، ولهذا قال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): والله ما

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ٣١٦ / ٦٢٦ و ج ٥ / ٧ ؛ الطرائف: ٥١

(٢) الأمالي للصدوق: ٦٠٤ / ٨٤٠ بشارة المصطفى: ١٩١، عيون المعجزات: ١٦، روضة الواعظين: ١٤٢، الخرائج والجرائح: ٢ / ٥٤٢ / ٢، المناقب لابن شهر آشوب: ٢ / ٢٣٩، بحار الأنوار: ٤٠ / ٣١٨ / ٢

(٣) النهاية: ٢ / ٨٠

(٤) مشارق أنوار اليقين: ١١٠، بحار الأنوار: ٢١ / ٤٠ / ٣٧

قلعت باب خيبر بقوة جسدانية، ولكن بقوة ربانية. ذلك لأن عليا (كرم الله وجهه) في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الأجساد، وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء، فتقوى روحه، وتشبه بجواهر الأرواح الملكية، وتلألأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة، فلا جرم[1] حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره.. وكذلك العبد إذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الذي يقول الله: كنت له سمعا وبصرا. فإذا صار نور جلال الله سمعا له سمع القريب والبعيد، وإذا صار ذلك النور بصرا له رأى القريب والبعيد، وإذا صار ذلك النور يدا له قدر على التصرف في الصعب والسهل والبعيد والقريب..[2]

ولما فتح أمير المؤمنين عليه السلام الحصن وقتل مرحبا وأخاه الحارث، وأغنم الله المسلمين أموالهم، استأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول شعرا، فقال له: قل. فأنشأ يقول:

وكان علي أرمد العين يبتغي ... دواء فلما لم يحس مداويا

شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقيا وبورك راقيا

وقال سأعطي الراية اليوم صارما ... كميا محبا للرسول مواليا

يحب إلهي والإله يحبه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا

فأصفى بها دون البرية كلها ... عليا وسماه الوزير المؤاخيا[3]

---

(١) لا جرم: أي لا بد، ولا محالة، وقيل: معناه: حقا (لسان العرب: ١٢ / ٩٣

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٢١ / ٩٢

(٣) الكمي: اللابس السلاح وقيل هو الشجاع المقدم الجري (لسان العرب: ١٥ / ٢٣٢)
الأوابيا: من الإباء؛ وهو أشد الامتناع (لسان العرب: ١٤ / ٤)
(الإرشاد: ١ / ١٢٨، روضة الواعظين: ١٤٦ وفيه "والرسول يحبه" بدل "والإله يحبه"، المناقب للكوفي: ٢ / ٤٩٩ / ١٠٠١ وفيه "النبي" بدل "إلهي"، المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٣٠؛ المناقب لابن المغازلي: ١٨٥ / ٢٢٠)

نقد وتحليل لغزوة خيبر:

أعمال الإمام علي عليه السلام فيها

ماذا يمكن أن نكتب عن غير الأمير علي عليه السلام في هذه الغزوة، وهل يمكن أن نؤرخ أو ندرس أو نبحث فيها وعنها إلا من خلال أعمال وبطولات بطل الإسلام الخالد وأمير المؤمنين أبداً الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ؟

لا، لا يمكن لدارس أن يدرس، ولا لمنصف أن يكتب عن غزوة خيبر إلا من خلال أعمال وبطولات أمير النحل علي عليه السلام، لأنه عمل أعملاً خارقة للعادة، لا بل هي بالحقيقة معجزات خالدة مازالت الأجيال تتغنى بها كابرا عن كابر، وصغيرا عن كبير، وما أعظمك وأجمل أعمالك يا أمير المؤمنين.. ومن المظاهر العجيبة التي ظهرت منه عليه السلام، في فتح حصون خيبر المنيعة، و الدور الذي لا يضاهى ولا يبارى ولا يكرر، نشير إلى بعضها فيما يلي:

١ - كانت راية الإسلام في هذه المعركة بيد الإمام علي عليه السلام المباركة كما في غيرها من الحروب والغزوات، فهو صاحب اللواء..[1]

٢ - ولما فتحت كل الحصون، واستعصى حصن " الوطيح " و " السلالم "و"القموص" إذ كانت من أحكم الحصون، لم يفتحهما إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام ببطولة غريبة وأفعال عجيبة..

٣- هو الذي كان أرمداً لا يمكن أن يرى أمامه، والرمد ألم كبير يصيب العيون ويرافقه ألم بالرأس عجيب، فشفاه رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحة من ريق فاه الشريف، ودعا له فما آلمته عيناه ولم يؤلمه رأسه الشريف ، ولم يضره حر ولا قر طيلة حياته المباركة..

٤- هو الذي يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كما وصف الرسول القائد يومها

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / ١٠٦، السيرة النبوية لابن هشام: ٣ / ٣٤٢، المغازي: ٢ / ٦٤٩ وص ٦٥٥ ؛ الإرشاد: ١ / ١٢٦

وتطاولت لها الأعناق، وبشروا بعضهم بمرض علي عليه السلام وكأنهم على يقين من أن هذا الوصف لا يليق إلا به وبما أنه ليس موجودا فلربما يكون هذا الوصف بأحدهم فتطاولوا لها حتى من فر بالأمس أراد القيادة اليوم، وسعد بن أبي وقاص جثى، وقام وقعد قبالة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لمعاوية: لأن تكون لي الراية في ذلك اليوم أحب إلي من حمر النعم..

٥- هو الكرار غير الفرار من الزحف وبهذه الكلمة تعريض بالفارين الذي يجبن أصحابه ويجبنونه، فلماذا لم يخاف ويفر أمير المؤمنين عليه السلام بل ركض هرولة باتجاه الحصن والناس تنادي به انتظرنا حتى نلحق بك، ولم يلتفت حتى غرس الراية بأدنى الحصن.

٦ – هو الذي جندل الحارث أخا مرحب- المقاتل اليهودي المغرور، الذي خرج من الحصن وهو يصرخ كالثور الهائج فكانت الأبدان ترتجف من صيحاته فرجع الناس وثبت أمير المؤمنين عليه السلام عند القتال، وبضربة قاصمة قدَّه نصفين..

٧- وهو الذي قاتل بطل اليهود مرحب الذي خرج ثائراً موتورا يطلب بثأر أخيه الحارث، وهو لابس الدروع، فلم يتجرأ أحد على مواجهته، فبارزه الأمير عليه السلام، وقدَّه بضربة ما زالت آثارها بحيث قدَّت الرجل، وقطَّت رقبة الحصان، ووصلت إلى الصخرة فشقتها ونبع الماء من تحتها..وفي ذلك اليوم هبط سيدنا جبرائيل على الحبيب المصطفى باسماً متعجباً،فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **مِمَ تعجبك؟**

فقال عليه السلام: **إن الملائكة تنادي في صوامع وجوامع السماوات: لافتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار..وأما إعجابي: فإني لما أمرتُ أن أدمِّرَ قوم لوط حملت مدائنهم وهي سبع مدائن من الأرض السابعة السفلى،إلى السماء السابعة العليا،على ريشة من جناحي، ورفعتها حتى سمع حملة العرش صياح ديكتهم، وبكاء أطفالهم، ووقفتُ بها إلى الصباح أنتظر الأمر ولم أنتقل بها..**

واليوم لما ضرب علي ضربته الهاشمية (لمرحب) وكنت أمرت أن أقبض فاضل يبفه حتى لا يشق الأرض..فكان فاضل سيفُ علي أثقل من مدائن لوط،هذا واسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء..[1]

٨ – وهو الذي قتل عامر اليهودي، فيروى أنه برز عامر وكان رجلاً طويلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ حين طلع عامر: **أترونه خمسة أذرع؟** (أي أن طوله خمسة أذرع) وهو يدعو إلى البراز، وراح يخطر بسيفه وعليه درعان، يقنع في الحديد يصيح: من يبارز؟ فأحجم الناس عنه، فبرز إليه الإمام علي عليه السلام فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئا، حتى ضرب ساقيه فبترهما فبرك الرجل، ثم أجهز عليه فقتله وأخذ سلاحه..[2]

٩- هو الذي قلع عليه السلام باب قلعة القموص وحده، وكان لا يحركه إلا أربعون رجلا! فعن أبي عبد الله الجدلي: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: **لما عالجت باب خيبر جعلته مجنا** (المجن: الترس، والميم زائدة ؛ لأنه من الجنة: السترة) **لي وقاتلت القوم، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقا، ثم رميت به في خندقهم،** فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلا! فقال: **ما كان إلا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام..** وذكرها الشعراء وخلدها الأدباء ولكن يبقى قول علامة المعتزلة عز الدين بن أبي الحديد الأجمل:

يا قالع الباب الذي عن هزها عجزت أكف أربعون وأربع

١٠- وذكر أحمد بن حنبل في الفضائل أنهم سمعوا تكبيرا من السماء في ذلك اليوم وقائلاً يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ أن ينشد شعرا فأذن له، فقال:

---

(١) مشارق أنوار اليقين ؛للبرسي: ١١٠

(٢) المغازي للواقدي: ٢ / ٦٥٧

جبريـــــل نـــــادى معلنـــــا والنقـــــع لـــــيس بمـــــنجلي
والمســـــلمون قـــــد احـــــدقوا حـــــول النبـــــي المرســـــل
لا ســـــيف إلا ذو الفقـــــار ولا فتـــــى إلا عـــــلي

فإن قيل: إن الذي ذكروه هنا إنما كان في يوم أحد، ونحن نقول: إنها كانت في يوم خيبر كذلك، والراجح لديَّ أن هذا النداء كان في يوم بدر الكبرى حيث قتل الأمير نصف القتلى وهو أصغر القوم سناً، وكان يتكرر في كل واقعة هذا النداء المبارك، وإذا أحببت فتأمل بالروايات تجد صحة كلامي والله العالم..

١١- وبعد أن فتح الحصون وجاءه الرسول القائد مستبشراً، وعندما لاقاه قال له ﷺ: **قد بلغني نبأك المشكور وصنيعك المذكور، قد رضي الله عنك ورضيتُ أنا عنك.**

فبكى علي عليه السلام، فقال له: ما يبكيك يا علي؟

فقال: فرحا بأن الله ورسوله عني راضيان.

١٢- وهو الذي أسر وسبى صفية بنت حي بن أخطب وبعث بها إلى النبي القائد ﷺ مع بلال وتزوجها رسول الله ﷺ بعد أن أعتقها فكانت من أمهات المؤمنين البارات..وتروي لنا كتب السيرة العطرة للحبيب المصطفى ﷺ أنه لما دخل بالسيدة صفية وكانت من أحسن الناس وجهاً وجمالاً،فوجد بها شجة في وجهها، فقال لها: **مما هذه يا صفية وأنت بنت الملوك؟**

فقالت:إن علياً لما قدم الحصن هزَّ الباب فاهتزَّ الحصن،وسقط مَنْ كان عليه من النظارة (الحرس والرصاد)، وارتجف بي السرير،فسقطت لوجهي، فشجني جانب السرير..

فقال لها رسول الله ﷺ: **يا صفية إن علياً عظيم عند الله،وأنه لما هزَّ الباب اهتزَّ الحصن، واهتزت السماوات السبع، والأرضون السبع، واهتزَّ عرش الرحمن غضباً**

لعلي.[1].

١٣- هو الذي أخذ الراية بحقها بعد فتح خيبر وتوجه بها إلى أرض فدك وفتحها صلحا وبدون حرب فكانت لرسول الله ﷺ خاصَّة..

١٤- هو زوج البتول سيدة ذوي القربى التي أمر الله نبيه بأن يؤدي لهم حقهم فأعطاهم الرسول فدك وما حولها بأمر من الله، وأخذه المسلمون بأمر من الخليفة ووزيره بفرمان التأميم..

تلك إشارات سريعة بعدد الأنوار والأطهار (عليهم من الله آلاف التحية والسلام) فهل استلمتها، فإن وصلتك فبوركت ومبارك عليك، وإن لم تصلك فهداك الله وإيانا لسواء السبيل إله الحق آمين..

(١) مشارق أنوار اليقين للبرسي: ١١٠

الباب الرابع:
في حروب الجن والعوالم الأخرىٰ

(الجان عالم متكامل ومُكلَّف مثلنا تماماً وإن خفي عن أنظارنا..)

[المؤلف]

تمهيد

لدينا مفاهيم كثيرة يجب أن ننتبه إليها، سيما وأن حديثنا عن عوالم مختلفة كليا عن هذا العالم المنظور لدينا،فالتقسيم هنا له عدد من اللحاظ والإتجاهات المختلفة،فالعوالم الأخرى مبدئياً هي:

١- عالم الغيب..وهو كل ما غاب عن أبصارنا ولم نشهده..

٢- عالم الشهود..وهو كل ما نراه بالأبصار أو نحسه بالحواس..

ولدينا تقسيم آخر قريب من هذا المعنى إلا أنه أشمل منه،هو:

١- عالم الجبروت..وهو مختص بالذات المقدسة..

٢- عالم الملكوت..وهو ما يقابل عالم الغيب..

٣- عالم الملك (الناسوت)..وهو ما يقابل عالم الشهود..

ولدينا تقسيم آخر هنا يهمنا،وهو عوالم المخلوقات،وهي:

١- عالم الأرواح المجردة (الملائكة بأطيافها)..

٢- عالم الأرواح اللطيفة (الجان بأنواعها)..

٣- عالم الإنس الذي نحن منه ونعرفه شكلاً على الأقل..

٤- عالم الحيوان بأصنافها وأنواعها (والإنسان منها بحسب تقسيم المناطقة)،وأفردناه للتشريف بالتكليف عقلا وإرادة..

٥- عالم النبات بأصنافه وأنواعه..

٦- عالم الجماد بأشكالها وألوانها..

وهذا التقسيم ربما لا يضيف جديداً إلى معلوماتك ولكن قدمناه لنعرف بعض الشيء عن الذي نريد أن نتحدث عنه من علاقة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالعوالم الأخرى من غير عالمنا نحن بني البشر.. كالعالم العلوي والعالم السفلي،والملائكة المقربين و الجان ومردة الشياطين،لنصل إلى النبات والجمادات

وغيرها من هذه المخلوقات..فما علاقة أمير المؤمنين عليه السلام بها.؟

عقيدتنا بأمير المؤمنين علي عليه السلام أنه إمام معصوم مفترض الطاعة على الخلق جميعاً،ونعتقد بولايته التكوينية،وسلطته الكونية على جميع خلق الله تعالى وسيرته المباركة تشهد ولسنا بحاجة للاستدلال هنا،فالذي يردُّ الشمسَ من مغيبها ليصلي، وتسلم عليه وتطيعه،والذي يكلم الفرات فيطيعه،والذي تكلمه أنواع الحيوانات وتطيعه،والذي تكلمه الأرض وما عليها والجبال وما فيها كيوم ذهابه إلى اليمن وتطيعه، والذي يحول الحجر إلى ذهب لعمار، والذهب على حجر ويطيعه،والذي يأمر جبرائيل عليه السلام ويطيعه ويقول بأن له عليه حق التعليم، والذي يحرسه ليلة الفراش ميكائيل وجبرائيل ويباهي به الله تعالى ملائكته المقربين،وفي ويوم حنين تنادي الملائكة في صوامع الجوامع باسمه،والذي يطيعه العفاريت من الجن بأنواعها، والذي يأمر السماء فتنشق،والأرض فتطوى له طائعة ذليلة..لا شك بأن هذا المخلوق المكرم له ولاية طولية مع ولاية الله الخالق تعالى،وتلك هي الولاية التي نعتقد بها.. ولذا قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: السماوات والأرض عند الإمام علي عليه السلام كَيَدِهِ من راحته..[1]

والمولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام يقول: والله ما خلق الله شيئاً إذا وقد أمره بالطاعة لنا..[2]

فأمير المؤمنين عليه السلام هو إمام المخلوقات كلها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وله عليها حق الطاعة،وكل العوالم تُقرُّ وتعترف بفضله إلا أهله وعشيرته قريش ومن هم على شاكلتها في العناد لحق هذا الإمام المظلوم العظيم،فهي ما زالت مستكبرة ومنكرة لفضل ومكانة هذا الإمام الكوني الملهم،وهو مصدر فخرها وسؤددها..

وهنا حديثنا ليس عن عالم الإنس طبعاً وهم الأكثر إنكاراً بل حديثنا عن العوالم

---

(١) الإمام علي عليه السلام للهمداني: ص١٧٣ عن البحار: ج٢٥ ص١٧٣.

(٢) ن.م عن البحار ج٤٦ ص٢٤٠.

الأخرى وسأسوق بعض الأمثلة فقط ودون تعليق لأن بحثنا عن الحرب ومجرياته ولكي لا نخرج عن مجال البحث أسوق بعض الأحاديث للتشريف والتعريف،وجلاء البصيرة والبصر لنا،ولغيرنا ممن يجهل فضل هذا الإمام الفاضل عليه السلام ..

عالم الملائكة

ملائكة العلى تعرف الإمام علي عليه السلام

إليك أيها العزيز الغالي والنبيه العاقل هذا الوصف لذاك العالم النوراني من الإمام علي عليه السلام :

«ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته، وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته، خلقاً بديعاً من ملائكته وملأ بهم فروج فجاجها، وحشا بهم فتوق أجوائها، وبين فجوات تلك الفروج زَجَلُ المُسَبِّحين منهم في حظائر القُدُسِ، وسُتُراتِ الحُجُبِ، وسُرادقات المجد، ووراء ذلك الرَّجيج الذي تستكُّ منه الأسماع سُبُحاتُ نورٍ تَرْدَعُ الأبصار عن بلوغها، فتقفُ خاسِئَةً على حدودها..

وأنشأهم في صور مختلفات، وأقدار متفاوتات، (أولي أجنحةٍ) تُسَبِّحُ جلال عِزَّته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صُنعه، ولا يدَّعون أنهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به (بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون).

جعلهم الله فيما هنالك أهل الأمانةِ على وحيه (جبرائيل)، وحَمَّلَهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من رَيْبِ الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته..»

إلى أن يقول روحي له الفداء: **«ومنهم مَنْ هو في خلق الغمام الدُّلَّج، وفي عِظَمِ الجبالِ الشُّمَّخْ، وفي قَتَرَةِ الظلامِ الأيهم.. ومنهم مَنْ قد خَرَقَتْ أقدامهم تخومَ الأرض السُّفلى، فهي كراياتِ بيضٍ قد نفذت في مخارق الهواء، وتحتها ريح هَفَّافة، تحبسُها على حيث إنتهت من الحدود المتناهية..»** [1]

---

(١) نهج البلاغة (خطبة الأشباح).

بالله عليك هل قرأت مثل هذا الوصف لعالم النور، والصفيح الأعلى.. وهذا الوصف الدقيق هل يأتي من فراغ أم أن الواصف رأى بأم العين ما يصف، وعلم حق العلم بالموصوف وهذا ما يؤكده كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه المختلفة ووصفه لعالم الملائكة كالخطبة الأولى من نهج البلاغة، والخطبة القاصعة، وخطبة الأشباح وغيرها من دُرر الجواهر العلوية الشريفة.

وعالم الملائكة هو عالم الطهارة والنقاء والروحانية الكاملة والعبادة المطلقة لله تعالى،ومن نافلة القول بأن هذا العالم لم يكن هو الأصل في عالم الإيجاد والخلق بل هم مخلوقات مكرمة ولكن مَنْ سبقهم بالخلقة هو أكرم منهم على الخالق تعالى،وأول خلق الله وأكرمهم عليه هو الحبيب المصطفى وآله النجباء (صلوات الله عليهم جميعاً) كما لا يخفى عليك ولأجلهم خلق الله الخلق، فلما سأل جابر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن أول خلق الله،فقال له: **نور نبيك يا جابر..**

وعلى هذا التأسيس الواضح نعرف أن أفضل وأكرم خلق الله تعالى عليه هم محمد وآل محمد (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)،فالخلق بدأ بهم والفضل ينتهي عندهم فلا يغيب عنك هذا الحق الصراح لحظة..

فيروي شيخنا محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عُمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ،قال: قال (لي): **ما تروي هذه الناصبة؟** فقلت: جعلت فداك في ماذا؟

فقال: **في أذانهم وركوعهم وسجودهم.** فقلت: إنهم يقولون إن أبي بن كعب رآه في النوم.

فقال: **كذبوا، إن دين الله عز وجل أعز من أن يُرى في النوم..** قال: فقال له سُدير الصيرفي: جُعلت فداك فأحدث لنا منه ذكراً.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : **إن الله عز وجل عرج بنبيه صلى الله عليه وآله إلى سمائه سبعاً..**

أما أولهن: فبارك عليه..

والثانية: علمه فرضه فأنزل الله مَحْمَلاً من نور فيه أربعون نوعاً من أنواع النور كانت مُحدقة بعرش الله تغشي أبصار الناظرين.. أما واحد منها فأصفر فمن أجل ذلك اصفرت الصفرة، وواحد منها أحمر فمن أجل ذلك احمرت الحمرة، وواحد منها أبيض فمن أجل ذلك ابيض البياض، والباقي على سائر عدد الخلق من النور، فالألوان في ذلك المَحْمَل حِلق وسلاسل من فضة، ثم عرج به إلى السماء فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرَّتْ سُجَّداً، وقالت: سُبوح قدوس ما أشبه هذا النور بنور ربنا.

فقال جبرائيل: الله أكبر، الله أكبر، ثم فتحت أبواب السماء، واجتمعت الملائكة فسلمت على النبي صلى الله عليه وآله أفواجاً، وقالت: يا محمد كيف أخوك؟ إذا نزلت فاقرأه السلام.. قال النبي صلى الله عليه وآله: أ فتعرفونه؟ قالوا: وكيف لا نعرفه وقد اخذ ميثاقك وميثاقه منا وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا، وإنا لنتصفَّح وجوه شيعته في كل يوم وليلة خمساً؛ يعنون في كل وقت الصلاة، وإنا لنصلي عليك وعليه..

ثم زادني ربي أربعين نوعاً من أنواع النور لا يشبه النور الأول وزادني حِلق وسلاسل، وعرج بي إلى السماء الثانية، فلما قربت من باب السماء الثانية نفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرَّتْ سُجَّداً، وقالت: سبوح قدوس رب الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا.

فقال جبرائيل: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فاجتمعت الملائكة، وقالت: يا جبرائيل مَنْ هذا معك.؟ قال: هذا محمد صلى الله عليه وآله، قالوا: وقد بعث؟ قال نعم..

قال النبي صلى الله عليه وآله: فخرجوا إليَّ شبه المعانيق فسلموا عليَّ، وقالوا: اقرأ أخاك السلام.. قلتُ: أتعرفونه؟ قالوا: وكيف لا نعرفه، وقد اخذ ميثاقك وميثاقه وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا، وإنا لنتصفح وجوه شيعته في كل يوم وليلة خمسا يعنون في وقت الصلاة.

قال: ثم زادني ربي أربعين نوعا من أنواع النور لا تشبه الأنوار الأولى، ثم عرج بي

إلى السماء الثالثة فنفرت الملائكة وخرت سُجدا، وقالت: سبوح قدوس رب الملائكة والروح ما هذا النور الذي يشبه نور ربنا؟ فقال جبرائيل: أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، فاجتمعت الملائكة، وقالت: مرحباً بالأول، ومرحباً بالآخر، ومرحباً بالحاشر، ومرحباً بالناشر، محمد خير النبيين، وعلي خير الوصيين.

قال النبي ﷺ: ثم سلموا عليَّ وسألوني عن أخي، قلتُ:هو في الأرض،أ فتعرفونه.؟ قالوا: وكيف لا نعرفه وقد يحج البيت المعمور كل سنة وعليه رقٌّ أبيض فيه اسم محمد واسم علي واسم الحسن والحسين والأئمة وشيعتهم إلى يوم القيامة، وإنا لنبارك عليهم كل يوم وليلة خمساً يعنون في وقت كل صلاة يمسحون رؤوسهم بأيديهم.

قال: ثم زادني ربي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه تلك الأنوار الأول، ثم عرج بي حتى انتهيت إلى السماء الرابعة فلم تقل الملائكة شيئاً، وسمعت دوياً كأنه في الصدور، فاجتمعت الملائكة ففتحت أبواب السماء، وخرجت إليَّ شبه المعانيق.. فقال جبرائيل: حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح.. فقالت الملائكة: صوتان مقرونان معروفان. فقال جبرائيل: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، فقالت الملائكة: هي لشيعته إلى يوم القيامة، ثم اجتمعت الملائكة، وقالوا: كيف تركت أخاك؟ قلت لهم: وتعرفونه؟ قالوا: نعرفه وشيعته وهم نور حول عرش الله، وإن في البيت المعمور لرقا من نور فيه كتاب من نور فيه اسم محمد وعلي والحسن والحسين والأئمة وشيعتهم إلى يوم القيامة لا يزيد فيهم رجل، ولا ينقص منهم رجل، وإنه لميثاقنا، وإنه ليقرأ علينا كل يوم جمعة.

ثم قيل لي: ارفع رأسك يا محمد.. فرفعت رأسي فإذا أطباق السماء قد خرقت، والحجب قد رفعت، ثم قال لي: طأطئ رأسك، انظر ما ترى؟ فطأطأت رأسي، فنظرت إلى بيت مثل بيتكم هذا،و حرم مثل حرم هذا البيت، لو ألقيت شيئا من يدي لم يقع إلا عليه، فقيل لي: يا محمد إن هذا الحرم، وأنت الحرام، ولكل مثل مثال. ثم أوحى الله إلي:

يا محمد ادن من صاد فاغسل مساجدك وطهرها، وصل لربك، فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، من صاد - وهو ماء يسيل من ساق العرش الأيمن - فتلقى رسول الله صلى الله عليه وآله الماء بيده اليمنى، فمن أجل ذلك صار الوضوء باليمنى.. ثم أوحى الله عز وجل إليه أن اغسل وجهك، فإنك تنظر إلى عظمتي، ثم اغسل ذراعيك اليمنى واليسرى فإنك تلقى بيدك كلامي، ثم امسح رأسك بفضل ما بقي في يديك من الماء ورجليك إلى كعبيك، فإني أبارك عليك، وأوطئك موطئا لم يطأه أحد غيرك، فهذا علة الأذان والوضوء.

ثم أوحى الله عز وجل إليه: يا محمد استقبل الحجر الأسود وكبرني على عدد حجبي، فمن أجل ذلك صار التكبير سبعا لان الحجب سبع، فافتتح عند انقطاع الحجب، فمن أجل ذلك صار الافتتاح سنة،والحجب متطابقة بينهن بحار النور الذي أنزله الله على محمد، فمن أجل ذلك صار الافتتاح ثلاث مرات لافتتاح الحجب ثلاث مرات، فصار التكبير سبعا والافتتاح ثلاثا.. فلما فرغ من التكبير والافتتاح أوحى الله إليه سم باسمي، فمن أجل ذلك جعل ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول السورة. ثم أوحى الله إليه: أن احمدني، فلما قال: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالمِينَ﴾ قال النبي في نفسه شكراً.. فأوحى الله عز وجل إليه: قطعت حمدي فسم باسمي، فمن أجل ذلك جعل في الحمد ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ مرتين، فلما بلغ ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالمِينَ﴾ شكراً.. فأوحى الله إليه: قطعت ذكري فسم باسمي، فمن أجل ذلك جعل ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، في أول السورة..ثم أوحى الله عز وجل: إقرأ يا محمد نسبة ربك تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾ (فأوحى الله إليه)، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.. ثم أمسك عنه الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الواحد الأحد الصمد، فأوحى الله إليه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾. ثم أمسك عنه الوحي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كذلك الله، كذلك ربنا.. فلما قال ذلك أوحى الله إليه: اركع لربك يا محمد، فركع، فأوحى الله إليه وهو راكع، قل: (سبحان ربي العظيم)، ففعل ذلك ثلاثا.. ثم أوحى الله، إليه: أن ارفع

رأسك يا محمد، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فقام منتصبا.. فأوحى الله عز وجل إليه: أن اسجد لربك يا محمد، فخر رسول الله ﷺ ساجداً، فأوحى الله عز وجل إليه، قل: ﴿سُبْحانَ رَبِّيَ الأَعْلى﴾، ففعل ﷺ ذلك ثلاثا.. ثم أوحى الله إليه: أن استوي يا محمد، ففعل، فلما رفع رأسه من سجوده واستوى جالسا نظر إلى عظمته تجلت له، فخر ساجدا من تلقاء نفسه لا لأمر أمر به فسبح أيضا ثلاثا. فأوحى الله إليه: انتصب قائما، ففعل فلم ير ما كان يرى من العظمة، فمن أجل ذلك صارت الصلاة ركعة وسجدتين.

ثم أوحى الله عز وجل إليه: اقرأ ب ﴿الحَمْدُ لله﴾، فقرأها مثل قرأ أولا، ثم أوحى الله إليه: اقرأ ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ﴾ فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة.. وفعل في الركوع مثل ما فعل في المرة الأولى، ثم سجد سجدة واحدة، فلما رفع رأسه تجلت له العظمة، فخر ساجدا من تلقاء نفسه لا لأمر أمر به، فسبَّح أيضا.. ثم أوحى الله إليه: ارفع رأسك يا محمد، ثبتك ربك، فلما ذهب ليقوم، قيل: يا محمد اجلس، فجلس، فأوحى الله إليه: يا محمد إذا ما أنعمت عليك فسم باسمي فألهم أن قال: (بسم الله وبالله ولا إله إلا الله والأسماء الحسنى كلها لله).

ثم أوحى الله إليه: يا محمد صل على نفسك وعلى أهل بيتك. فقال: صلى الله علي وعلى أهل بيتي، وقد فعل، ثم التفت فإذا بصفوف من الملائكة والنبيين والمرسلين، فقيل يا محمد سلم عليهم. فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فأوحى الله إليه أن السلام والتحية والرحمة والبركات أنت وذريتك، ثم أوحى الله إليه: أن لا يلتفت يسارا.

وأول آية سمعها بعد ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ﴾ آية أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فمن أجل ذلك كان السلام واحدة تجاه القبلة، ومن أجل ذلك كان التكبير في السجود شكرا، وقوله " سمع الله لمن حمده " لان النبي ﷺ سمع ضجة الملائكة بالتسبيح والتحميد والتهليل، فمن أجل ذلك قال (سمع الله لمن حمده) ومن أجل ذلك صارت الركعتان الأوليان كلما أحدث فيهما حدثا كان على صاحبهما إعادتهما

فهذا هو الفرض الأول في صلاة الزوال (يعني صلاة الظهر)..[١]

مع جبرائيل عليه السلام الروح الأمين

سيدنا جبرائيل عليه السلام هو من الكروبيين ومن أفضل ملائكة الجليل وهو المؤتمن على الوحي المقدس لأهل الأرض..كان هذا الروح الجليل والمخلوق العظيم الذي يصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة وصفاً يعجز عن فهمه أكثر البشر لأنه مما لا يطاق أو يتصوَّر..تراه يفتخر على الملائكة بأنه من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وذلك عندما نزل معهم تحت الكساء اليماني كما تروي للأمة السيدة الزهراء (روحي لها الفداء) بحديث الكساء الشريف..وجبرائيل عليه السلام كان يفتخر بخدمة أهل هذا البيت الأطهار الأبرار كما في كثير من الروايات التي ترويها لنا مجامع السنة المطهرة،كما كان يُحدِّث يحيى بن عبد الحميد بإسناده، عن ابن عباس أنه سئل عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال: ما تسألون عن رجل طال ما تسمع وقع جبرائيل فوق بيته.[٢]

أي أن جبرائيل عليه السلام كان كثيراً ما يأتي إليه ليساعده ويخدمه في أشيائه وقضاياه وأهل بيته،فخدمة الملائكة وجبرائيل عليه السلام بالخصوص لأهل البيت الأطهار عليهم السلام مما تواترت به الروايات،واشتهرت به الأخبار..

حدَّث محمد بن شهرآشوب: عن الأعمش، عن أبي صالح (السمان الزيات المدني، المتوفي سنة ١٠١)، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾[٣].

قال: كان جبرائيل عليه السلام جالسا عند النبي صلى الله عليه وآله على يمينه إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فضحك جبرائيل، فقال: **يا محمد هذا علي بن أبي طالب قد أقبل.**

---

(١) مدينة المعاجز ـ السيد هاشم البحراني ـ ج ١ ـ ص ١٠٤ – ١٠٦ ،المناقب لابن شهرآشوب: ٢ / ٢٣٥ وعنه البحار ٣٩ / ٩٨

(٢) مدينة المعاجز ـ السيد هاشم البحراني ـ ج ١ ـ ص ١٠٦ – ١٠٨

(٣) الزخرف: ٧٥

فقال رسول الله ﷺ: يا جبرائيل وأهل السماوات يعرفونه.؟

قال: يا محمد والذي بعثك بالحق نبياً إن أهل السماوات لأشد معرفة له من أهل الأرض، ما كبَّر تكبيرة في غزوة إلا كبَّرنا معه،ولا حمل حملة إلا حملنا معه،ولا ضرب بسيف إلا ضربنا معه، (يا محمد) إن اشتقت إلى وجه عيسى وعبادته، وزهد يحيى وطاعته، وملك سليمان وسخاوته، فانظر إلى وجه علي بن أبي طالب، فأنزل الله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ - يعني شبها لعلي بن أبي طالب، وعلي بن أبي طالب شبه لعيسى بن مريم - ﴿إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ يعني يضجون (يضحكون) ويعجبون[1].

وقال رسول الله ﷺ: لما أسري إلى السماء، وصرتُ أنا وجبرائيل عليه السلام إلى السماء السابعة، قال جبرائيل: يا محمد هذا موضعي، ثم زَخَّ بي في النور زَخَّةً (دفعني دفعة) فإذا أنا من ملائكة الله تعالى في صورة علي عليه السلام اسمه علي ساجد تحت العرش، يقول: اللهم اغفر لعلي، وذريته، ومحبيه، وأشياعه، وأتباعه، وإلعن مبغضيه، وأعاديه، وحُسَّاده، إنك على كل شيء قدير..[2]

وذات يوم توجه رسول الله ﷺ إلى عزيزه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: يا علي.. إن جبرائيل عليه السلام أخبرني فيك بأمر قرَّت به عيني، وفرح به قلبي، قال لي: يا محمد.. إن الله تعالى قال لي: أقرئ محمداً مني السلام، وأعلمه: أن علياً إمام الهدى، ومصباح الدُّجى، والحُجة على أهل الدنيا، فإنه الصِّدِّيق الأكبر والفاروق الأعظم، وإني آلَيْتُ (على نفسي) بعزَّتي أن لا أدخل النار أحداً تولاه وسَلَّم له وللأوصياء من بعده، ولا أدخل الجنَّة مَنْ ترك ولايته، والتسليم له وللأوصياء من بعده..[3]

وفي رواية أخرى قال سيدنا جبرائيل عليه السلام: يا محمد.. إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول: أحبَّ علياً، فَمَن أحبَّه فقد أحبني، ومَنْ أبغضه فقد أبغضني.. يا محمد..

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ٢ / ٢٣٥ وعنه البحار ٣٩ / ٩٨

(٢) الإمام علي عليه السلام للهمداني: ص١١٢ عن البحار ج٣٩ ص٩٧.

(٣) ن.م: ص١١٣ عن البحار ج٢٧ ص١١٣.

حيثُ تكن يكن علي، وحيث يكن علي يكن محُبوه وإن اجترحوا، وإن اجترحوا.. [١]

والمعروف من السيرة العطرة للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته النجباء عليهم السلام أن جبرائيل دائم التواجد عندهم، وهو الذي أطلق اسم (أمير المؤمنين) على الإمام علي عليه السلام كما في الرواية التي يرويها الخوارزمي الذي قال: إن النبي صلى الله عليه وآله كان في صحن الدار ورأسه في حجر (حضن) دحيَّةَ الكلبي (الذي كان من أصبح الصحابة وجهاً) فدخل علي عليه السلام فلما رآه دحيَّةَ الكبي سَلَّمَ عليه، فقال له أمير المؤمنين: **عليك السلام كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله..؟**

فقال: **بخير يا أخا رسول الله.. فقال علي عليه السلام: جزاك الله عنَّا أهل البيت خيراً..**

فقال دحيَّة: **إني أحبُّك، وإن لك عندي مِدْحَةٌ أزفُّها إليك: أنتَ أمير المؤمنين.. لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تُزفُّ أنت وشيعتك إلى الجنان** (قد أفلح مَنْ تولاك) و(خسر مَنْ عاداك) **أدنُ مني يا صفوة الله وخذ رأس ابن عمِّك فأنت أحقُّ به مني**(تصور هذا الأدب والإحترام والتقدير)..

فأخذ علي عليه السلام رأس النبي صلى الله عليه وآله فوضعه في حجره، فانتبه النبي صلى الله عليه وآله، وقال: **ما هذه الهمهمة..**

فأخبره علي عليه السلام (الخبر)، فقال صلى الله عليه وآله: **لم يكن دحية الكلبي، وإنما هو جبرائيل - يا علي - سماك باسم سمَّاك الله به..** [٢]

نعم إن الإمام علي عليه السلام هو أحقُّ خلق الله بابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله حياً وميتاً في الدنيا والآخرة.. كما يقرُّر ويعترف الروح الأمين جبرائيل عليه السلام، فكيف تتخلف القيادة السياسية، والحكومة، والسلطة عنه بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى.. فهذا من أعجب العجب حقاً..؟!

---

(١) ن.م: ص١١٤ عن البحار ج٢٩ ص٢٩٤.

(٢) سلوني قبل أن تفقدوني: ج١ ص٤٨ عن مناقب الخوارزمي وابن مردويه..

والملك الموكل بالماء

يروي شيخ الطائفة المحقة، الشيخ الطوسي في أماليه: عن الفحام، عن المنصوري، عن عم أبيه، قال: حدثني الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام بإسناده، عن الإمام الباقر، عن جابر بن عبد الله، قال: كنت أماشي أمير المؤمنين عليه السلام على الفرات إذ خرجت موجة عظيمة فغطته حتى استتر عني، ثم انحسرت عنه ولا رطوبة عليه، فوجمت لذلك وتعجبت وسألته عنه، فقال: ورأيت ذلك؟ قلت: نعم.

قال: **إنما الملك الموكل بالماء خرج فسلم عليَّ واعتنقني**[1].

ويروي شيخنا المفيد في أماليه وسنده، عن حذيفة، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وآله: **أما رأيت الشخص الذي اعترض لي؟** قلت: بلى يا رسول الله. قال: **ذلك ملك لم يهبط قط إلى الأرض قبل الساعة، استأذن الله عز وجل في السلام على علي عليه السلام فأذن له فسلم عليه، وبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**[2].

عالم الحيوان

وكم لأمير المؤمنين علي عليه السلام من قضايا وأحداث مع عالم الحيوان الكبير منها والصغير،حتى النمل والنحل وغيرها من هوام الأرض ودوابها، فالكل يشكوا إليه ويلجأ إليه في المعضلات..القضايا الكثيرة وفيها من الإعجاز العجب العجاب.. ومن ذلك ما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قوله: **إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا طير، ولا بهيمة، ولا شيء، فيه روح بهذا (الروح) يُعرف الإمام فإن لم يكن فيه هذه الخصال فليس هو بإمام..** [3]

---

(١) مدينة المعاجز ـ السيد هاشم البحراني ـ ج ١ ـ ص ١٠٦ – ١٠٨

(٢) أمالي الشيخ المفيد.

(٣) الإمام علي عليه السلام للهمداني: ص١٧٤ عن البحار ج٤٨ ص٤٧.

الذئبان الناطقان

برواية عظيمة القدر شريفة المقام يحدثنا بها الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم إذ جاءه راع ترتعد فرائصه، قد استفزعه العجب، فلما رآه من بعيد، قال لأصحابه: **إن لصاحبكم هذا شأن عظيم**.. فلما وقف قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: **حدثنا بما أزعجك**.

قال الراعي: يا رسول الله أمر عجيب! كنت في غنمي إذ جاء ذئب، فحمل حملاً (خروفاً صغيراً)، فرميته بمقلاعي، فانتزعته منه.. ثم جاء إلى الجانب الأيمن، فتناول حملاً، فرميته بمقلاعي، فانتزعته منه، ثم جاء إلى الجانب الأيسر، فتناول حملاً، فرميته بمقلاعي، فانتزعته منه، ثم جاء إلى الجانب الآخر، فتناول حملاً، فرميته بمقلاعي، فانتزعته منه، ثم جاء الخامسة هو وأنثاه يريد أن يتناول حملاً فأردت أن أرميه، فأقعى (جلس) على ذنبه، وقال: أما تستحي أن تحول بيني وبين رزق قد قسمه الله تعالى لي، أفما أحتاج أنا إلى غذاء أتغذى به.؟

فقلت: ما أعجب هذا! ذئب أعجم يكلمني بكلام الآدميين..

فقال لي الذئب: ألا أنبئك بما هو أعجب من كلامي لك.؟ محمد رسول الله، رسول رب العالمين بين الحرتين.[1]

يحدث الناس بأنباء ما قد سبق من الأولين وما لم يأت من الآخرين، ثم اليهود مع علمهم بصدقه ووجودهم له في كتب رب العالمين بأنه أصدق الصادقين، وأفضل الفاضلين، يكذبونه ويجحدونه وهو بين الحرتين، وهو الشفاء النافع، ويحك يا راعي آمن

---

(١) الحرتان: حرة وأقم وحرة ليلى. (مجمع البحرين: ٣ / ٢٦٤). قال الحموي: حرة وأقم: إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية سميت برجل من العماليق اسمه وأقم.. وقيل: اسم أطم من آطام المدينة إليه تضاف الحرة.. وفيها كانت وقعة الحرة المشهورة.. وحرة ليلى: لبني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض.. يطؤها الحاج في طريقهم إلى المدينة.. (معجم البلدان: ٢ / ٢٤٧ وص ٢٤٩). والحرة في الأصل اسم لكل أرض ذات حجارة سوداء

به تأمن من عذاب الله، وأسلم له تسلم من سوء العذاب الأليم.

فقلت له: والله لقد عجبت من كلامك، واستحييت من منعي لك ما تعاطيت أكله فدونك غنمي، فكُلْ منها ما شئت لا أدافعك ولا أمانعك.. فقال لي الذئب: يا عبد الله؛ أحمد الله، إذ كنت ممن يعتبر بآيات الله، وينقاد بأمره، لكن الشقي كل الشقي مَنْ يشاهد آيات الله في محمد وفي أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام وما يؤديه عن الله عز وجل من فضائله، وما يراه من وفور حظه من العلم الذي لا نظير له فيه، والزهد الذي لا يحاذيه أحد فيه، والشجاعة التي لا عديل له فيها، ونصرته للإسلام التي لاحظ لأحد فيها مثل حظه. ثم يرى مع ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر بموالاته وموالاة أوليائه والتبري من أعدائه، ويخبر أن الله عز وجل لا يتقبل من أحد عملاً وإن جلَّ وعظم ممن يخالفه (ثم هو مع ذلك يخالفه)، ويدفعه عن حقه ويظلمه، ويوالي أعداءه ويعادي أولياءه، إن هذا لأعجب من منعك إياي.

قال الراعي: فقلت له: أيها الذئب أوَ كائن هذا؟

قال: بلى، وما هو أعظم منه سوف يقتلونه باطلاً،ويقتلون ولده، ويسبون حريمهم،و هم مع ذلك يزعمون أنهم مسلمون، فدعواهم أنهم على دين الإسلام مع صنيعهم هذا بسادة أهل الزمان أعجب من منعك لي، لا جرم أن الله قد جعلنا معاشر الذئاب - أنا ونظرائي من المؤمنين - نمزقهم في النيران يوم فصل القضاء، وجعل في تعذيبهم شهواتنا، وفي شدائد آلامهم لذاتنا..

قال الراعي: فقلت: والله لولا هذه الغنم بعضها لي وبعضها أمانة في رقبتي لقصدت محمدا صلى الله عليه وآله حتى أراه..

فقال لي الذئب: يا عبد الله امض إلى محمد، واترك (عَليَّ) غنمك لأرعاها لك..

فقلت: كيف أثق بأمانتك.؟

فقال لي: يا عبد الله إن الذي أنطقني بما سمعت هو الذي يجعلني قويا أمينا عليها،

أو لستُ مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وآله، مسلماً له بما أخبر به عن الله في أخيه علي عليه السلام .؟ فامض لشأنك فإني راعيك، والله عز وجل، ثم ملائكته المقربون رعاة لي إذ كنت خادماً لولي علي عليه السلام .. فتركت غنمي على الذئب والذئبة وجئتك يا رسول الله.

فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله في وجوه القوم وفيها ما يتهلل سروراً به وتصديقاً، وفيها ما يعبس شكاً فيه وتكذيباً، منافقون يُسرون إلى أمثالهم هذا قد واطأه رسول الله صلى الله عليه وآله على هذا الحديث ليختدع به الضعفاء والجُهَّال.. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ،وقال: **لئن شككتم أنتم فيه فقد تيقنته أنا وصاحبي الكائن معي في أشرف المحال من عرش العزيز الملك الجبار، والمطوف به معي في أنهار الحيوان من دار القرار، والذي هو تلوي في قيادة الأخيار، والمتردد معي في الأرحام الزاكيات، والمتقلب معي في الأصلاب الطاهرات (أوالمتردد معي في الأصلاب الزاكيات، والمتقلب معي في الأرحام الطاهرات)، والراكض معي في مسالك الفضل، والذي كُسي ماكُسيته من العلم، والحلم، والعقل، وشقيقي الذي انفصل مني عند الخروج إلى صلب عبد الله، وصلب أبي طالب، وعديلي في اقتناء المحامد والمناقب علي بن أبي طالب.. آمنت به أنا؛ و الصِّديق الأكبر، وساقي أوليائه من نهر الكوثر.. آمنت به أنا و الفاروق الأعظم، وناصر أوليائي السيد الأكرم.. آمنت به أنا ومن جعله الله محنة لأولاد الغي،و رحمة لأولاد الرشد، وجعله للموالين له أفضل العدة.. آمنت به أنا ومَنْ جعله الله لديني قواماً، ولعلومي علاماً، وفي الحرب مقداماً، وعلى أعدائي ضرغاماً، أسداً قمقاماً..آمنت به أنا ومَنْ سبق الناس إلى الإيمان، فتقدمهم إلى رضاء الرحمن، وتفرد دونهم بقمع أهل الطغيان، وقطع بحججه وواضح بيانه معاذير أهل البهتان.. آمنت به أنا وعلي بن أبي طالب الذي جعله الله لي سمعاً وبصراً، ويداً،ومؤيداً، وسنداً، وعضداً، لا أبالي بمن خالفني إذا وافقني، ولا أحفل بمن خذلني إذا نصرني وآزرني، ولا أكترث بمن أزورَّ عني إذا ساعدني.. آمنت به أنا ومن زيَّن الله بن الجنان وبمحبيه، وملأ طبقات النيران بمبغضيه و شانئيه، ولم يجعل أحداً من أمتي**

يكافيه، ولا يدانيه، لن يضرني عبوس المعبسين منكم إذا تهلل وجهه، ولا إعراض المعرضين منكم إذا خلص لي وده.. ذاك علي بن أبي طالب لو كفر الخلق كلهم من أهل السماوات والأرضين لنصر الله عز وجل به وحده هذا الدِّين، والذي لو عاداه الخلق كلهم لبرز إليهم أجمعين، باذلاً روحه في نصرة كلمة الله رب العالمين وتسفيل (تنزيل وتسقيط) كلمات إبليس اللعين.

ثم قال ﷺ: **هذا الراعي لم يبعد شاهده، فهلموا بنا إلى قطيعه ننظر إلى الذئبين، فإذا كلمانا، ووجدناهما يرعيان غنمه، وإلا كنا على رأس أمرنا..** فقام رسول الله ﷺ ومعه جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار، فلما رأوا القطيع من بعيد، قال الراعي: ذلك قطيعي.. فقال المنافقون: فأين الذئبان.؟ فلما قربوا، رأوا الذئبين يطوفان حول الغنم يردَّان عنهما كل شيء يفسدها.

فقال لهم رسول الله ﷺ: **أتحبون أن تعلموا أن الذئب ما عنى غيري بكلامه.؟** قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: **أحيطوا بي حتى لا يراني الذئبان،** فأحاطوا به، فقال للراعي: **يا راعي؛ قل للذئبين: من الذي ذكرته من بين هؤلاء.؟**

فقال الراعي للذئب ما قاله رسول الله ﷺ..

قال: فجاء الذئب إلى واحد منهم وتنحى عنه، ثم جاء إلى آخر وتنحى عنه، فما زال كذلك حتى دخل وسطهم، فوصل إلى رسول الله ﷺ هو وأنثاه، وقالا: السلام عليك يا رسول رب العالمين، وسيد الخلق أجمعين، ووضعا خدودهما على التراب، ومرغاها بين يديه، وقالا: كنا نحن دعاة إليك، بعثنا إليك هذا الراعي وأخبرناه بخبرك.

فنظر رسول الله ﷺ إلى المنافقين معه، فقال: **ما للكافرين عن هذا محيص، ولا للمنافقين عن هذا موئل ولا معدل..** ثم قال رسول الله ﷺ: **هذه واحدة قد علمتم صدق الراعي فيها، أ فتحبون أن تعلموا صدقه في الثانية.؟** قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ.. فقال:

أحيطوا بعلي بن أبي طالب، ففعلوا، ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيها الذئبان إن هذا محمداً قد أشرتما للقوم إليه فعينتما عليه، فأشيرا على علي الذي ذكرتماه بما ذكرتماه..

قال: فجاء الذئبان وتخللا القوم، وجعلا يتأملان الوجوه والأقدام، فكل مَنْ تأملاه أعرضا عنه، حتى بلغا عليا عليه السلام فلما تأملاه مرَّغا في التراب خدودهما و أبدانهما، ووضعا على التراب بين يديه خدودهما، وقالا: السلام عليك يا حليف الندى، ومعدن النهى، ومحل الحجى، وعالما بما في الصحف الأولى، ووصي المصطفى..السلام عليك يا مَنْ أسعد به محُبيه، وأشقى بعداوته شانئيه، وجعله سيد آل محمد وذويه..السلام عليك يا مَنْ لو أحبه أهل الأرض كما يحبه أهل السماء لصاروا خيار الأصفياء، ويا من لو أحس بأقل قليل من بغضه مَنْ أنفق في سبيل الله ما بين العرش إلى الثرى لانقلب بأعظم الخزي والمقت من العلي الأعلى.. قال: فعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين كانوا معه، وقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن لعلي بن أبي طالب هذا المحل من السِّباع مع محله منك..

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **فكيف لو رأيتم محله من سائر الحيوانات المبثوثات في البر، والبحر، وفي السماوات، والأرض، والحجب، والعرش، والكرسي، والله لقد رأيت من تواضع أملاك سدرة المنتهى لمثال علي المنصوب بحضرتهم - يستغنون بالنظر إليه بدلاً من النظر إلى علي عليه السلام كلما اشتاقوا إليه - ما صغر في جنبه تواضع هذين الذئبين..وكيف لا تتواضع الأملاك وغيرهم من العقلاء لعلي.؟ وهذا رب العزة قد آلى على نفسه قسماً حقاً، لا يتواضع أحد إلى علي عليه السلام قدر شعرة إلا رفعه الله في علوِّ الجنان مسيرة مائة ألف سنة، وإن التواضع الذي تشاهدون، يسير قليل في جنب هذه الجلالة والرفعة اللتين عنها تخبرون..**[1]

---

(١) تفسير الإمام العسكري ـ عليه السلام ـ: ١٨١ ـ ١٨٧ ح ٨٧ وعنه البحار: ١٧ / ٣٢١ ضمن ح ٥، وقطعة منه في ج: ٧ / ٢٧٤ ح ٤٩ وأورده في الثاقب في المناقب: ٧١ ح ١ ودلائل النبوة: ٦ / ٤١ وتاريخ الإسلام للذهبي: ٣٥١ باختصار، ومدينة المعاجز ـ السيد هاشم البحراني ـ ج ١ ـ ص ٢٦٦ ـ ٢٧٣

حديث رد الشمس وكلامها معه عليه السلام

الشمس هذا الجرم السماوي العظيم وهو من أسباب الحياة على هذا الكوكب الذي ننعم بالحياة فيه وهي من أعظم منن الله تعالى علينا وعلى هذه الحياة..

وهي مازالت لغزاً محيرا للعقول والألباب،تراها تسلم على أمير المؤمنين علي عليه السلام وتكلمه بلسان طلق ذلق، ويردها الله تعالى عليه ليصلي صلاته حاضرة كما في الرواية..

سلام الشمس عليه عليه السلام

فتروي لنا كتب السيرة عن سفيان بن سعيد الثوري، عن جابر بن عبد الله، قال: لقيت عمارا في بعض سكك المدينة فسألته عن النبي صلى الله عليه وآله، فأخبر أنه في مسجده في ملأ من قومه وانه لما صلى الغداة أقبل علينا فبينا نحن كذلك وقد بزغت الشمس إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقام إليه النبي صلى الله عليه وآله وقبّل بين عينيه، وأجلسه إلى جنبه حتى مسّت ركبتاه ركبتيه، ثم قال: **يا علي قم للشمس فكلمها فإنها تكلمك..**

فقام أهل المسجد، وقالوا: أترى عين الشمس تكلم علياً.؟

وقال بعض: لا يزال يرفع حسيسة ابن عمه وينوه باسمه، إذ خرج علي عليه السلام فقال للشمس: **كيف أصبحتِ يا خلق الله.**؟ فقالت: بخير يا أخا رسول الله، يا أولُ، يا آخرُ، يا ظاهرُ، يا باطنُ، يا مَنْ هو بكل شيء عليم.

فرجع علي عليه السلام ،إلى النبي صلى الله عليه وآله فتبسم النبي، فقال: **يا علي تخبرني أو أخبرك.**؟

فقال: **منك أحسنُ يا رسول الله.**

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أما قولها لك " يا أول " فأنت أول من آمن بالله، وقولها (لك) " يا آخر " فأنت آخر من يعاينني على مغسلي، وقولها " يا ظاهر " فأنت أول..من يظهر على مخزون سرِّي، قولها " يا باطن " فأنت المستبطن لعلمي، وأما " العليم بكل شيء " فما أنزل الله تعالى علماً من الحلال والحرام، والفرائض والأحكام، والتنزيل والتأويل،**

والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه والمشكل إلا وأنت به عليم، ولولا أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك مقالا لا تمر بملأ إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به.

قال جابر: فلما فرغ عمار من حديثه أقبل سلمان، فقال عمار: وهذا سلمان كان معنا، فحدثني سلمان كما حدثني عمار[1].

ورحم الله الشاعر العوني الذي قال مفتخراً بإمامه وأميره علي عليه السلام:

إمـــــامي كلـــــيمُ الشـــــمس راجـــــع نورهـــــا
فهل لكليم الشمس في القوم من
مثـــــــــــــــــل

وشاعر موالي آخر يقول:

مَـــنْ كلَّمتـــهُ الشـــمس لمَّـــا ســـلَّمت جهـــراً عليـــه وكـــل شيء يســـمعُ
يـــا أولاً، يـــا آخـــراً، يـــا ظـــاهراً يـــا باطنـــاً في الحجـــب سرّاً مُـــودعُ

ورُدت ذكاء له عليه السلام

يقول شيخنا الأميني (رحمه الله) في غديره المبارك: إن حديث رد الشمس أخرجه جمع من الحفاظ الأثبات بأسانيد جمَّة، صَحَّح جمع من مَهَرَة الفن بعضها، وحكم آخرون بالحسن، وشدد جمع منهم النكير على مَنْ غَمَزَ فيه وضعفه وهم الأبناء الأربعة حملة الروح الأموية الخبيثة ألا وهم: ابن حزم، وابن الجوزي، وابن تيمية وابن كثير..

وجاء آخرون من الأعلام وقد عظم عليهم الخطب بإنكار هذه المأثرة النبوية، والمكرمة العلوية الثابتة فأفردوها بالتأليف، وجمعوا فيه طرفها، وأسانيدها. وعدَّ منهم تسعة مؤلفات لتسعة مؤلفين من كبار القوم.

ويخص بالنقل دفاع سبط بن الجوزي تلميذ ابن تيمية الذي يردُّ رداً لطيفاً على

---

(١) راجع عيون المعجزات، والبحار، ومدينة المعاجز للبحراني

المنكرين كأستاذه وجده.. وينقل في آخر رده هذه الحكاية اللطيفة..

وفي الباب حكاية عجيبة حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق، قالوا: شهدنا أبا منصور المظفَّر بن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بالتاجية ـ مدرسة بباب أبرز محلَّة ببغداد ـ وكان بعد العصر وذكر حديث رد الشمس لعلي (ع)، وطرَّزه بعباءته، ونمَّقهُ بألفاظه.. ثم ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام فنشأت سحابة غطت الشمس حتى ظنَّ الناس أنها قد غابت، فقام أبو منصور على المنبر قائماً، وأومى إلى الشمس وأنشد:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجلهِ

واثني عنانك إن أردتِ ثناءهم ... أنسيتِ إن كان الوقوف لأجلهِ

إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجلهِ

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت..[1]

فأحاديث كلام الشمس وسلامها لأمير النحل عليه السلام، ورجوعها له مراراً في حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وحتى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى من الثوابت وشبه المتواترة لدى طوائف المسلمين، ولا أراني بحاجة إلى الإطالة هنا بل أنقل الرواية الشريفة من مصادرها المعتبرة لتستنير بها عقولنا..

ويروي السيد المرتضى في عيون المعجزات، عن الفُضيل بن يسار، عن الإمام الباقر، عن أبيه، عن جده الإمام الحسين بن علي (صلوات الله عليهم)، قال: لما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل النهروان أخذ على النهروانات وأعمال العراق ولم يكن يومئذ بنيت بغداد.. فلما وافى ناحية (مسجد) براثا صلى بالناس الظهر، ودخلوا في أرض بابل وقد وجبت صلاة العصر، فصاح المسلمون: يا أمير المؤمنين هذا وقت العصر وقد دخل..

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **هذه أرض مخسوف بها، وقد خسف الله بها ثلاثاً وعليه**

(١) الإمام علي عليه السلام الهمداني ص١٨٣ عن تذكرة الخواص لابن الجوزي ص٥٣.

تمام الرابعة، ولا يحل لوصي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فليصل.

فقال المنافقون: نعم هو لا يصلي ويقتل من يصلي - يعنون أهل النهروان -.

قال جويرية بن مسهر العبدي: فتبعته في مائة فارس، وقلت: والله لا أصلي أو يصلي هو ولأقلدنَّه صلاتي اليوم.. قال: وسار أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى أن قطع أرض بابل وتدلت الشمس للغروب ثم غابت واحمر الأفق.. قال: فالتفت إليَّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **يا جويرية هات الماء.**

قال: فقدمت إليه الإداوة فتوضأ، ثم قال: **أذِّن يا جويرية..**

فقلت: يا أمير المؤمنين ما وجب العشاء بعد! فقال (صلوات الله عليه): **أذن للعصر.**

فقلت في نفسي: أذن للعصر وقد غربت الشمس ولكن عليَّ الطاعة، فأذنت.. فقال لي: **أقم.** ففعلت وإذا أنا في الإقامة إذ تحركت شفتاه بكلام كأنه منطق الخطاطيف لم أفهم ما هو، فرجعت الشمس بصرير عظيم حتى وقفت في مركزها من العصر، فقام عليه السلام وكبر وصلى، وصلينا وراءه، فلما فرغ من صلاته وقعت كأنها سراج في طشت وغابت واشتبكت النجوم، فالتفت إليَّ، وقال: **أذن أذان العشاء يا ضعيف اليقين**[1].

قال السيد المرتضى: وروي أن الشمس رُدت عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله موعوكا (مريضاً) فوضع رأسه في حجر أمير المؤمنين عليه السلام وحضر وقت (صلاة) العصر، فلم يبرح من مكانه وموضعه حتى استيقظ، فقال صلى الله عليه وآله: **اللهم إن عليا كان في طاعتك فرد عليه (الشمس) ليصلي العصر، فردها الله عليه بيضاء نقية حتى صلى، ثم غابت.**[2]

---

(١) عيون المعجزات: ٧ وعنه إثبات الهداة: ٢ / ٤٩٠ ح ٣١٧ وغاية المرام: ٦٣٠ ح ١١. وأخرجه في البحار: ٤١ / ١٦٨ ذ ح ٣ عن فضائل شاذان: ٦٨ والروضة له: ٣٠ مرسلا. وراجع الغدير: ٢٣ / ١٢٦ - ١٤١ وإحقاق الحق: ٥ / ٥٣٧ ففيهما مصادر كثيرة للحديث

(٢) عيون المعجزات: ٨، وأورده المؤلف أيضا في غاية المرام: ٦٣٠ ح ٤

عالم الجان

إن عالم الجان غير عالم الإنسان خلافا للبعض كما وهو غير عالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك،ولذا فهم مكلفون ومحاسبون مثل البشر، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور منها، أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان، والملائكة،فهم مخلوقون من نار،كما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[1].

وسموا جنا لاجتنانهم أي استتارهم عن رؤية العيون، وإبليس والد وأصل هذه الفصيلة، كما أن آدم عليه السلام أبونا وأصلنا نحن البشر،فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[2].

وخلق الجان متقدم على خلق الإنسان،لتقدم خلق إبليس على خلق آدم عليه السلام ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[3].

فقد نصت الآية أن الجان مخلوق قبل الإنسان.. ووجود الجن ثابت باتفاق أهل الإسلام، حتى أن مثل ابن تيمية وأتباعه من خوارج هذه العصور وهم ينكرون البديهيات العقائدية ويكفرون الأمة عليها،يعتقدون بوجود الجن وأنهم مكلفون ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرسل إليهم كذلك.. فقد قال الرجل في مجموعة الفتاوى: لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في: أن الله أرسل محمدا (صلى الله عليه (وآله) وسلم) إليهم[4].

وأضاف: وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوما بالضرورة،

---

(١) سورة الرحمن: ١٥

(٢) الكهف: ٥٠

(٣) الحجر: ٢٧

(٤) مجموعة الفتاوى، ج: ١٩، ص: ١٠

ومعلوم بالضرورة أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون..وقال: جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن. بدليل قول الله تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (١).

وقوله عز وجل يأمرهم بالعلم: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطانٍ﴾ (٢).

فالجن بناء على ذلك مكلفون بأوامر ونواهي، فمن أطاع رضي الله عنه وأدخله الجنة ومن عصى وتمرد فله النار، يدل على ذلك نصوص كثيرة ففي يوم القيامة يقول الله مخاطبا كفرة الجن والإنس موبخاً مبكتاً: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا قالُوا شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَشَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ﴾ (٣).

ففي هذه الآية دليل على بلوغ شرع الله الجن، وأنه جاءهم من ينذرهم، ويبلغهم رسالة الله تعالى، ولذا صح العتاب والعذاب. والدليل على أن الكفرة منهم سيعذبون في النار قوله تعالى: ﴿قالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً قالَتْ أُخْراهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

وقال في وصف المنافقين منهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾ (٥).

---

(١) الذاريات: ٥٦

(٢) الرحمن: ٣٣

(٣) الأنعام: ١٣٠

(٤) الأعراف: ٣٨

(٥) الأعراف: ١٧٩

ويدل على أن الإسلام الحنيف والقرآن العظيم شاملاً لهم هو التحدي لهم كذلك،وذلك حين تحدى القرآن الكريم الإنس والجن في الإتيان بمثله قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (١).

و لذا فإن طوائفاً منهم آمنوا بمجرد أن سمعوا القرآن وأنصتوا إليه بقلوبهم فآمنوا،وليس ذلك فقط بل صاروا مبلغين للإسلام بين طوائف الجان،وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ* قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (٢).

ونبي الله داوود وولده سليمان كانت سلطتهم على الجان واضحة بينة،لا تحتاج للشرح،قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٣)

وهم في هذا طوائف فمنهم الكامل في الإيمان والاستقامة والطيبة وعمل الخير ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم البله المغفلون، ومنهم الكفرة وهم الكثرة الكاثرة أي منهم الكاملون في الصلاح ومنهم أقل صلاحا، فهم مذاهب مختلفة كما هو حال البشر،كما سنوضح ذلك بتناول بعض الكلمات عن سورة الجن المباركة..

وهم كذلك يتميزون عن البشر بالقوة والقدرة،فربما تكون قادرة على التسلل إلى النفس الإنسانية لتوسوس لها وتمنيها، فالشيطان يجري بالإنسان مجرى الدم بالعروق،كما يقال..وإن تكون قادرة على التصرف مع مسائل الزمان والمكان بقدرات

(١) الإسراء: ٨٨

(٢) الأحقاف: ٢٩ و ٣٢

(٣) النمل: ٣٩

أكبر من القدرات الإنسانية، كما توحي إليه الآية الكريمة في قصة عرش بلقيس: ﴿قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (١).

وكل من الإنس والجن يؤثر بعضهم ببعض فالجان له أن يؤثر بالإنسان، والإنسان له أن يسخر الجان،وربما يراه ويرافقه، ففي مسألة عالم الجن وعالم الإنس متداخل بنصوص وآيات قرآنية كثيرة فالشيطان اللعين يُقسم في أكثر من موضع لإغوائنا،بعد أن لُعن وطرد من رحمة الله تعالى،بسبب استكباره عن السجود لآدم عليه السلام كقوله تعالى: ﴿قالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٢).

وربنا سبحانه أعطاه ذلك فقال له مرخِّصاً كما في سورة الأعراف المباركة: ﴿قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ﴾ (٣).

وفي سورة الإسراء الشريفة يقول ربنا: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً * قالَ أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً * قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً * إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَكَفى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ (٤).

وكما أن الجن يسخرون البشر كذلك البشر يُسخِّرون الجان لمآربهم والأمر واضح وبين بقصة (هاروت وماروت) في سورة البقرة المباركة حيث كانا من الشياطين في ملك

---

(١) النمل: ٣٩

(٢) سورة ص: ٨١ ـ ٨٥

(٣) الأعراف: ١٦ ـ ١٧

(٤) سورة الإسراء: ٦١ ـ ٦٥

سليمان يعثون في الأرض الفساد فيفرقون بين الرجل وزوجته،وأهله بما يفعلونه من أنواع السحر.. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾ (١).

وبالنتيجة أن كلاهما يعوذون ويلوذون ببعضهم البعض لو استطاعوا لذلك سبيلا،وصدق ربنا سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ ما شاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ * يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا قالُوا شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَشَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ﴾ (٢).

فربنا سبحانه أتاح للشيطان أن يغوي الإنسان، ولكن أعطا الإنسان السلاح الذي يقاوم به هذا الإغواء، ويحارب به هذا العدو المتربص كما أمرنا ربنا بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ (٣).

وذلك لأنه مخفي عنا،يسير في عروقنا،ويوسوس في أنفسنا،قال ربنا: ﴿يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

والسلاح هو العقل الخارجي (الأنبياء والرسل)،والعقل الداخلي وحباه بالإرادة ليفعل ما يأمره به الشرع والعقل وترك ما ينهونه عنه باختياره هو،ودور الشيطان الغواية والوسوسة والتزيين للباطل وتشويه الحق، وهذا ما يستتبع القول: بأن انحدار الإنسان في

---

(١) الجن: ٦

(٢) سورة الأنعام: ١٢٨ ـ ١٣٠

(٣) سورة فاطر: ٦

(٤) الأعراف: ٢٧

مهاوي الضلال ليس سببه الشيطان فحسب، بل تدخل أهواء النفس وتعللاتها من غرور وعجب وكسل وما إلى ذلك، في جملة أسباب الضلال، وهي ذات الأمور التي أسقطت إبليس في مهاوي المعصية)،وبشيء من التبسيط نقول: قد ذكرت للجان مواصفات كثيرة في القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، منها:

١ - إنهم مخلوقون من النار، بعكس الإنسان المخلوق من التراب: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾ (١).

٢ - إنهم يمتلكون الإدراك والعلم والتمييز بين الحق والباطل والقدرة على المنطق والاستدلال، (كما هو واضح من آيات سورة الجن المباركة).

٣ - إنهم مكلفون ومسؤولون عن تكليفهم (كما في آيات سورة الجن والرحمن وغيرها من آيات الكتاب العزيز).

٤ - وفيهم المؤمنون والصالحون والطالحون: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذلِكَ﴾ (٢).

٥ - إنهم يحشرون وينشرون،ويحاسبون كالبشر: ﴿وَأَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ (٣).

٦ – أن لهم القدرة على النفوذ في السماوات وأخذ الأخبار واستراق السمع، ولكنهم منعوا من ذلك فيما بعد: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً﴾ (٤).

٧ - كانوا يوجدون ارتباطا مع بعض الناس لإغوائهم بما لديهم من العلوم المحدودة التابعة إلى بعض الأسرار الروحية: ﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ

(١) سورة الرحمن، آية: ١٥

(٢) سورة الجن: ١١

(٣) سورة الجن: ١٥

(٤) الجن: ٩

﴿مِنَ الجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾ (١).

٨ – وأنه يوجد فيهم من يتمتع بالقدرة الفائقة كما هو موجود في أوساط الإنس من أولياء الله: ﴿قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (٢).

٩ – لهم القدرة على قضاء بعض الحوائج التي يحتاجها الإنسان: ﴿وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَتَماثِيلَ وَجِفانٍ كَالجَوابِ﴾ (٣)

١٠ – إن خلقهم كان قبل خلق الإنسان،وإبليس قبل آدم وجد في هذا الوجود: ﴿وَالجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ﴾ (٤)

ولهم خصائص أخرى بالإضافة إلى ذلك فإنه يستفاد من الآيات القرآنية أن الإنسان هو نوع أفضل من الجن، وبخلاف ما هو مشهور على الألسن بأنهم أفضل منا، ودليل اختيار الأنبياء من الإنس، وإنهم آمنوا بنبي الإسلام الذي هو من الإنس واتبعوه، وهكذا وجوب سجود الشيطان لآدم عليه السلام كما صرح القرآن بذلك، وكون الشيطان من أكابر وربما والد طوائف الجن هو دليل على أفضلية الإنسان على الجن.

إلى هنا كان الحديث عن أمور تستفاد من القرآن المجيد حول هذا الخلق المستور والخالية من كل الخرافات والمسائل غير العلمية، ولكننا نعلم أن السذج والجهلاء ابتدعوا خرافات كثيرة فيما يخص هذا الكائن بما يتنافى مع العقل والمنطق، منها ما نسب إليهم الأشكال الغريبة والعجيبة والمرعبة، وأنهم موجودات سامة وذوات أذناب! مؤذية، ومبغضة، سيئة التصرف والسلوك إذ يمكن أن تحرق دورا بمجرد أن يسكب إناء ماء

(١) الجن: ٦

(٢) النمل: ٣٩

(٣) سورة سبأ: ١٢ ـ ١٣

(٤) الحجر: ٢٧

مغلي في بالوعة مثلاً، وأوهام أخرى من هذا القبيل، في حين أن أصل الموضوع إذا تم تطهيره من هذه الخرافات قابلا للقبول، لأننا لا نملك دليلا على حصر الموجودات الحية بما نحن نراه، بل يقول علماء العلوم الطبيعية: إن الكائنات التي يستطيع الإنسان أن يدركها بحواسه ضئيلة بالنسبة للموجودات التي لا تدرك بالحواس..

وفي الفترة الأخيرة وقبل أن يكشف المجهر هذه الكائنات الحية، لم يُصدِّق أحد أن هناك الآلاف المؤلفة من الموجودات الحية المتواجدة في قطرة الماء أو الدم لا يمكن للإنسان أن يراها؛ ويقول العلم أيضا: إن أعيننا ترى ألواناً محددة، وكذا آذاننا تسمع أمواجاً صوتية محددة، والألوان والأصوات التي لا ندركها بآذاننا وأعيننا أكثر بكثير من تلك التي تدرك، وعندما تكون الدنيا بهذا الشكل لا يبقى موضع للتعجب من وجود هذه الكائنات الحية، والتي لا يمكن لنا إدراكها بالحواس، ولم لا نتقبل ذلك عندما يخبرنا إنسان صادق كالنبي العظيم صلى الله عليه وآله عن أحوالها.؟

وعلى أي حال فإن القرآن المجيد قد أخبرنا من جهة بوجود الجن وخصوصياته المذكورة سلفا، ومن جهة أخرى ليس هناك دليل عقلي على عدم وجود الجن، ولهذا لابد من الاعتقاد بهم، وتجنب الأقوال التي لا تليق بهم كما في خرافات العوام.. ومما يلاحظ أيضا أن لفظ الجن يطلق أحيانا على مفهوم أوسع يشمل أنواعا من الكائنات المستورة أعم من الكائنات ذوات العقل والإدراك والفاقدة لهما، وحتى مجاميع الحيوانات التي ترى بالعين والمختفية في الأوكار أيضا، والدليل على ذلك روايات وردت عن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: «**خلق الله الجن خمسة أصناف: صنف كالريح في الهواء، وصنف حياة، وصنف عقارب، وصنف حشرات الأرض، وصنف كبني آدم عليهم الحساب والعقاب**»[1]

وبالتوجه إلى هذه الروايات ومفهومها فسوف تحل الكثير من المشاكل التي تطرح

(١) سفينة البحار، ج ١، ص ١٨٦ (مادة الجن

في الروايات والقصص الخاصة بالجن. ففي رواية وردت عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: " **لا تشرب الماء من ثلمة الإناء ولا عروته، فإن الشيطان يقعد على العروة والثلمة**"[1].

لأن الشيطان هو من الجن، ولأن ثلمة الإناء وعروته محل لاجتماع المكروبات المتنوعة، فلا يستبعد أن يكون الجن والشيطان بمفهومه العام شاملا لمثل هذه الكائنات، وإن كان المعنى الخاص له هو الكائن ذو فهم وشعور وإنه مكلف ومسؤول، والروايات كثيرة في هذا الباب..[2]

وكثيرة هي الروايات التي تتحدث عن عالم الجان نكتفي بهذه الروايات الشريفة لشهرتها بين الأصحاب الكرام، وبالحقيقة ما هي إلا غيض من فيض تناقلته كتب السيرة والفضائل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي ذكره فضيلة كبرى وعبادة عظمى..

الجان واليهودي وحميره

عن أبي عبد الله (صلوات الله عليه) عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) دخل الكوفة فأقام بها أياما، فبينا هو يدور في طرقها، فإذا هو بيهودي قد وضع يده على رأسه، وهو يقول: معاشر الناس، أفبحكم الجاهلية تحكمون، وبه تأخذون، وطريقا لا تحفظون، فدعا به أمير المؤمنين عليه السلام فوقف بين يديه، وقال له: **ما حالك يا أخا اليهود؟**

فقال: يا أمير المؤمنين، إني رجل تاجر، خرجت من ساباط المدائن ومعي ستون حماراً، فلما حضرت موضع كذا أخذ ما كان معي اختطافاً، ولا أدري أين ذهب بها.. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **لن يذهب منك شيء، يا قنبر أسرج لي دابتي، فأسرج له فرسه،** فلما ركبه، قال: **يا قنبر ويا أصبغ بن نباته، خذا بيد اليهودي وانطلقا به أمامي،** وانطلقا به

(١) الكافي، ج ٦، ص ٣٨٥، كتاب الأشربة، باب الأواني، الحديث ٥

(٢) البحث مستفاد من تفسير الأمثل من أماكن ومواضع مختلفة بتصرف منا

حتى صاروا إلى الموضع الذي ذكره، فخطَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بسوطه خطة، فقال لهم: **قوموا في وسط هذه الخطة، ولا تجاوزوها فتخطفكم الجن**.. ثم قنع فرسه واقتحم في الصحراء، وقال: **والله معاشر ولد الجن من ولد الحارث بن السيد وهو إبليس، إن لم تردوا عليه حمره ليخلص ما بيننا وبينكم من العهد والميثاق، ولنضربنكم بأسيافنا حتى تفيئوا (ترجعوا) إلى أمر الله**..

فإذا أنا بقعقعة اللُّجُم، وصهيل الخيل، وقائل يقول: الطاعة، الطاعة لله، ولرسوله، ولوصيه، ثم تجرَّد (ظهر) في الصحراء ستون حمارًا بأحمالها، لم يذهب منها شيء، فأداها إلى اليهودي.. فلما دخل الكوفة، قال له اليهودي: ما اسم محمد ابن عمك في التوراة؟ وما اسمك فيها؟ وما اسم ولديك؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **سَلْ استرشاداً، ولا تسأل تعنتاً، عليك بكتاب التوراة: اسم محمد فيها طاب، طاب، واسمي إيليا، واسم ولديَّ شُبرٌ و شُبير**.. فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنك وصيه من بعده وأن ما جاء به وجئت به حق[1].

ويروي الشيخ رجب البرسي في مشارقه، قال: إن جنيا كان جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فاستغاث الجني، وقال: أجرني (يا رسول الله من هذا الشاب المقبل). فقال صلى الله عليه وآله: **ما فعل بك؟** قال: تمردت على سليمان، فأرسل إليَّ نفرا من الجن، فطلت عليهم، فجاءني هذا الفارس، فأسرني وجرحني، وهذا مكان الضربة إلى الآن لن تندمل.

ولهذه الرواية طريق آخر هو من أهل العامة،وهو ما رواه صاحب فضائل العشرة: أن جنيا كان جالسا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل علي عليه السلام فغاب الجني، فلما خرج علي عاد الجني إلى مكانه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **لِمَ غبت عند حضور علي؟** فقال: يا رسول الله إن علياً جرحني. قال: **وكيف؟ ولم تظهر إلا في زمن سليمان** عليه السلام.

---

(١) مدينة المعاجز ـ السيد هاشم البحراني ـ ج ١ ـ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٦، الثاقب في المناقب: ٢٦٩ ح ١

ثم قال ﷺ: إن الله تعالى خلق ملكا على صورة علي يقاتل مع الأنبياء.

وقال البرسي أيضا: قال رسول الله ﷺ: يا علي إن الله أيد بك النبيين سراً، وأيدني بك جهراً..

الثعبان من الجن

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر، إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد، فَهَمَّ الناس أن يقتلوه، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام: (أن كفوا) فكفوا، وأقبل الثعبان ينساب حتى انتهى إلى المنبر، فتطاول فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام فأشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه أن يقف حتى يفرغ من خطبته. فلما فرغ من خطبته، أقبل عليه، فقال: من أنت؟ فقال: أنا عمرو بن عثمان خليفتك على الجن، وإن أبي مات وأوصاني أن آتيك وأستطلع رأيك، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به وما ترى؟ فقال له أمير المؤمنين: أوصيك بتقوى الله، وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجن فإنك خليفتي عليهم، قال: فودع عمرو أمير المؤمنين - عليه السلام - وانصرف، فهو خليفته على الجن، فقلت له: جعلت فداك فيأتيك عمرو وذاك الواجب عليه، قال: نعم.

وثعبان آخر كذلك

يروي السيد الأجل السيد المرتضى علم الهدى - قدس الله سبحانه روحه - في كتاب عيون المعجزات المنتخب من بصائر الدرجات: قال: كلام الثعبان وهو حديث مشهور بالإسناد، يرفعه إلى الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: كان أمير المؤمنين - عليه السلام - يخطب في يوم الجمعة على منبر الكوفة، إذ سمع وحية تعدو والرجال يتواقعون بعضهم على بعض، قال لهم: مالكم؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ثعبان عظيم، قد دخل ونفزع منه، ونريد أن نقتله. فقال - عليه السلام -: لا يقربنه أحد منكم فطرقوا إليه، فإنه رسول جاء في حاجة، فطرقوا له، فما زال يتخلل الصفوف حتى صعد

المنبر، فوضع فمه في اذن أمير المؤمنين - عليه السلام -، فنق في اذنه نقيقا، وتطاول أمير المؤمنين يحرك رأسه، ثم نق أمير المؤمنين - عليه السلام - مثل نقيقه، فنزل عن المنبر فانساب بين الجماعة، فالتفتوا فلم يروه، فقالوا: يا أمير المؤمنين وما هذا الثعبان؟ فقال: هذا الدرجان بن مالك خليفتي على المسلمين من الجن، وذلك انهم اختلفوا في أشياء فأنفدوه إلي فجاء سألني عنها، فأخبرته بجواب مسائله فرجع.

زبدة المخض

الجن: هم الثقل الآخر المقابل للإنس، وهم الجانب المخفي من علم الإمكان، ولهذا سموا جناً: لأنه من الجنن ؛الستر، والجنة ؛هي السترة..ومنه الجنين لأنه مخفي ومستور في بطن أمه، والمجنون الذي ابتلي بستر على عقله فغطاه، والجنينة البستان المغروس بالأشجار فتغطي أرضها ومن عليها فتسترهم عن عيون المتطفلين.

هذا وقد وردت مادة (الجن) في القرآن الكريم / ١٩/ مرة في تسع منها كانت مقرونة بالإنس (الجن والإنس)، وهناك موارد لإضلال الجن للإنس وتعوُّذ رجال الإنس برجال الجن، وموارد تذكر لنا إيمان الجن وكفرهم، علماً أن إبليس هو من كبارهم وكان مع الملائكة ولم يكن منهم، فلا يلتبس عليك الأمر..

والقرآن الكريم يقص لنا نبأ نفر من الجن مروا برسول الله ﷺ وهو جالس تحت شجرة يتلو آيات من القرآن كريم بصوته الغذب فاستوقف بعضهم بعضاً، وأنصتوا له بقلوبهم فتأثروا به وآمنوا بما أنزل الله على رسوله الكريم ﷺ وولوا إلى قومهم يبشرونهم بنزول وحي جديد، وكتاب مفيد وأنذروهم من الكفر والإستكبار عن الأمر والطاعة لرسول الله ﷺ..

وأما في سورة (الجن) المباركة فإنها تعطينا صورة أكثر وضوحا عن هذه الأقوام المخفية عنا وهي تشاركنا حياتنا في كل شيء، وإليك بعض الآيات الشريفة، نستنير بها، ونستفيد منها:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً * وَأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً * وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللهِ شَطَطاً * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً * وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾ (١)

وتستمر الآيات بهذا الإنسياب الرائع، إلى أن يقولوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذلِكَ كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً * وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وَأَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ (٢)

فلا ينكر الجن وعالمهم إلا جهول، فهم من الحقائق الثابتة في هذه الحياة، وتشملهم الرسالة الخاتمة حتماً، وفيهم المؤمن والفاسق، وفيهم المطيع والعاصي، ومنهم من يعمل الصالحات ومن يعمل الطالحات.. فهم كالبشر وتنوعهم في هذا المجال إلا أنهم محترمون ويحترمون أنفسهم وبني جنسهم أكثر من البشر ويا ليت أننا نتمتع بجزء بسيط من هذا الإحترام لبعضهم البعض..

ولعلك لم تلتفت إلى هذه الناحية في خطابهم الذي يرويه لنا أصدق القائلين سبحانه وتعالى.. فإنك لا تجد ولا حتى كلمة حادة يصفون بها بعضهم، فتأمل أرجوك بهذه الكلمات ﴿كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللهِ شَطَطاً﴾ فوصفوا إبليس أو حتى غيره بالسفيه وليس أكثر..ويبررون بأننا كنا على يقين أنه لا يمكن لأحد من الإنس أو الجن يتجرأ ويكذب على الله..ونحن اليوم بل وربما في كل لحظة لدينا من يكذب على الله ويسوقه لنا ويريد الأمة أن تتبعه على ضلاله..

وإليك ما هو أجمل: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذلِكَ﴾ الله، الله لم يصفوهم

---

(١) الجن: ١ ـ ٦.

(٢) الجن: ١ ـ ١٥

بالكفر ولا بالزندقة ولا بالجحود، ولا بالشرك الأكبر ولا بالشرك الأصغر ولا أي لفظة من ألفاظ هذا السوق اليوم والتي نخرت عظامنا من أولئك الذين يحتكرون الدين ويصنعونه على مقاسهم وعليك أن تلبسه رغم أنفك وإلا فأنت كافر ومشرك بالله – والعياذ بالله – ألم نتعلم من الجن المؤدبين الذين قالوا هذا القول ﴿**مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ**﴾ فلم يدَّعوا الصلاح لأنفسهم، ويطردوا الآخرين من تماماً، بل تركوا الأمر يموج بينهم وبين من يستمع إلى كلامهم، ويكون على بينة بأن منهم من هو صالح بعض الصلاح وآخرون أقل صلاحا منه ﴿**دُونَ ذَلِكَ**﴾، فلم يصفونه بالكافر كثقافة التكفير التي اجتاحت العالم بأسره فكل من ليس منا ومعنا فهو كافر، وليس ذلك فقط بل هو كافر ويقتل فدمه وماله وعرضه حلال لهم فلماذا أيها الناس لم تتعلموا من الجان ثقافة الإنسان وتدعوا سخافة التكفير المقيتة..

فالجان يعلمون أن الله سبحانه خلقهم مختلفين ومشتتين ﴿**طَرَائِقَ قِدَداً**﴾ ولكل رأيه، وحسابه على الله، لأنهم ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ**﴾ ولم يتجاوزوا هذه الكلمة المهذبة (**قَاسِطُونَ**) ونحن كذلك خلقنا الله ربنا مختلفين والطريق إليه بعدد أنفاس الخلائق والجنة مشروع خاص لا ولن تحتكره أنت مهما بلغت من قوة الدولار والصواريخ العابرة والطائرات المقاتلة، فلماذا هذا الإستكبار والعنجهية ألم يمر على أولئك قوله ﷺ: بينوا للناس أعمالهم وحسابهم على الله..فلماذا تحاسبني أنت، ومن أنت لتحاسب فتكفر هذا وتشرك ذاك وتقتل هذه وتدمر تلك؟ فمن الذي قال لك أنك منصوبا من الله على هذه العباد، فدعهم وما يعبدون أيها المأفون، فإن كان لديك رسالة – كما تدَّعي – فبلغها فإن كانت تخاطب العقل قبلها العقلاء، وإن كانت تخاطب القلب قبلها العرفاء، وإن كانت غير ذلك فتختبرها في هذه الحياة وتعلم أنها ملائمة للحياة أو غير مناسبة حتى لتعيش في هذه الحياة فاعط نفسك فرصة قبل أن تكون غصة وتندم عليها ولا ينفعك الندم..

وإياك والإفتاء لا سيما بالفروج والدماء فإنها تضج منك إلى الله إذا قضيت بجهل، أو حكمت بغير علم، ولا تكفر أحد من أهل القبلة لأن رسول الله ﷺ يحكم عليك بالكفر أنت وليس هو، ولربما يغفر الله له بسبب تهمتك له وأنت تخلد في نار الجحيم إلى الأبد..

الإمام علي عليه السلام وحرب الجن

الآيات بينت، والأحاديث النبوية فسرت تلك الآيات، وكثير منها في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، سيما وأنه ما من آية أو نداء للمؤمنين بالقرآن الحكيم إلا وهو أميرها وإمامها كما ورد وأثبتنا في دراسات أخرى..

وبما أن من الجن أقوام مؤمنون كبني البشر ولذلك فما من مؤمن من الجن إلا وعلي عليه السلام أميره وإمامه، وهو حجة الله تعالى على الجن كما هو حجته على الإنس وعليه فلا مجال للإستغراب إذا روينا بعض الأحاديث التي تحكي لنا إصلاحه للعالم العلوي وما فيه، أو السفلي ومن فيه كذلك..

وسأتناول حديثا واحداً فقط لشهرته وروايته من طرقنا وطرق إخوتنا في الله أهل السنة والجماعة،وهو:

حديث الجني عطرفة

يروي سلمان الفارسي يقول:كنا مع رسول الله ﷺ في يوم مطير،ونحن ملتفون حوله فهتف هاتف فقال: السلام عليك يا رسول الله، فرد عليه السلام، وقال: **مَنْ أنت؟**

قال: عطرفة (أوعرفطة) بن شمراخ أحد بني النجاح..

قال: **اظهر لنا رحمك الله في صورتك.**

قال سلمان: فظهر لنا شيخ أذب (منحني) أشعر، قد لبس وجهه شعر غليظ متكاثف قد واراه، وعيناه مشقوقتان طولاً، وله فم في صدره فيه أنياب بادية طوال، وأظفاره كمخالب السباع، فقال الشيخ: **يا نبي الله ابعث معي مَنْ يدعو قومي إلى الإسلام، وأنا**

أردَّه إليك سالما.. فقال النبي صلى الله عليه وآله: **أيكم يقوم معه فيبلغ الجن عني، وله عليَّ الجنة.؟** فلم يقم أحد معه، فقال ثانية وثالثة، فقال علي عليه السلام: **أنا يا رسول الله.**

فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى الشيخ، فقال: **وافني إلى الحرة في هذه الليلة، أبعث معك رجلاً يفصل حكمي، وينطق بلساني، ويبلغ الجن عني**، قال: فغاب الشيخ ثم أتى في الليل وهو على بعير كالشاة، ومعه بعير آخر كارتفاع الفرس، فحمل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام عليه، وحملني خلفه، وعصَّب عينيَّ، وقال: **لا تفتح عينيك حتى تسمع علياً يؤذِّن، ولا يروعك ما تسمع، فإنك آمن**.. فسار البعير، ثم دفع سائرا يدفُّ كدفيف النعام، وعلي عليه السلام يتلو القرآن، فسرنا ليلتنا حتى إذا طلع الفجر أذَّن علي عليه السلام، وأناخ البعير،وقال: انزل يا سلمان، فحللت عيني، ونزلت، فإذا أرض قوراء، فأقام الصلاة، وصلى بنا،ولم أزل أسمع الحسَّ حتى إذا سلم علي عليه السلام التفتُّ فإذا خلق عظيم، وأقام عليٌّ يسبِّحُ ربَّه حتى طلعت الشمس، ثم قام خطيباً، فخطبهم، فاعترضته مَرَدَةٌ منهم، فأقبل علي عليه السلام عليهم، فقال: **أبالحق تكذِّبون، وعن القرآن تصدفون، وبآيات الله تجحدون.؟** ثم رفع طرفه إلى السماء، فقال: **اللهم؛ بالكلمة العظمى،و الأسماء الحسنى،والعزائم الكبرى،والحي القيوم، ومحيي الموتى،ومميت الأحياء،ورب الأرض والسماء، يا حَرَسَةُ الجن،ورَصَدَةُ الشياطين،وخُدَّام الله الشرهاليين، وذوي الأرواح الطاهرة،اهبطوا بالجمرة التي لا تطفأ، والشهاب الثاقب، والشواظ المحرق، والنحاس القاتل ب (المص)،وب (كهيعص)، و(الطواسين)،و (الحواميم)،و (يس)،و (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) ، و (الذَّارِيَاتِ)،و (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) ،و ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾،والاقسام العظام، ومواقع النجوم،لما أسرعتم الاغدار إلى المَرَدَةُ المتولعين المتكبرين الجاحدين آثار رب العالمين.**

قال سلمان: فأحسستُ بالأرض من تحتي ترتعد وسمعت في الهوى دوياً شديداً، ثم نزلت نار من السماء صُعِقَ كلُ مَنْ رآها من الجن، وخرَّت على وجوهها مغشياً عليها،

وسقطتُ أنا على وجهي، فلما أفقت إذا دخان يفور من الأرض، فصاح بهم علي عليه السلام: **ارفعوا رؤوسكم فقد أهلك الله الظالمين، ثم عاد إلى خطبته، فقال: يا معشر الجن والشياطين، والغيلان، وبني شمراخ، وآل نجاح، وسكان الآجام، والرمال، والقفار، وجميع شياطين البلدان، اعلموا أن الأرض قد ملئت عدلاً كما كانت مملوءة جوراً، هذا هو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال، فأنى تصرفون.؟**

فقالوا: آمنا بالله ورسوله وبرسول رسوله، فلما دخلنا المدينة، قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ماذا صنعت.؟ قال: **قد أجابوا وأذعنوا وقصَّ عليه الخبر**، فقال النبي صلى الله عليه وآله: **لا يزالون كذلك هائبين إلى يوم القيامة**[1].

ولهذه الحديث رواية أخرى نأخذها تتميماً للفائدة..

كذلك هي عن سلمان الفارسي، قال:: كان النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً بالأبطح وعنده جماعة من أصحابه وهو مقبل علينا بالحديث، إذ نظرنا إلى زوبعة[2] قد ارتفعت، فأثارت الغبار، وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقفت (بجانب) بحذاء النبي صلى الله عليه وآله ثم برز منها شخص كان فيها، ثم قال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إني وافد قومي، وقد استجرنا بك فأجرنا، وابعث معي من قبلك من يشرف على قومنا، فإن بعضهم قد بغى علينا، ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله وكتابه، وخذ عليَّ العهود والمواثيق المؤكدة أن أردَّه إليك سالماً في غداة غد، إلا أن تحدث عليَّ حادثة من عند الله.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **مَنْ أنت، ومَنْ قومك؟**

قال: أنا عطرفة بن شمراخ، أحد بني نجاح، وأنا وجماعة من أهلي كنا نسترق السمع، فلما مُنِعنا من ذلك آمنا، ولما بعثك الله نبياً آمنا بك على ما عملته، وقد صدقناك،

---

(١) مدينة المعاجز ـ السيد هاشم البحراني ـ ج ١ ـ ص ١٤٤ – ١٥٢، المناقب لابن شهرآشوب: ٢ / ٣٠٨، وعنه البحار: ٣٩ / ١٨٣ وحلية الأبرار: ١ / ٢٦٨

(٢) الزوبعة: رئيس من رؤساء الجن، ومنه سمي الاعصار: زوبعة، قال الجوهري: ريح ترتفع بالتراب أو بمياه البحار وتستدير كأنها عود

وقد خالفنا بعض القوم، وقاموا على ما كانوا عليه، فوقع بيننا وبينهم الخلاف، وهم أكثر منا عدداً وقوةً، وقد غلبوا على الماء والمراعي، وأضروا بنا وبدوابنا، فابعث معي مَنْ يحكم بيننا وبينهم بالحق..

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها..**

قال: فكشف لنا عن صورته، فنظرنا فإذا شخص عليه شعر كثير، فإذا رأسه طويل العينين، عيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين، وله أسنان كأنها أسنان السباع.. ثم أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ عليه العهد والميثاق على أن يردَّه عليه وفي غد من يبعث به معه، فلما فرغ من ذلك، التفتَ إلى أبي بكر فقال له: **سِرْ مع أخينا عطرفة، وانظر إلى ما هم عليه، واحكم بينهم بالحق..**

فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وأين هم؟

قال: **هم تحت الأرض..** فقال أبو بكر: وكيف أطيق النزول تحت الأرض، وكيف أحكم بينهم ولا أحسن كلامهم.؟ ثم التفت إلى عمر بن الخطاب، فقال له مثل قوله لأبي بكر، فأجاب مثل جواب أبي بكر، ثم أقبل على عثمان، وقال له مثل قوله لهما، فأجابه كجوابهما.. ثم استدعى بعلي عليه السلام، وقال له: **يا علي سِرْ مع أخينا عطرفة، وتشرف على قومه، وتنظر إلى ما هم عليه، وتحكم بينهم بالحق..** فقام أمير المؤمنين عليه السلام مع عطرفة وقد تقلد سيفه..

قال سلمان (رضي الله عنه): فتبعتهما إلى أن صارا إلى الوادي فلما توسطاه نظر إليَّ أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: **قد شكر الله تعالى سعيك يا أبا عبد الله فارجع..** فوقفتُ أنظر إليهما، فانشقت الأرض ودخلا فيها،وعدت إلى ما كنت ورجعت وتداخلني من الحسرة ما الله أعلم به كل ذلك إشفاقاً على أمير المؤمنين عليه السلام وأصبح النبي صلى الله عليه وآله وصلى بالناس الغداة، وجاء وجلس على الصفا وحفَّ به أصحابه، وتأخر أمير المؤمنين عليه السلام وارتفع النهار، وأكثر الناس الكلام، إلى أن زالت الشمس، وقالوا إن الجني احتال على

النبي ﷺ وقد أراحنا من أبي تراب، وذهب عنا افتخاره بابن عمه علينا، وأكثروا الكلام إلى أن صلى النبي ﷺ الصلاة الأولى (الظهر)، وعاد إلى مكانه وجلس على الصفا، وما زال أصحابه بالحديث إلى أن وجبت صلاة العصر وأكثر القوم الكلام، وأظهروا اليأس من أمير المؤمنين عليه السلام، فصلى النبي ﷺ صلاة العصر، وجاء وجلس على الصفا، وأظهر الفكر في أمير المؤمنين عليه السلام وظهرت شماتة المنافقين بأمير المؤمنين، وكادت الشمس تغرب فتيقن القوم أنه قد هلك، إذا وقد انشق الصفا وطلع أمير المؤمنين عليه السلام وسيفه يقطر دما ومعه عطرفة،فقام إليه النبي ﷺ وقبّل بين عينيه وجبينه، وقال، له: **ما الذي حبسك عني إلى هذا الوقت.؟**

فقال عليه السلام: **صرت إلى جن كثير قد بغوا على عطرفة وقومه من المنافقين، فدعوتهم إلى ثلاث خصال، فأبوا عليَّ؛ وذلك أني دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى، والإقرار بنبوتك ورسالتك فأبوا، فدعوتهم إلى أداء الجزية فأبوا، فسألتهم أن يصالحوا عطرفة وقومه فيكون بعض المراعي لعطرفة وقومه، وكذلك الماء فأبوا ذلك كله، فوضعت سيفي فيهم وقتلت منهم زهاء ثمانين ألفاً، فلما نظروا إلى ما حلَّ بهم طلبوا الأمان والصلح، ثم آمنوا وصاروا إخوانا وزال الخلاف وما زلت معهم إلى الساعة.**

فقال عطرفة: يا رسول الله جزاك الله وأمير المؤمنين عنا خيراً[1].

فالحديث واضح لا يحتاج للتأويل والتفسير، وبالخصوص إذا عرفت بأن أمة الجان قد سُخِّروا للأنبياء والرسل من قبل وكانوا عبيداً أرقاء عند النبي الملك سليمان بن داوود عليه السلام كما تخبرنا الآيات في سورة النمل، وسبأ المباركة، هذا وقد قص لنا ربنا قصة العفريت وتسابقه مع سيدنا آصف بن برخيا في جلب عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين..

---

(١) عيون المعجزات: ٤٣ وعنه البحار: ١٨ / ٨٦ ح ٤ و ج ٦٣ / ٩٠ ح ٤٥ وحلية الأبرار: ١ / ٢٧٠. ورواه الطبري في نوادر المعجزات: ٥٢ ح ٢١

قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ فميَّز نفسه بالقوة والأمانة..

وأما آصف عليه السلام: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فقد ميزه الله تعالى بأن أعطاه علما من الكتاب والعلم يغلب القوة والأمانة كما تفيدنا الآية المباركة..

والروايات تؤكد أنه ليس لسيدنا آصف إلا علما بحرف واحد من مجموع الحروف وهي/ إما ٧٢ أو٢٨/ حرفاً دعا الله به فشق له الأرض وجاء قصر بلقيس كاملا وليس الكرسي فقط كما يذهب بعضهم، وعلم كل الحروف بأجمعها عند أمير المؤمنين عليه السلام، وبذلك نطق الذكر الحكيم. وإليه الإشارة بقوله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (١)

يروى أن رجلا من أهل الشام كان زعيم قومه، ووجه عشيرته، وكان لديه عدد لابأس به من الذكور وبنت واحدة، وكان حكيما ولبيبا، وفي يوم من الأيام بدأت تظهر على ابنته أمارات الحمل وهي بنت عنده ولم تتزوج..

فسألها عن حالها فقالت له: لم يقربني أحد قط..

وجاؤوا إليها بالقوابل فقلن: إنها بنت بكر ولكنها حامل، لأن بطنها قد كبر وراح الحمل بالحركة.. فأراد إخوتها الخلاص منها كعادتنا الجاهلية نحن العرب نقتل البنت إذا فعلت شيء ونفتخر بالصبي إن فعل مثله..

فرفض والدها وقال لهم: اذهبوا بها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المدينة وقصوا له القصة، وإن فعلت ما يوجب الحد فليقم عليها حد الله..

وبالفعل أخذ الشباب أختهم وذهبوا إلى حلال المشاكل وقصوا له قصته، فسأل البنت فقالت: يا أمير المؤمنين لم يقربني رجل قط. فأمر بقابلة لكي تحضر، والتفت إلى

---

(١) الرعد: ٤٣

إخوتها وقال أريد قطعة من الثلج.. فقلوا: يا أمير المؤمنين نحن من الشام ولدينا ثلج كثير ونحن الآن في الحجاز فمن أين نأتي بالثلج.؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم ومدَّ يده المباركة وعاد بها فإذا هي مليأة بالثلج، فأعطاه للقابلة وقال لها إفركي بها فرجها جيدا وأعلمينا بما يجري..والأخوة مشدوهين مما رؤوا من أمير المؤمنين عليه السلام..

فقالوا: يا أمير المؤمنين من أين أتيت بالثلج.؟

فقال عليه السلام: من عندكم من الشام.. فقالوا: كيف جئت به وأنت لم تبرح من كانك.؟

فقال عليه السلام: إن أخي آصف بن برخيا عنده علم من الكاتاب فجاء بعرش بلقيس من اليمن بطرفة عين وأنا عندي علم الكتاب كله وتستكثرون عليَّ أن آتي بقطعة ثلج من جبال الشام.؟

ولما رجعت المرأة تضحك وفي يدها وعاء فيه قطعة دم كبيرة، وقالت: يا أمير المؤمنين هذا ما نزل من البنت..

فالتفت إلى الفتاة وقال لها: هل نزلت تستحمين في حوض فيه ماء.؟

قالت: نعم يا أمير المؤمنين..

فقال عليه السلام: كان في الماء علقة فدخلت في أحشاءك وراحت تمتص الدم منك وتكبر فإياك أن تعودي لمثل ذاك الماء..

ومن ذاك النور ما رواه المقداد بن الأسود (رض) قال: قال لي مولاي يوما آتني سيفي، فجئته به، فوضعه على ركبتيه، ثم ارتفع في السماء وأنا أنظر إليه حتى غاب عن عيني، فلما قرب الظهر نزل وسيفه يقطر دما، قلت: يا مولاي أين كنت؟

فقال: **إن نفوساً في الملأ الأعلى اختصمت فصعدت فطهرتها.**

فقلت: يا مولاي وأمر الملأ الأعلى إليك.؟

فقال: **أنا حجة الله على خلقه من أهل سماواته وأرضه، وما في السماء من ملك**

يخطو قدما عن قدم إلا بإذني.[1]

نعم؛ أنكر هذا الحديث قوم وعارض فيه آخرون، فقالوا: كيف صعد عليه السلام إلى السماء وهو جسم كثيف.؟ فقلت (البرسي) في جواب من أنكر: إن عليا ليس كآحاد الناس وليسوا كعلي عليه السلام، وذاك غير جائز، وأين النور من الظلام، والأرواح من الأجسام، ومن لا ينكر صعود النبي صلى الله عليه وآله لا ينكر صعود الولي، ولا فرق بينهما في عالم الأجسام، ولا في الرفعة والمقام.

أما سمعت ما رواه ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله لما جاءه جبرائيل ليلة الإسراء بالبراق عن أمر الله بالركوب، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **ما هذه.؟**

فقال: **دابة خلقت لأجلك ولها في جنة عدن ألف سنة.**

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **وما سير هذه الدابة.؟**

فقال: **إن شئت أن تجوب بها السماوات السبع والأرضين السبع فتقطع سبعين ألف عام ألف مرة كلمح البصر قدرت..**

وإذا كانت دابة النبي صلى الله عليه وآله لها هذه القدرة، فكيف من لأجله وبأجله خلقت كل دابة.

ويؤيد هذا ما رواه محمد بن الحسن الصفار في كتاب بصائر الدرجات، قال: إن رجلا من علماء اليمن حضر مجلس أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، فقال له: **يا يمني، أفي يمنكم علماء.؟** قال: نعم.

قال: **فما بلغ عالمكم.؟** قال: يسير في ليلة واحدة سير شهرين تزجر الطير.

فقال له أبو عبد الله: **إن عالم المدينة أفضل**، فقال اليمني: وما يفعل.؟

قال: **يسير في ساعة من النهار مسيرة ألف سنة حتى يقطع ألف عالم مثل عالمكم هذا..**

ويؤيد هذا ما رواه صاحب (تحف العقول): أن عليا عليه السلام مر إلى حصن ذات

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٦٨، والأمالي للصدوق: ١٨٩

السلاسل، فدعا سيفه ودرقته، وترك الترس تحت قدميه والسيف على ركبتيه، ثم ارتفع في الهواء، ثم نزل على الحائط وضرب السلاسل ضربة واحدة فقطعها، وسقطت الغرائر، وفتح الباب..

وهذا مثل صعود الملائكة ونزولهم؛ ثم نقول للمنكر: ألم تعلم أن العالم بالله، المعرض عمن سواه، إن شاء ارتفع في الهواء، وإن شاء مشى على الماء، واخترق الأجواء، فإن عظم هذا لديك فانظر: أليس قد ارتفع إدريس وعيسى عليهما السلام .؟ أليس قد شُق البحر لموسى عليه السلام .؟ أليس قد ركب سليمان على الهواء، وركب الخضر على الماء.؟ أليس كل الموجودات مطيعة للمولى الولي بإذن الرب العلي.؟ أليس الكل دابة وهو الحاكم المتصرف، وإلا لم يكن مولى للكل، وهو مولى الكل، فالكل طوعه ومسخرات بأمره.

وأسألك بعد كل هذا البيان: ما الفرق بين صعوده إلى السماء، وبين نزوله تحت الأرض وشق الأرض لقتاله الجان وأخذ العهد عليهم.؟.

فإن مَنْ كان يدين الله بدين، وبآيات أولياء الله من المصدقين، لا يرى أي فرق بين الأمرين..

ولعلك تقول: كيف يكون في الملأ الأعلى خصومه.؟ والقرآن يذكرك هذا من قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (١).

أما سمعت قصة هاروت وماروت، وفطرس الملك؟ أما علمت أن الجن الطيار مسكنهم الهواء؟ وبطن الأرض مسكن (المردة) المتمردين؟ فأين الغضاضة إذا اختصمت طائفة من الجن فيما بينهم فصعد إليهم الولي الأمين عليه السلام فنصر الحق وطهرهم من الباطل.

وعندما ننقل عن الأمير عليه السلام ممن رآه عيانا، لمَنْ لا يعلم، أولا يفهم، أولا حظ له

(١) سورة ص: ٦٩

من السر إليهم نصيب، تراه يستغرب ويتعجب من هذا الخبر الذي يرويه الصحابي الجليل المقداد بن الأسود.. فهو كما قيل لداود: الخل لا يدري بطيب حلاوة العسل.

ويقول: نزل من السماء وسيفه يقطر دما.. ولمن قال هل في السماء دماء، وكيف يقع القتل على الجن، وهم أجسام شفافة، ومن أين للشفاف دم.؟

نقول: يا قليل العِبرة، وكثير العَبرة، وقُطير القطرة، ألم تمطر السماء دماً ورماداً لقتل الإمام الحسين عليه السلام .؟ ومن أين للسماء الرماد والدم.؟ بل هي آيات بينات.

ألم يعلم أن عليا قتل الجن وأخذ عليهم العهد.؟ فإذا لم يكن لهم دم ولا نفوس فكيف وقع عليهم القتل، وليس هذا مكان التأويل. وصدق هذا المدعى قوله سبحانه: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١).

وكيف تحرق النار من ليس بجسم.؟ وكيف يتألم بالعذاب من ليس له عروق ولا دم.؟ وإذا كان الجن مخلوقين من النار ولا تؤثر النار فيهم فمن ترى يدخل النار عوضا عن إبليس وقد أضل الأولين والآخرين.؟

أفٍ لعقلك السقيم، ورأيك العديم، أما علمت أن عليا منبع الأنوار، وآية الجبار، وصاحب الأسرار، الذي شرح لابن عباس في ليلة حتى طفا مصباحها صباحها، في شرح الباء من بسم الله، ولم يتحول إلى السين، وقال: لو شئت لأوقرت أربعين بعيرا من شرح بسم الله الرحمن الرحيم.

فإن كبر عليك إعراضهم، وزادت عند سماع الأسرار أمراضهم، فأنشدهم ولا تناشدهم، فماذا عليهم لو أجابوا الداعي إلى الله، لكنهم خلقوا بغير أسماع سميعة، ولا قلوب مطيعة.

ثم إليك ما يتمم هذه الأسرار وهو ما رواه صاحب المقامات، مرفوعا إلى ابن عباس قال: رأيت عليا يوما في سكك المدينة يسلك طريقا لم يكن له منفذ، فجئت فأعلمت

---

(١) الأعراف: ١٨

رسول الله ﷺ، فقال: إن عليا عَلَمُ الهدى، والهدى طريقه، قال: فمضى على ذاك ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الرابع أمرنا أن نمضي في طلبه، قال ابن عباس: فذهبتُ إلى الدرب الذي رأيته فيه وإذا بياض درعه في ضوء الشمس، قال: فأتيت فأعلمت رسول الله ﷺ بقدومه، فقام إليه فلاقاه، واعتنقه، وحمل عنه الدرع بيده، وجعل يتفقد جسده..

فقال له عمر: كأنك يا رسول الله توهم (تأمل هنا رسول الله ﷺ يوهمهم) أنه كان في الحرب.؟

فقال له النبي ﷺ: **يا ابن الخطاب، والله لقد ولي علي على أربعين ألف ملك، وقتل أربعين ألف عفريت، وأسلمت على يده أربعون قبيلة من الجن..**

وإن الشجاعة عشرة أجزاء، تسعة منها في علي، وواحدة في سائر الناس..

والفضل والشرف عشرة أجزاء تسعة منها في علي وواحدة في سائر الناس..

وإن عليا مني بمنزلة الذراع من اليد، وهو ذراعي من قميصي (جسدي)، ويدي التي أصول بها، وسيفي الذي أجالد به الأعداء، وإن المُحب له مؤمن، والمخالف له كافر، والمقتفي لأثره لاحق..[1]

ومن ذلك ما رواه صاحب عيون الأخبار قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام مرَّ في طريق فسايره خيبري (يهودي من خيبر) فمر بواد قد سال فركب الخيبري مِرطه (ثوبه) وعبر على الماء؛ ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام: يا هذا لو عرفتَ كما عرفتُ لجريتَ كما جريتُ..

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: **مكانك، ثم أومأ إلى الماء فجمد ومر عليه..** فلما رأى الخيبري ذاك أكبَّ على قدميه، وقال: يا فتى ما قلتَ حتى حوَّلتَ الماء حجرا (جليدا كالحجر).؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: **فما قلتَ أنتَ حتى عبرتَ على الماء.؟**

---

(١) مشارق أنوار اليقين، رجب البرسي: ص٢٢٠بتصرف

فقال الخيبري: أنا دعوتُ الله باسمه الأعظم..

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **وما هو.؟**

قال: سألته باسم وصي محمد صلى الله عليه وآله..

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **أنا وصي محمد** صلى الله عليه وآله..فقال الخيبري: إنه الحق.. ثم أسلم.[1]

ومن ذلك ما رواه عمار بن ياسر (رض) قال: أتيت مولاي (أمير المؤمنين عليه السلام يوما فرأى في وجهي كآبة.. فقال: ما بك.؟ فقلت: دَيْنٌ أتى مطالب به، فأشار إلى حجر ملقى، وقال: **خُذْ هذا فاقضِ منه دينك..**

فقال عمار: إنه لحجر، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: **ادع الله بي يحوِّله لك ذهبا.**

فقال عمار: فدعوت باسمه فصار الحجر ذهبا، فقال لي: **خذ منه حاجتك،** فقلت: وكيف تلين.؟

فقال: **يا ضعيف اليقين ادع الله بي حتى تلين فإن باسمي ألان الله الحديد لداود** عليه السلام.

قال عمار: فدعوت الله باسمه فلان فأخذت منه حاجتي، ثم قال: **ادع الله باسمي حتى يصير باقيه حجرا كما كان..**[2]

لعلك أيها الشاك في دينه، المرتاب في يقينه، تقول: كيف صار الحجر ذهبا؟ أما عرفت أن القدرة في يد القادر، والمراد من الأشياء غاياتها وغاية الحجر أن يصير ذهبا، وإنما يطلب الأمر الأعظم بالأعظم والعظيم من العظيم يرجى، وغاية الغايات ونهاية النهايات، وأعظم الأسماء وأقربها إلى حضرة الألوهية محمد وعلي، والولاية مبتدأ النبوة ونهايتها وبها تكمل أيام دولتها، وإليه الإشارة بقوله: ﴿**إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ**

---

(١) مدينة المعاجز: ١ / ٤٣٠

(٢) مدينة المعاجز: ١ / ٤٣١

ذُرِّيَّتِي﴾ (١)

لأنه لما اتخذه نبيا لم يطلب ذاك لذريته، ولما ألبسه خلعة الخلة ورفعه إلى رتبة الرسالة لم يطلب ذاك لذريته لعلمه بنسخ الشرائع وتغيرها، فلما قال له: (إني جاعلك للناس إماما) طلب ذاك لذريته، لأن الإمامة لم ينلها نسخ فهي غاية الغايات.. لأنها ختم الدين ونقطة اليقين، فهي سر السرائر ونور النور والاسم الأعظم، فالدعاء باسم علي عليه السلام يحوِّل التراب تبراً والأحجار جوهراً ودراً، والظلمة نوراً، وتجعل في الشجر اليابس ثمراً، ويعيد الأعمى بصيراً.

هذا وقد يؤمن بعضهم بأقوال المنجمين وبعض السحرة من الناس العاديين، ومن أين للمنجِّم معرفة علم حُجُب الوصي! وهل يخدع بالفال إلا عقول الأطفال.؟ هذا ومولاهم عن ذلك (تصديق المنجمين بطريقه إلى النهروان) قد نهاهم، وهم مع النهي البليغ بالكاهن المنجِّم يعتقدون، ولكذبه يصدقون، وبإفكه يفرحون، ولِما حذرهم يحذرون، ولإمامهم وأميرهم يكذبون، وفي أقواله يرتابون، ولفضله ينكرون، ولمن رواه يعادون ويتهمون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولهذا إذا رويت لهم حكاية سلمان الفارسي (رض)، وأنه لما خرج عليه الأسد حين كان يستحم في بلاده قبل ولادة أمير المؤمنين عليه السلام من أمه فاطمة بنت أسد ربما بعشرات السنين، قال: **يا فارس الحجاز أدركني**، فظهر إليه فارس وخلصه منه، وقال للأسد: أنت دابته (كالحمار) من الآن.. فعاد يحمل له الحطب إلى باب المدينة..امتثالاً لأمر أمير المؤمنين علي عليه السلام..(٢)

فلما سمعوا ذلك، قالوا: هذا تناسخ.. وتساءلوا: وأين كان علي عليه السلام هناك وفي ذاك الزمان.؟ وكيف كان قبل أن يكون (مولودا كما يعرفون).؟ وأقبلوا ينكرون ما هم له

---

(١) البقرة: ١٢٤

(٢) مدينة المعاجز: ٢ / ١١

مصدقون ولا يشعرون.

فأقول لهم: أليس قد روى ابن طاووس في كتاب المقتل (نفس المهموم) مثل هذا بعينه، وقال: إن الإمام الحسين عليه السلام لما سقط عن فرسه يوم الطف، قالت الملائكة: **ربنا يفعل هذا بالحسين وأنت بالمرصاد.؟**

فقال الله لهم: انظروا إلى يمين العرش.. فنظروا فإذا القائم قائماً يصلي، فقال لهم: إني أنتقم لهذا بهذا من هؤلاء.. فقالوا بلى[1].

فقلت: وأين كان القائم (عج) هناك.؟ وكيف كان قبل أن يكون؟ وأين يكونون أولئك عنده إذا ظهر؟ وكيف رويتم هذا الحديث بعينه فصدقتموه في المستقبل وكذبتموه في الماضي، وما الفرق بين الحالين.؟ فيا أيها العزيز التائه في تيه حيرته وارتيابه، وهو يزعم أنه مؤمن وآمن من عذاب الله، كيف أنت أمنت، وما آمنت ولا أمان إلا بالإيمان، والله يقول وقوله الحق: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً**﴾[2].

فكيف يأمرهم بالإيمان وقد آمنوا.؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام في يوم الخندق وعندما برز إلى عمرو بن عبد ود العامري: **برز الإيمان كله إلى الشرك كله،** فالإيمان كله علي عليه السلام.. ومعنا الآية: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله آمنوا بسر آل محمد وعلانيتهم، فإن ذلك حقيقة الإيمان وكماله، لأن عليا هو الإيمان، وهو النور القديم المبتدع قبل الأكوان والأزمان، المسبِّح لله ولا فم هناك ولا لسان، أليس كان في عالم النور قبل الأزمان والدهور.؟ أليس كان في عالم الأرواح قبل خلق الأجسام والأشباح.؟

---

(١) الكافي: ١ / ٤٦٥، ومعجم الإمام المهدي: ٣ / ٣٨٢

(٢) النساء: ١٣٦

أما سمعت قصة الجني، إذ كان عند النبي ﷺ جالسا، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فجعل الجني يتصاغر لديه تعظيما له وخوفا منه، فقال: يا رسول الله إني كنت أطير مع المردة إلى السماء قبل خلق آدم بخمسمائة عام، فرأيت هذا في السماء فأخرجني وألقاني إلى الأرض، فهويت إلى الأرض السابعة منها، فرأيته هناك كما رأيته في السماء..[1]

أيها السامع لهذه الآثار، لا تبادر إلى التكذيب والإنكار، فإن الشمس إذا أشرقت يراها أهل السماء كما يراها أهل الأرض، وينفذ ضوؤها ونورها في سائر الأقطار، وهي في مكانها من الفلك الدوار، وليست الشمس أعظم ممن خُلقت من نوره سائر الأنوار، دليله قوله: **أول ما خلق الله نوري، ثم عصره فخلق منه أرواح الأنبياء، ثم عصره عصرة أخرى فخلق منه الشمس والقمر وسائر النجوم..**[2]

ولذا فلا تستغرب ما ينقله الشيخ الهمداني بكتابه الرائع (الإمام علي عليه السلام مَنْ حبه عنوان الصحيفة) ما قاله العلامة ابن أبي جمهور الأحسائي: (روى جابر الأنصاري، قال: شهدت البصرة مع أمير المؤمنين عليه السلام والقوم قد جمعوا مع المرأة سبعين ألفاً، فما رأيت منهزماً إلا وهو يقول: هزمني علي، ولا مجروحاً إلا يقول: جرحني علي، ولا من يجود بنفسه إلا وهو يقول: قتلني علي، ولا كنتُ في الميمنة إلا سمعتُ صوت علي عليه السلام، ولا في الميسرة إلا سمعت صوت علي عليه السلام، ولقد مررت بطلحة - وهو يجود بنفسه وفي صدره نبلة - وقلت له: مَنْ رماك بهذه النبلة؟ فقال: علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقلت: يا حزب بلقيس، ويا حزب إبليس! إن علياً لم يرم بالنبل وما بيده ألا سيفه..

فقال: يا جابر! أما تنظر إليه كيف يصعد في الهواء مرة، وينزل في الأرض أخرى، وينزل من قبل المشرق، ومرة من قبل المغرب، وجعل المشارق و المغارب بين يديه شيئاً واحداً فلا يمر بفارس إلا طعنه، ولا يلقى أحداً إلا قتله أو ضربه أو كبه بوجهه، أو

---

(١) حلية الأبرار: ٢ / ١٦، ومدينة المعاجز: ٢ / ٤٤٥

(٢) راجع البحار: ١٥ / ٢٤ و: ٢٥ / ٢٢

قال: مت يا عدو الله، فيموت، فلا يفلت منه أحد..[1]

(علماً أن الذي رمى طلحة في كاحله هو مروان بن الحكم،ولم تكن جنود المرأة بهذا العدد الضخم كما حققنا ذلك في كتاب (الإمام علي عليه السلام وحروب التأويل) فلا تغفل عن ذلك ولكنها منقولة ولها مؤيدات من مشركي قريش في يوم بدر فكل مَنْ قُتل أو أُسر إذا سألوه عن قاتله أو آسره،كان يقول:علي بن أبي طالب عليه السلام..)

فليت شعري ماذا أنكر من أنكر.؟ أأنكر وجوده قبل الأشياء، أم أنكر قدرته على الظهور فيما يشاء، ومن أنكر الأول فهو أعور، ومن أنكر الثاني فإما أن يكون أعمى أو لا يبصر! أما تنظر إلى الماء إذا أفرغ في الأواني الزجاجية ذات الألوان كيف يتلون بألوانها للطفه وبساطته، والمادة الشفافة إذا أدنيتها إلى خط مرقوم فإنك تقرأه منها، والقمر إذا طل على البحر فإنك تراه في أفق السماء وفي قعر الماء، ومحمد وعلي عليهما السلام هما البحر اللجي، والماء الذي منه كل شيء حي، والكلمة التي بها ظهر النور، ودهرت الدهور، وتمت الأمور، إلى يوم النشور، ويكفي في هذا الباب قولهم عليهم السلام: **أمرنا صعب مستصعب لا يحمله نبي مرسل ولا ملك مقرب..**

وإذا كان أمرهم وسرهم لا يحمله الملائكة المقربون، ولا الأنبياء والمرسلون، وسكان الحضرة الإلهية لا يعرفون، فكيف رددتم ما لم تحيطوا به خبرا وكذبتموه؟ ألم تعلموا أنهم الشجرة الإلهية التي كل الموجودات أوراقها وألفافها.؟ والسر الخفي المجهول الذي لا تدركه الأفهام والعقول، ولله در أبي نؤاس إذ يقول:

لا تحسبني هويت الطهر حيدرة ... لعلمه وعلاه في ذوي النسب

ولا شجاعته في كل معركة ... ولا التلذذ في الجنات من أربي

ولا التبرؤ من نار الجحيم ولا ... رجوته من عذاب الحشر يشفع بي

لكن عرفت هو السر الخفي فإن ... أذعته حللوا قتلي (ومُثِّلَ بي)

---

(١) الإمام علي عليه السلام مَنْ حبه عنوان الصحيفة: ص٦٠٤، عن المجلى: ص٤١٠

ولكن عشاق النور العلوي الشريف ما زالوا يفخرون بحبه ويتغنون بفضله، وينتسبون لحزبه وإن قطِّعوا أو أحرقوا،لأن حبه في القلوب مسطور، ومغروس ولا أحد يستطيع أن ينزعه من قلب محُبيه..

فعلى جبين الشمس؛ مكتوب..علي عليه السلام..

وعلى وجه البدر المنير؛مكتوب..علي عليه السلام..

وعلى صفيح السماء؛ مكتوب..علي عليه السلام..

وعلى صفحات الماء؛مكتوب..علي عليه السلام..

وعلى ورقات الريح؛مكتوب..علي عليه السلام..

وعلى خفقات الروح؛مكتوب..علي عليه السلام..

أتعجب من نبضات القلب إذا قالت بخفقانها: يا علي، يا علي، يا علي...؟؟

مسك الختام

بعض الكلام لأمير الكلام عليه السلام

ماذا أقول يا مولاي لك؟ بل ماذا أقول عنك؟ و أنت، أنت وأنا، أنا

أنت العلي الذي فوق العلى رفعا　　ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

وأنا العبد المذنب الآبق الذي ولد في أقاصي بلاد الشام، بين قوم نيام فكنت نائماً معهم إلى أن شممت طيوب عطرك، فانتشيت..ووصلني شعاع حبك فنموت..وقرأت طرفا من سيرتك فكبرت.. فرحت أقفو أثرك بغلس، وأتتبع آثار أقدامك رغم الحرس، وآخذ من أثر حافر جوادك فأشمها مع النفس..وأسير مع الناس وأقول مترنماً:

لا عذَّب الله أمي إنها شربت　　حب الوصي وغذتنيه في اللبن

وكان لي والد يهوى أبا حسن　　فجئت من ذي وذا أهوى أبا الحسن

نعم ؛ يا مولاي تغذينا بحبك – فكل الشكر لمن ولدنا وغذانا وربانا على حبك وولايتك – وعجنت طينتنا بولايتك، وتطهرت فطرتنا بنور شمسك..ولكن ما عرفناك كما يليق بنا لا بك – يا مولاي – فمن يطيق أو يستطيع أن يعرفك، فأنا على يقين أنه ما عرفك حق المعرفة إلا الله خالقك، ومحمد صلى الله عليه وآله رسوله معلمك..

فنحن مطالبون بالمعرفة التي بوسعنا نحن لأنه متى وسع بئر صغير ماء البحر الكبير، أو متى احتوى جدول بسيط مياه البحر المحيط؟

لا..فهذا المستحيل بعينه، ولا يفعله عاقل أبداً، بل العاقل الذي يستجرَّ من هذا الماء الفرات قسطلاً، ويسبح في ذاك الغمر مطولاً، ليغذي نفسه بماء الحياة، ويطهر جسده من النجاسات والخباثات..

ولهذا عمدتُ وتوجهتُ إليكَ – يا مولاي ومولى الورى – بخوف شديد، وحذر

أكيد فخذ بيدي فأنا – وحقك – عبد ضعيف إن لم تقوِّني، وضال في حياتي إن لم تهدني، وضائع حائر إن لم ترشدني، وذليل إن لم تعزَّني، وفقير إن لم تغنني، وجاهل إن لم تعلمني..

مولاي هربت إليك مني، وتقويت بك على نفسي، فهل ستسلمني لأعدائي يا سيدي..هيهات ما ذلك الظن بك..

***

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..وصلى الله على محمد وآله الغر الميامين،سيما أمير المؤمنين وسيد الوصيين،أسد الله الغالب سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب،وعلى زوجته الطاهرة البتول، وعلى أبنائه الكرام عترة الرسول..

وهذا آخر ما أردنا إثباته في هذا الكتاب،وقد تمَّ بحمد الله وفضله،في يوم الإثنين ؛مولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام / ١٠/ ربيع الآخر من العام/ ١٤٣٠/ الموافق / ٦/ نيسان٢٠٠٩م.

تمَّ بقلم هذا العبد الفقير:

الحسين أحمد السيد (أبو علي)..

من جوار مسجد الإمام الحسين عليه السلام ،وأخته وشريكته

بالمصاب العقيلة الهاشمية سيدتي ومولاتي زينب الكبرى عليها السلام ..

ملحق (١):
جداول ضرورية

جدول (١): مجمل بيان دوريات القتال والاستطلاع الأولى[١]

ت	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين	قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
١	سرية حمزة	٣٠ رجلاً من المهاجرين	حمزة بن عبد المطلب	٣٠٠ راكب	أبو جهل ابن هشام.	العِيصُ	رمضان من السنة الأولى الهجرية	حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني
٢	سرية عبيدة بن الحارث	٦٠ رجلاً من المهاجرين	عبيدة بن الحارث	أكثر من ٢٠٠ رجل بين راكب وراجل	ابو سفيان بن حرب	ماء بالحجاز بوادي رابغ	شوال من السنة الأولى الهجرية	كان بينهم مناوشة فقط
٣	سرية سعد بن أبي وقاص	٢٠ رجلاً من المهاجرين	سعد بن أبي وقاص	-	-	الخرّار	ذو القعدة من السنة الأولى الهجرية	فرّت قافلة المشركين
٤	غزوة ودّان	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول (ص)	-	-	ودّان	صفر من السنة الثانية الهجرية	حالف النبي (ص) بني ضَمْرَة
٥	غزوة بواط	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول (ص)	١٠٠ راكب وراجل من	أميّة بن خَلَف	بُواط	ربيع الأول من السنة الثانية	لم يدرك المسلمون قافلة المشركين لسلوكها طريقاً

(١) مصدر هذه الجداول كتاب اللواء محمود شيث خطاب.

			قريش	الجُمحي		الهجرية	غير طريق القوافل المعيدة، فلم يلق المسلمون كيداً (حرباً).
٦	غزوة ذي العشيرة	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول (ص)	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	أبو سفيان بن حرب	العشيرة	جمادى الآخرة من السنة الثانية الهجرية	وادع النبي (ص) بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة
٧	غزوة بدر الأولى	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول (ص)		كرز بن جابر الفهري	وادي سفوان	جمادى الآخرة من السنة الثانية الهجرية	لم يدرك المسلمون كرز بن جابر
٨	سرية عبد الله ابن جحش	١٢رجلاً من المهاجرين	عبد الله بن جحش	٤ رجال	عمرو بن الحضرمي	نخلة	رجب من السنة الثانية الهجرية	١- أول قتيل من المشركين ٢- أول أسيرين من المشركين ٣- أول غنيمة للمسلمين ٤- أول استعمال للرسائل المكتومة

جدول (٢): الغزوات والسرايا بين بدر وأحد

ت	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين	قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
١	حصار بني قينقاع	مسلمو المدينة	الرسول (ص)	بنو قينقاع من يهود في داخل المدينة		المدينة	أوائل شوال من السنة الثانية الهجرية	تطهير المدينة من يهود
٢	غزوة بني سليم	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول (ص)	بنو سليم وغطفان		قرقرة الكدر على طريق مكة-المدينة	أواخر شوال من السنة الثانية الهجرية	عاد المسلمون بالغنائم دون قتال لفرار المشركين وبقوا ثلاث ليال في دور المشركين
٣	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة	الرسول (ص)	٢٠٠ فارس	أبو سفيان بن حرب	مطاردة قريش من المدينة حتى قرقرة الكدر	ذو الحجة من السنة الثانية الهجرية	١- ظهور تجسس يهود على المسلمين بالمدينة ٢- فرار قريش وعودة المسلمين من المطاردة دون قتال
٤	غزوة ذي أمر	٤٥٠ راكباً وراجلاً	الرسول (ص)	بنو ثعلبة ومحارب		ذو أمر (موضع في نجد)	محرم السنة الثالثة الهجرية	فر المشركون وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر كامل

								وعادوا بدون قتال
٥	غزوة بحران	٣٠٠ راكب وراجل	الرسول (ص)	بنو سليم		بحران على الطريق بين مكة والمدينة	ربيع الأول من السنة الثالثة الهجرية	عاد المسلمون بدون قتال بعد أن بقوا بديار أعدائهم حوالي شهر
٦	سرية زيد بن حارثة الكلبي	١٠٠ راكب	زيد بن حارثة الكلبي	قافلة قريش	صفوان بن أمية	القردة (ماء في نجد)		غنم المسلمون القافلة

جدول (٣): غزوات التطهير من المشركين

ت	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين	قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
١	سرية أبي سلمة	١٥٠ بين راكب وراجل	أبو سلمة بن عبد الله	بنو أسد	طليحة وسلمة ابنا خويلد	ديار بني أسد	ذو الحجة من السنة الثالثة	فرار بني أسد
٢	سرية عبد الله ابن أنيس	دورية استطلاع بشخص واحد	عبد الله بن أنيس	بنو لحيان من هذيل	خالد بن سفيان الهذلي	نخلة		قتل خالد بن سفيان الهذلي فتشتت بنو لحيان
٣	غزوة بني النضير	كل القادرين على حمل السلاح	النبي (ص)	يهود من بني النضير		ضواحي المدينة	ربيع الأول من السنة الرابعة	إجلاء يهود بني النضير عن المدينة
٤	غزوة ذات الرقاع	٤٠٠ راكب وراجل	النبي (ص)	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان		ذات الرقاع بنجد	جمادى الآخرة من السنة الرابعة الهجرية	فرار بني محارب وبني ثعلبة
٥	غزوة بدر الآخرة	حوالي ألف راكب وراجل	النبي (ص)	٢٠٠٠ من قريش	أبو سفيان	بدر	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	عادت قريش أدراجها إلى مكة خوفاً من لقاء

٦	غزوة دومة الجندل	ألف راكب وراجل	النبي (ص)	قبائل دومة الجندل		دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة الهجرية		فر المشركون
٧	غزوة بني المصطلق	ألف راكب وراجل	النبي (ص)	بنو المصطلق		المريسيع	شعبان من السنة الخامسة الهجرية		فر قسم من المشركين وأسر أكثرهم

جدول (٤): غزوات عقاب الغادرين

ت	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين	قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
١	غزوة يهود بني قريظة	ثلاثة آلاف بينهم ٣٦ فارساً	رسول الله (ص)	من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ من بني قريظة	كعب بن أسد الأشرف	حصون بني قريظة في ضواحي المدينة	نهاية شوال وذي القعدة من السنة الخامسة	القضاء على يهود بني قريظة
٢	سرية عبد الله ابن عتيك	خمسة من المسلمين	عبد الله بن عتيك	يهود خيبر الذي التجأ اليهم ابن أبي الحقيق		خيبر	ذو القعدة من السنة الخامسة	قتل ابن أبي الحقيق
٣	غزوة بني لحيان	حوالي ثلاثة آلاف	رسول الله (ص)	بنو لحيان من هذيل		غران	جمادى الأولى من السنة السادسة	تخويف قريش والقبائل الأخرى والتأثير في معنوياتهم
٤	غزوة ذي قرد		رسول الله (ص)	جماعة من غطفان	عيينة بن غطفان	ماء بذي قرد	في جمادى الأولى من السنة السادسة	هرب بنو أسد فاستاق المسلمون مائتي بعير
٥	سرية عكاشة	٤٠ رجلاً	عكاشة بن محصن	بنو أسد		الغَمر	ربيع الأول من السنة السادسة	فر المشركون وتركوا خلفهم الإبل التي

			الأسدي					غنموها من المسلمين
٦	سرية محمد ابن مسلمة	١٠ رجال	محمد بن مسلمة	بنو ثعلبة وبن عول		ذو القصة	ربيع الآخر من السنة السادسة الهجرية	هربوا بعد قدوم أبي عبيدة بن الجراح فاستاق المسلمون النعم
٧	سرية أبي عبيدة بن الجراح	٤٠ رجلاً	أبو عبيدة بن الجراح	بنو محارب وأغار		ذو القصة	ربيع الآخر من السنة السادسة	هرب الأعراب فاستاق أبو عبيدة النعم والشاء
٨	سرية زيد بن حارثة		زيد بن حارثة	بنو سليم		الجموم	ربيع الآخر من السنة السادسة	هربوا فأصاب نعماً وشاءً وأسرى
٩	سرية زيد بن حارثة		زيد بن حارثة	عير قريش		العيص	جمادى الأولى من السنة السادسة	أخذوا العير وأسروا حماتهم
١٠	سرية زيد بن حارثة	١٥٠ رجلاً	زيد بن حارثة	بنو ثعلبة		الطرف	جمادى الآخرة من السنة السادسة	غنموا نعماً وألف بعير فأعادها الرسول (ص) إليهم
١١	سرية عبد الرحمن بن عوف		عبد الرحمن ابن عوف	بنو كلب		دومة الجندل	شعبان من السنة السادسة	أعلنوا إسلامهم
١٢	سرية علي بن	مائة رجل	علي بن أبي	بنو سعد بن		فدك		لم يلق كيداً وغنم غنائم

	أبي طالب		طالب	بكر			وهرب بنو سعد
١٣	زيد بن حارثة		زيد بن حارثة	بنو بدر	أم قرنة	وادي القرى	انتصر عليهم
١٤	سرية عبد الله ابن رواحة	٣٠ رجلاً	عبد الله ابن رواحة	أسير بن زارم	أسير بن زارم	وادي القرى	رمضان من السنة السادسة	أعلنوا إسلامهم
١٥	سرية كرز بن جابر الفهري	٢٠ فارساً	كرز بن جابر الفهري	العرنيين				أعاد اللقاح وأسرهم فقتلوا
١٦	سرية عمرو بن أمية الضمري	رجلان فقط	عمرو بن أمية الضمري	أبو سفيان بن حرب		مكة المكرمة		قتل عمرو رجلين من المشركين لم ينجح في قتل أبي سفيان

جدول (٥): الغزوات التي قادها الرسول (ص) بنفسه

ت	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
١	غزوة ودان (الأبواء)	٢٠٠ راكب وراجل		ودان	صفر من السنة الثانية الهجرية	لم يلاق قريشاً فحالف بني ضمرة
٢	غزوة بواط ناحية رضوى	٢٠٠ راكب وراجل	١٠٠ راكل وراجل من قريش	بواط ناحية جبل رضوى	ربيع الأول من السنة الثانية الهجرية	لم يدرك قافلة قريش
٣	غزوة العشيرة من بطن ينبع	٢٠٠ راكب وراجل	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	العشيرة	جمادى الأولى من السنة الثانية الهجرية	وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة
٤	غزوة بدر الأولى	٢٠٠ راكب وراجل	قوة خفيفة بقيادة كرز بن جابر الفهري	وادي سفوان بالقرب من بدر	جمادى الآخرة من السنة الثانية الهجرية	فر المشركون بما غنموه من المسلمين ولم يدركهم المسلمون..
٥	غزو بدر الكبرى	٣١٥ معهم فرسان فقط وسبعون بعيراً	١٠٠٠ منهم ٢٠٠ راكب وهم من قريش	بدر	رمضان من السنة الثانية الهجرية	انتصار المسلمين على قريش
٦	غزو بني قينقاع	مسلمو المدينة	بنو قينقاع من يهود	المدينة	أوائل شوال من السنة الثانية	تطهير داخل المدينة من يهود

					الهجرية	
٧	غزوة بني سليم	٢٠٠ راكب وراجل	بنو سليم وغطفان	قرقرة الكدر بين المدينة ومكة	أواخر شوال من السنة الثانية الهجرية	فرار بني سليم وغطفان وقد تركوا أموالهم للمسلمين
٨	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	٢٠٠ فارس من قريش	قرقرة الكدر	ذو الحجة من السنة الثانية الهجرية	فرار قريش من مطاردة المسلمين
٩	غزوة ذي أمر	٤٥٠ بين راكب وراجل	بنو ثعلبة ومحارب	ذو أمر موضع في نجد	محرم من السنة الثالثة الهجرية	فر بنو ثعلبة ومحارب وبقي المسلمون في ديارهم شهراً
١٠	غزوة بحران	٣٠٠ راكب وراجل	بنو سليم	بحران على طريق المدينة مكة	ربيع الأول من السنة الثالثة الهجرية	فر بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهرين
١١	غزوة أُحد	٧٠٠ بينهم خمسون فارساً	٣٠٠٠ من قريش وأحابيشها ومائة من بني ثقيف بمائتا فارس	جبل أحد في ضواحي المدينة	شوال من السنة الثالثة الهجرية	استطاع المشركون إيقاع سبعين شهيداً بالمسلمين ولكنهم لم يستطيعوا الانتصار عليهم
١٢	غزوة حمراء الأسد	٦٣٠ بين راكب وراجل	٢٩٧٨ من قريش وأحابيشها ومن ثقيف	حمراء الأسد بين المدينة ومكة	شوال من السنة الثالثة الهجرية	طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها إلى حمراء الأسد بعد انتهاء معركة أحد

						مباشرة.
١٣	غزوة بني النضير	كافة مسلمي المدينة	يهود من بني النضير	ضواحي المدينة	ربيع الأول من السنة الرابعة الهجرية	إجلاء بني النضير عن ضواحي المدينة
١٤	غزوة ذات الرقاع	٤٠٠ راكب وراجل	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان	ذات الرقاع بنجد	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	فرار بني ثعلبة وبني محارب
١٥	بدر الآخرة	حوالي ألف راكب وراجل	٣٠٠ من قريش	بدر	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	عادت قريش أدراجها إلى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين.
١٦	غزوة دومة الجندل	ألف راكب وراجل	قبائل دومة الجندل	دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة الهجرية	فرت القبائل من المسلمين.
١٧	غزوة يهود بني المصطلق من خزاعة	ألف راكب وراجل	يهود بنو المصطلق	المسيريع	شعبان من السنة الخامسة الهجرية	فر بنو المصطلق بعد معركة قصيرة ضد المسلمين
١٨	غزوة الخندق (الأحزاب)	ثلاثة آلاف	عشرة آلاف من قريش وبني سليم وفزارة وأشجع وغطفان	المدينة	شوال من السنة الخامسة الهجرية	عودة الحزاب من حصار المدينة خائبين، بعد أن قتل الإمام علي (ع) عمرو بن عبد ود..

١٩	غزوة (يهود) بني قريظة	ثلاثة آلاف بينهم ٣٦ فارساً	٦٠٠ إلى ٧٠٠ من يهود بني قريظة	ضواحي المدينة	ذو القعدة من السنة الخامسة الهجرية	القضاء على يهود بني قريظة
٢٠	غزوة بني لحيان	حوالي ثلاثة آلاف	بنو لحيان	غران	جمادى الأولى من السنة السادسة الهجرية	فر بنو لحيان من المسلمين.
٢١	غزوة ذي قرد		غطفان	ذو قرد		فر بنو غطفان وتركوا الغنائم التي اخذوها من المسلمين
٢٢	غزو صلح الحديبية	١٦٠٠ راكب وراجل	قريش	الحديبية	ذو القعدة من السنة السادسة الهجرية	عقد صلح الحديبية بين المسلمين وقريش
٢٣	غزوة اليهود في خيبر	١٤٠٠ رجل منهم ٢٠٠ فارس	يهود خيبر والحصون السبعة هناك..	خيبر	محرم من السنة السابعة الهجرية	سقوط خيبر واستسلام يهود فدك ووادي القرى وتيماء فتم بذلك القضاء عسكرياً على يهود الجزيرة العربية
٢٤	غزوة عُمرة القضاء	١٤٠٠ راكب وراجل	قريش	مكة	ذو الحجة من السنة السابعة الهجرية	بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خرج عنها المشركون، وهذه معركة

٢٥	غزوة حنين	١٢٠٠٠ بين راكب وراجل	هوازن وثقيف	وادي أوطاس(حنين) قرب الطائف	شوال من السنة الثامنة الهجرية	اندحار هوازن وثقيف أمام رسول الله (ص) والهاشميين وفرار المسلمين.
٢٦	غزو حصار الطائف	١٢٠٠٠ مقاتل	ثقيف وبعض هوازن	الطائف	شوال من السنة الثامنة الهجرية	لم تستسلم الطائف فعاد المسلمون أدراجهم إلى المدينة
٢٧	غزوة تبوك	ثلاثون ألفاً بينهم عشرة آلاف راكب	جيش كبير من الروم وحلفاءهم	تبوك من نواحي الأردن	رجب من السنة الثامنة الهجرية	فضل الروم عدم الاشتباك بالمسلمين فأقام المسلمون في تبوك حوالي عشرين يوماً وصالحوا القبائل العربية هناك.

ملحق (٢):
خرائط توضيحيّة

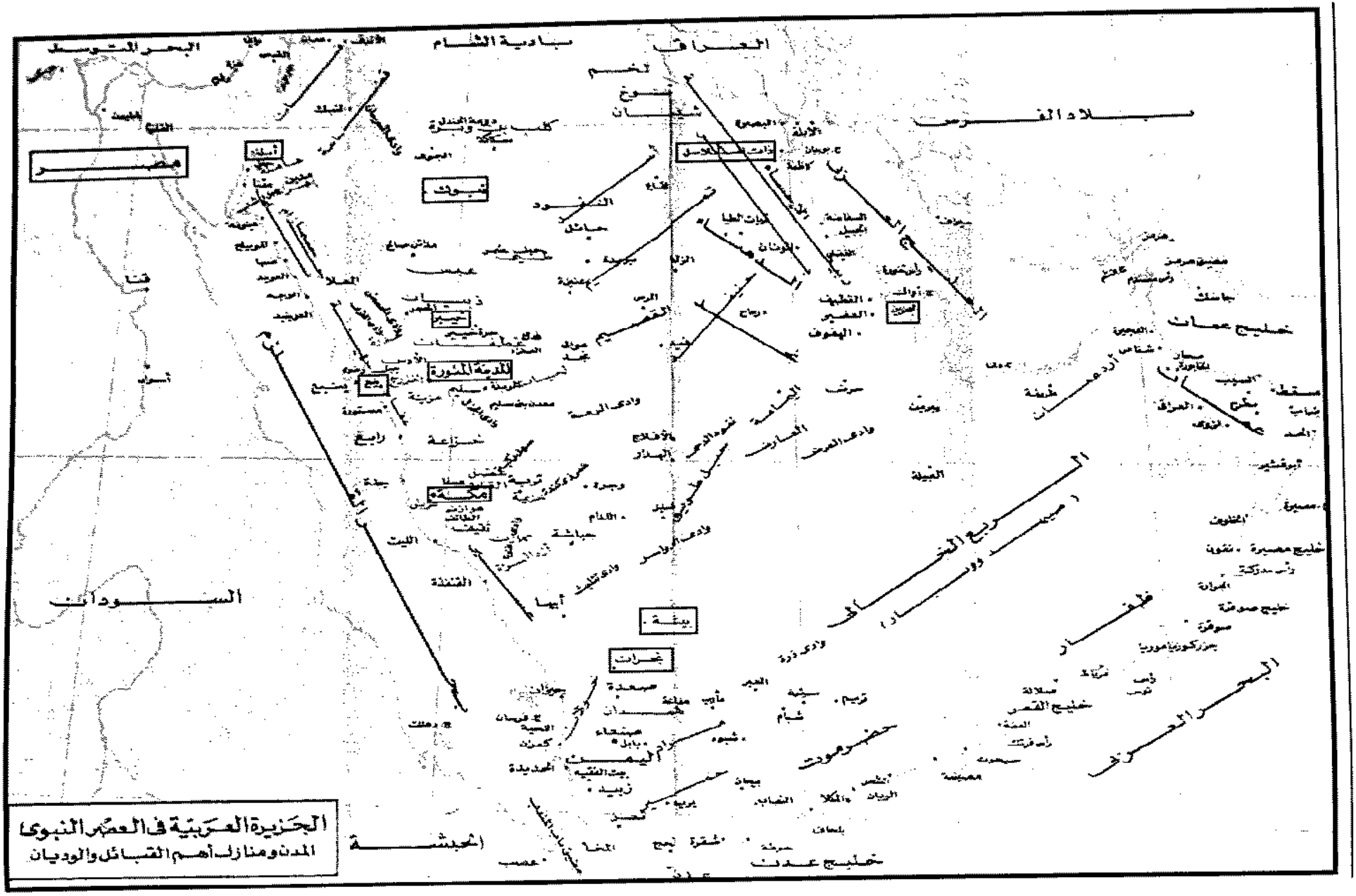
البحر المتوسط
بادية الشام
العراق
بلاد الفرس
مصر
السودان
الحبشة
البحر الأحمر
الخليج العربي
خليج عمان
خليج عدن
حضرموت
اليمن
نجران
مكة
المدينة المنورة
الطائف
الربع الخالي
الجزيرة العربية في العصر النبوي
المدن ومنازل أهم القبائل والوديان

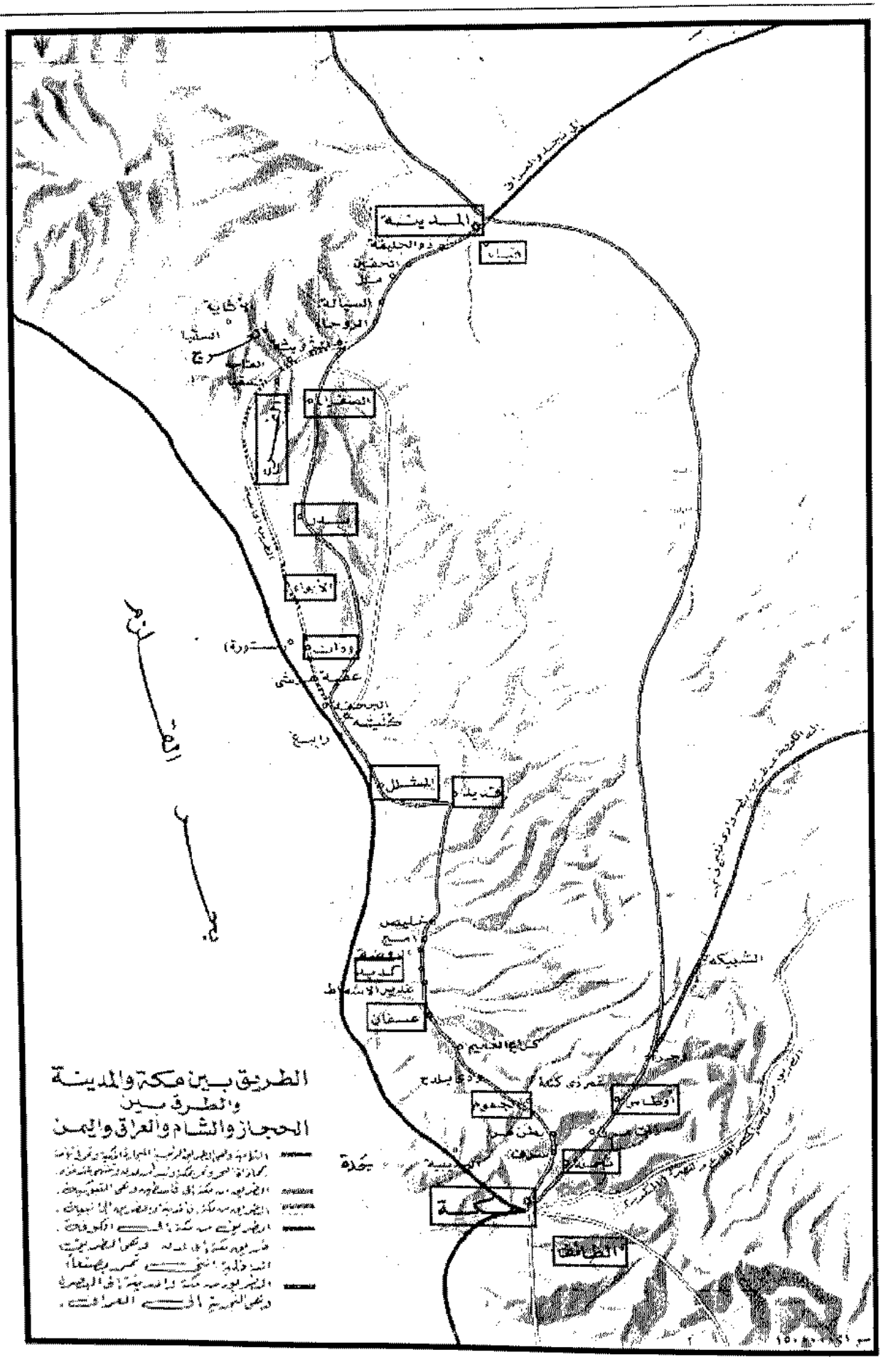
المدينة
ينبع
الصفراء
بدر
الحمراء
وادي فاطمة
رابغ
الجحفة
خليص
رابغ
عسفان
الشبيكة
قديد
المشلل
جدة
مكة
الطائف
الطريق بين مكة والمدينة
والطرق من
الحجاز والشام والعراق واليمن

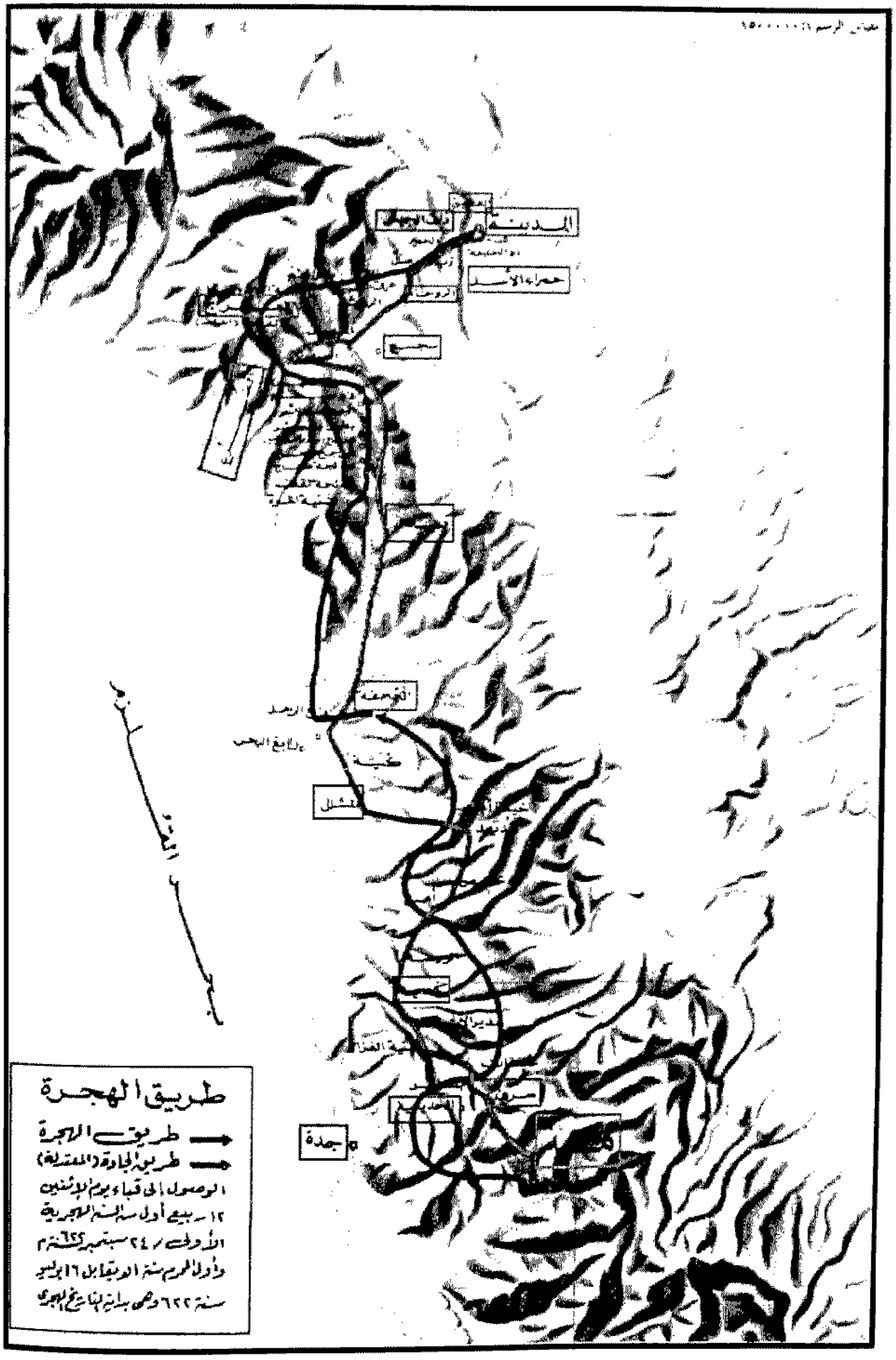
المدينة
حمراء الأسد
الروحاء
الفرعة
الرحبة
جدة
طريق الهجرة
طريق الهجرة
طريق العودة (المقترحة)
الوصول إلى قباء يوم الإثنين
١٢ ربيع أول سنة الهجرية
الأولى / ٢٤ سبتمبر ٦٢٢م
وأول المحرم سنة الوبقابل ١٦ يوليو
سنة ٦٢٢ وهي بداية التاريخ الهجري

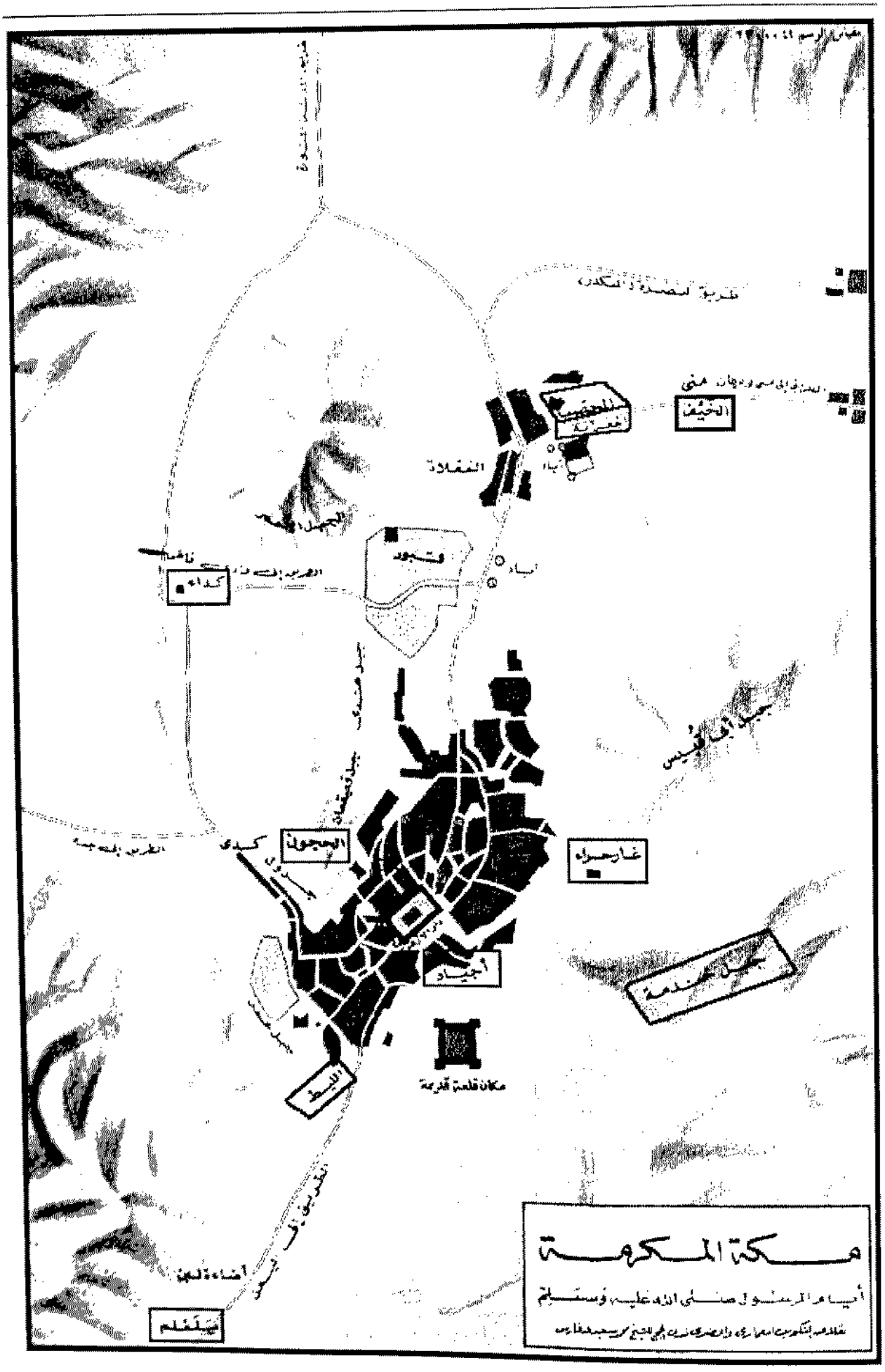
مكة المكرمة
أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم
الخيف
المعلاة
قعيقعان
كداء
الحجون
غار حراء
جبل النور
أجياد
الشبيكة
مكان قلعة قديمة
جبل عمامة
جبل أبو قبيس
المسفلة
أضاءة الحرم
يلملم

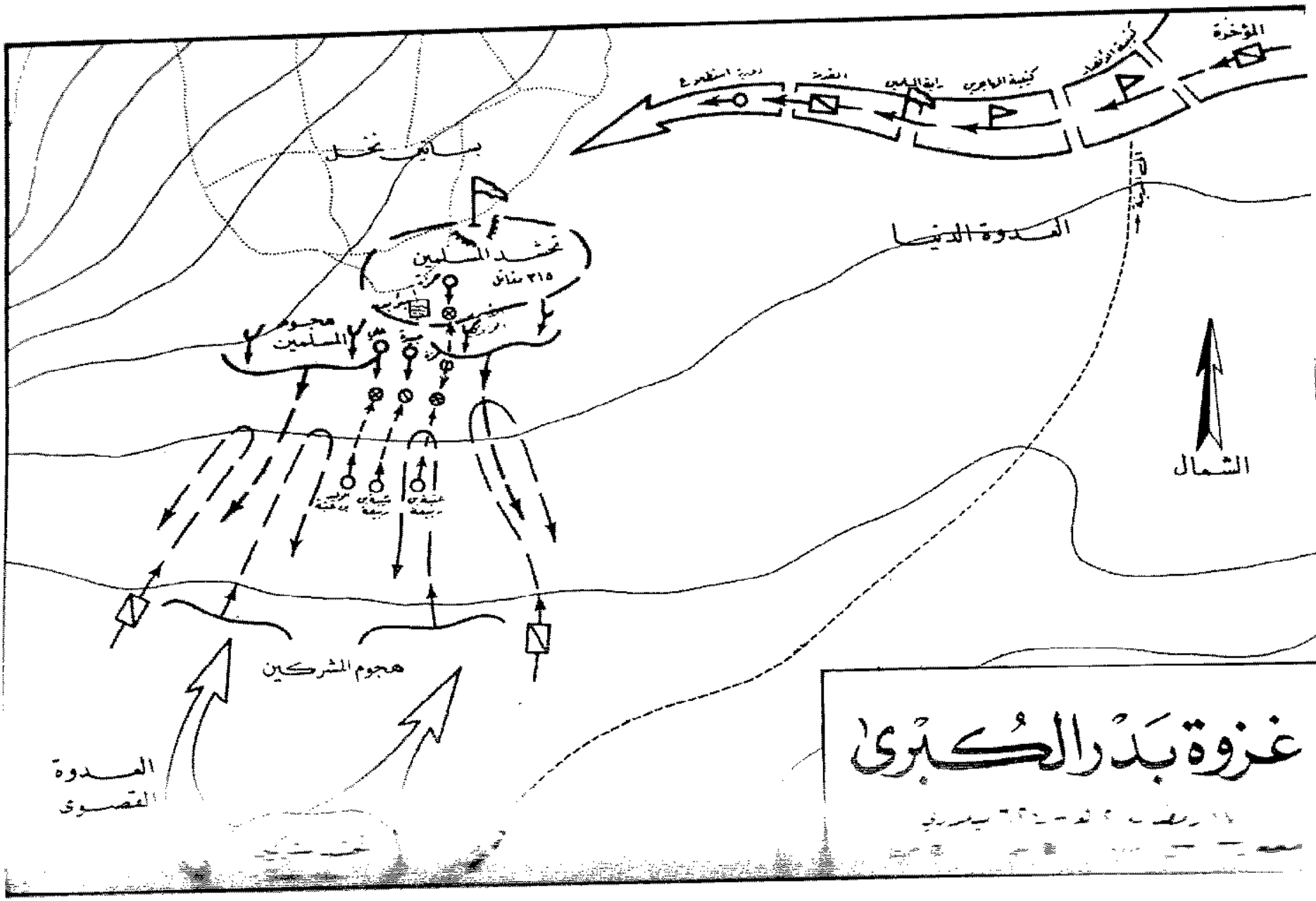
المؤخرة
كتيبة الظهر
كتيبة الميمنة
كتيبة الميسرة
كتيبة الطليعة
بساتين نخل
تحشد المسلمين
٣١٥ مقاتل
هجوم المسلمين
العدوة الدنيا
الشمال
هجوم المشركين
العدوة القصوى
غزوة بدر الكبرى

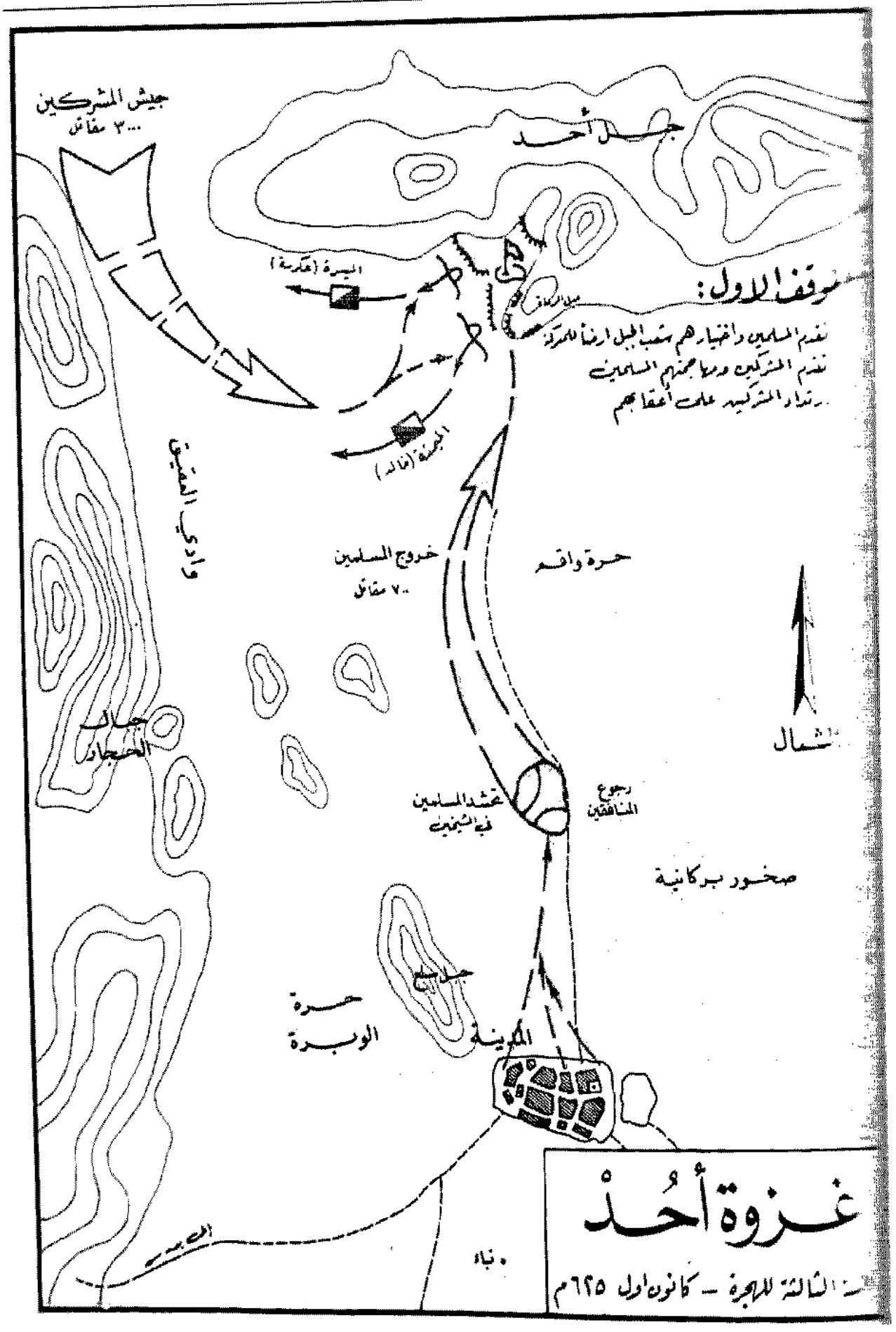
جيش المشركين
٣٠٠٠ مقاتل
جبل أحد
البيرة (عدسة)
الرماة
الجبانة (فاند)
وادي العقيق
خروج المسلمين
٧٠٠ مقاتل
حرة واقم
جبل الصجار
الشمال
رجوع المنافقين
تعشد المسلمين في الشيخين
صخور بركانية
جبل عينين
حرة الوبرة
المدينة
غزوة أحد
الثالثة للهجرة - كانون اول ٦٢٥م

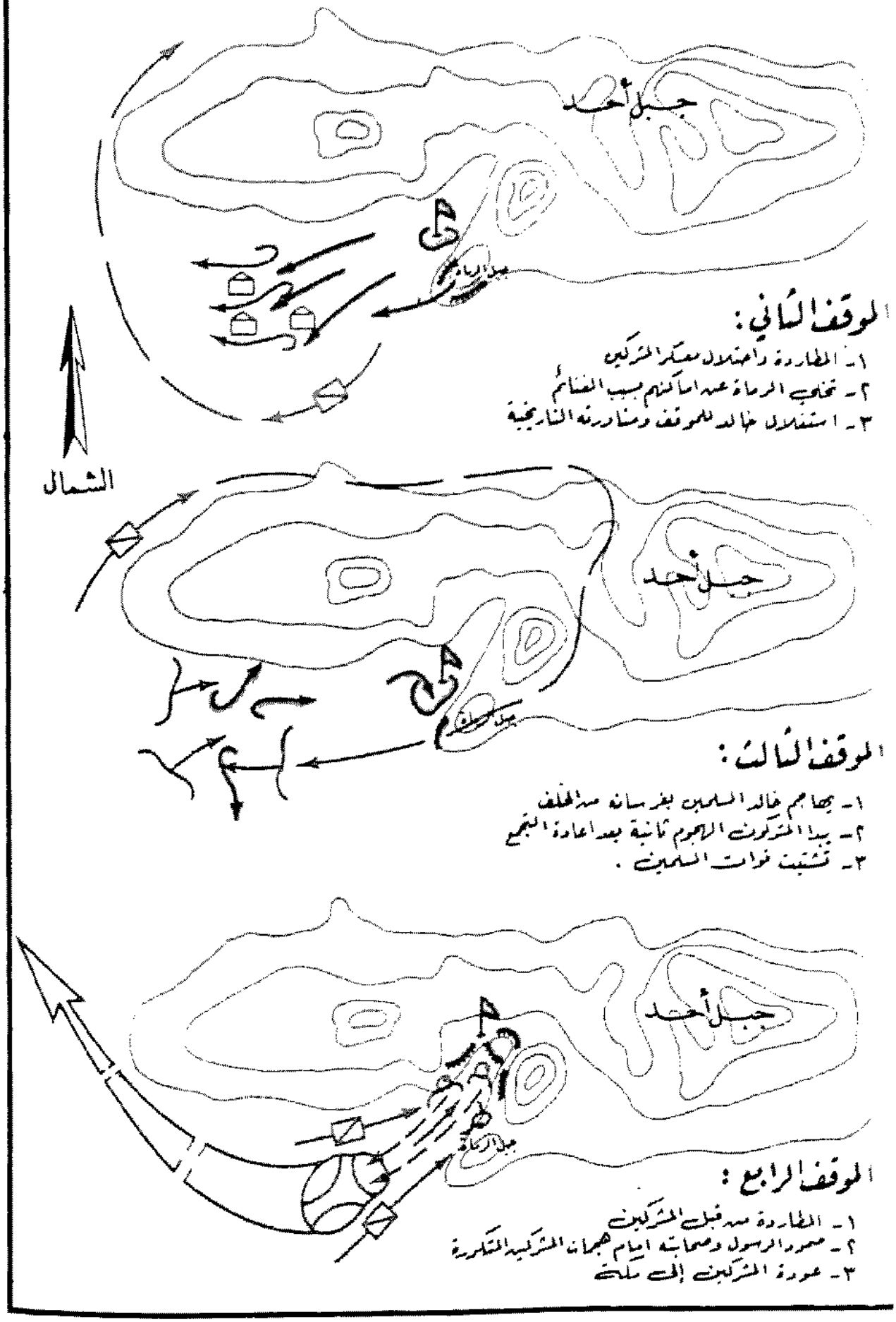

الموقف الثاني:

١- المطاردة واضمحلال معسكر المشركين
٢- تجاوب الرماة عند اماكنهم بسبب الغنائم
٣- استدلال خالد للموقف ومبادرته التاريخية

الموقف الثالث:

١- هجوم خالد المسلمين بفرسانه من الخلف
٢- بدأ المشركون الهجوم ثانية بعد اعادة التجمع
٣- تشتيت قوات المسلمين .

الموقف الرابع:

١- المطاردة من قبل المشركين
٢- صمود الرسول وصحابته امام هجمات المشركين المتكررة
٣- عودة المشركين إلى مكة

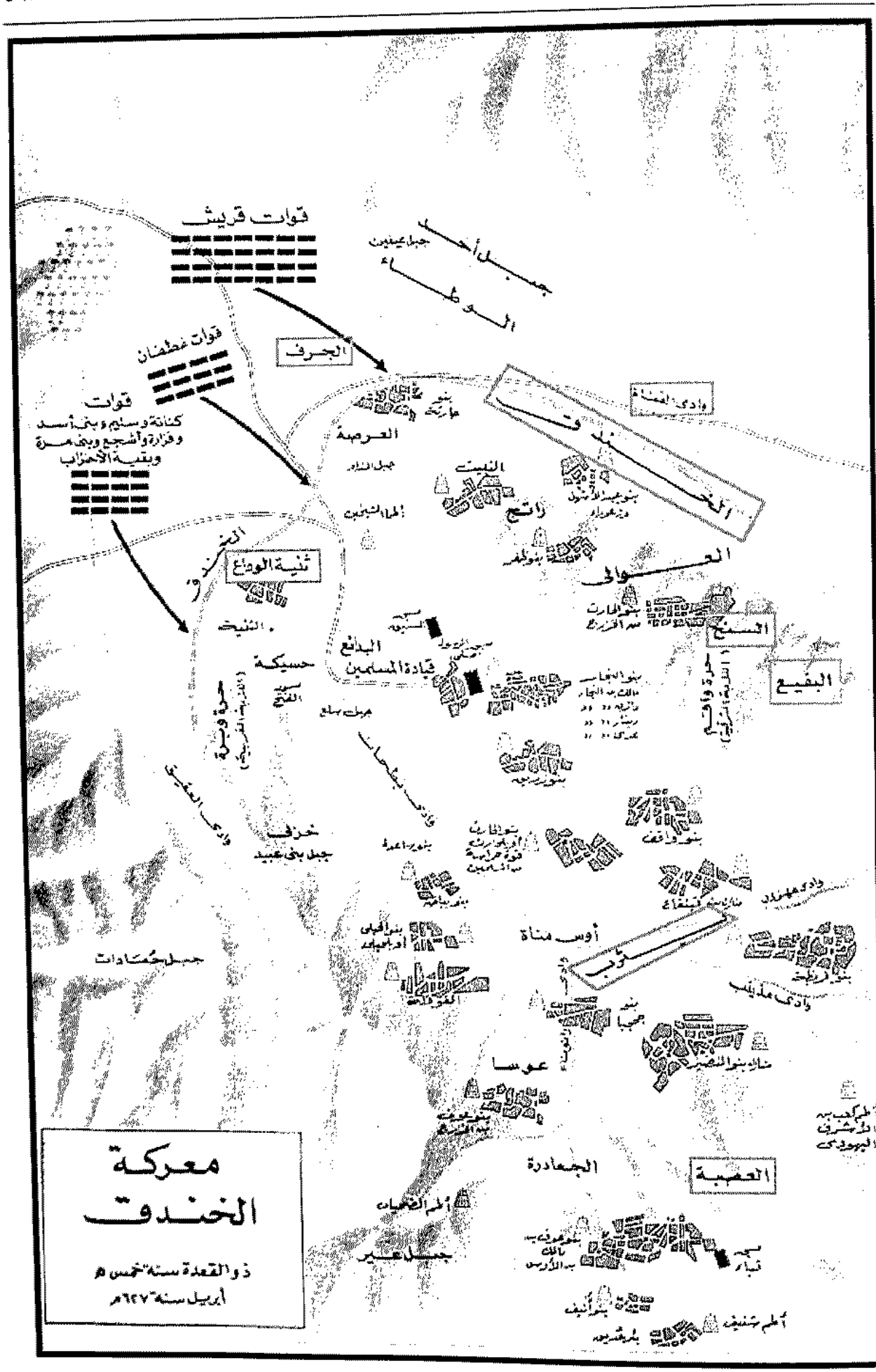
قوات قريش
قوات غطفان
قوات
كنانة وسليم وبني أسد
وفزارة وأشجع وبني مرة
وبقية الأحزاب
الجرف
جبل أحد
الوطيحة
وادي العقيق
الخندق
العرضة
النبيت
راتج
المهراس
ثنية الوداع
الغابة
الشيخ
حسيكة
قيادة المسلمين
العوالي
السنح
البقيع
حرة واقم
خرقاء
جبل بني عبيد
أوس مناة
جبل حُمادات
عوسا
الجعادرة
العقيبة
جبل عير
معركة
الخندق
ذو القعدة سنة خمس هـ
أبريل سنة ٦٢٧م

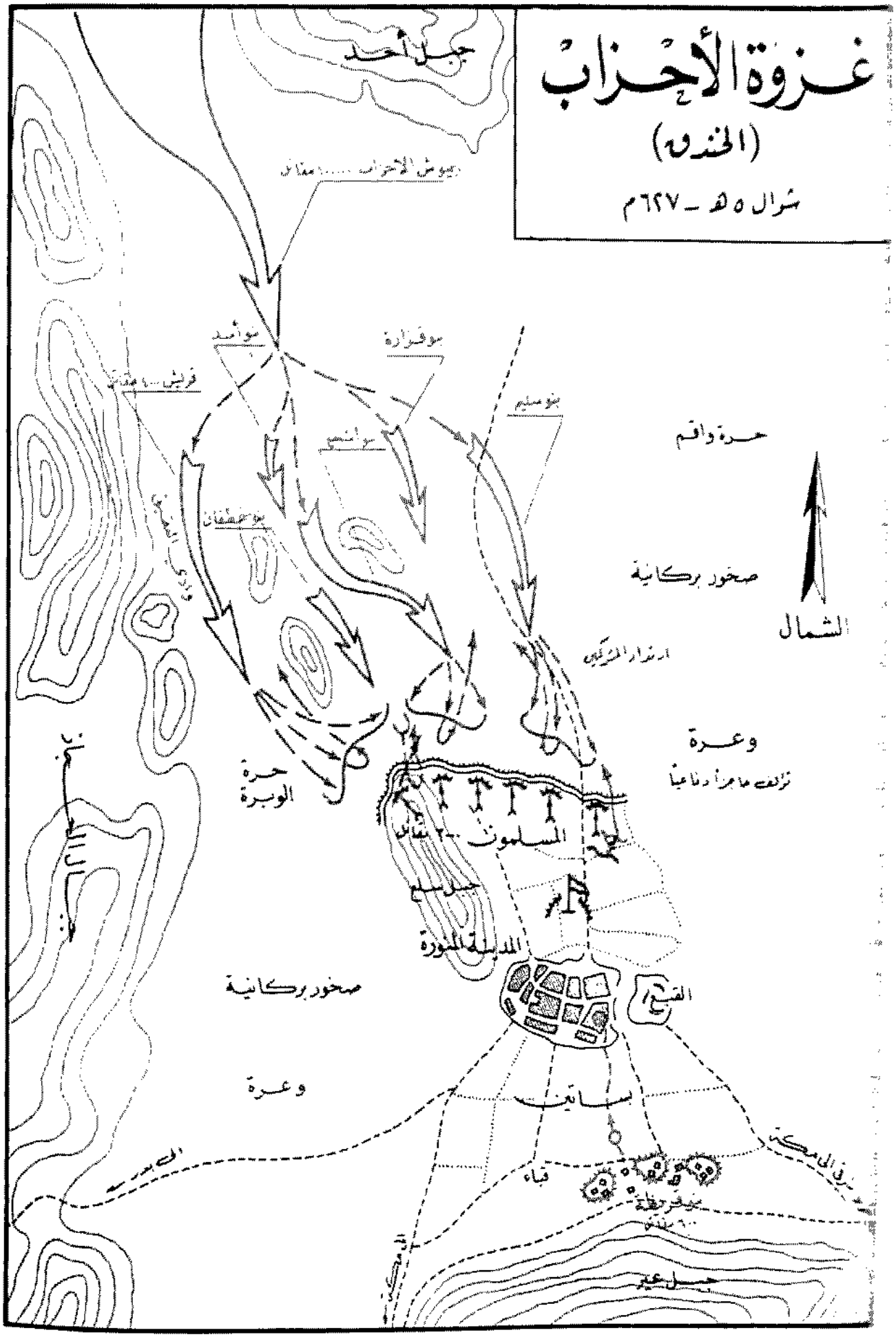
غزوة الأحزاب
(الخندق)
شوال ٥ هـ - ٦٢٧م
جبل أحمد
بنو أسد
بنو فزارة
بنو سليم
حرة واقم
صخور بركانية
الشمال
وعرة
تزلف عامرا دنا عيا
حرة الوبرة
المسلمون
جبل سلع
المدينة المنورة
صخور بركانية
وعرة
قباء
جبل عير

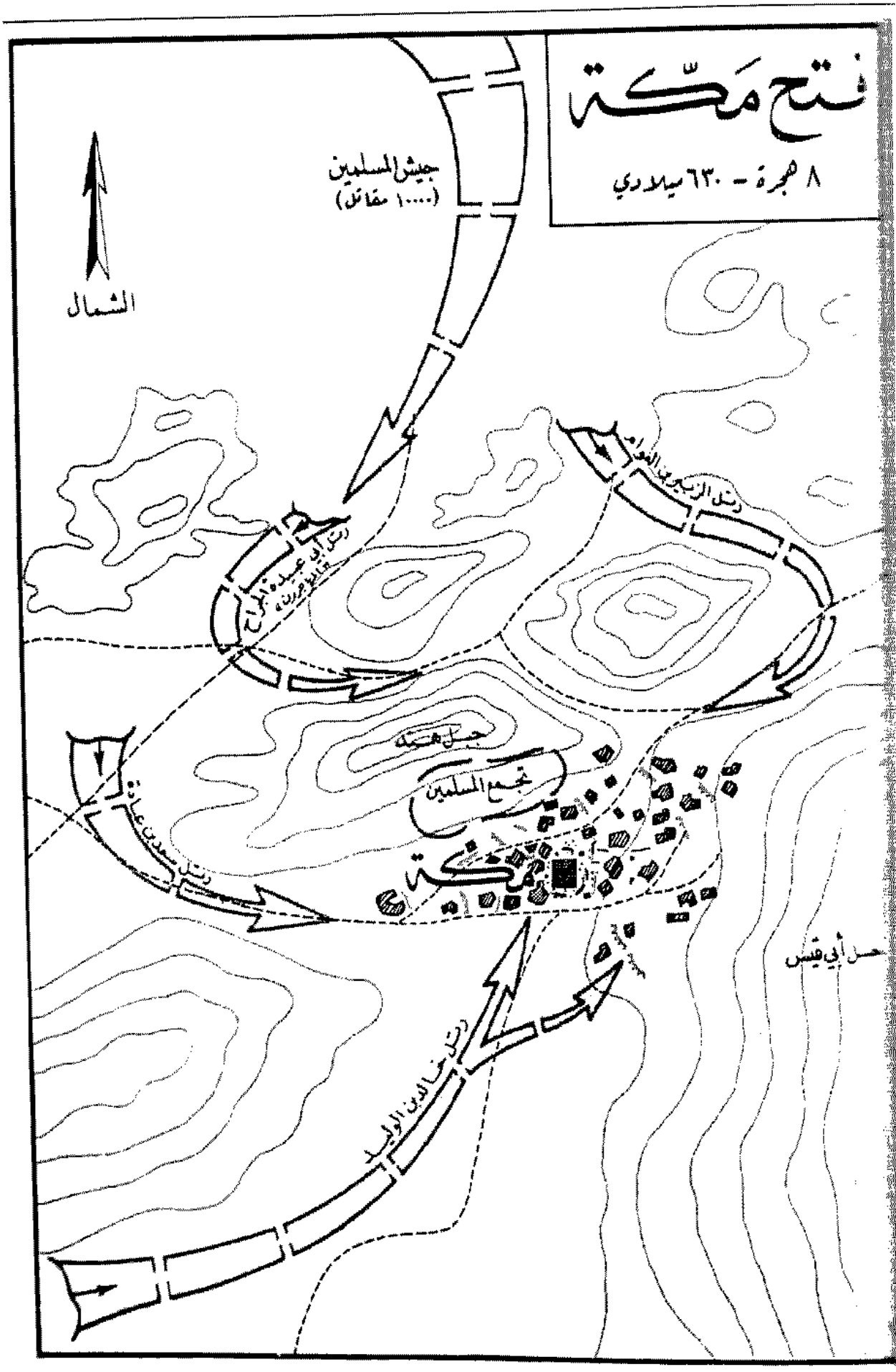
فتح مكة
٨ هجرة - ٦٣٠ ميلادي
جيش المسلمين
(١٠٠٠٠ مقاتل)
الشمال
جبل هندة
تجمع المسلمين
مكة
جبل أبي قيس

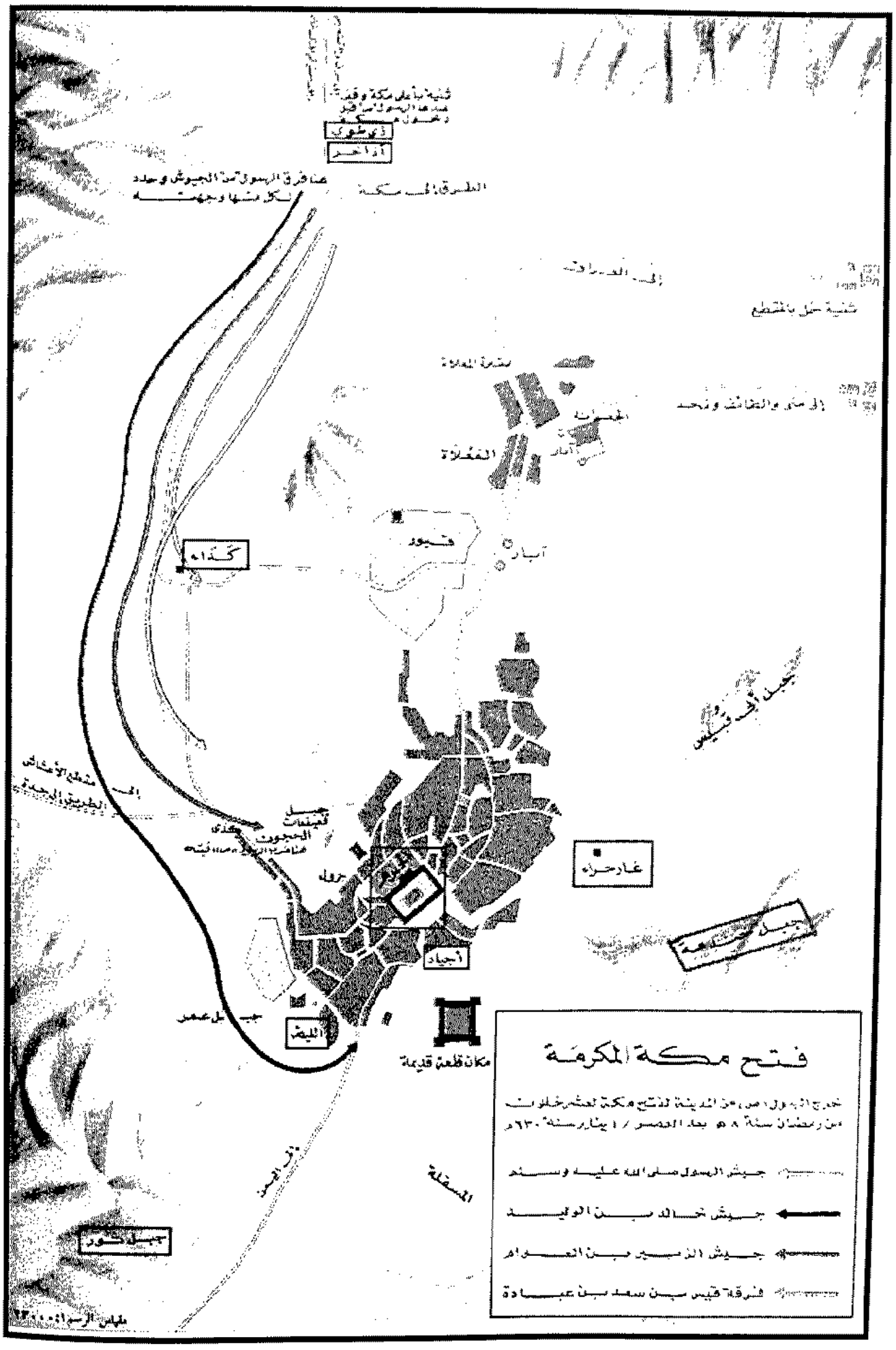
ثنية ذي طوى
أذاخر
الطريق إلى مكة
إلى المدينة
ثنية حل بالمقطع
المعلاة
إلى منى والمشاعر ونجد
كداء
قعيقعان
أجياد
الليث
مكان قلعة قديمة
غار حراء
جبل أبي قبيس
جبل كدى
فتح مكة المكرمة
خرج الرسول (ص) من المدينة لفتح مكة لعشر خلون من رمضان سنة ٨ هـ بعد العصر / ١ يناير سنة ٦٣٠ م
جيش الرسول صلى الله عليه وسلم
جيش خالد بن الوليد
جيش الزبير بن العوام
فرقة قيس بن سعد بن عبادة

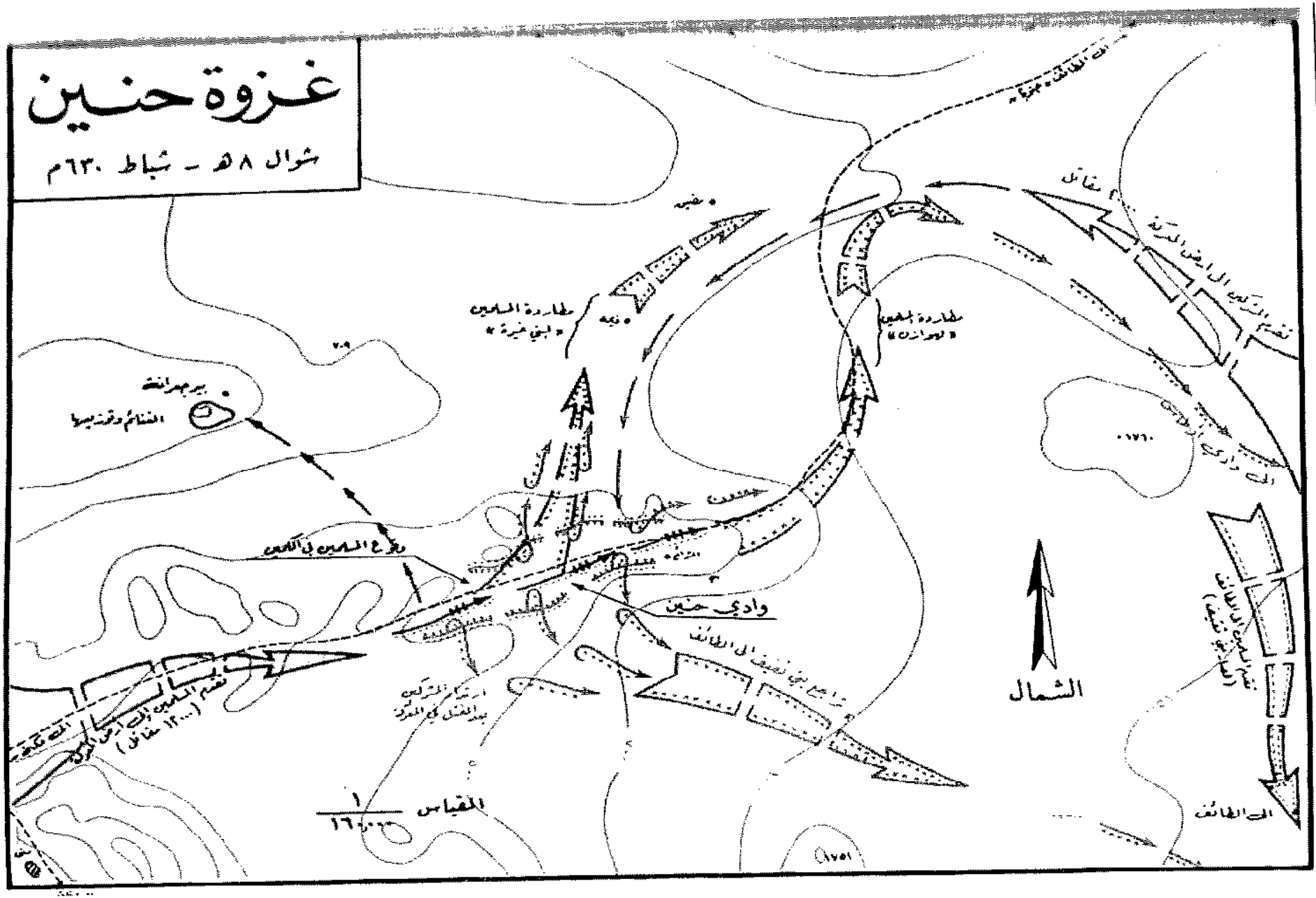
غزوة حنين
شوال ٨ هـ - شباط ٦٣٠ م
مطاردة المسلمين
مطاردة المسلمين
وادي حنين
الشمال
المقياس
١
١٦٠٠٠٠
الى الطائف

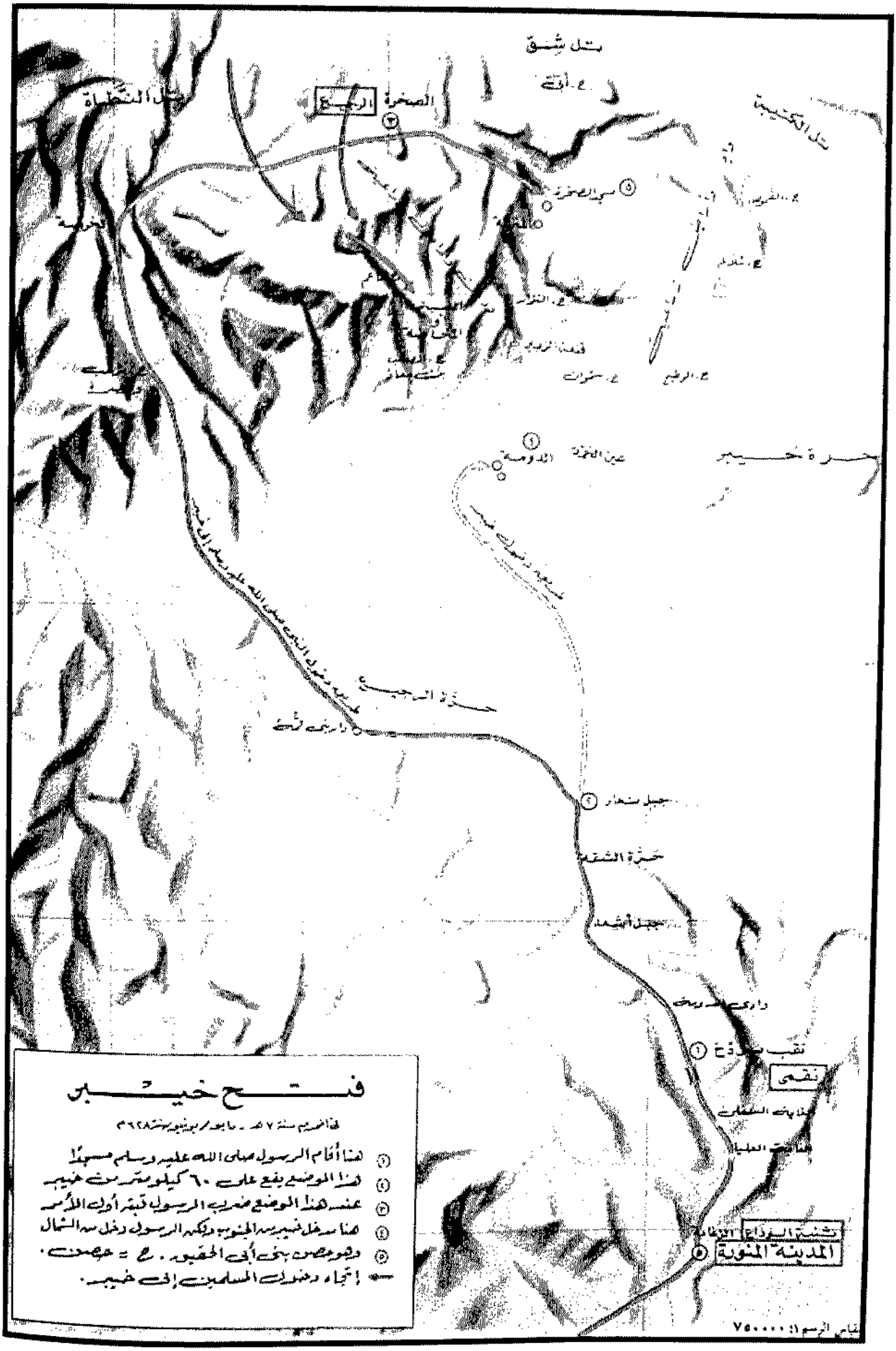
فتح خيبر
لغاية يوم سنة ٧ هـ - ما بعد / فبراير سنة ٦٢٨ م
① هنا أقام الرسول صلى الله عليه وسلم مسجدًا
② هذا الموضع يقع على ٦٠ كيلومترًا من خيبر
③ عند هذا الموضع ضرب الرسول قبته أول الأمر
④ هنا دخل خيبر من الجنوب وركب الرسول ودخل من الشمال
⑤ وهو حصن بني أبي الحقيق. ح = حصن.
← اتجاه وطريق المسلمين إلى خيبر.
المدينة المنورة
نقمى
حرة الرجيع
حرة الشقرة
جبل شعار
جبل الشهداء
حرة خيبر
الصهباء
الرجيع
الوادي
تقدير الرسم ١: ٧٥٠٠٠٠

الفهرس

الإهداء ٥
مقدمة ٧
الباب الأول: الحروب الرسالية والشجاعة الحيدرية ١٩
الفصل الأول: جوانب من الصفات الحيدرية ٢٠
تمهيد: ٢٠
- الشجاعة ما هي؟ ٢١
١- الشجاعة الأدبية: ٢٧
٢ - الشجاعة القتالية ٤٢
- من الصفات الحيدرية في العهد النبوي.. ..... ٥١
-الصفات العلوية في العين الرسالية.. ..... ٥٤
- المواقف العلوية في الحروب النبوية: ٦٢
الفصل الثاني: معلومات هامة عن الغزوات النبوية ٦٦
- غزوات الرسول ﷺ.. ..... ٦٦
- السرايا التي بعثها لأغراض مختلفة.. ..... ٦٧
الألوية والرايات ٧١
الإمام علي عليه السلام حامل لواء رسول الله ﷺ في الآخرة: ٨٠
مَنْ استخلفهم رسول الله ﷺ ٨١
الفصل الثالث: من أخلاق الرسالة في القتال ٨٤
الباب الثاني: في حروب العرب ٩٧
الفصل الأول: حروب الكفار ومشركي العرب.. ..... ٩٨
١- غزوة بدر (الصغرى والكبرى) ٩٨
خروج رسول الله ﷺ: ١٠١
- الإمام علي عليه السلام يستقي للقوم ١٠٦
- القتال والحرب ١٠٨
- المبارزة الأولى :وكسر شوكة المشركين ١١١

حامل راية قريش: ١١٣
بعث البشير بالفتح: ١٢٢
نقد وتحليل لغزوة بدر: ١٢٥
أعمال الإمام علي عليه السلام فيها ١٢٥
٢- غزوة أحد ١٣٦
محنة مخالفة أوامر القائد ١٣٦
تنظيمات معركة أحد ١٤٧
- الأسباب الداعية لها: ١٤٧
الألوية والرايات: ١٤٩
الإعداد والمسير للحرب ١٤٩
مؤتمر الشورى في يوم الجمعة ١٥٢
خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله ١٥٨
الحرب والقتال ١٦٠
بدء البراز بأحد ١٦٤
النصر العاجل وهزيمة المشركين ١٦٧
معصية الرماة ١٦٨
هزيمة المسلمين ١٧١
تفقد الجرحى والقتلى ١٨٤
مواقف نسائية لا تنسى ١٨٩
رجوع الرسول من أحد ١٩٥
نقد وتحليل لمعركة أحد ١٩٨
أولاً: الفارُّون يوم أحد (بحث لابدَّ منه) ١٩٩
عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر) ٢٠٢
طلحة بن عبيد التيمي ٢٠٣
عمر بن الخطاب ٢٠٤
عثمان بن عفان الأموي ٢٠٧
طلب الأمان من أبي سفيان ٢٠٨
عقدة فلان في التاريخ الإسلامي ٢١٠
ثانياً: بحث في أسباب الهزيمة ٢١٣
ب – مقتل الأبطال الكبار من المسلمين ٢١٦

مدد السماء وقتال الملائكة ٢٢٧
غزوة حمراء الأسد ٢٢٨
أعمال الإمام علي عليه السلام في أحد ٢٣٢
٣- غزوة الأحزاب (الخندق) ٢٣٤
وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام ٢٣٤
تنظيمات معركة الأحزاب ٢٣٤
الإعداد والمسير للحرب ٢٣٥
خروج جيوش الأحزاب للحرب ٢٣٥
مؤتمر الشورى بالأحزاب ٢٣٦
الاستطلاع الشخصي للقائد ٢٣٧
توزيع المهام ٢٣٧
الجدية والنشاط بحفر الخندق ٢٣٨
من معالم ومعاجز الرسول صلى الله عليه وآله ٢٤٠
وصول الأحزاب ٢٤٣
معسكر المسلمين ٢٤٤
نقض بني قريظة للعهد ٢٤٥
توهين للمشركين واختبار للمسلمين ٢٤٩
مبارزة النصر على الأحزاب كلها ٢٥٠
المبارزة الصاعقة للشرك ٢٥٠
مَنْ الذي هزم الأحزاب وحده؟ ٢٦٢
نقد وتحليل لغزوة الأحزاب: ٢٦٥
الإمام علي عليه السلام فيها ٢٦٥
٤-غزوة الفتح المبين ٢٧٠
نقد تحليل لغزوة الفتح: ٢٧٩
الإمام علي عليه السلام فيها ٢٧٩
٥- غزوة حنين والطائف ٢٨٢
الامتحان الأصعب للصحابة ٢٨٢
الإعداد والمسير للحرب في معركة حنين ٢٨٣
التعبئة الشاملة لثقيف ٢٨٥
خطة القتال الثقفية (الكمين) ٢٨٦

حكمة الشيوخ ٢٨٧
مسير جيش المسلمين ٢٨٩
ثبات رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته ٢٩٠
غزوة الطائف ٢٩٦
كسر الأصنام ٢٩٧
نقد وتحليل لغزوة حنين: ٣٠٢
الإمام علي عليه السلام فيها ٣٠٢
في غزوة تبوك: ٣٠٤
استخلاف الأمير عليه السلام على المدينة ٣٠٤
الفصل الثاني: الإمام علي عليه السلام وقيادة السرايا المستقلة ٣٠٦
١- سرية الإمام علي عليه السلام ذات السلاسل ٣٠٧
أهمية الإستطلاع والتدابير الأمنية ٣٠٧
أعمال هذه السرية ٣١٠
وليس لها إلا أبو الحسن عليه السلام ٣١٢
نقد وتحليل: ٣١٦
أعمال الإمام عليّ عليه السلام في هذه السرية ٣١٦
٢- سرية الإمام علي عليه السلام إلى فدك ٣١٧
٣- سرية الإمام علي عليه السلام إلى اليمن ٣١٩
٤-سرية الإمام علي عليه السلام إلى هدم فُلس ٣٢٧
الباب الثالث: حروب اليهود وغزواتهم ٣٣١
- تقديم: اليهود اللعناء ورسالة السماء ٣٣٢
في يوم المولد الشريف ٣٣٣
أسس العيش المشترك في المدينة المنورة ٣٣٥
أعظم معاهدة تاريخية ٣٣٦
معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين ويهود يثرب ٣٣٦
ممارسات اليهود العدائية: ٣٤١
إسلام عبد اللّه بن سلام: ٣٤٢
خطةٌ أخرى للقضاءِ على الحكومة الإسلامية: ٣٤٣
أ- الغزوات التي انتهت بالصلح والجلاء ٣٤٦
١-غزوة بني قينقاع ٣٤٨

٢- غزوة بني النضير ٣٥٢
ب- الغزوات التي كان بها حرب وقتال ٣٥٨
١- غزوة بني المصطلق (المسيريع) ٣٥٨
٢- غزوة بني قريظة ٣٦٤
أخلاق نبوية وشفاعة مقبولة ٣٧٤
شهادة عظيمة وتشييع مهيب ٣٧٦
نقد وتحليل غزوة بني قريظة: ٣٧٩
عمل الإمام علي عليه السلام فيها ٣٧٩
٣- غزوة خيبر وفتحها ٣٧٩
أحداث غزوة خيبر ٣٨١
خطة التحرك وسرية الحركة ٣٨٢
حالة العدو الدفاعية ٣٨٤
درس خيبر وتحصيناته ٣٨٧
متاريس اليهود تتهاوى: ٣٩٠
الانتصار الكبير في خيبر ٣٩٤
الفرح بفتح خيبر وقدوم جعفر ٣٩٩
فصل الخطاب بقلع الباب ٣٩٩
نقد وتحليل لغزوة خيبر: ٤٠٣
أعمال الإمام علي عليه السلام فيها ٤٠٣
الباب الرابع: في حروب الجن والعوالم الأخرى ٤٠٩
تمهيد ٤١٠
عالم الملائكة ٤١٢
ملائكة العلى تعرف الإمام علي عليه السلام ٤١٢
مع جبرائيل عليه السلام الروح الأمين ٤١٨
والملك الموكل بالماء ٤٢١
عالم الحيوان ٤٢١
الذئبان الناطقان ٤٢٢
حديث رد الشمس وكلامها معه عليه السلام ٤٢٧
سلام الشمس عليه عليه السلام ٤٢٧
ورُدت ذكاء له عليه السلام ٤٢٨

عالم الجان ٤٣١
الجان واليهودي وحميره ٤٣٩
الثعبان من الجن ٤٤١
وثعبان آخر كذلك ٤٤١
زبدة المخض ٤٤٢
الإمام علي عليه السلام وحرب الجن ٤٤٥
حديث الجني عطرفة ٤٤٥
مسك الختام ٤٦٣
بعض الكلام لأمير الكلام عليه السلام ٤٦٣
ملحق (١): جداول ضرورية ٤٦٥
ملحق (٢): خرائط توضيحيّة ٤٨١
الفهرس ٤٩٩

* حروب مشركي العرب
* حروب اليهود
* حروب الجن والعوالم الأخرى

لبنان - بيروت - الرويس - بناية عروس الرويس
تلفاكس: ٠٠٩٦١١/٥٤٥١٨٢ موبايل: ٠٠٩٦١٣/٤٧٣٩١٩
ص.ب: ١٤٠/٢٤
www.daraloloum.com
E.mail:info@daraloloum.com